

مركز الأبحاث والدراسات  
للإسلامية والخطبة  
بنين وبنات

طقوس أسرار وصلوات الكنيسة

٣/٦

# القداس الإلهي

سر ملكوت الله

الجزء الثاني



طقوس أسرار وصلوات الكنيسة

٣/٦

# القصائد الإلهية

## سر ملكوت الله

الجزء الثاني



الكتاب: القدّاس الإلهي - سرّ ملكوت الله (الجزء الثاني)  
الكاتب: الرّاهب القس أنثاسيوس المقاري  
(راهب من الكنيسة القبطيّة)  
المطبعة: دار نوبار، ٦ شارع مدرسة المعلمين، شبرا، القاهرة  
الطبعة: الأولى، يناير ٢٠٠٨ م  
رقم الإيداع بدار الكتب: ٢٠٠٧/١٦٢١٨  
التريقيم الدولي: 977-17-4947-1

كافة حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

٢٠ نسخة ٢٠ جنيهاً



بابا الإسكندرية وبطربك الكوازة المرقسية  
قداسة البابا شنودة الثالث



# محتويات الجزأين الأوّل والثاني من الكتاب

## الجزء الأوّل من الكتاب

### القسم الأوّل: مدخل إلى القدّاس الإلهي

#### الباب الأوّل: في الليتورجيات

- ٣١ ..... الفصل الأوّل: أنواع الليتورجيات وأقسامها
- ٣٢ ..... معنى كلمة ليتورجيا
- ٣٣ ..... بداية تنوع الطقوس والليتورجيات
- ٣٥ ..... تقسيم الليتورجيات
- ٣٧ ..... الفصل الثاني: أساليب النصوص الليتورجية وقوانين تطورها
- ٣٨ ..... أولاً: أساليب النصوص الليتورجية
- ٣٨ ..... (أ) الأسلوب الليتورجي ذو الأصل اليهودي
- ٤٣ ..... (ب) الأسلوب الليتورجي ذو الأصل الهليني
- ٥٠ ..... ثانياً: القوانين التي تحكم تطوّر النصوص الليتورجية
- ٥٥ ..... الفصل الثالث: الليتورجية الأنطاكية وفروعها
- ٥٦ ..... (أ) التقليد السوري ذو الأصل اليهودي (الآشوري)
- ٥٧ ..... (ب) التقليد السوري ذو الأصل اليوناني (الأنطاكي)
- ٥٨ ..... ليتورجية القديس يعقوب أخي الرب
- ٦١ ..... تأثير الطقس الأنطاكي على الطقس البيزنطي
- ٦٣ ..... تأثير الطقس البيزنطي على الغرب المسيحي
- ٦٥ ..... تأثير الطقس الأنطاكي على الطقس الماروني والأرمني

## الفصل الرابع: الليتورجية الإسكندرانية

- ٦٧ ..... تمهيد
- ٦٨ ..... أولاً: الليتورجيات اليونانية لكنيسة الإسكندرية
- ٧١ ..... بردية ستراسبورج وبردية دير البلايزا
- ٧٣ ..... بردية ستراسبورج
- ٧٣ ..... النص
- ٧٤ ..... بردية دير البلايزا
- ٧٤ ..... النص
- ٧٦ ..... المخطوطات اليونانية للقداست القبطية
- ٧٧ ..... مخطوط رقم (ط ١٥٥) مكتبة دير القديس أنبا مقار
- ٧٩ ..... مخطوط رقم (ط ١٥٦) مكتبة دير القديس أنبا مقار
- ٨٠ ..... نصان يونانيان منشوران نشرة علمية لخولاجي القديس القبطي
- ٨١ ..... النص الأول: مخطوط المكتبة الأهلية بباريس رقم (٢٣٥)
- ٨٢ ..... النص الثاني: مخطوط كسمارسك F. Kacmarcik Codex
- ٩٠ ..... ثانياً: الليتورجيات القبطية لكنيسة الإسكندرية
- ٩٠ ..... (أ) مخطوطات الخولاجيات التي تحوي النص القبطي فقط
- ٩٠ ..... مخطوط الدير الأبيض بسوهاج
- ٩٢ ..... النص
- ٩٤ ..... (ب) مخطوطات الخولاجيات بالنص القبطي مع الترجمة إلى العربية
- ٩٨ ..... دراسة لبعض المخطوطات القديمة للقديس الباسيلي
- ٩٩ ..... مخطوط مكتبة بودليان بأكسفورد رقم (هنت ٣٦٠)
- ١٠٠ ..... مخطوط مكتبة الفاتيكان رقم (قبطيات ١٧)
- ١٠١ ..... مخطوطات الخولاجيات المحفوظة في مكتبة دير القديس أنبا مقار
- ١٠٢ ..... مخطوط خولاجي رقم (ط ١٣٣)
- ١٠٢ ..... مخطوط خولاجي رقم (ط ١٣٤)
- ١٠٣ ..... مخطوط خولاجي رقم (ط ١٣٦)
- ١٠٣ ..... مخطوط خولاجي رقم (ط ١٤٧)
- ١٠٣ ..... بعض الاستنتاجات من مقارنة نصوص المخطوطات



- ١٠٨ ..... أقدم طبعات لخولاجي القَدَّاسات القبطية
- ١١٠ ..... ملحق حول ليتورجيات الكنيسة الإثيوبية

### الباب الثاني: حول سرّ الإفخارستيا

- ١١٥ ..... الفصل الأوّل: معنى الإفخارستيا
- ١١٦ ..... مسميات السّر
- ١٢٠ ..... إفخارستيا واحدة مسبوقة بصوم
- ١٣٢ ..... الإفخارستيا ذبيحة شكر للآب بواسطة ابنه يسوع المسيح

### الفصل الثاني: متى تقام الإفخارستيا

- ١٣٨ ..... سؤال: في أي يوم من أيام الأسبوع تُقام الإفخارستيا؟
- ١٣٩ ..... في القرنين الأوّل والثاني للميلاد
- ١٤٣ ..... في القرون الثالث والرابع والخامس للميلاد
- ١٥٦ ..... في القرن السادس للميلاد وما يليه

### الفصل الثالث: البنية الأولى لقَدَّاس الإفخارستيا

- ١٦٨ ..... تمهيد
- ١٦٨ ..... الهيكل العام لقَدَّاس الإفخارستيا في القرن الأوّل الميلادي
- ١٧١ ..... شكل قَدَّاس الإفخارستيا قبل مجمع نيقية المسكوني سنة ٣٢٥ م

### الباب الثالث: الاستعداد للقَدَّاس الإلهي

#### الفصل الأوّل: المراحل التمهيدية للقَدَّاس

- ١٨٠ ..... (١) خبز القربان وتجهيزه
- ١٨٩ ..... (٢) فحص الكاهن لنفسه قبل التّقدّم لخدمة القَدَّاس الإلهي
- ١٩٣ ..... (٣) فحص الحَمَل
- ١٩٦ ..... (٤) ارتداء الملابس الكهنوتية
- ٢١١ ..... طقس ارتداء الملابس الكهنوتية

- ٢١٥ ..... الخلاصة
- ٢١٧ ..... ارتداء ملابس الخدمة في الطَّقس البيزنطي
- ٢١٨ ..... (٥) رفع صلوات الاستعداد وفرش المذبح
- ٢١٩ ..... ترتيب فرش المذبح عند البابا غبريال الخامس
- ٢١٩ ..... تعقيب مطوّل على طَّقس فرش المذبح
- ٢٢٠ ..... لا يبدأ فرش المذبح قبل إيقاد قنديل الشَّرْقِيَّة وشمعَي المذبح
- ٢٢٠ ..... لا يفرش الكاهن المذبح إلّا وهو مرتدياً ثياب الخدمة
- ٢٢١ ..... مكان وقوف الشَّمَّاس عند المذبح أثناء فرشه وأثناء القدّاس
- ٢٢٤ ..... لحن "اللّي القربان" وارتباطه بفرش المذبح
- ٢٣٠ ..... متى يقال مرد "الليلويا فاي بي"
- ٢٣١ ..... نص صلوات الاستعداد لفرش المذبح
- ٢٣٥ ..... المفهوم اللاهوتي لصلوات الكاهن السَّرِّيَّة عن نفسه
- ٢٣٨ ..... فرش المذبح في التَّقْلِيد البيزنطي
- ٢٣٩ ..... (٦) التَّسْبِيح بمزامير السَّواعي
- ٢٤٩ ..... الفَصْل الثَّانِي: التَّام الجماعة في الكنيسة شرطاً لبدء الصَّلَاة فيها

## القسم الثاني: أقسام القدّاس الإلهي

### الباب الأوّل: تقديم الحمل

- ٢٦٧ ..... الفَصْل الأوّل: حول طقس تقديم الحمل
- ٢٦٨ ..... تمهيد
- ٢٦٨ ..... موضع طقس تقديم الحَمَل في القدّاس الإلهي
- ٢٧٣ ..... جانب من رسالة أنبا مقاره أسقف منوف العليا في القرن العاشر
- ٢٧٥ ..... جدل لاهوتي حول الغاية من طقس تقديم الحَمَل
- ٢٧٩ ..... الفَصْل الثَّانِي: العناصر الليتورجية لطقس تقديم الحمل
- ٢٨٠ ..... تمهيد

- ٢٨٢ طقس تقديم الحَمَل في الكنيسة القبطية في القرن العاشر الميلادي .....
- ٢٨٤ العناصر الليتورجية لطقس تقديم الحَمَل في القرن الخامس عشر .....
- ٢٨٥ استبراء الحَمَل ومسح ظهره، ثم استبراء الخمر .....
- ٢٩٣ غسل الكاهن ليديه .....
- ٢٩٣ غسل اليدين بعد تقديم الحَمَل .....
- ٢٩٦ غسل اليدين قبل تقديم الحَمَل .....
- ٣٠٠ مسح الكاهن خبز التقدمة بيديه فوق وأسفل، مع صلاة .....
- ٣٠٨ تذكارات الحَمَل .....
- ٣٠٩ دورة الحَمَل حول المذبح .....
- ٣٢١ مرد "الليلويا فاي بي" .....
- ٣٢٢ رشومات الحَمَل .....
- ٣٢٧ مزج الخمر بالماء في الكأس .....
- ٣٣٥ ترتيل الذكصا .....
- ٣٣٧ صلاة الشكر "فلنشكر صانع الخيرات والرحوم ..."
- ٣٤٣ أوشية التقدمة، أو صلاة الغطاء .....
- ٣٤٥ لحن **Сѡѡис ѧмин** (سوتيس أمين) .....
- ٣٤٩ لحن **Нисавѡт** (نيسافيف) "يا كل حكماء إسرائيل" .....
- ٣٥٢ صلوات التحليل ومرد "سوتيس أمين" .....
- ٣٥٣ تحليل الخدام .....
- ٣٥٩ نحة عن طقس تقديم الحَمَل في الكنيسة البيزنطية .....

### الباب الثاني: قدّاس الموعوظين أي قدّاس الكلمة

- ٣٦٣ الفصل الأوّل: مقدّمات حول قدّاس الكلمة .....
- ٣٦٤ تمهيد .....
- ٣٦٥ قدّاس الكلمة في العصور المبكرة .....
- ٣٧١ الخلاصة .....
- ٣٧٢ علاقة قدّاس الكلمة بقدّاس الإفخارستيا .....

- ٣٧٤ ارتباط القراءات بالإفخارستيا في التاريخ الكنسي والليتورجي
- ٣٧٧ ارتباط القراءات بالإفخارستيا في تعليم آباء الكنيسة
- ٣٨٣ تأثير كنيسة الإسكندرية على اختيار القراءات في الكنائس الأخرى
- ٣٨٥ الكُتب القانونية المسموح بقراءتها في الكنيسة
- ٣٨٨ مقارنة بين القراءات الكتابية في الطقوس الشرقية المختلفة
- ٣٩٠ استقلالية قراءات السبوت والآحاد عن باقي أيام الأسبوع
- ٣٩٦ شهادة مخطوطات القطمارسات والدلالات
- ٤٠١ استنتاجات فحص المخطوطات
- ٤٠٣ التقييم الختامي
- ٤٠٣ حول قطمارس أبو البركات ابن كبر
- ٤٠٥ الفصل الثاني: المراحل الطقسية لقداس الكلمة
- ٤٠٦ تمهيد
- ٤٠٦ أولاً: رفع البخور ودورة البخور في الكنيسة
- ٤٠٦ أوشية بخور البولس والأوشي الثلاث الصغار
- ٤١٦ نحة مؤثرة من تاريخ الكنيسة
- ٤١٧ دورة البخور في الكنيسة
- ٤٢٠ ثانياً: القراءات
- ٤٢٥ الدورة السنوية لقراءة الفصول الكتابية
- ٤٢٧ المراحل التاريخية التي عبرت عليها القراءات الكنسية
- ٤٣٧ طقس قراءة الفصول الكتابية في القداس القبطي
- ٤٣٨ (١) فصل البولس وأوشيته
- ٤٤٥ (٢) فصل الكاثوليكون وأوشيته
- ٤٤٧ مرد الإبركسيس
- ٤٤٩ (٣) فصل الإبركسيس وأوشيته
- ٤٥٣ (٤) السنكسار
- ٤٦٠ تأثير الشرق المسيحي على الاحتفال بتذكارات القديسين
- ٤٦٢ حول السنكسار في الكنيسة القبطية

- ٤٦٤ سجل بأقدم السنكسارات القبطية
- الموضع الطقسي لقراءة السنكسار في الليتورجية القبطية ٤٦٦
- ٤٦٩ حول السنكسار في الكنائس الشرقية الأخرى
- ٤٧١ (٥) تسبحة الثلاثة تقديسات
- ٤٧٦ طقس ترتيل تسبحة الثلاثة تقديسات
- ٤٧٧ (٦) فصل الإنجيل المقدس
- ٤٧٨ أوشية الإنجيل
- ٤٨١ ترتيل مزموور الإنجيل بالقبطية
- ٤٨٢ دورة الإنجيل حول المذبح وتقبيله قبل قراءته
- ٤٨٦ مرد المزمور القبطي
- ٤٨٩ قراءة فصل الإنجيل المقدس
- ٤٩٥ ارتباط طقس رفع البخور بوقت قراءة الإنجيل المقدس
- ٤٩٧ الوقوف أثناء قراءة فصل الإنجيل
- ٤٩٨ كشف الرأس عند قراءة الإنجيل
- ٤٩٩ تقبيل الإنجيل بعد قراءته
- ٥٠٢ لحة عن الطقس الحالي للقراءات الكتابية في بعض الكنائس الشرقية
- ٥٠٦ **ثالثاً: العظة**
- ٥١٤ رابعاً: أوشية "أيها الطويل الأناة" وما يعقبها من أواشي
- ٥١٤ تمهيد
- ٥١٦ ابن سباع يشرح الطقس القديم لهذه الأواشي
- ٥١٧ البابا غبريال الخامس يشرح طقس هذه الأواشي
- ٥١٧ من قول معلّم البيعة عن هذه الأواشي
- ٥١٩ مخطوطات الخولاحيات تشرح طقس هذه الأواشي
- ٥٢٠ أسباب تحوّل هذه الأواشي إلى صلوات سرّية
- ٥٢١ خلاصة ما سبق ذكره
- ٥٢٢ المفهوم الليتورجي لعبارة "أذكر يا رب ..."
- ٥٢٤ طقس خروج الموعوظين من الكنيسة في الطقوس المختلفة

## الجزء الثاني من الكتاب

### الباب الثالث: قدّاس المؤمنين أي الأنافورا

- ٥٣٩ ..... الفصل الأوّل: صلاة الحجاب والأواشي الثلاثة الكبار
- ٥٤٠ ..... تمهيد
- ٥٤٢ ..... أولاً: صلاة الحجاب
- ٥٥٠ ..... ثانياً: الأواشي الثلاثة الكبار
- ٥٥٠ ..... تمهيد
- ٥٥٤ ..... الأواشي الثلاثة الكبار في الطُقُس القبطي
- ٥٦٠ ..... تعقيب على الأواشي الثلاثة الكبار في الطُقُس القبطي
- ٥٦٠ ..... أوشيّة سلام الكنيسة
- ٥٦٢ ..... أوشيّة الآباء
- ٥٦٥ ..... أوشيّة الاجتماعات
- ٥٦٨ ..... الخطوط العريضة للأواشي في الطُقُوس المختلفة
- ٥٧١ ..... الفصل الثاني: قانون الإيمان وغسل اليدين
- ٥٧٢ ..... أولاً: قانون الإيمان
- ٥٧٢ ..... تمهيد
- ٥٧٤ ..... قوانين الإيمان وصيغها المختلفة
- ٥٧٦ ..... قانون إيمان الرُّسل
- ٥٧٦ ..... (١) الصّيغة الرُّومانيّة (اللاتينيّة) القدّمة
- ٥٧٧ ..... (٢) الصّيغة الحاليّة
- ٥٧٨ ..... قانون إيمان نيقية
- ٥٨٠ ..... الفروقات اللَّفْظيّة للقانون النِّقاوي بين الطُقُوس المختلفة
- ٥٨٢ ..... ترديد قانون الإيمان في داخل الإفخارستيا
- ٥٨٥ ..... طُقُس ترديد قانون الإيمان في التَّقْليد القبطي
- ٥٩١ ..... ثانياً: غسَل الكاهن ليديه

- ٥٩١ ..... تمهيد
- ٥٩٢ ..... غسل البيدين في الطُّقوس المختلفة
- ٥٩٢ ..... غسل الكاهن ليديه في الطُّقس القبطي
- ٥٩٩ ..... الفصل الثالث: صلاة الصُّلح (ما قبل الأنافورا) والقُبلة المقدَّسة
- ٦٠٠ ..... أولاً: صلاة الصُّلح
- ٦٠٠ ..... تمهيد
- ٦٠٢ ..... صلاة الصُّلح في الطُّقس القبطي
- ٦٠٣ ..... صلوات الصُّلح في اللَّيتورجيات القبطية
- ٦٠٥ ..... تعقيب على بعض صلوات الصُّلح في اللَّيتورجيا القبطية
- ٦١٠ ..... ثانياً: القُبلة المقدَّسة
- ٦١٠ ..... تمهيد
- ٦١٢ ..... المفهوم اللَّيتورجي للقُبلة المقدَّسة
- ٦١٦ ..... قُبلة السَّلام في الطُّقوس المختلفة
- ٦٢١ ..... القُبلة المقدَّسة في الطُّقس القبطي
- ٦٢٤ ..... شكل القُبلة المقدَّسة اليَوْم في الطُّقوس المختلفة
- ٦٢٤ ..... الأَسبسموس الذي يرافق نداء الشَّماس بالقُبلة المقدَّسة
- ٦٢٥ ..... الأَسبسموس الآدام
- ٦٢٥ ..... الأَسبسموس الواطس
- ٦٣٠ ..... أصل الهيئتيَّات ومنشأها
- ٦٣٢ ..... معنى قول الشَّماس: قَدِّموا على الرَّسم
- ٦٤١ ..... الفصل الرَّابع: مقدِّمة الأنافورا أو صلاة الشُّكر الكبري
- ٦٤٢ ..... تمهيد
- ٦٤٣ ..... معنى الأنافورا
- ٦٤٥ ..... الخوار اللَّيتورجي في مقدِّمة الأنافورا
- ٦٥٠ ..... أصل الرُّشومات التي صاحبت الخوار اللَّيتورجي
- ٦٥١ ..... الرَّب مع جميعكم

- ٦٥٥ ..... ارفعوا قلوبكم
- ٦٥٨ ..... فلنشكر الرب
- ٦٦٠ ..... مستحق وعادل
- ٦٦٢ ..... العناصر التي تحويها صلاة الشكر الكبرى
- ٦٦٥ ..... واحدة من صلوات الشكر قبل نيقية
- ٦٦٦ ..... مقدّمة الأنافورا في قدّاس القديس سريون
- ٦٦٨ ..... تطوّر النصّ الليتورجي لمقدّمة الأنافورا
- ٦٧٣ ..... أيها الجلوس قفوا
- ٦٧٣ ..... وإلى الشرق انظروا
- ٦٧٤ ..... نصت
- ٦٧٥ ..... مقدّمة الأنافورا في القدّاس المرقسي
- ٦٨١ ..... الفصل الخامس: التّسبحة الشّاروبيميّة
- ٦٨٢ ..... تمهيد
- ٦٨٢ ..... كنيسة الإسكندريّة هي منشأ التّسبحة الشّاروبيميّة
- ٦٨٨ ..... التّطوّر الذي لحق بالتّسبحة الشّاروبيميّة في الكنائس المختلفة
- ٦٩١ ..... الأسبسموس الذي يسبق التّسبحة الشّاروبيميّة
- ٦٩٧ ..... الفصل السادس: أجيوس، قدوس\*
- ٦٩٨ ..... توضيح
- ٧٠٠ ..... شرح وتعقيب
- ٧٠٤ ..... تأمل في الرّشومات بلفافة الحَمَل ثم بلفافة الكأس
- ٧٠٦ ..... دورة البُخور حول المذبح عند قول الكاهن: أجيوس
- ٧٠٦ ..... مضمون الصّلوات الليتورجيّة بعد أجيوس
- ٧١٧ ..... الفصل السّابع: كلمات التّأسيس
- ٧١٨ ..... تمهيد
- ٧١٨ ..... أقدم نص قبضي صعيدي لكلمات التّأسيس في القدّاس الباسيلي
- ٧١٩ ..... أقدم نص يوناني لكلمات التّأسيس في القدّاس الباسيلي



- ٧٢١ ..... أقدم نص يوناني لكلمات التأسيس في القدّاس الغريغوري
- ٧٢٢ ..... أقدم نص يوناني لكلمات التأسيس في القدّاس المرقسي
- ٧٢٢ ..... كلمات التأسيس في قدّاس القديس سراييون
- ٧٢٣ ..... شرح المضمون الليتورجي لكلمات التأسيس
- ٧٢٦ ..... الطقس العملي المصاحب لكلمات التأسيس
- ٧٢٦ ..... الممارسة الطقسية على الخبز
- ٧٣١ ..... الممارسة الطقسية على الكأس
- ٧٣٤ ..... التّطوُّر الذي لحق بكلمات التأسيس
- ٧٣٤ ..... أخذ حيزاً
- ٧٣٧ ..... ونظر إلى فوق
- ٧٣٩ ..... وشكر وبارك وقدس
- ٧٤٣ ..... وقسمه وأعطاه لتلاميذه
- ٧٤٤ ..... خذوا كلوا هذا هو جسدي ... خذوا اشربوا هذا هو دمي
- ٧٤٦ ..... يكسر عنكم وعن كثيرين ... يسفك عنكم وعن كثيرين
- ٧٤٧ ..... يعطى لمغفرة الخطايا
- ٧٤٨ ..... هذا اصنعه لذكري
- ٧٤٩ ..... هكذا الكأس أيضاً من بعد العشاء، مزجها من خمر وماء
- ٧٥٠ ..... وذاق وأعطاه أيضاً لتلاميذه
- ٧٥١ ..... خذوا اشربوا
- ٧٥٣ ..... لأن كل مرّة تأكلون ... وتشربون ...

## ٧٥٥ ..... الفصل الثامن: التذكّار

- ٧٥٦ ..... معنى الذّكريّ الإفخارستيّة
- ٧٦٢ ..... العناصر الليتورجية للتذكّار
- ٧٦٢ ..... (١) بادئة التذكّار
- ٧٦٧ ..... (٢) مضمون أو موضوع التذكّار
- ٧٧٠ ..... (٣) تقريب القرايين
- ٧٧٠ ..... المفهوم اللاهوتي لتعبير "نقرب لك من الذي لك"

٧٧٥	الفصل التاسع: الاستدعاء
٧٧٦	تمهيد
٧٧٦	الاستدعاء
٧٧٨	العلاقة بين السُّجود وحلول الرُّوح القُدس علينا وعلى القرايين
٧٨٤	طقس استدعاء الرُّوح القُدس
٧٩٥	الاستدعاءات في الليتورجيات القبطية
٨٠٤	حول مفهوم الاستحالة الجوهريّة
٨١٠	أسئلة يلزم التَّعرُّف على إجاباتها
٨٢١	الفصل العاشر: الأواشي والجمع والتَّرحيم
٨٢٢	تمهيد
٨٢٤	بين الطَّهارة والتَّقدّيس في مقدّمة الأواشي
٨٢٧	أولاً: الأواشي
٨٣٣	الأواشي في القدّاس الغريغوري
٨٣٤	الأواشي في القدّاس الكيرلسي
٨٣٥	موقع الأواشي في الليتورجيات المختلفة ومضمونها
٨٣٧	جانب من صلوات الأواشي في الطُّقس البيزنطي
٨٣٩	ثانياً: المجمع
٨٣٩	المفهوم الليتورجي واللاهوتي لصلاة المجمع
٨٤٧	التَّطوُّر الليتورجي لصلاة المجمع
٨٥٤	ثالثاً: التَّرحيم
٨٦٢	المرد الذي يقال بعد التَّرحيم
٨٦٣	أولئك يارب الذين أخذت نفوسهم نبيّهم
٨٦٦	مرد "كما كان هكذا يكون"
٨٧١	تصحيح يلزم تداركه
٨٧٣	تمجيد الآب بابنه في ختام الصَّلاة الإفخارستية
٨٧٤	ممارسة طقسية جديرة بالاهتمام

٨٧٧	الفصل الحادي عشر: القسمة
٨٧٨	تمهيد
٨٧٩	مقدمة القسمة
٨٨٠	السُّجود الذي اعترض مقدمة القسمة
٨٨٣	صلوات القسمة
٨٨٧	أهم الصفات التي وردت عن الله الآب في صلوات القسم
٨٨٧	طقس القسمة
٨٨٨	المراحل الطقسية لقسمة الجسد المقدس
٨٨٨	المرحلة الأولى: وتم في التأسيس عند قول الكاهن: "وقسمه"
٨٩٠	المرحلة الثانية: وتم بعد حلول الروح القدس
٨٩١	القسمة المتصلة
٨٩٢	القسمة المنفصلة
٨٩٤	القسمة في الطقوس الأخرى
٨٩٦	صلاة أبانا الذي في السموات
٩٠١	طقس ترديد الصلاة الربانية
٩٠٣	الصلوات التي تعقب الصلاة الربانية
٩٠٣	صلاة بعد أبانا
٩٠٥	صلاة الخضوع للآب
٩٠٧	صلاة التحليل للآب
٩١١	الفصل الثاني عشر: القديسات للقديسين والاعتراف الأخير
٩١٢	تمهيد
٩١٣	الطقس المصاحب للنداء: القديسات للقديسين
٩١٦	تعقيب على الرشم المتبادل بين الجسد والدم
٩١٨	رشم الجسد بالدم في الطقوس المختلفة
٩١٨	عودة إلى الطقس القبطي
٩١٩	الاعتراف الأخير
٩٢١	الطقس المصاحب للاعتراف الأخير

٩٢٣	مرد الشمّاس عقب الاعتراف الأخير
٩٢٧	الفصل الثالث عشر: التناول والترتيل
٩٢٨	تمهيد
٩٢٩	الطقس القبطي للتناول من الأسرار المقدّسة
٩٤٢	ماء التّعطيّة
٩٤٣	التناول في المصادر الآبائيّة والطّقسيّة القديمة
٩٤٧	طقس التناول في الكنائس الأخرى
٩٥١	التناول شركة في سرّ وحدة الكنيسة
٩٥٤	الترتيل المصاحب لتوزيع الأسرار المقدّسة
٩٥٩	الترتيل في الكنائس الأخرى
٩٦٠	غسل الأواني بعد توزيع الأسرار الإلهيّة
٩٦١	رش الماء والتّسريح
٩٧١	وفي الختام

### الملاحق

٩٧٥	الملحق الأوّل: نص خولاجي القديس سراييون أسقف تمويس
١٠٠٥	الملحق الثّاني: طقس تعمير الكأس إذا حدث له حادث
١٠٠٦	أقدم مصادر طقسيّة قبطيّة أوردت هذا الطّقس
١٠١٠	أسباب ممارسة طقس تعمير الكأس
١٠١٠	شرح طقس تعمير الكأس بمقارنة المخطوطات
	الملحق الثالث: فهرس مخطوطات خولاجيّات القدّاسات القبطيّة
١٠٢١	في نصّها اليوناني أو القبطي والحفوظة في مكاتب العالم
١٠٣١	الملحق الرّابع: حول كتاب سرّ الثّالوث في خدمة الكهنوت
١٠٣٧	المراجع

## مقدمة عامة

سرّ الإفخارستيا هو سرّ الأسرار في الكنيسة، بل هو نفسه سرّ المسيح والكنيسة. فهو سرّ حضور المسيح الدائم فيها، ومن ثمّ حضور الآب والابن والروح القدس. لأنه حيث المسيح فهناك الآب والروح القدس. وقبولنا للمسيح هو كشف نخبّة الآب لنا. فسر الإفخارستيا هو بالضبط سر وصولنا إلى الله، وهو ينبوع الحي والمحيي لمعرفة الكنيسة عن الثالوث القدوس. ليست معرفة مجردة، بل معرفة الخيرة والاتحاد بالمسيح والحياة الأبدية «لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبهًا بموته» (فيلبي ٣: ١٠).

القدّاس الإلهي هو خروج من هذا العالم، وارتقاء إلى السّماء. والمذبح المقدّس هو رمز هذا الارتقاء ووسيلة تحقيقه، فالمسيح صعد إلى سماء الأسرار، وسماء الأسرار هي الكنيسة على حد قول القدّيس يعقوب السروجي. والإفخارستيا هي سرّ وحدة الكنيسة وبقائها، لأن القدّاس الإلهي هو علة إيمان الكنيسة وحياتها وخيرتها.

والقدّاس الإلهي هو مركز العبادة ومحور الحياة الليتورجية في الشّرق المسيحي كله، وهو سر بقاء المسيحية الشّرقية حتى اليوم وسط محيط لم تهدأ أمواجه وأنواؤه منذ قرون طويلة حلت. إذ ظلّ القدّاس الإلهي سفينة نوحا لشعوب الشّرق احتمت فيها من طوفان هذا العالم الذي وُضع في الشّرير. بل كان وقت - امتد أحياناً لقرون بأكملها - لم تكن فيه كنيسة الإسكندرية بالذات تملك من مقومات بقائها سوى القدّاس الإلهي والتّسبحة اليومية، حتى أكاد أن أقطع بكل يقين أن كتابي الخولاجي المقدّس والأبصلمودية السنوية المقدّسة - إلى جانب كُتب الصّلوات الطّقسية والليتورجية الأخرى - هما الكتابان الأساسيان اللذان حفظا لنا

لاهوت كنيسة الإسكندريّة وتعليمها في وجدان الشّعب القبطي وفي بؤرة حياته اليوميّة، لاهوت يرتّلونه كل يوم، لأنّه لاهوت عبادي ليتورجي حيّ، لا تحويه كلمات مرصّوة في كتب وحسب، بل مرثّل ومنشود ومسيّح من القلوب في كل صباح ومساء.

والقدّاس الإلهي ليس معدوداً ضمن ساعات هذا الزّمن. إنه لحظات من الأبدية، نعيشها ونحن ما زلنا في الجسد. ويمكننا أن نتصوّر وقت القدّاس وكأنّما الحجاب القائم بين الزّمن والأبدية قد ارتفع مؤقتاً لكي يفتح الزّمن على الأبدية، فنشترك ونحن داخل كنيسة مبنية من حجارة، ونحن ما نزال في الجسد، في ملكوت السّموات. نشترك في اليوم الذي صنعه الرّب، في أورشليم السّمائيّة، في الأبدية.

فالقدّاس الإلهي طاقة تفتح على الأبدية مباشرة، نطل منها على اليوم الذي صنعه الرّب، بل هو أكثر من إطلاله، فنحن نعيش أثناء القدّاس ذلك اليوم نفسه الذي صنعه الرّب، نخرج من حدود الزّمن الفاني ونعيش حياتنا الأبدية.

والهيكل هو مكان انطلاق الأرض لتعيش في السّماء. وهو دائماً يكون رباعي الشكل تعبيراً عن أربعة أقطار الأرض. ومن فوقه القبة تعبيراً عن السّماء.

وسر الإفخارستيا هو سر تحوطه الهيبة والجلال، وتباين طقوسه البديعة بين كنيسة وأخرى، إلّا أنّه يمارس في كل منها وسط أجواء من القدسيّة، بأيقونات وشموع وبخور وألحان، وسجود وقيام، وركوع وبسط يدين، وإحناء رأس ورفع عينين إلى السّماء، مصحوبة كلّها بنصوص ليتورجية تتفق كلّها بغاية الإتقان في خطوطها الأساسيّة الأولى.

أما أبداع ما في القدّاس الإلهي فهو الحضور الشّعبي من الرّجال والنساء والفتيان والفتيات والشبان والشابات والأطفال والشيوخ يلتفون كلهم حول المسيح المخلّص الحبيب وفي معيته وضيافته، فهو المضيف وصاحب البيت، وفي ذات الوقت هو طعام وشراب المدعوّين ونور وأصل حياتهم. فمنه وبه وله كل الأشياء، وهي كائنة بإرادته ومسرّة صلاحه.

لقد أسّس السيّد المسيح سر الإفخارستيا في ليلة العشاء الأخير، ولكن بعد أن مهّد لهذا الحدّث السّري العظيم الذي افترق عنده الرّمن إلى عهدين، واحد قديم عبر وفات، وآخر جديد دائم لا يزول أبداً.

فقد سأل اليهود الرّب قائلين: «أية آية تصنع لئرى ونؤمن بك، ماذا تعمل؟. آباؤنا أكلوا المن في البرية كما هو مكتوب أنه أعطاهم خبزاً من السّماء ليأكلوا. فقال لهم يسوع الحق الحق أقول لكم، ليس موسى أعطاكم الخبز من السّماء، بل أبي يعطيكم الخبز الحقيقي من السّماء، لأن خبز الله هو النّازل من السّماء الواهب حياة للعالم. فقالوا له يا سيّد أعطنا في كل حين هذا الخبز. فقال لهم يسوع أنا هو خبز الحياة. من يُقبل إليّ فلا يجوع، ومن يؤمن بي فلا يعطش أبداً ... فكان اليهود يتذمّرون عليه لأنه قال أنا هو الخبز الذي نزل من السّماء. وقالوا: أليس هذا هو يسوع بن يوسف الذي نحن عارفون بأبيه وأمه. فكيف يقول هذا إليّ نزلت من السّماء؟ ... الحق الحق أقول لكم من يؤمن بي فله حياة أبدية. أنا هو خبز الحياة ... هذا هو الخبز النّازل من السّماء ... أنا هو الخبز الحي الذي نزل من السّماء ... والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذي أبذله من أجل حياة العالم. فخاصم اليهود بعضهم بعضاً قائلين: كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لناكل».

ومرّة ثالثة كرّر يسوع قوله السّابق بشرح أوفر، وكان يعلم في

مجمع كفر ناحوم، فقال: «الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم. من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أقيم في اليوم الأخير. لأن جسدي مأكّل حق ودمي مشرب حق. من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت في وأنا فيه ... هذا هو الخبز الذي نزل من السماء ... فقال كثيرون من تلاميذه إذ سمعوا إن هذا الكلام صعب. من يقدر أن يسمعه؟. فعلم يسوع في نفسه أن تلاميذه يتدمرون على هذا، فقال لهم: أهذا يعثركم ... من هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه إلى الورا ولم يعودوا يمشون معه. فقال يسوع للإثني عشر ألكم أتم أيضاً تريدون أن تمضوا؟ فأجابهم سمعان بطرس يارب إلى من نذهب. كلام الحياة الأبدية عندك» (يوحنا أصحاح ٦).

هذا القول العجيب والمذهل سمعه التلاميذ غير مرّة، وبرغم أنهم لم يستوعبوا قول الرّب، ولم يعرفوا كيف يمكن أن يصير التّطبيق، ساروا وراءه بالإيمان. ولما كانت السّاعة، وفيما هم متّكئون يأكلون الفصح، وبدون مقدّمات وشرح هذه المرّة «أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي. وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً اشربوا منها كلكم، لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يُسفك من أجل كثيرين لغفرة الخطايا ... ثم سبّحوا وخرجوا إلى جبل الزيتون» (متى ٢٦-٣٠).

وهكذا تأسّس العهد الجديد بدم في كأس، هو دم المسيح المسفوك عن حياة العالم قبل أن يُرفع على الصليب، لا ليغني فعل الدّم المهرق على الصليب، بل ليربط فعل سر الإفخارستيا الذي أكمله بنفسه ككاهن بفعل سر الصليب الذي أمّه بإرادته ومسرّة أبيه. لأنه لا يمكن أن يخضع



سر الحياة الأبدية لوطأة الزمن. فصار الخبز في يده جسده المكسور من أجل الكثيرين قبل أن يدقوا المسامير في جسده على الصليب، والخرم في الكأس تحوّل سرياً إلى دمه الكريم قبل أن تنفذ الحربة في جنبه على الصليب ليسيل منه دم وماء غفراناً لكل العالم. ومن ذا الذي يستطيع أن يسر بعقله سر الحياة الأبدية؟ وإلا ما كان السر سراً.

وهنا لا يمكننا أن نفرص بين جسد المسيح المكسور في سر الإفخارستيا على المذبح، وجسده المكسور على الصليب. ولا نستطيع أن نفرق بين دم كأس العهد الجديد ودم الجنب المطعون على الصليب، لأن المسيح له المجد قد أكمل على المستوى السري ما كان سيحقق على المستوى العملي، حتى تصير ذبيحة المسيح ذبيحة واحدة، وفعلها واحد، وفي ذات الوقت لا يحدّها الزمان أو يحصرها المكان.

. وعند القديس أثناسيوس الرسولي (٣٢٨-٣٧٣م) الإفخارستيا هي مأكّل فائق سماوي، وطعام روحاني<sup>(١)</sup>، وطعام سماوي<sup>(٢)</sup>، والوليمة الإلهية غير الفاسدة<sup>(٣)</sup>، وطعام الحياة<sup>(٤)</sup>، والخبز الإلهي<sup>(٥)</sup>، والعشاء العظيم السماوي الذي يفوق العالم<sup>(٦)</sup>.

ويقول أيضاً:

إيا إحتوي، إن هذا الخبز لا يكون ههنا فقط طعاماً  
للأبرار، فليس القديسون على الأرض فقط يتذوقون هذا الخبز

١- الرسالة إلى سربيون ١٩:٤

٢- الرسالة الفصحية ٥:٥

٣- الرسالة الفصحية ٢٨

٤- الرسالة الفصحية ١٥:٥

٥- الرسالة الفصحية ١٥:٧

٦- الرسالة الفصحية ٤٠

وهذا الدّم. إننا سنتناولهما أيضاً في السّماء حيث يكون الرّب نفسه هو طعام الأرواح العُليا والملائكة. فهو الفرح الحقيقي لجميع الأرواح السّمائيّة... فمنذ الآن قد أعطانا الرّب «خبز الملائكة» (مزمو ٧٨: ٢٥).

وقد وعد الذين يصيرون معه في تجاربه قائلاً: «أنا أجعل لكم كما جعل لي أبي ملكوتاً لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي...» (لوقا ٢٢: ٢٩، ٣٠). فيا لها من وليمة عظيمة يا إخوتي، وما أعظم توافق الذين يأكلون من المائدة السّمائيّة. وما أعظم تهليلهم، لأنهم يتلذّذون ليس بالطعام البائد الذي يندفع إلى الخارج، بل بالطعام الذي يمنح الحياة الأبديّة. فمن يُحسب أهلاً لهذا المحفل؟ ومن يسعد بأن يُدعى ويُحسب مستحقاً لهذا العيد الإلهي؟ بالحق «طوبى لمن يأكل خبزاً في ملكوت الله» (لوقا ٣: ١٥) [٧].

والكتاب الذي بين يديك قارئ العزير إن كان يشير أحياناً إلى الجانب اللاهوتي أو الرّوحي للقدّاس الإلهي، إلّا أنه يركّز أساساً على الجانب الطّقسي العملي، أي التّرتيب الطّقسي للقدّاس الإلهي، كيف كان شكله الأوّل البسيط؟ وكيف تطوّرت ممارساته الطّقسيّة حتى صارت إلى ما هي عليه الآن؟ ولستُ أبغي من عرض التّاريخ الطّقسي للقدّاس الإلهي سوى تبيان أن الطّقس الكنسي هو كأني كائن حي لا يتوقف على التّمور والتّطور، وليس معنى نموه أو تطوّره هو تحدّيته، لأن طقس الكنيسة القبطيّة بالذّات هو طقس يشهد بأصالته وقدمه كل علماء الليتورجيّا شرقاً وغرباً، ولكنني أحاول أن أتبع المراحل التّاريخيّة التي عبرت عليها ممارساته الطّقسيّة، ولاسيّما قبل بدء الأنافورا، أي قدّاس المؤمنين. فهذا

في حد ذاته كفيلاً أن يربط ممارساتنا الطقسية الحاضرة بتلك القديمة، ويجلي فحواها، فيرتبط الحاضر بالماضي، فيزداد الطقس وضوحاً، لتصبح الممارسة الطقسية معينة على الصلاة لا مكبلة لها.

إننا جيل يعيش بين عهدين؛ عهد المخطوطات، أي الكتابات المنسوخة باليد، وعهد الطباعة أي الكتابات المطبوعة بالوسائل التقنية الحديثة. وستان بين العهدين؛ عهد المخطوطات الرتيب، البطيء جداً، المدقّق في كل كلمة، وعهد المطبوعات السريع جداً، المليء بأطنان الكتب التي تُطبع كل يوم في شتى صنوف المعرفة، ومن بينها كتب الكنيسة. وعلى قدر صعوبة كتابة مخطوط كانت صعوبة التعديل أو التبديل فيه أو ربما الخطأ أيضاً. وفي المقابل صارت سهولة طباعة كتاب، يوازيها سهولة في التغيير والتعديل والتأويل، وربما الخطأ أيضاً.

لقد بات المخطوط ضعيف التأثير، أما الكتاب فتأثيره طاغي عنيف، بل قد تعدى الأمر من كتاب تقليدي مطبوع إلى كتاب إلكتروني على شبكة المعلومات الدولية، ما أن تُكتب حروفه حتى يقرأها للتو أي إنسان في أي مكان في شتى أرجاء المعمورة. من هنا قيّد الربّ أناساً أظنهم من قبيل الشهداء، شهداء حب الكنيسة الجامعة، يبذلون حياتهم من أجل توثيق المخطوطات ونقلها من مخطوطات محبوسة في رفوف المكتبات والمتاحف للفرجة وتنشيط السياحة، إلى كتابات ترى النور، وتُحفظ بالوسائل التقنية الحديثة، فتحميها من الضياع والاندثار. ولذلك فحين نعود إلى مخطوط أو إلى كتاب قديم لنستشهد به، فنحن نعود إلى أصولنا، وإلى تقليدنا، أي إلى أصل كياننا. وحين نستشهد بأقوال الآباء وكتاباتهم فنحن نشهد لأصولنا ونبيّني على أساسنا القديم الواحد، وليس على أساس آخر غير الذي وُضع أولاً.

فصدق كلامنا يعتمد على تصديق آبائنا له. وأصالة تعليمنا تعتمد على ما حوته كتب تراثنا من شواهد تأصل هذا التّعليم.

والكتاب الذي بين يديك قارئ العزيز هو باختصار بحث في التّاريخ الطّقسي للقدّاس القبطي، جاب بين أقدم مصادرنا الطّقسيّة للقدّاس الإلهي، سواء المخطوط منها أو المطبوع، ومع ذلك، وبرغم كونه دراسة علميّة أكاديميّة للليتورجيّة القدّاس الإلهي، فهو لا يرمي إلى تعديل أو تبديل في نصوص أو طقوس صلواتنا اللّيتورجيّة، مهما صغر هذا التّعديل أو التّبديل.

راجياً إلى الرّب أن يجعل منه سبباً لفهم أكثر عمقاً لقدّاسنا القبطي، أغلى ما تسلّمناه من الرّب نفسه، طريقاً حياً، مؤدّباً إلى الحياة، ونبعاً صافياً، ظل يروي الثّغوس طيلة مسيرة الحياة، حتى أوصلهم إلى مساكن النّور، حيث إشراقه وجه يسوع، والذي معه لا تبغي النّفس شيئاً بعد.

وفي الختام أستودع هذه الدّراسة بين يدي الرّب، لتكون للنيان، ولفهم أعمق للقدّاس الإلهي، بركة شفاعة والدة الإله القدّيسة الطّاهرة مريم، وشفاعة كل مصاف السّمائيين، والقدّيس يوحنا المعمدان، وصلوات سادتي الآباء الرّسل القدّيسين، وكل مصاف الشّهداء والأبرار والقدّيسين، وبركة صلوات أبينا الطّوباوي المكرّم بكل كرامة، قداسة البابا شنوده الثالث، بابا الإسكندريّة وبطريرك الكرازة المرقسيّة، وصلوات سادتي الآباء المطارنة والأساقفة والقمامصة والقسوس، وإخوتي الشّممامسة والرّهبان، وكل طغمة العلمائيين المباركين.

ولإلّها المجد والبركة والسّجود الآن وكل أوان وإلى آباد الدّهور  
كلها أمين.

البَابُ الثَّالِثُ

قَدَّاسُ الْمُؤْمِنِينَ أَي الْأَنْفُورِ

الفصل الأول

مداد الحجاب والأوامر الثلاثة الكبار

في تسهيل قَدَّاسِ الْمُؤْمِنِينَ



الفصل الأوّل

صلاة الحجاب والأواشي الثلاثة الكبار  
في مستهل قدّاس المؤمنين

## تمهيد

برغم أن قُدَّاسَ الْمُؤْمِنِينَ يبدأ مع القُبلة المقدَّسة، إلا أن إشارات طقسِيَّة قديمة جداً توضِّح لنا أنه لم يكن يبدأ قبل صلوات تسبقه، لا يشترك فيها الموعوظون أو يستمعون إليها. وهذا ما نجده واضحاً في القانون رقم (١٩) لمجمع اللاذقيَّة (٣٤١-٣٨١م) الذي يقول:

”بعد أن يلقي الأسقف عظته يجب أن تُتلى صلاة الموعوظين<sup>(١)</sup> أولاً وحدها. وبعد أن يخرج الموعوظون تُتلى الصَّلَاة لأجل التائبين<sup>(٢)</sup>. وبعد أن يمر هؤلاء تحت يد الأسقف وينصرفوا تُتلى صلوات المؤمنين الثالث. أما الأولى فتقال كلها سراً<sup>(٣)</sup> وأما الثانية والثالثة فتعلنان<sup>(٤)</sup>. ثم تُعطى القُبلة المقدَّسة. وبعد أن يُقبَّل القسوس الأسقف يُقبَّل الشعب أحدهم الآخر. ثم تكمَّل خدمة التَّقدمة المقدَّسة، ولا يجوز لغير أرباب الدَّرجات

١- صلاة الموعوظين تتلى حتى يومنا هذا في قُدَّاس يوحنا ذهبي الفم، وقُدَّاس باسيليوس الكبير (اليوناني). ويقالها في الطقس القبطي الأواشي التي تعقب الإنجيل والتي يقولها الكاهن الآن سراً، وتنتهي بأوشية الموعوظين.  
٢- هذه الصَّلَاة على التائبين بوضع أيدي الكهنة على رؤوسهم لم تعد تُقال في أيامنا هذه.

٣- وهي المعروفة اليوم باسم ”صلاة الخجاب“ في الطقس القبطي.  
٤- وهو ما نراه حتى اليوم في قُدَّاس القُدَّيس يوحنا ذهبي الفم، وقُدَّاس القُدَّيس باسيليوس الكبير في الكنيسة اليونانيَّة.  
واحدة من هاتين الصلاتين توجد في الكنيسة القبطيَّة اليوم وهي ”صلاة الصُّلح“.



الكهنوتية أن يتناولوا داخل المذبح<sup>(٥)</sup>.

فواضح من القانون السابق ذكره أن القبلة المقدّسة تكون بعد ثلاث صلوات يُستهل بها قدّاس المؤمنين، منها صلاتان معروفتان في الكنيسة القبطية هما: "صلاة الحجاب"، و"صلاة الصلح".

أمّا هذه الصلوات الثلاث فموجودة كلها في الطقّس البيزنطي<sup>(٦)</sup>، وفي الطقّس الآشوري في ليتورجية أدي وماري.

أمّا الطقّس السرياني الأنطاكي وحده فهو لا يتبع هذا الترتيب الذي يذكره مجمع اللاذقية، إذ تكون الصلاة الأولى للسلام<sup>(٧)</sup>، والثانية لوضع اليد<sup>(٨)</sup>، والثالثة استعداداً لتقريب القربان، وهي التي يقال لها "صلاة الحجاب"، أو "صلاة الستارة - εὐχη τοῦ καταπετασματος"<sup>(٩)</sup>.

والآن عودة إلى الطقّس القبطي.

٥- الأرشيمندريت حنايا كساب، مجموعة الشرع الكنسي، مرجع سابق، ص ٢١٠  
٦- الأولى مطلعها: "نشكرك أيها الرب ...". والثانية: "إننا نحثو لك أيضاً وتواتر ...". والثالثة: "أيها الرب الإله ضابط الكل ...". ويعقب هذه الصلاة الأخرى القبلة المقدّسة.

٧- وهي "صلاة السلام"، والتي تقابل في الطقّس القبطي "صلاة الصلح".  
٨- وفيها يسط الكاهن يمينه وهو يتلوها على المؤمنين المنحنيين برؤوسهم وهم منتصبون أمام المذبح.

٩- وهي نفسها "صلاة الحجاب" المعروفة في الطقّوس الأخرى نقلاً عن الطقّس السرياني. وهنا يلاحظ القارئ اقتراب الطقّس القبطي من الطقّس البيزنطي أكثر من اقترابه من الطقّس السرياني، برغم أن الطقّس القبطي قد استعار من الطقّس السرياني الكثير والكثير، بل قد استعار منه ليتورجيات بأكملها.  
البطريك إغناطيوس أفرام الثاني، مرجع سابق، ص ٢٤١

## أولاً: صلاة الحجاب

باتتهاء أوشية سرّ الإنجيل - كما نسميها اليوم - تبدأ صلاة الحجاب، أي الصلّاة التي يصليها الكاهن عند حجاب الهيكل، كما تذكر كل مخطوطاتنا القبطية وكُنْبنا الطقسية. أما في الكنيسة السريانية التي هي أصل هذه الصلّاة ومنشأها، فيصلّيها الكاهن وهو داخل الحجاب أو السّتر المسدول على باب المائدة أي المذبح. ففي كنيسة السريان وكنيسة الأرمن لا تزال العادة جارية بأن تُسدل ستارتان، إحداهما على باب قدس الأقداس أي الهيكل، والأخرى على باب المائدة أي المذبح، وهما تُكشفتان في أوقات معلومة من القدّاس الإلهي<sup>(١٠)</sup>.

ولنعد مرّة أخرى إلى طقسنا القبطي؛

يقول ابن سباع: "يحني الكاهن رأسه ويقرأ سرّاً صلاة خارج الحجاب قبل طلوع الهيكل ويكون واقفاً منحني الرأس علامة الخضوع"<sup>(١١)</sup>.

أما ابن كبر فيقول: "يحني القس والشّماس رأسيهما عند باب الحجاب ويُقرأ عليهما أوشية الحجاب ويُقال **СОВІСОМІН** (!)<sup>(١٢)</sup> ويصعدان إلى الهيكل ...".

وعند البابا غبريال الخامس: "يقول الكاهن المقدّس<sup>(١٣)</sup> خاصة أوشية الحجاب وهي له إلى آخرها وهو واقف مقابل الحجاب وهي:

١٠- البطريرك إغناطيوس أفرام الثاني، مرجع سابق، ص ٢٤٣

١١- يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، مرجع سابق، ص ٢١٣

١٢- لا يصح لغويًا أن يأتي هذا المرد بشكله كما في المتن، أي "سوتيسومين"، وصحّته هي: **Совіс амин** (سوتيس أمين)، أي "خلصت حقاً".

١٣- "الكاهن المقدّس" أو "الشّماس المقدّس" هو ما نعرفه اليوم باسم "الكاهن الخدم"، أو "الشّماس الخدم" أي الشّماس الذي يخدم الذبيحة المقدّسة مع الكاهن.

Φ† ΦΗ(ΕΤΕ) ΕΘΒΕ ΤΕΚΜΕΤΛΑΡΩΜ ..<sup>(14)</sup>

وعند انتهائها يضرب ميطانية قدّام باب المذبح.

وهنا أيضاً يتّضح لنا مرّةً أخرى أنه كانت هناك ممارستان طقسيتان لأوشية الحجاب؛ الممارسة الطقسية الأولى هي أن الكاهن يصلّيها بنفسه وهو منحني الرأس، كما ورد عند ابن سباع والبابا غبريال الخامس. وأما الممارسة الطقسية الثانية فهي أن يجني كل من الكاهن والشّماس رأسيهما عند باب حجاب الهيكل، ويصلي أحد الكهنة عليهما أوشية الحجاب. ومن ثم فيقول الشّعب مرد: "خلصتَ حقاً". وهنا تكون أوشية الحجاب بمثابة تحليل يُقال للكاهن والشّماس قبل بدء القدّاس.

أمّا البابا غبريال فیرغم أنه يذكر أن الكاهن الخدم هو الذي يصلّي بنفسه صلاة الحجاب، إلاّ أنه يعود فيؤكّد ما سبق أن ذكره ابن كبر من أن الشّعب يرد بمرد "خلصتَ حقاً" بعد قراءة فصل الإنجيل المقدّس، فيقول البابا غبريال الخامس في ذلك: "وبعد تفسير الإنجيل عربياً، يرثون كالعادة إلى آخر  $\text{Xε} \dot{\upsilon}\sigma\mu\alpha\rho\omega\tau\tau$ <sup>(15)</sup> يقولون  $\text{Ω}\theta\epsilon\iota\varsigma \lambda\alpha\mu\eta\eta \kappa\alpha\iota$   $\text{τ}\omega \pi\eta\lambda\alpha\tau\iota \sigma\omega\tau$ <sup>(16)</sup>".

ومن هنا يظهر لنا أن صلاة الحجاب في أصولها السّريانية كانت بمثابة تحليل يُقال للكاهن الخدم قبل أن يدخل إلى الهيكل ليصلي القدّاس. أمّا بعد أن صار الكاهن يقولها بنفسه، فلم يعد من مكان لهذا المراد السّابق ذكره.

١٤- أي: "يا الله الذي من أجل محبتك للبشر ...".

١٥- وهو الرّبع الختامي لمرد الإنجيل

١٦- أي: "خلصتَ حقاً ومع روحك أيضاً".

وهنا يظهر أن البابا غبريال ينقل من خولاجي قديم، ثم يضيف إليه شرحاً وتعقيماً وتعديلاً إذا لزم الأمر. لذلك أورد ممارستين تداخلتا معاً، فتعذر تنفيذهما عملياً. وبالطبع يقتضي خولاجي سنة ١٩٠٢م<sup>(١٧)</sup> نفس ما يذكره البابا غبريال الخامس.

وعلى كل فمخطوطات الخولاجيات التي لديّ لا تورّد هذا المرء **ΘΘΘΕΙΣ ΔΑΜΗΝ** (سوتيس أمين) أي: "خلصت حقاً"، بل تتفق كلها على القول بأنه أثناء مرد الإنجيل يقول الكاهن صلاة الحجاب سرّاً، وهو واقف جانب الحجاب مطامن الرأس. ثم يُقبّل عتبة باب الهيكل ويتدبّر بقراءة الثلاث أواسي الكبار ...

أما عن صلوات الحجاب، فبالفحص وجدت أن كل قُدَّاس من الثالّثة قُدَّاسات - الباسيلي والغريغوري والكيرلسي - يحوي صلاة حجاب واحدة، معروفة في كل مخطوطات الخولاجيات القبطية واليونانية تقريباً. أمّا ما يورده خولاجي سنة ١٩٠٢م من صلوات حجاب أخرى، فهي نادرة الوجود في بعض مخطوطات الخولاجيات التي تعد بالعشرات. وفيما يلي بيان بهذه الصلوات:

(١) صلاة حجاب للآب بدايتها: "يا الله الذي من أجل محبتك للبشر التي لا يُنطق بها، أرسلت ابنك الوحيد إلى العالم ليرد إليك الحروف الضالّة ...". وموضوعة في القُدَّاس الباسيلي.

وهي للقديس يعقوب الرسول، أي أمّا مأخوذة من قُدَّاس القديس يعقوب في الطقّس السّرّياني الأنطاكي، وهو من أقدم القُدَّاسات المعروفة، نظير القُدَّاس المرقسي في الطقّس القبطي.

وقد وردت هذه الصلّاة في كل مخطوطات الخولاجيّات القبطيّة واليونانيّة على السّواء، باستثناء مخطوط (ط ١٥٥) الذي لم يورد أي صلوات حجاب.

أمّا بدايتها في مخطوطات الخولاجي في النّص اليوناني فهي:

Ὁ Θεὸς ὁ διὰ πολλῆν καὶ ἄφατόν σου φιλανθρωπιῶν ...

أي: "يا الله الذي من أجل كثرة محبتك للبشر التي لا يُخبر بها ..." (١٨).

وهي ترد في مخطوط باريس (٢٣٥) صلاة حجاب ثانية، كما ذكرها العالم رنودوت E. Renaudot ، وكما وردت بنصّها اليوناني في مجموعة "كتابات الآباء اليونان" (١٩).

(٢) صلاة حجاب للآب بدايتها: "أيها الرب إلهنا الذي خلّصتنا وأدخلتنا إلى هذه الحياة ...". وموضوعة في القدّاس الباسيلي.

وهي بحسب خولاجي سنة ١٩٠٢م موضوعة تحت عنوان: "صلاة أخرى للحجاب للآب وُجدت في إحدى النسخ، تُقال عوض الأولى متى أراد الكاهن". أي أنّها لم تكن صلاة شائعة الاستخدام، بل جرت ممارستها في إحدى النّواحي، وشاع نصّها بعد أن وجدت طريقها إلى الخولاجي المطبوع سنة ١٩٠٢م. وهي غير موجودة في مخطوط الفاتيكان رقم (١٧)، ومخطوط أكسفورد رقم (هنت ٣٦٠)، وخولاجيّات مكتبة دير القدّيس أنبا مقار.

ولقد تعرّضت هذه الصلّاة لتصحيح جذري بخط يد القمّص عبد المسيح البراموسي في هوامش صفحات الخولاجي المطبوع، بدءاً من

18- W.F. Macomber, *op. cit.*, OCP 43 (1977), p. 321.

19- PG 31, 1629.

صفحة ٢٧٢ وقد وردت هذه التّصحّيات في الطّبعة الثّانية والثّالثة سنة ٢٠٠٢م لهذا الخولاجي بمعرفة رهبان دير البراموس العامر.

• مقدّمة هذه الصّلاة: **Πῶς Πεννοῦ† φηέταϥσῶττεν** أي: "أيها الرّب إلهنا الذي خلّصتنا..."، جرى تعديلها إلى عبارة **Πῶς Πεννοῦ† φηέταϥσῶττεν** أي: "أيها الرّب إلهنا الذي خلقنا..." . وهو التّعبير الأدقّ والموافق لسياق نص الصّلاة. وفي ذلك يكتب القمّص المذكور بخطّ يده ما نصّه: "أن **σῶττεν** خلصنا قد اخذناها عن نسخته وبعد الطبع وجدناها في نسخته عتيقه جداً **σῶττεν** خلقنا فاحذناها لانهما اوفق في المعنى".

• الفقرة الثّانية من نص الصّلاة، والتي تقول: "الذي كوّن كلّ شئ بكلمته، وبحكمتك خلقت إنساناً، ليكون رئيساً على المخلوقات التي صنعتها من قبلك. ويسوس العالم بقداسة وبر". جرى تعديل جانب منها بالقبطيّة والعربيّة في الهامش كما يلي:

**Χεῖρινα ἡτερερος ἐῖπωντ ἑταῦθαμῶωτ ἐβολεῖτοτκ**

لكي يصير سيّداً على الخليقة التي خلقت من قبلك.

• الفقرة التي تقول "وأقدّم لك هذه القرايين **ἡναγῶωρον** التي نقدّمها لك بالروح الصّالح الكامل الذي لنعمتك بالمسيح يسوع ربّنا..." . يكتب أمامها القمّص عبد المسيح صليب البراموسي في الهامش بخطّ يده ما يلي بنصّه: "توجد هنا غلطه موجوده في نسخة (هو) وهي ٤٥ سطرأ فكأنّ الناسخ انتقل من لفظة **ῶωρον** الى **ῶωρον** فاذهب اقرا الاربعة الوجوه (صفحات) التي عن يمينك".

ثمّ يورد أربعة صفحات بالقبطيّة والعربيّة ناقصة من هذه الصّلاة، وقد أوردها الخولاجي المطبوع في طبعتيه الثّانية والثّالثة سنة ٢٠٠٢م.

(٣) صلاة حجاب للآب بدايتها: ”أيها الرّب الإله ضابط الكل، العارف أفكار البشر والفاحص القلوب والكلّي ...“ . وهي موجودة في القدّاس الغريغوري.

(٤) صلاة حجاب للابن بدايتها: ”وأيضاً نرجع إليك يا الله الصّالح باقتربنا إلى مذبحك المقدّس، ونسألك أيها الكلّمة الذّاتي ...“ . وهي موجودة في القدّاس الغريغوري.

ويقول عنها القمّص عبد المسيح صليب البراموسي: ”وجدناها في نسختين تقال عوض الأولى متى أراد الكاهن“. وهنا يتّضح أن صلاة الحجاب الثّانية في أيّ قدّاس تكون غالباً في نسخ حولاجيّات مخطوطة قليلة إزاء عشرات الخولاجيّات المخطوطة. ولم ترد هذه الصّلاة في مخطوطات حولاجيّات مكتبة دير القدّيس أنبا مقار.

(٥) صلاة الحجاب لأبينا القدّيس يوحنا المتلث الطّوبى للآب بدايتها: ”يا خالق البريّة كلها التي تُرى والتي لا تُرى“. وهي موجودة في القدّاس الكيرلسي.

وفيها يقول الكاهن:

”أعطني يارب روحك القدّوس، النّار غير الهيوئيّة، غير المدركة التي تأكل كل ضعف، وتحرق كل اختراعات الشّرور، لكي يميّت كل أعضاء الجسد التي على الأرض، ويلجّم كل حركات الفكر التي تقوده إلى الخيالات المملوءة أوجاعاً وآلاماً. وكما يليق بالكهنة يجعلني فوق كل فكر ميت، ويهيني كلمات التّقديس، لكي أكملّ هذا القربان الموضوع الذي هو سرّ جميع الأسرار بمعونة وشركة مسيحك ...“ .

أما القدّيس يوحنا المتلث الطّوبى واضع هذه الصّلاة فهو يوحنا

أسقف بوسطره John of Bostra كما يقول العالم برايتمان F.E. Brightman<sup>(٢٠)</sup>. و"بوسطره" هي عاصمة حوران<sup>(٢١)</sup> بإقليم سورية. وهذا الأسقف هو نفسه واضع صلاة الصلح الثانية في القدّاس الكيرلسي والتي بدايتها: "يا إله المحبة ومعطي وحدانيّة القلب، ورازق الرأي الواحد الذي للفضيلة، الذي أنعم لنا بالوصيّة الجديدة بابنك الوحيد ..."<sup>(٢٢)</sup>.

وهي معروفة في كل مخطوطات الخولاجيّات سواء القبطيّة أو اليونانيّة باستثناء مخطوط (ط ١٥٥) الذي لم يورد أي صلوات حجاب.

(٦) صلاة حجاب أخرى للآب بدايتها: "أيها الرّب إله القوّات، ملك المجد، صانع العجائب وحده، الصّالح الوديع للذين يدعونك بالحق ...".

ويقول عنها القمّص عبد المسيح صليب البراموسي: "وُجدت في إحدى النسخ، تُقال بدل الأولى متى أراد الكاهن". ولم ترد في

20- Brightman, F.F., M.A., *op. cit.*, p. 158.

٢١- "حوران" هضبة بركانيّة في سورية، وفي الجنوب الغربي منها. سبقتها الغساسنة قبل الإسلام، وغالبية سكانها اليوم من المسلمين الدروز. وكان جزء من حوران تابعاً لمملكة باشان القديمة.

انظر: محمد شفيق غربال، الموسوعة العربيّة الميسرة، القاهرة ١٩٦٥م، ص ٧٤٤ وتعرف "بوسطره" في المراجع العربيّة باسم "بصرى إسكي شام"، وهي مدينة سورية قديمة في محافظة حوران، عاصمة الإقليم العربي في عهد تريانسن ١٠٦، لها كنيسة من القرن السّادس الميلادي.

انظر: المنجد في الأعلام، مرجع سابق، ص ١٢٩

Cf. also, C. Korolevsky, *Dictionnaire d'histoire et de géographie ecclésiastiques*, t. 9, Paris, 1937, p. 1399-1404.

٢٢- ذكرت في صفحة (٢٦٩) من كتاب "معجم المصطلحات الكنسيّة، الجزء الثاني" تحت حرف (ص)، أن هذه الصلوة تُنسب إلى القدّيس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧-٤٠٧م)، ولكن بحسب رأي العالم برايتمان F.E. Brightman - وهو الرأي الأصح - تُنسب ليوحنا أسقف بوسطره.



مخطوطات حول حجّيات القدّاس بمكتبة دير القدّيس أنبا مقار.

(٧) صلاة حجاب أولى وردت في القدّاس الباسيلي اليوناني في مخطوط المكتبة الأهلية بباريس رقم (يونانيات ٢٣٥)، وهو الذي نشره العالم رونودوت E. Renaudot، وليس لها مقابل في القدّاس القبطي أو العربي وبدايتها:

Δοξάζομέν σε, δημιουργὲ καὶ βασιλεὺ τῶν ὄλων, καὶ  
προσκυνοῦμεν τὸ ἄρ□ητον καὶ σεβάσμιόν σου ὄνομα ...

أمّا نصّها فهو: ”نمجدك، يا خالق وملك الكل، ونسجد لاسمك غير المنطوق به والمهاب. انظر إلينا وارحمنا، وأنقذنا من كل تجربة، لأنه من عندك المعونة والمساعدة. خلص شعبك الذي اقتنيت به بدم مسيحك، الذي به ومعك لك الكرامة ...“.

ومما سبق ذكره نلاحظ أن مخطوطات الخولاجيات اليونانية يندر فيها ذكر أكثر من صلاة حجاب واحدة للقدّاس الواحد، وتكون هي صلاة الحجاب الأولى في مخطوطات الخولاجيات القبطية لهذا القدّاس. ووجود نصها اليوناني يفيد قدمها، بينما أن صلوات الحجاب التي ترد بالقبطية فقط دون اليونانية فهي بالضرورة أكثر حداثة.

وإن خلو مخطوط (ط ١٥٥) للقدّاس الباسيلي اليوناني بمكتبة دير القدّيس أنبا مقار من وجود صلاة للحجاب يضعنا أمام تساؤل: هل كانت صلوات الحجاب - كطقس سرياني أصلاً - اختيارية في بعض الممارسات الطقسية دون بعضها الآخر؟، ولاسيما أن نفس المخطوط المذكور حين يورد النص القبطي للقدّاس الغريغوري يبدأه بصلاة الصلح مباشرة، ولا يورد أيضاً في بدايته ”صلاة الحجاب“.

## ثانياً: الأواشي الثلاثة الكبار

### تمهيد

قبل القُبلة المقدّسة هناك مجموعتان من الأواشي يحضرها المؤمنون؛ المجموعة الأولى هي التي قيلت بعد الإنجيل المقدّس مباشرة والتي تُختتم بأوشية الموعوظين، حيث يخرج الموعوظون في نهايتها. أمّا المجموعة الثانية فهي هذه الأواشي الثلاثة الكبار والتي لا يشترك فيها الموعوظون. وفي آخرها يكون قانون الإيمان وغسل اليدين وصلاة الصلح.

وهاتان المجموعتان من الأواشي تُعرف في الطقوس الأخرى أيضاً. ففي ليتورجية كنيسة القسطنطينية هناك أواشي قبل القراءات، وأواشي بعد الإنجيل على قسمين: القسم الأوّل منها يعقبه تسريح الموعوظين، والقسم الثاني منها يكون بعد وضع القرايين على المذبح، ويعقبها القُبلة المقدّسة.

وفي الطقس الأرمني هناك مجموعتان من الأواشي أيضاً، واحدة قبل القراءات والثانية بعد الإنجيل.

وفي الطقس الإثيوبي هناك أواشي قبل القراءات وأخرى بعد الإنجيل.

أما السريان الأنطاكيين فتختلف ليتورجياتهم الحالية عن سائر ليتورجيات الكنائس الشرقيّة إذ تخلو من أي أواشي قبل القُبلة المقدّسة (٢٣).

أما ليتورجية المراسيم الرسوليّة (النّصف الثاني من القرن الرابع) فهي من أوضح اللّيتورجيات في شرحها لهذه الأواشي وترتيبها. فبعد ليتورجية

الكلمة (قدّاس الموعوظين) تجري مراسيم تسريح الموعوظين بعد صلاة المؤمنين من أجلهم بجملة بجملة لكي يعلن لهم الرّب إنجيل مسيحه الذي يبرهم، ويأدّبهم ويعلمهم بالعلم الإلهي. وليستحقوا بواسطة تعليمهم قبول الأسرار المقدّسة وشركة القديسين. وبعد مباركة الأسقف لهم، يأمرهم الشمّاس قائلاً: ”أيها الموعوظون امضوا بسلام“ (٢٤).

ثم تكون صلاة المؤمنين من أجل المربوطين برباطات الشياطين، لكي يخلّصهم الرّب ويقيمهم بقوّته. وبعد أن يباركهم الأسقف يأمرهم الشمّاس قائلاً: ”امضوا يا من هم الأرواح الشريرة“ (٢٥).

ثم تأتي صلاة المؤمنين من أجل المستنيرين أي طالبي المعموديّة لكي يصيروا رفقاء ملكوته وشركاء أسرارهِ، ويضمّمهم مع المخلصين في كنيسة المقدّسة. وبعد أن يباركهم الأسقف، يأمرهم الشمّاس قائلاً: ”امضوا أيها المستنيرون“ (٢٦).

ثم تأتي صلاة المؤمنين من أجل التائبين لكي يُظهر لهم الرّب طريق التوبة، ويقبل رجوعهم، واعترافهم، ويسحق الشيطان تحت أرجلهم سريعاً. ويصفح عن خطاياهم ويسجّلهم في سفر الحياة. وبعد أن يصلي الأسقف من أجلهم لكي يردهم الرّب إلى كنيسة المقدّسة وإلى رتبتهم وكرامتهم الأولى بالمسيح إلنا ومخلصنا، يأمرهم الشمّاس قائلاً: ”امضوا أيها التائبون“ (٢٧).

وهكذا بعد تسريح كل الفئات السّابق ذكرها تبدأ الأواشي من أجل

٢٤- انظر الفصل السادس من الكتاب الثامن من المراسيم الرّسوليّة.

٢٥- انظر الفصل السابع من الكتاب الثامن من المراسيم الرّسوليّة.

٢٦- انظر الفصل الثامن من الكتاب الثامن من المراسيم الرّسوليّة.

٢٧- الفصل التاسع من الكتاب الثامن من المراسيم الرّسوليّة.

المؤمنين، حيث يعلن الشَّمَّاسُ: "لا يقترب غير الأقوياء. ويا كلَّ المؤمنين، لنحن الرُّكَب، ولنتوسَّل إلى الله بمسيحه، ولنطلب جميعاً إلى الله بمسيحه".

وتبدأ هذه الأواشي بسلام العالم والكنيسة، ومن أجل الأساقفة والقسوس والشَّمامسة، والقارئ والمرتلين والمنتبِّلين والأرامل والأيتام. ومن أجل المتروِّجين، والذين لهم أطفال، والخصيان الذين يسلكون بورع، والذين في العفة والتَّقوى.

ومن أجل الذين يقدِّمون تقدمات في الكنيسة المقدَّسة، والذين يصنعون إحساناً للمحتاجين، والذين يقدِّمون القرابين والبكور للرَّبِّ إلهنا. ومن أجل المعتمدين حديثاً، والمجربِّين بالمرض، والمسافرين، والمقهورين في عبودية مرَّة.

ومن أجل أعدائنا، والذين يبغضوننا، ويضطهدوننا لأجل اسم الرَّبِّ. ومن أجل الذين في الخارج، ومن أجل الذين ضلُّوا، لكي يعيدهم الرَّبِّ. ومن أجل أطفال الكنيسة لكي يكملهم الرَّبِّ في خوفه، ويقودهم إلى قياس النُّضوج.

وفي النهاية يقول الشَّمَّاسُ: "لنتوسَّل كلَّ مَنَّا عن الآخر، لكي نحفظنا الرَّبِّ، ويحرسنا بنعمته إلى النهاية، وينجينا من الشرِّير، ومن كلِّ أشراك فاعلي الإثم، ويخلصنا لملكوته السَّماوي.

لنتوسَّل من أجل كلِّ نفس مسيحيَّة. خلِّصنا وأقمننا يا الله برحمتك. لننهض في توسل حار، ونطلب عن نفوسنا، وكلِّ واحد عن الآخر إلى

اللّٰهُ الحَيُّ بِمَسِيحِهِ“ (٢٨).

هنا يتّضح أمامنا أن قدّاس المؤمنين يبدأ بطلبات كثيرة هذا عددها، وهو نفس الغنى الذي نجده في القدّاس المرقسي أو الكيرلسي في الكنيسة القبطية حيث يأتي في بداية القدّاس أواشي كثيرة من أجل سلام الكنيسة، ومن أجل المرضى، والمسافرين، والمياه والزروع والثمار، والملك، والرفّادين، والمهتمين بالصّعائد والقرايين، والبطريك، والأساقفة، وبقية الأرثوذكسيين في كل موضع. وأوشية الموضع وكل ديارات آبائنا الأرثوذكسيين، والمدن والقرى، وأوشية القيام، وكل الذين أوصونا أن نذكرهم في صلواتنا.

ثم صلاة الكاهن سرّاً من أجل نفسه ”اذكر يارب نفسي الضّعيفة الشّقيّة، وامنحني أن أفهم ما هو عظم قيامي أمام مذبحك المقدّس...“ .  
ثم أوشية الاجتماعات، ثم أوشية من أجل المبروطين برباطات الشياطين.

وهكذا يتّضح أمامنا أن القدّاس المرقسي هو التّقليد القبطي الأصيل الذي ينهج نفس نهج الليتورجيات القديمة، بل السّحيفة في القدم. أمّا في القدّاس الباسيلي والغريغوري القبطيان، فقد اختصرت هذه الأواشي كلها إلى ثلاث أواشي، ورحلت باقي الأواشي الأخرى إلى ما بعد التّقديس والاستحالة. وهو التّقليد السّرياني الذي لا ذكر فيه لأي أواشي في مستهل قدّاس المؤمنين، بل تكون كلها قرب نهايته.

وهنا عودة إلى الأواشي الثلاثة الكبار في الطّقس القبطي.

## الأواشي الثلاثة الكبار في الطّقس القبطي

الأواشي الثلاثة الكبار هي: أوشيّة سلام الكنيسة، وأوشيّة الآباء، وأوشيّة الاجتماعات.

وفي ذلك يقول ابن كبر (+ ١٣٢٤م): "ويصعدان (الكاهن والشّماس) إلى الهيكل، فيقف القس تجاه الشّرق، والشّماس تجاهه إلى الغرب. لأن القس يخاطب الإله الذي قال (عنه) النبي أسمع صوته من المشارق. والشّماس يتلقى عنه ويبلغ الشّعب. وقد شهد الإنجيل المجيد أن مريم المجدليّة إذ وافت إلى القبر السيّدي سحر القيامة المحيية أبصرت ملاكين جالسين في لباس أبيض، واحداً عند الرأس وآخر عند الرّجلين حيث كان جسد الرّب يسوع موضوعاً. وأما بقية الطوائف كالتّسريان والفرنجية وغيرهم فإن الشّماس خادم القدّاس عندهم يقف إلى جانب القس عن يمينه ويتدئ الكاهن بتقدّيس السّرائر ويقول الصّلوات الثلاثة السّلامة والآباء والجماعة" (٢٩).

والأواشي أو الطلبات هي طقس ليتورجي قديم لا يفارق خدمة الإفخارستيا منذ البداية، فنقرأ عن صلوات الأواشي منذ أيام القديس يوستينوس الشّهيد (١٠٠-١٦٥م) في وصفه لخدمة الإفخارستيا سنة ١٥٠م في مرحلة ما بعد القراءة والوعظ، ذاكراً أنّها مخصّصة للصّلاة والطلبية فيقول:

[نقوم جميعاً واقفين ونقدّم الصّلوات].

وفي موضع آخر يوضّح الشّهيد يوستينوس شيئاً كثيراً عن هذه

٢٩- الجزء الثّاني من مخطوط رقم (٢٠٣ عربي) بالمكنبة الأهلية بباريس. وهو "كتاب مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة لأبي البركات المعروف بابن كبر" مرجع سابق، الباب ١٧

الصَّلوات، أو الأواشي فيقول:

[نصلي بلحاجة معاً من أجل نفوسنا، ومن أجل المعمّدين،  
ومن أجل كل الآخرين في كل مكان، لكي نستحق معرفة  
الحق، لكي يعمل الصّلاح وحفظ الوصايا نحصل على خلاصنا  
الأبدي] (دفاع ١: ٦٥).

بل إن صلوات الأواشي سابقة أيضاً على زمن القديس يوستينوس  
الشهيد (١٠٠-١٦٥م) إذ نجد ذكراً لها في رسالة كليمنس الروماني إلى  
أهل كورنثوس في أواخر القرن الأوّل الميلادي. فتحوي هذه الرّسالة أقدم  
نص ليتورجي يصل إلينا يختص بالصّلاة من أجل الملك، ويقول:  
”أيها السيّد الرّب، أنت الذي منحتهم قوّة التّمكّك بسلطانك الفائق  
غير الموصوف. وها نحن بسبب الكرامة والمجد اللذين منحتهما لهم من  
لذلك نخضع لهم غير مقاومين إرادتك في شيء كان مهماً كان صغيراً.  
امنحهم أنت يارب العافية والسلام والاتفاق والحزم، حتى يستطيعوا أن  
يتمّموا قيادتهم العليا بلا عائق بحسب ما تعطيهم، لأنك أنت أيها الرّب  
الملك السّمائي لكل الدهور الذي تمنح بني الإنسان المجد والكرامة  
والسلطان للسيادة على كل ما هو فوق الأرض.

فدبر أنت مشورتهم بحسب صلاحك وكمسرتك كما يليق  
أمامك، حتى يستخدموا سلطاهم الذي منحتهم كنعمتك بالرّفق  
والتّقوى والسّلام“ (٣٠).

أمّا عن الأواشي في زمن البابا أناسيوس الرّسولي (٣٢٨-٣٧٣م)  
فنجد أنه يتحدّث عن:

- أوشيّة السلامة:

[أطلب إليكم أن تصلّوا لكي يمنح الرّب سلاماً للكنيسة].

- أوشيّة الملك:

[... وحينما يقول الكاهن "صلّوا من أجل سلامة الإمبراطور الكلي التّقوى قسطنطيوس" يرد الشّعب في الحال بصوت واحد مجيئين: "المسيح يحفظ قسطنطيوس".]

- أوشيّة الآباء:

[ونحن نسأل الرّب في الصّلوات (الأواشي) لكي برحمته يتراءف في علوه وينظر إلى الكنيسة الجامعة، وينجي خدّامه من أيدي المضطّهدين. وكلّ الذين سقطوا بسبب الخوف الوقي، أن يقوموا ليعودوا إلى طريق التّقوى، ويردّهم من طريق الضّلالة].

- أوشيّة المرضى والقرايين:

وقد ذكرهما أثناء الحديث عن الأواشي الكبار في رفع بخور عشية وباكر. وفي نهاية كل أوشيّة يرد الشّعب بمرد "أمين".

وفي حولاجي القدّيس سراييون سنة ٣٥٠م نقرأ عن أوشيّة لأجل الكنيسة كلها، بديعة عميقة غاية العمق، شاملة كل الشّمول، تقول: "يارب إله الدّهور، يا إله الكائنات العاقلة<sup>(٣١)</sup>، والنّفوس النقيّة، ونفوس الذين يدعونك بإخلاص وصفاء... هب لكنيستك أن تكون حيّة طاهرة، وأن تتحلّى بالفضائل السّماويّة، وأن يكون الملائكة القدّيسون في خدمتها، حتى يتسنى لها أن تسبّحك في الطّهارة.



نتوسّل إليك من أجل جميع أعضاء هذه الكنيسة، امنحهم جميعاً روح المصالحة واغفر لهم خطاياهم. هب لهم ألاّ يخطئوا أبداً. كن سوراً حصيناً لهم، وابتعد عنهم جميع التجارب. ارحم الرجال والنساء والأطفال. أظهر ذاتك للجميع، ولتكن معرفتك مكتوبة في قلوبهم (٣٢)، هذا ما نطلبه إليك بوحيدك يسوع المسيح الذي به يليق بك المجد والقدرة الآن وإلى أبد الدهور. آمين“ (٤-١:١٠).

أمّا أقدم إشارة إلى أوشية سلام الكنيسة فنجدها في كتاب الديداحي الذي دوّن في أواخر القرن الأوّل الميلادي، فتقول الأوشية في نص بديع: ” اذكر يارب كنيستك لكي تنجيها من كل شر وتكملها في محبتك. اجمعها (تلك المقدسة) من الرياح الأربع إلى ملكوتك الذي أعدته لها. لأن لك القدرة والمجد إلى الأباد“ (ديداحي ٥:١٠).

أمّا عن أوشية الآباء في قدّاس القديس سراييون فتقول: ” ندعوك يا مخلص، ويارب كل جسّد وسيّد كل روح (٣٣)، أيها الموزّع المبارك لكل بركة. قدّس أسقفنا، واحفظه من كل تجربة، وامنحه الحكمة والمعرفة وسدّد خطاه في سبلك. نتوسّل إليك من أجل الكهنة الذين يساعدونه، قدّسهم بمنحهم الحكمة والمعرفة وعقيدة أكيدة، وهب لهم أن يطلعونا على تعاليمك الحقّة بكل استقامة وبدون لوم“ (١:١١،٢).

لقد ظلّت الكنيسة منذ نشأتها تصلي من أجل كل أعضائها بدءاً من الأسقف وانتهاءً إلى الأطفال والرُضعان فيها، الأحياء والمنتقلين منهم، ولا زالت تفعل ذلك كل يوم، وحتى اليوم.

ولقد انتقلت هذه الأواشي أو هذه الطلبات التوسلية Litany إلى الكنيسة المسيحية من الليتورجية اليهودية<sup>(٣٤)</sup>.

ومنذ البداية كانت المردّات التي يردها الشعب، ويؤمن بها على هذه الطلبات - أو الأواشي كما نسميها في الكنيسة القبطية - ذات أهمية قاطعة. ولقد انتقلت هذه الأواشي من نهاية قدّاس الموعوظين Missa catechumenorum إلى مواضع أخرى في ليتورجية الإفخارستيا كما في صلوات ما بعد التقديس في التقليد القبطي على سبيل المثال، حيث صارت جزءاً من الصلوات الإفخارستية. ثم انتقلت هذه الأواشي بعد ذلك إلى أماكن مختلفة في الخدمات الكنسية المتنوعة، حيث أصبحت متغلغلة في كل خدمة ليتورجية تقريباً أيّاً كان نوعها، وذلك في كافة الطقوس الشرقيّة.

ففي أورشليم، وفي نهاية القرن الرابع الميلادي كانت الطلبات التوسلية Litany في خدمة صلاة الغروب Office of Vespers قد وصلت واستقرت في شكلها الكامل. إلا أن هذه الطلبات قد وُجدت أيضاً في كل سواعي الصلوات الأخرى كما نعلم ذلك من السائحة الأسبانية إنجيريا.

وفي الشّرق اليوناني أصبحت هذه الطلبات أو الأواشي Litany عنصراً ليتورجياً ضرورياً في كل خدمة ليتورجية، سواء في شكلها الطويل الذي يُعرف في الطّقس القبطي باسم "الأواشي الكبير"، أو باسم "السّينات الكبير - Μεγάλη συναπτή" في الطّقس البيزنطي. أو في شكلها المختصر أي "الأواشي الصّغار"، أو "السّينات الصّغير - Μικρά συναπτή".

ويدعو القدّيس يوستينوس الشّهيد (١٠٠-١٦٥م) هذه الأواشي باسم "صلوات عامة - Κοινὰ εὐχαι". ويرى العالم اللّيتورجي الألماني الشهير أنطون بومشتارك A. Baumstark أن هذه التسمية ربما تعني أن الشعب كله كان يرّد دعاءً صيغة الطلبة أو الأوشية، أو أن الشعب كان يرّدّها جملة جملة بعد الرّئيس<sup>(٣٥)</sup>. وعلى كل حال فإننا نعرف أن الطلبات أو الأواشي قد تثبتت كمشاركة حتمية بين مترس الصلاة وبين الشعب الذي يجيب ويؤمن عليها بمراد سحيق في القدم هو "أمين"، أو "كيريايسون - يارب ارحم".

إن قوّة الأوشية أو الطلبة واقتدارها في الدخول إلى عرش النعمة لتنال استجابتها الفعلية تكمن في مشاركة الكنيسة كلها فيها. فالكنيسة كلها تطلب وتتوسّل. وهنا لا يكون الكاهن نائباً عن الشعب في الطلبة، أو بديلاً له. فربما يصلي بلسان الشعب في بعض الصلوات، ولكن على مسمع من كل الشعب الذي يؤمن على صلاة الكاهن بمشراكة حيّة، لتكون الصلاة في النهاية هي صلاة كل الكنيسة. هنا تبلغ الصلوات منتهى قوّتها، وهنا تُستعلن الكنيسة في كامل حقيقتها.

وهناك خاصية أخرى تميّز التطوّر المبكر لهذه الأواشي أو الطلبات، وهي الدّعوة إلى الصلاة التي تسبقها، أي دعوة الشعب للمشاركة فيها. وكانت هذه الدّعوة في البداية هي الواجب المنوط بالأسقف أو الكاهن، فهي مسؤوليته الأساسية في دعوته للشعب لمشاركته في الطلبة والتوسّل. وفيما بعد، وفي الشّرق المسيحي، انتقلت هذه الدّعوة للصلاة إلى الشماس.

أما بالنسبة لجموع المشتركين في هذه الصلوات فقد كانت

مشاركتهم في البداية المبكرة لنشأة الليتورجية قليلة، أي أن عدد مرّات المرّدات التي يشارك فيها الشعب كانت أقلّ ممّا هي عليه الآن. وكانت هناك صلاة صامتة بعد كل دعوة لهم بالصلاة في كل أوشية أو طلبه من هذه الطلبات. وفي أيام التوبة والتذلل كان الرُكوع على الرُكبتين Genuflexion يصاحب هذه الدّعوة للصلاة. ولكن يبدو لنا أن الأصل الأولي لهذا الرُكوع - أو للسُّجود أيضاً - كان صامتاً Silent prostration، وهو ما كان متبعاً عادة في الهيكل القديم<sup>(٣٦)</sup>.

### بعقيب على الأواشي الثلاث الكبار في الطقس القبطي

#### أوشية سلام الكنيسة

في النصّ اليوناني لأوشية سلام الكنيسة - وفي غيرها من الأواشي - تبدأ الأوشية هكذا: "وأيضاً فلنسال الله الرّحيم ضابط الكل... (٣٧)"، وصفة "الرّحيم" لله الآب ينفرد بها النصّ اليوناني في هذه الأوشية، أمّا النصّ القبطي لها فلم يذكر هذه الصّفة لله الآب.

وتنفرد الليتورجية القبطية سواء في نصّها اليوناني أو نصّها القبطي باحتفاظها بأقدم صفة من صفات الكنيسة، وهي صفة "الواحدة أو الوحيدة - μόνη" (٣٨)، فتأتي صفات الكنيسة في هذه الأوشية بحسب التّقليد القبطي هكذا "المقدّسة الواحدة الجامعة الرّسولية":

Μνήσθητι, Κύριε τῆς εἰρήνης, τῆς ἁγίας, μόνης, καθολικῆς καὶ

36- A. Baumstark, *op. cit.*, p. 75.

37- W.F. Macomber, *op. cit.*, OCP 43 (1977), p. 321.

38- Burncster, O.H.E. Khs, *The Baptismal Rite of the Coptic Church*, dans Bulletin de La Société d'Archéologie Copte (BSAC), t. 11, 1945, p. 71.

ἀποστολικῆς σου Ἐκκλησίας.<sup>(39)</sup>

أي: "أذكر يارب سلام كنيسةك المقدّسة الواحدة الجامعة الرّسوليّة".

وقد وُجِدَت هذه الصّفة - أي الواحدة أو الوحيدة - في الكتابات الليتورجيّة القديمة. ففي قدّاس القديس سراييون<sup>(٤٠)</sup> صلاة من أجل الثّمار تقول: "كرمّ τῆς كنيسةك المقدّسة الواحدة μόνη الجامعة الرّسوليّة الأرثوذكسيّة".

أمّا النّص القبطي لهذه الأوشية كما يرد في مخطوطات الخولاجيّات، فيورد للكنيسة صفة "الواحدة الوحيدة" - ΤΕΚΟΤΙ ἑμᾶς τς .

وفي أقدم خولاجي قبطي عربي كامل، وهو مخطوط الفاتيكان رقم (١٧)، يرد النّص هكذا: "أذكر يارب سلامة واحدتك الواحدة المقدّسة الجامعة الرّسوليّة، البيعة"<sup>(٤١)</sup>. وهو النّص الذي تُرجم في خولاجي سنة ١٩٠٢م إلى "أذكر يارب سلامة كنيسةك الواحدة الوحيدة...".

39- Cf. also, *Liturgica S. Bassilli alexandrina*, PG 31, p. 1629.

٤٠ - القديس سراييون الأسقف، كان رئيساً لدير عندما وقع عليه الاختيار ليكون أسقفاً على تانيس في دلتا مصر. وكان صديقاً للقديس أنبا أنطونيوس أبي النساك، وصديقاً للبابا أناسيوس الرسولي الذي كتب له بعض رسائل لاسيما الرسائل الأربع عن الروح القدس. وكان البابا أناسيوس قد أرسله مع أربعة أساقفة آخرين إلى الإمبراطور قسطنس سنة ٣٥٦م لدحض بعض مزاعم الأريوسيين. فعزله الملك الأريوسي ونفاه. ولسنا نعلم بالضبط تاريخ نياحته في المنفى. وقد يكون ذلك بعد سنة ٣٦٢م. وله كتاب "ضد المانين" نشره الأب كازيه في كامبردج سنة ١٩٣١م. أمّا شرحه لسفر الزمير فقد ضاع. وأهم ما اشتهر به هذا القديس هو كتابه المعروف باسم "الخولاجي" الذي تم اكتشافه في جبل آتوس باليونان. ويرجع عهده إلى القرن الرابع (حوالي سنة ٣٥٠م). وقد اكتشفه دكتوريفسكي سنة ١٨٩٤م.

٤١ - لاحظ الترجمة الحرفية من القبطية إلى العربية.

وليس هناك فرق بين صفة "الواحدة"، وصفة "الوحيدة". فهي صفة متكرّر للتأكيد عليها. ويظل مرد الشمّاس في نصه اليوناني محتفظاً بصفة واحدة من هاتين الصّفتين، حين يقول: "صلّوا من أجل سلام الواحدة المقدّسة الجامعة الرسوليّة الأرثوذكسيّة كنيسة الله". وهنا يضيف المرء صفة "الأرثوذكسيّة".

### أوشية الآباء

هي في الحقيقة أوشية من أجل البابا البطريرك، وهكذا يرد نصها في أقدم الخولاجيات<sup>(٤٢)</sup>، بل ومعظم مخطوطات الخولاجيات الأكثر حداثة. وفي القدّاس المرقسي (الكيرلسي) تأتي أوشية الآباء على قسمين، أوشية من أجل البطريرك فقط. أمّا عنوان هذه الأوشية في خولاجي سنة ١٩٠٢م فهو: "ههنا لا يُذكر اسم الأساقفة، بل يُذكر اسم البطريرك فقط"<sup>(٤٣)</sup>. وأوشية تبعها من أجل الأساقفة والقسوس والشمامسة وكل رتب الكنيسة. ثم أوشية ثالثة من أجل بقية الأرثوذكسيين الذين في كل موضع في المسكونة.

ولكن اعتادت الكنيسة في أوشية الآباء في القدّاسين الباسيلي والغريغوري أن تضيف اسم أسقف الإيبارشية بعد اسم البابا البطريرك. في حين ظلّ مرد الشمّاس في أصوله القديمة يرد هكذا: "صلّوا من أجل رئيس كهنتنا البابا (فلان) بابا وبتريك ورئيس أساقفة المدينة العظمى الإسكندريّة، وأساقفتنا الأرثوذكسيين" دون ذكر اسم أسقف بعينه. كما يُظن أن عبارة "أساقفتنا الأرثوذكسيين" عبارة مضافة على النصّ القديم للمرد. كما أن تكلمة الكاهن للأوشية بعد المرء تأتي بصيغة

٤٢- مثل مخطوط الفاتيكان رقم (١٧)، ومخطوط أكسفورد رقم (هنت ٣٦٠).

٤٣- كتاب الخولاجي المقدّس، طبعة سنة ١٩٠٢م، ص ٦١٣

المفرد، حيث يقول: ”حفظاً احفظه لنا سنين كثيرة وأزمنة سلامية...“ .  
 فالطالبة هنا منصّبة على البابا البطريرك وحده. وفي ختام الأوشية يرد ذكر  
 ”جميع الأساقفة الأرثوذكسيين والقمامصة والقسوس والشمامسة وكل  
 امتلاء كنيستك الواحدة (الوحيدة) المقدّسة الجامعة الرّسوليّة“.

أما إضافة اسم الأب الأسقف بعد البابا البطريرك فيأتي في نص ليتورجي  
 بسيط هو: ”وأبانا الأسقف أبنا فلان — **Πατερ Πηνυωτ η̅νεπισκοπος**  
**αββα η̅νιμ**“<sup>(٤٤)</sup>. وهنا يوضّح القمّص عبد المسيح صليب المسعودي  
 بقوله: ”وفي بعض النسخ بدل ذلك يُقال: وشريكه في الخدمة أبانا الأسقف  
 أبنا فلان — **Πατερ περκειωφην η̅λιτοτροπος αββα η̅νιμ** . ولكن في  
 أكثر النسخ يُذكر البطريرك فقط<sup>(٤٥)</sup>. وأما ذكر الأسقف فإنما يكون في  
 بعض الخولاجيات، وفي أماكن منها دون أماكن<sup>(٤٦)</sup>.

أما الخولاجيات التي ذكرت اسم الأسقف بعد اسم البابا البطريرك  
 في أوشية الآباء ضمن الثلاث أواشي الكبار، فتشير في عنوان بالحبر  
 الأحمر إلى أن الكاهن يقول في أوشية الآباء إذا حضر الأب البطريرك أو  
 الأسقف إضافة لكل منهما. فلأب البطريرك يقول: ”حبيب المسيح  
 المعلّم الطوباني، الأب، أب الآباء، راعي الرعاة، رئيس رؤساء الكهنة،  
 الراعي الحقيقي، أيينا القدّيس الأب، أبنا فلان“ .

ويكمّل للأسقف قائلاً: ”وشريكه في الخدمة العالية الإلهية والخدمة

٤٤- يورد خولاجي سنة ١٩٠٢م مرد الشمّاس هذا النص الليتورجي البسيط:  
 ”... وأيينا الأسقف أبنا فلان“ (ص ٢٨٢، هامش ١).

٤٥- هنا نشير إلى أن مخطوط الفاتيكان رقم (١٧) يورد في الثلاث أواشي الصغار  
 التي تعقب صلاة الشكر بعد تقديم الحمل، يورد نص أوشية الآباء هكذا: ”أذكر  
 بارب بطريركنا الأب الفاضل أبنا فلان وأيينا الأسقف أبنا فلان“.

٤٦- كتاب الخولاجي المقدّس، طبعة سنة ١٩٠٢م، ص ٢٨١

الرّسوليّة أبينا الطّاهر الأسقف الأب أنبا فلان“ (٤٧).“

وبرغم ذلك تعود هذه المخطوطات لتكميل أوشية الآباء بصيغة المفرد: ”بالحفظ احفظه لنا سنيناً كثيرة ...“.

وقد جرت العادة اليوم في أوشية الآباء إضافة اسم أسقف الإيبارشية في كنائس إيبارشيته هكذا: ”وشريكه في الخدمة (الرّسوليّة)“، وهي العبارة التي يقولها الكاهن والشّماس من بعده.

ومن المهم أن نتأني في فحص باقي نص الأوشية، حيث يقول الكاهن: ”انعم عليهم وعلينا بالسّلامة والعافية في كل موضع. وصلواتهم التي يصنعونها عنا وعن كل شعبك، وصلواتنا نحن أيضاً عليهم، اقبلها إليك على مذبحك المقدّس التّاطق السّمائي رائحة بخور ...“.

هنا يتّضح لنا أن أهميّة دور الشّعب في صلاته من أجل رعاته بدءاً من البابا البطريرك، وحتى أصغر رتبة كنسيّة. فليس الكهنة وحدهم هم المسؤولون عن الصّلاة من أجل الشّعب، بل والشّعب أيضاً مسئول عن الصّلاة من أجل كهنته. وصلاة هؤلاء وأولئك من أجل بعضهم البعض هي التي تكمل معنى الكنيسة كأعضاء أحياء في جسد واحد هو جسد المسيح. كل الأعضاء تصلّي من أجل بعضها البعض، وكل الأعضاء تستمد حياتها وقوّتها من الرّأس الذي هو المسيح، وليس من شيء آخر سواه. وعند المذبح المقدّس التّاطق السّمائي تنصهر كل الصّلوات فتصير صلاة الكنيسة بخوراً طيباً زكياً هو صلوات القديسين.

وبحسب الطّقس الذي نمارسه اليوم، عند قول الكاهن ”وعن كل



شعبك“، يرشم الكاهن الشعب بالصليب. وإذا كان الأب الأسقف حاضراً فهو الذي يرشم عوض الكاهن.

ورشم الصليب هنا ضروري ولازم، لأن المسيح مات على الصليب، واشترى الكنيسة بدمه، وعندما يرشم الكاهن الشعب بالصليب فهو يعرف أنه يصلي عن هؤلاء الذين اقتناهم الرب بدمه. وأن صلاته لن تكون مقبولة إلا إذا صارت له خشية ومحبة قطع الرب. فالخشية من أن يُفقد أحد، والمحبة لكي يقتدي هو بسيدّه الذي مات عن شعبه<sup>(٤٨)</sup>.

وبحسب الطّقس أيضاً: عند قول الكاهن: ”أقبلها إليك على مذبحك المقدّس النّاطق السّمائي...“، يقدّم الشّمس الجمرة إلى الكاهن فيضع فيها يد بخور واحدة، يقول عنها البابا غبريال الخامس (١٤٠٩ - ١٤٢٧ م): ”تكون كفاية إلى آخر القدّاس، وإن كان معه شريك فهي له“<sup>(٤٩)</sup>.

### أوشية الاجتماعات

عند قول الكاهن: ”أذكر يارب اجتماعاتنا باركها“ يرشم الشعب بالصليب رشماً واحداً بعد خضوعه لإخوته الكهنة<sup>(٥٠)</sup>. لكي تكون بركة اجتماعاتنا هي بركة الصليب والمصلوب عليه.

ويكمل البابا غبريال الخامس بقوله<sup>(٥١)</sup>:

٤٨ - سلسلة بتابع الأرثوذكسية، معاني رشم الصليب، مرجع سابق، ص ٦٩  
٤٩ - البابا غبريال الخامس، الترتيب الطقسي، مرجع سابق، ص ٧٦. وقد أغفل حولاجي سنة ١٩٠٢ م ذكر هذه الملاحظة الطقسية (انظر ص ٢٨٥).  
٥٠ - يذكر حولاجي سنة ١٩٠٢ م: وإن كان الأب البطريرك أو الأسقف حاضراً فهو الذي يقول: ”أذكر يارب اجتماعاتنا باركها“، ويرشم الشعب بالصليب، بينما يلتفت الكاهن ناحيته ويخضع برأسه.

٥١ - البابا غبريال الخامس، الترتيب الطقسي، مرجع سابق، ص ٧٦

”ومن بعد هذا يأخذ الجحمة بيده<sup>(٥٢)</sup>، ويعطي البخور للمذبح ثلاثة دفعوع عند قوله: ”قم أيها الرب الإله ...“. وعند قوله: ”أمّا شعبك فليكن بالبركة ألوف ألوف ...“ يلتفت إلى الغرب ويعطي البخور ثلاثة أيادي للكهنة والشمامسة والشعب. ثم يعود يلتفت إلى الشّرق ويعطي البخور ثلاثة أيادي إلى آخر  $\Phi\alpha\iota\ \epsilon\tau\epsilon$  (أي: هذا الذي ...) يعطي البخور لأخيه الكاهن، ويناوله الجحمة<sup>(٥٣)</sup>. وإذا كان قد أعطاه الكاهن الشّريك أيضاً الجحمة أولاً يعطيه البخور قبل ذلك<sup>(٥٤)</sup>.“

وما يذكره البابا غبريال الخامس هنا هي إحدى الممارسات الطّقسيّة في هذه الجزئيّة من القدّاس، وليس الممارسة الطّقسيّة العامة أو التي كانت شائعة في كل الكنائس. ولذلك فإن ما يذكره القمّص عبد المسيح المسعودي في خولاجي سنة ١٩٠٢م، حين يرفع الكاهن الجحمة فوق المذبح إلى الأربع جهات بمثال الصّليب، ربما كانت ممارسة طقسيّة أخرى عُرفت في أماكن دون غيرها. أمّا ابن كبر فيشير إلى ممارسة ثالثة في هذه الجزئيّة من القدّاس حين كان يتحدّث عن أوقات رفع البخور في القدّاس. فيقول: ”وأوقات رفع البخور في القدّاس أولاً في صلاة الأبسطلس ... ويتناولها<sup>(٥٥)</sup> الكاهن المقدّس وقت الأمانة ويبخر الجسد من تحت

٥٢- وهنا يضيف القمّص عبد المسيح صليب اليراموسي قائلاً: ”يمد الكاهن يده بالجحمة فوق المذبح إلى الأربع جهات بمثال الصّليب، أي إلى الشّرق ثم الغرب ثم الشمال ثم الجنوب. وهو يقول: بيوت صلاة، بيوت طهارة، بيوت بركة ...“. وهو ما لم يذكره كتاب ”الترتيب الطقسي“ للبابا غبريال الخامس.

انظر: كتاب الخولاجي المقدّس، طبعة سنة ١٩٠٢م، ص ٢٨٧  
٥٣- يذكر خولاجي سنة ١٩٠٢م بدلاً من العبارة السابقة: ”ثم يعطي الجحمة لمن كانت معه“. وهو نفس ما نقرأه في مخطوط (ط ١٣٣)، ومخطوط (ط ١٣٤).

٥٤- هذه العبارة الأخيرة لم يذكرها خولاجي سنة ١٩٠٢م.

٥٥- أي الجحمة.

الإبروسفارين، والمذبح من فوقه وقُدّامه، ويعيدها إلى حاملها. لأنه بعد غسل يديه لا يمسه، بل حاملها يقدّمها إليه ليختر يديه لا غير“.

إذا فعند ابن كير (+ ١٣٢٤م) يتم تبخير الجسد من تحت الإبروسفارين، ثم التبخير فوق المذبح أي فوق الإبروسفارين، ثم التبخير أمام المذبح. وهذه الممارسة لا يرد فيها التفات الكاهن غرباً للتبخير على الكهنة والشمامسة والشعب كما يذكر البابا غبريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٧م) وكما نقل عنه خولاجي سنة ١٩٠٢م.

فالبخور هو حياة الابن غير الفاسدة التي صارت رائحتها عطرة، وتقدّم على المذبح لله الآب. فالمذبح هو قلب الجماعة، وحوله تُقام بيوت المؤمنين. ومن أجل ذلك يرفع الكاهن حياة الابن الوحيد رائحة طيبة ركبة لله الآب على مثال الصليب، وهو يذكر بيوت المؤمنين في الشّرق والغرب والشّمال والجنوب ضارعاً أن يجعلها المسيح بيوت طهارة وبركة، تُرفع منها ذبائح الصّلاة، حتى يتقدّس الآتين بعدنا أي أولادنا ونسلنا الذي اختاره المسيح ليرث المواعيد السّماوية، ويسكن البيعة المقدّسة الجامعة الرّسوليّة<sup>(٥٦)</sup>.

إن هذه الأواشي قد تلاشت من كل الطّقوس الأخرى، وهي في الكنيسة القبطية حالياً تنازع البقاء بعد أن دأب كثير من الآباء الكهنة على ترديدها سرّاً أثناء قراءة الإنجيل المقدّس، أو أثناء العظة إن وُجدت. وإنه من غير الطّبيعي أن تُردّد سرّاً للمرة الثالثة في وقت قصير للغاية من القدّاس الإلهي، أي في الفترة الواقعة ما بين فصل البولس وفصل الإنجيل، إذ جرى ترديدها سرّاً في سرّ البولس مرّة، وفي سرّ الإبركسيس مرّة

أخرى ولكن بصيغتها المختصرة.

ويكفي أن نعرف أن هذه الأواشي الثلاثة الكبار هي في أصلها إسكندرية الأصل، أي أن منبتها كان من كنيسة الإسكندرية، وهي قديمة قدم كنيسة الإسكندرية، وهي إحدى السمات التي تميّز الليتورجيا المصرية كما تشهد كافة الكنائس الأخرى بذلك<sup>(٥٧)</sup>.

### الخطوط العريضة للأواشي في الطُقوس المختلفة

لسنا الآن بصدد عرض هذه الأواشي في طقوسها المختلفة، لكننا نعرض هنا للخطوط العريضة لهذه الأواشي، وكيف تطوّرت وأخذت أشكالها التي تناسب كل طقس من الطُقوس.

ففي الطُقوس القبطي، الصيغة هي: "صلُّوا أو صلّ - **Ἰψαλη** (إشليل)"، وهي تأتي دائماً - وحتى اليوم - نداءً من الشَّمْس موجهاً إلى الشَّعب باللُّغة اليونانية Προσευξάσθε (بروس إفكساستي).

أمّا هذه الصيغة في الطُقوس البيزنطي فهي δεόμεθα أي "نطلب - We beseech - أو صيغة δεηθῶμεν أي: "فلنطلب أو فلتنضرع - Let us beseech -

وإنه من المهم بمكان أن نعرف الصيغة التي تبدأ بها الأوشية، وكذلك أيضاً الصيغة التي تُختم بها. وكمثال لذلك لناخذ الصيغة المصرية القديمة التي تقول:

"أيها الرَّبُّ الضَّابطُ الكُلِّ، إله آبائنا، نطلب إليك اسمعنا وارحمنا".

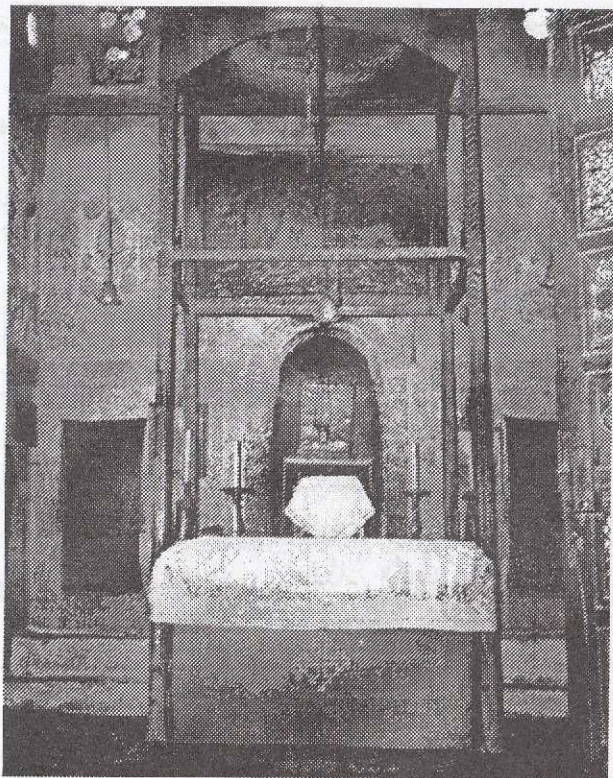
Κύριε παντοκράτορ ὁ Θεὸς τῶν πατέρων ἡμῶν, δεόμεθα σου,  
ἐπάκουσον καὶ ἐλέησον.

وهي صيغة ليتورجية لها أصل قديم يعود إلى بداية صلاة البركة اليهودية الثامنة عشرة، ولكن مع إسهاب وتوسّع، تلك البركة التي كان يردّها انجمن اليهودي بالتأكيد في عصر الرُّسل، والتي مقدّماتها: "مبارك أنت أيها الرّب إلهنا، وإله آبائنا...".

ونفس هذه المقدّمة وُجدت أيضاً في الصلّاة البيزنطية التي تُعرف باسم "Ectene"<sup>(٥٨)</sup>. وهي صلاة أو طلبية ليتورجية تتكوّن من مجموعة طلبات قصيرة يقولها الشّمّاس، ويجيب عليها الشعب بالمرء "كيريايسون". وهذه الطلبية ذات المرء كان يقولها الكاهن في القدم أو قائد التّرتيل Cantor ، ويُظن أن الأوشية أو الطلبية Litany تعود في أصولها الأولى إلى أنطاكية في القرن الرابع الميلادي. وعن طريق آسيا الصُغرى عبرت إلى القسطنطينية حيث انتشرت منها إلى باقي الشّرق. ومن القسطنطينية أيضاً انتقلت إلى روما وباقي الغرب حيث أدخلها البابا جلاسيوس الأوّل (٤٩٢-٤٩٦م) في القدّاس الرُّوماني<sup>(٥٩)</sup>.



٥٨- كلمة "Ectene" من الكلمة اليونانية ἐκτένεια أي "صلاة بلحاجة" (انظر: أعمال ٥: ١٢): «وكانت تصير منهم صلاة بلحاجة (بحارة)». وهي في اليونانية προσευχή dé ἦν ἐκτενωσ γινομένη أي صلاة بدون توقف.



## الفصل الثاني

### قانون الإيمان وغسل اليدين

## أولاً: قانون الإيمان

### تمهيد

كلمة "قانون" هي أصلاً كلمة يونانية تُنطق *κωνών* (كانون)، وتعني "قضييب مستقيم"، لتشير إلى مغزى استعمالها في العبادات الدنيئة. وتعني أيضاً: "قاعدة"، أو "قياس". وهي تشير عند الرسول بولس إلى حدود العمل الرسولي<sup>(١)</sup>، أو إلى مبدأ تطبيقي في السيرة المسيحية<sup>(٢)</sup>. وهي عند السريان تعني "النظام".

ولكلمة "قانون" مترادفات أخرى. فالقوانين عند السريان تُعرف باسم "السُنن"، وتُسمى أيضاً "الشرائع" في اللغة العربية، أما كلمة "دستور" فهي فارسية وليست عربية.

وقد وردت كلمة "قانون" في رسالة القديس كليمنس الروماني إلى أهل كورنثوس (فصل ٧) في أواخر القرن الأول الميلادي لتشير إلى التقليد الجليل الكرم ودستور الإيمان في المعمودية، وهو ما يدعوه القديس إيريناؤس (١٣٠-٢٠٠م) "قانون الإيمان"، ويدعوه مجمع أنطاكية الذي عُقد سنة ٢٦٩م "القانون". كما أن العلامة كليمنس الإسكندري (١٥٠-٢١٥م) يتحدث عن "قانون الحق".

ويشير يوسابيوس القيصري (٢٦٠-٣٤٠م) إلى "قانون الحق"، و"قانون الوعظ". ويذكر أيضاً أن "قانون الكنيسة لا يعترف إلا بأربع بشائر" (٢٥:٦). ويتحدث القديس باسيليوس الكبير (٣٣٠-٣٧٩م)

١-٢ كورنثوس ١٠:١٣، ١٥

٢- غلاطية ٦:١٦



عن "قانون الدِّبَانَةِ الحَقِيقِيَّةِ المُسَلِّمَةِ إلَيْنَا" (رسالة ٢٠٤:٦).

ولم يستعمل مجمع نيقية المسكوني الأوَّل سنة ٣٢٥م هذه الكلمة لما وضعه من شرائع. إلا أن المجمع المسكوني الثاني في القسطنطينية سنة ٣٨١م أطلق كلمة "قوانين" على ما سنَّه مجمع نيقية المسكوني السَّابِق له.

واستخدم القُدِّيسُ أثناسيوس الرِّسُولي (٣٢٨-٣٧٣م) في حديثه كلمة "قانون" ليشير بصورة عامة إلى شرائع الكنيسة.

وفي البداية أُطلقت الكلمة على كل إكليريكي، فالإكليريكي هو "قانوني". فالقانون الأوَّل لمجمع أنطاكية المنكاني (٣٤١م) يتحدث عن "القانون المقدَّس"، بمعنى "الإكليريكين القانونيين". وفي مجمع اللاذقية (٣٨١-٣٤١م) ورد القول عن "مرتلين قانونيين".

وفي الكنيستين البيزنطية والسريانية، فإن كلمة "قانون" هي مصطلح طقسي يشير إلى نظام التَّسْبِيح اللَّيْتورجِي فِيهِمَا<sup>(٣)</sup>.

وكما تُستعمل كلمة "قانون" لأية خدمة في الكنيسة، فهي تشير بشكل خاص إلى القسم الأساسي من اللَّيْتورجِيَا الذي لا يتبدَّل في خدمة القُدَّاس الإلهي، والذي يُسمى أيضاً "الأنافورا".

وُستعمل الكلمة أيضاً بمعنى جدول حساب تاريخ الفصح<sup>(٤)</sup>.

٣- لتفصيلات حول هذه النقطة يمكن الرجوع إلى كتاب "معجم المصطلحات الكنسية، الجزء الثالث"، تحت كلمة "قانون".

٤- بوسايوس القيصري، ٢٢:٦، ٣٢:٧.

## قوانين الإيمان وصيغها المختلفة

”قانون الإيمان“ - Creed - Τὸ σύμβολον هو صيغة مختصرة لأهم بنود العقيدة المسيحية. والمثل التقليدي لذلك هو قانون إيمان نيقية، ويُسمى في الشرق Nicene Creed أي ”قانون الإيمان النيقاوي“. أما في الغرب المسيحي فالمثل لذلك هو قانون الرُّسُل Apostles Creed. وقانون الإيمان في أساسه هو الصيغة الإيمانية المختصرة التي كان يحفظها طالِبو المعمودية، ويعترفون بها قبل نزولهم مياه المعمودية. وقد اختلفت تفصيلاً من مكان لآخر.

ومن المقطوع به أنه قبل منتصف القرن الثاني الميلادي كان اعتراف المقبل على المعمودية قد تبلور في صورة قبلتها كل الكنائس الكبرى. فلدينا كتابات عن مضمون هذا الاعتراف في كتابات القديس إيريناؤس (١٣٠-٢٠٠م)، والعلامة تريليان (١٦٠-٢٢٥م)، ونوفاتيان، والعلامة أوريجانوس (١٨٥-٢٥٤م) وغيرهم، تبدو فيها وحدة الجوهر، مع قدر معين من الحرية في التعبير.

وبعد منتصف القرن الثاني الميلادي، أصبح لهذا الاعتراف أهمية جديدة بسبب المجادلات الغنوسية، واكتسب بذلك صفته كقانون رسمي، وصار معروفاً باسم ”قانون الحق“، أو ”قانون الإيمان“: وأصبح محكماً لكشف انحراف تفسير المفكرين الهرطقة.

وبحلول القرن الرابع أصبحت هذه الصيغ الكثيرة المختلفة الخاصة بالمعمودية أكثر تقارباً، وذات بنية مثلثة تتفق مع ما ورد في إنجيل القديس متى البشير (متى ٢٨: ١٩). حتى صار قانون الإيمان هو صيغة الاعتراف التي تُقال في المعمودية في كل مكان شرقاً وغرباً.

وكان الموعوظون في آخر مراحل وعظهم وقبل قبولهم المعمودية المقدسة يحفظون "قانون الإيمان" عن ظهر قلب ليتلونه غيباً أمام الأسقف أو الكهنة، كاعتراف رسمي بالإيمان المسيحي قبل المعموديتهم. ثم استخدم هذا الدستور في زمن الخلافات العقائدية في اللاهوت كإطار تعدد قواعد الإيمان المستقيم ذوداً عن الكنيسة ضد الهرطقة والهرطقات.

وفي ذلك يقول القانون رقم (٤٦) من قوانين مجمع اللاذقية (٣٤١-٣٨١م): "إن المزمعين أن يتعمدوا يجب أن يتعلموا دستور الإيمان عن ظهر قلب، وأن يتلوه غيباً أمام الأسقف أو الكهنة في اليوم الخامس من الأسبوع"<sup>(٥)</sup>. والمقصود من الأسبوع هنا هو "أسبوع الفصح"، أي "أسبوع الآلام"، أما اليوم الخامس منه فهو يوم خميس العهد، لأنه في اليوم التالي مباشرة وهو يوم الجمعة العظيمة كانت تبدأ أولى مراسيم المعمودية المقدسة وهي مراسيم جحد الشيطان، حيث تكون المعمودية نفسها ليلة عيد القيامة.

وبعد أن وضع مجمع نيقية المسكوني الأول - ومن بعده مجمع القسطنطينية المسكوني سنة ٣٨١م - قانون الإيمان الذي نعرفه الآن، فقد صار هو صيغة الإيمان الواحدة في الكنائس الأرثوذكسية حيث سرعان ما انتشر بينها.

وحدير بالذكر هنا أن الكنيسة القبطية حتى اليوم لازالت تستعمل في طقس المعمودية صيغة إيمانية سحيقة في القدم أقدم من قانون الإيمان النيقاوي القسطنطيني.

٥- وهو نفسه القانون رقم (٧٨) من قوانين مجمع ترولو المنعقد سنة ٦٩٢م.

## قانون إيمان الرُّسُل: Apostles Creed

هو صيغة إيمانية تُستخدم في الغرب المسيحي فقط. وهو يُعرف أيضاً باسم "قانون الرُّسُل"، أو "قانون الإيمان الرُّسولي"<sup>(٦)</sup>. وهذا العنوان قد وُجد هكذا منذ سنة ٣٩٠م عند القديس أمبروسيوس (٣٣٩ - ٣٩٧م) أسقف ميلان<sup>(٧)</sup>، وهو يعتبر من أقدم قوانين الإيمان. وهو يُنسب إلى الرُّسُل الاثني عشر منذ هذه العصور المبكرة حتى وإن كان ليس من تدوين الرُّسُل أنفسهم. وهو صيغة مختصرة لقانون إيمان نيقية الذي يعرفه الشُّرق المسيحي، ويختلف عنه في بعض إضافات مثل التزول إلى الجحيم، وشركة القديسين.

و"قانون إيمان الرُّسُل" أو "قانون الإيمان الرُّسولي" له صورتان مختلفتان؛ صورة مختصرة، وأخرى مطوّلة. وتُعرف الصُّورة المختصرة باسم "النص الروماني"، أو "النص اللاتيني"، ويرجع هذا القانون إلى منتصف القرن الثاني الميلادي (نحو سنة ١٤٠م) وقد وصلت إلينا هذه الصيغة عن طريق "مارسيلوس" من أنقرة سنة ٣٤١م. أما النص المطوّل في شكله الحالي فيرجع إلى ما بعد ذلك بكثير، وكان قد أخذ صورته النهائية في جنوب بلاد الغال (فرنسا)، ولكن ليس قبل منتصف القرن الخامس على الأرجح (وربما تكون فقرة منه أو فقرتان من القرن السابع). وفيما يلي ترجمة النصّين:

## (١) الصيغة الرومانية (اللاتينية) القديمة

"أؤمن بالله الآب القادر على كل شيء، وبيسوع المسيح ابنه الوحيد ربّنا، الذي وُلد من الرُّوح القدس والعذراء مريم، والذي صُلب في عهد بيلاطس البنطي، ودُفن وقام من الأموات في اليوم الثالث، وصعد إلى السموات، وجلس عن يمين الآب، وسيأتي ليدين الأحياء والأموات.

٦ - دائرة المعارف الكتابية، الجزء الرابع، ص ١٠٧ وما بعدها.

وأؤمن بالروح القدس، وبالكنيسة المقدسة، وبمغفرة الخطايا، وقيامه الجسد، وبالحياء الأبدية.“

والعبارة الأخيرة لا توجد في النص اللاتيني الذي ذكره روفينوس Rufinus سنة ٣٩٠ م.

وكان هذا النص مستخدماً في كنيسة روما قبل منتصف القرن الثاني الميلادي، بل لعله كان مستخدماً قبل ذلك بزمان غير قصير. ويوجد لدينا هذا النص في صورته اليونانية واللاتينية، ولعل الصورة اليونانية هي الأصل. وقد وصلت إلينا الصيغة اليونانية عن طريق مارسيلوس من أنقرة في القرن الرابع. أما الصيغة اللاتينية فقد وصلت إلينا عن طريق روفينوس نحو سنة ٣٩٠ م إذ يقارنها بالقانون الذي كان مستخدماً في كنيسته هو "أكوليا - Aquileia"، وكانت كنيسة عريقة.

وقد ظلت هذه الصيغة القديمة المختصرة مستخدمة زمناً طويلاً، فحدها في إنجلترا في زمن الغزو النورماندي تقريباً، ولا زالت هذه الصيغة محفوظة في مخطوطات المتحف البريطاني.

## (٢) الصيغة الحالية

"أؤمن بالله الآب القادر على كل شيء، خالق السماء والأرض، وبيسوع المسيح ابنه الوحيد ربنا، الذي حُبِلَ به من الروح القدس، ووُلِدَ من مريم العذراء، وتألّم في عهد بيلاطس البنطي، وصُلب ومات ودُفِنَ، ونزل إلى الجحيم، وفي اليوم الثالث قام من الأموات، وصعد إلى السموات، وجلس عن يمين الله الآب القادر على كل شيء، ومن هناك سيأتي ليدين الأحياء والأموات. وأؤمن بالروح القدس، وبالكنيسة المقدسة الجامعة، وشركة القديسين، وغفران الخطايا، وقيامه الجسد، والحياء الأبدية. آمين."

ويحيط كثير من الغموض بتاريخ النص الحالي للقانون، فقد أضيف إليه عبارات كثيرة في أزمنة مختلفة، ولو أن بعضها قدم جداً. فمثلاً عبارة "خالق السموات والأرض" ظهرت أولاً في الصيغة التي وجدت في جنوبي فرنسا، وترجع إلى حوالي سنة ٦٥٠م، وإن كانت قد وجدت عبارات مشابهة في نصوص أقدم. وأيضاً عبارة "نزل إلى الجحيم" نجدتها - أول ما نجدها - في النص الذي أورده روفينوس كجزء من قانون إيمان كنيسة أكيوليا.

ومن المعروف أن هذا القانون قد أخذ شكله الحالي - ربما بدون العبارات التي ذكرناها، بالإضافة إلى عبارة "شركة القديسين" - في زمن فستوس من رايز Faustus of Reiz في نحو سنة ٤٦٠م. ومن هناك انتشر حتى وصل إلى أيرلندا على ما يبدو قبل نهاية القرن السابع الميلادي. وفيما بين القرنين السابع والتاسع احتل مكاناً في الخدمة اليومية ولاسيما خدمة السهر الليلي Mattins وخدمة المساء. ثم ظهر في إنجلترا بعد ذلك بنحو قرنين - ربما نقلاً عن بلاط شارلمان - أي في نحو سنة ٨٥٠م. ومنذ القرن العاشر أصبح هذه الصيغة مكان الصدارة. وأبطلت الصيغة المختصرة. ويمكن أن نقول نفس الشيء بالنسبة للبلدان الأخرى. وهكذا أصبحت الصيغة الغالبية (فرنسا) هي الشائعة الآن. ومنذ أوائل العصور الوسطى صار هذا القانون مستخدماً في المعمودية في الغرب.

### قانون إيمان نيقية: Nicene Creed

ونقصد بـ "قانون الإيمان النيقاوي - Nicene Creed" تلك الصيغة الإيمانية المختصرة والمعتمدة لأهم ما في الكنيسة الجامعة من عقائد. وهو من وضع المجمعين المسكونيين نيقية والقسطنطينية في القرن الرابع الميلادي، لكنه كان موجوداً في الكنيسة قبل هذا التاريخ في صيغة إيمان مختصرة اختلفت تفاصيلها باختلاف الكنائس، كان يحفظها طالب العماد.

وأهم ما فيه هو عقيدة الهوموؤسيوس أي مساواة الابن للآب في الجوهر،  
وخاصاً هرطقة أريوس.

ففي الأوساط المسيحية ذات الأصول اليهودية، كان يكفي لطالب  
العماد أن يعلن القانون الإيماني البسيط التالي: "يسوع هو المسيح"، أما  
بالنسبة للمسيحيين من أصل أممي، فكان لزاماً على طالب العماد أن يعلن  
حقيقة إيمانية أكثر تفصيلاً، أي إيمان بالله الواحد المثلث الأقانيم، وإيمان  
بعمل المسيح الخلاصي<sup>(٨)</sup>.

أما نص القانون فهو كالاتي مع مراعاة أن البُنىث الثقيل هو إضافة  
المجمع المسكوني الثاني بالقسطنطينية سنة ٣٨١م على القانون الذي وضعه  
المجمع نيقية المسكوني الأول سنة ٣٢٥م:

"نؤمن بإله واحد، أب ضابط الكل، خالق السماء والأرض، كل  
ما يرى وما لا يرى. وبرز واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد، المولود  
من الآب قبل كل الدهور، نورٌ من نور، إلهٌ حق من إله حق، مولودٌ غير  
مخلوق، مساو للآب في الجوهر، الذي به كان كل شيء، الذي من أجلنا  
نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل من السماء وتحدت من الروح القدس  
ومن مريم العذراء، وتأنس وصُلب عنا علي عهد بيلاطس البنطي،  
وتألم وقبر وقام في اليوم الثالث كما في الكتب، وصعد إلى السماء،  
وجلس عن يمين الآب، وسيأتي بمجد ليدين الأحياء والأموات، الذي  
ليس ملكه انقضاء. وبالروح القدس الرب المحيي المنشق من الآب،  
الذي هو مع الآب والابن مسجودٌ له وممجّد، التاطق في الأنبياء،  
وبكنيسة واحدة مقدسة جامعة رسولية، ونعترف بعمودية واحدة

لمغفرة الخطايا. ومنتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتي<sup>(٩)</sup>.

الفروقات اللفظية للقانون النيقاوي القسطنطيني بين الطقوس المختلفة

يوضح الجدول التالي الفروقات اللفظية الطفيفة لقانون الإيمان النيقاوي القسطنطيني بين الطقوس القبطية والسريانية والبيزنطية (اليونانية)<sup>(١٠)</sup>.

النص القبطي	النص السرياني	النص اليوناني
نؤمن	أؤمن <sup>(١١)</sup>	كل ما يرى
وكل ما يرى	وبرب واحد	نؤمن برب واحد
نزل من السماء	ونزل من السموات	وتجسد <sup>(١٢)</sup>
ومن مريم العذراء	ومن مريم العذراء	ومن مريم العذراء
البتول والدة الإله	تألم ومات وقبر	تألم وقبر
تألم ومات وقبر	وقام من بين الأموات	وقام

9- Philip Schaff, *The History of the Christian Church*, vol. 2. & Nicene and Post Nicene Fathers, vol. xiv, p. 3.

10- O.I.E. Burmester, *The Egyptian or Coptic Church*, p. 327. & Burmester, *The Rites and Ceremonies of the Coptic Church*, cited by E. C. Q., vol. 8, n. 6, 1948, p. 399.

وأيضاً: غريغوريوس يوحنا إبراهيم (متروبوليت حلب)، صلوا لأجلنا، خدمة القُدَّاس وصلوات شتى، دار ماردين، حلب، ١٩٩٦م، ص ١٤، ١٥

١١- قانون الإيمان في اليونانية يبدأ بعبارة: Πιστεύω εἰς ἕνα Θεόν "أؤمن بإله واحد"، وليس بصيغة جمع المتكلمين: "نؤمن" Πιστεύομεν.

١٢- النص القبطي للقانون لا يورد حرف العطف (و) فيذكر مباشرة αὐτῶν أما الترجمة العربية فتضيف حرف العطف (و) سواء في الخولاجي المقدَّس أو طبعات الأجيال الحديثة.



النص القبطي	النص السرياني	النص اليوناني
كما في الكتب	كما أراد	كما في الكتب
وجلس عن يمين أبيه	وجلس عن يمين الآب	وجلس عن يمين الآب
وأيضاً يأتي في مجده	وأيضاً سيأتي بمجد عظيم	وأيضاً يأتي بمجد <sup>(١٣)</sup>
نعم نؤمن بالروح القدس	ونؤمن بالروح القدس	وبالروح القدس
الرب المحيي	الرب المحيي الكل	الرب المحيي
نسجد له ونمجده	يسجد له ويمجده	نسجد له ونمجده
الناطق في الأنبياء	الذي نطق بالأنبياء	الناطق في الأنبياء
	والرسل <sup>(١٤)</sup>	
مقدسة جامعة رسولية	جامعة مقدسة رسولية	مقدسة جامعة ورسولية
نعترف بمعمودية واحدة	ونقر بمعمودية واحدة	وأعترف <sup>(١٥)</sup> بمعمودية واحدة
نتظر قيامة الموتى	وتترجى قيامة الموتى	أنتظر <sup>(١٦)</sup> قيامة الموتى
وحياة الدهر الآتي	والحياة الجديدة في العالم الآتي	وحياة الدهر الآتي

هذا من جهة المقارنة مع الكنائس الأرثوذكسية الشرقية، أما الكنيسة الغربية فقد أضافت كلمة "والابن" على عبارة "المنشق من الآب" فصارت "منشق من الآب والابن". وعن هذه الإضافة يقول بر سيفال: "إن هذه الإضافة حدثت أولاً في أسبانيا سنة ٤٠٠م دون أن تعرف روما بذلك على الإطلاق، وانتشرت هذه الزيادة بسرعة فائقة في الغرب، ولم يطل الوقت حتى قبلت الزيادة في كل مكان ما عدا روما. وعارض البابا لاون الثالث زيادة كلمة (والابن) سنة ٨٠٩م، وأمر بنقش دستور الإيمان باللغتين اللاتينية واليونانية بدون الزيادة على صحيفتين من الفضة علقهما على منبر الاعتراف في كنيسة القديس بطرس في روما.

13- μετάδοξης

١٤- ويتفق الطقوس الماروني مع الطقوس السرياني في هذه الإضافة.

15- και ὁμολογῶ

16- προσδοκῶ

ولم يسمح باستعمال الدستور مع الزيادة في القداس في روما حتى سنة ١٠١٤م. ففي تلك السنة اقتنع البابا بندكتوس الثامن بإدخال الزيادة إجابة لإلحاح هنري الثاني ملك جرمانية. ومنذ ذلك الحين نُزعت صحيفتا الفضة من كنيسة القديس بطرس (١٧).“

### ترديد قانون الإيمان في داخل الإفخارستيا

إن عادة تلاوة قانون الإيمان في داخل الإفخارستيا في الشرق المسيحي قد دخلت متأخرة نسبياً، أي في مطلع القرن السادس الميلادي. وكان هذا القانون قبل ذلك يحتل مكانة خاصة في سر المعمودية كما ذكرت من قبل. إلا أن القديس يعقوب الرهاوي (٦٣٣-٧٠٨م) يذكر أن تلاوته في الكنيسة السريانية الأنطاكية بدأت بعد الجمع النيقاوي، أي في النصف الأول من القرن الرابع الميلادي (١٨). أما في الغرب فقد دخل قانون الإيمان ليقال في كنيسة روما بعد أن أمر البابا بندكت الثامن (١٠١٢-١٠٣٤م) بتلاوته في الليتورجيا سنة ١٠١٤م (١٩). وكانت كنائس أسبانيا وغاليا قد سبقت كنيسة روما في تلاوته قبل ذلك بمدة من الوقت.

وإن تأخر دخول قانون الإيمان في الاجتماع الإفخارستي، كان بسبب أن هذا الاجتماع هو في حقيقته لقاء لجماعة من المؤمنين تعتقد بالإيمان القويم، وتجددت بالماء والروح، واقتبلت ختم الميرون من يد العلي. فقد افترض وجدان الكنيسة الأولى أن وحدة الإيمان بين جميع

١٧- أرشمندريت حنايا كساب، مجموعة الشرع الكنسي، منشورات الثور، دمشق، ١٩٧٥، ص ٢٤٨-٢٥٤، ٣٤٦-٣٤٩. ولزيادة الفائدة انظر: الأب سليم بسترس، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر، الجزء الثاني، سنة ١٩٨٥م، ص ٩٠-٩٤. وأيضاً: الأب لويس برسوم الفرنسيسكاني، تفسير الأناجيل المقدسة التي تُقرأ في أيام الآحاد والأعياد حسب طقس كنيسة الإسكندرية، الطبعة الثانية، الجزء الثاني سنة ١٩٧٢م، ص ٨٣-٨٧

١٨- انظر: البطريرك إغناطيوس أفرام الثاني، مرجع سابق، ص ٢٣٩

المشاركين هي أمر بديهي. وكان من جرّاء اعتماد دستور الإيمان قانوناً يُتلى في القدّاس الإلهي، أن تمّ التأكيد على الرّبط العضوي والثابت - وهو الرّباط الأكيد أصلاً الذي كان في صُلب خيرة الكنيسة الأولى وحياتها - بين وحدة الإيمان من جهة، والكنيسة وتحقيقها لذاتها من جهة أخرى.

أي أن وحدة الإيمان - إلى جانب وحدة المحبّة - صارت شرطاً أساسياً لوحدة الكنيسة، ولتكميل خدمة الإفخارستيا فيها. ولا زالت الكنيسة الأرثوذكسيّة تراعي هذا الشرط الجوهرية، فلا يُسمح لغير الأرثوذكس بالتّقدّم إلى المناولة في كنيسة أرثوذكسيّة، والعكس بالعكس، حيث يُمنع الأرثوذكسي من المشاركة في الأسرار التي يقيمها غير الأرثوذكس. وهذه الحقيقة التي تتكلّم عنها ليست إلاّ الخيرة الأصيلة للإفخارستيا كسر للوحدة. وإلّا وتعبير آخر سر الكنيسة التي حدّدها القدّيس إغناطيوس الأنطاكي (٣٥-١٠٧ م) بالتّعريف التّالي:

[إنّما الوحدة في الإيمان والمحبّة] (٢٠).

هذا الكلام يقودنا بالضرورة لأن نخرج على موضوع وحدة الكنيسة ووحدة المسيحيين، وهو الموضوع المطروح اليوم بشكل ملح أكثر بكثير مما كان في الماضي. وهذه الوحدة التي تدور حولها كل المناقشات والحوارات والمشادّات هي غير تلك التي كانت قلب الحياة المسيحيّة الأولى، وعلّة فرحها ومضمونها نفسه. إن الفارق بين وحدة الأمس وتلك التي نلهث وراءها اليوم شاسع إلى حد يسمح لنا بالقول: إن انحرافاً بل تحريفاً دخل خلسة على الوحدة من دون أن يلحظه الوجدان المسيحي تقريباً. حتى أن ملامح هذه الظّاهرة بدأت تزداد وضوحاً يوماً بعد يوم كجنوح عن مفهوم الوحدة في الكنيسة الأولى.

٢٠- الرّسالة إلى فيلادلفيا ٢:٦، ٤ والرّسالة إلى أفسس ٢:٤، ١:١٤، ٢:٢٠ والرّسالة إلى مغنيسيا ٢:١ (انظر: الآباء الرّسوليون، سلسلة آباء الكنيسة، منشورات النور، ١٩٨٢ م).

فما الذي جرى؟ فعوض اعتبار الكنيسة والتعاطي معها كمصدر وعطيّة لوحدة متجدّدة أبداً، لأنها غير قابلة للانفصال عن العالم أو النزول إلى مستواه، اعتُبرت هذه الوحدة تعبيراً وشكلاً للوحدة "الطبيعيّة" التي نبجدها في هذه الأرض. وكأننا استبدلنا وحدة علويّة بكنيسة تتركز على وحدة سفليّة. هذا الاستبدال يحمل في طياته أخطاراً جمّة، لأن عصرنا مأخوذ بعبارة "الوحدة" بشكل لم يسبق له مثيل. إذ تشعر أنك أمام سعي محموم لتحقيق الوحدة التي صارت غاية في حد ذاتها، إلى درجة يمكننا معها التحدّث عن هرطقة بكل ما لهذه الكلمة من معنى، في حين لا يشعر السواد الأعظم من المؤمنين بشيء من كل ذلك. فهم لم يذوقوا قط طعم الوحدة ولا اختبروها في عيش يومي. وهم لا يرغبون فيها لأنهم ما عرفوها قط. فالتنفس لا ترغب إلا ما تذوقته وأدر كتته وأحبّته، فلا تعود تنساه من بعد. في المناخ الذي يسوده الجهل والنسيان، يجتهد الناس سعيّاً وراء "وحدة سفليّة" مستغلين عطش الإنسان الذي لا يرتوي إلى الوحدة. إنهم لا يفهمون أن كل وحدة سفليّة لا تحمل في أحشائها بذور الوحدة العلويّة التي يمنحنا إياها المسيح، لا تفقد معناها وقيمتها فحسب، بل تتحوّل إلى صنم وإلى غاية بحد ذاتها تشدّ الدّين والمسيحيّة نفسها إلى الوراء نحو عبادة الأصنام<sup>(٢١)</sup>.

وتتفق كل ليتورجيات الكنائس الشّرقيّة على ترديد قانون الإيمان النيقاوي القسطنطيني قبل صلاة الإفخارستيّا. فهو في كنائس أورشليم والإسكندريّة وأنطاكية يتلى قبل القبلة المقدّسة، أمّا في الكنيسة البيزنطيّة فيتلى بعد القبلة المقدّسة. أما الأرمن فيتلونه بعد الإنجيل مباشرة كعبادة الكنيسة اللاتينيّة. وهو يأتي عند السريّان المشاركة (الآشوريين) مبكراً، قبل وضع القرايين على المذبح.

وتستخدمه كنيسة روما أيضاً في الخدمة اليومية لاسيما خدمة المساء. أما في الآحاد والأعياد فتستخدم "قانون إيمان الرُّسُل - Apostles Creed" الذي وُضع سنة ٣٤٠م<sup>(٢٢)</sup>.

### طقس ترديد قانون الإيمان في التقليد القبطي

ذكرتُ من قبل أن قَدَّاس المؤمنين يسبقه ثلاث صلوات، هي "صلاة الحجاب"، ويقولها الكاهن سرّاً عند حجاب الهيكل، ثم "الأواشي الثلاث الكبار"، ويصليها الكاهن جهراً عند المذبح، ثم أخيراً "صلاة الصُّلح" وهي صلاة ما قبل الأنافورا.

وفي الطُّقس القبطي يقع ترديد قانون الإيمان، ثم غسل الكاهن ليديه بين هاية الأواشي الثلاث الكبار، وبداية صلاة الصُّلح. وتتنق الكنيسة السريانيّة الأنطاكيّة مع الكنيسة القبطيّة على أن الكاهن يغسل يديه بعد قانون الإيمان مباشرة، مع ملاحظة أن الكنيسة السريانيّة لا تعرف الأواشي التي تقال قبل صلاة الصُّلح في الكنيسة القبطيّة، وهي الصلّاة التي تُدعى في الكنيسة السريانيّة اليوم "صلاة السّلام"<sup>(٢٣)</sup>، أو "صلاة قُبلة السّلام".

ولم يكن يُسمح للموعوظين بترديد قانون الإيمان في الكنيسة، إذ لم يكونوا قد نالوا المعموديّة المقدّسة بعد. وفي ذلك يقول القدّيس غريغوريوس النّاطق بالإلهيّات (٣٢٩-٣٨٩م):

[لا يليق ولا يوافق للأعين الضّعيفة أن تعين الشَّمس،  
ولا للذين يرضعون اللبن أن يتناولوا طعاماً كاملاً، بل

٢٢- انظر للمؤلف، معجم المصطلحات الكنسيّة، الجزء الثالث، تحت كلمة "قانون".  
٢٣- هذه التسمية تعرفها الكنيسة القبطيّة منذ القرن السادس تقريباً، كما يتّضح لنا ذلك من القانون رقم (٩٧) من القوانين الكنسيّة المنسوبة للقدّيس باسيليوس.

فما الذي جرى؟ فعوض اعتبار الكنيسة والتعاطي معها كمصدر وعطيّة لوحدة متجدّدة أبداً، لأنها غير قابلة للانفصال عن العالم أو النزول إلى مستواه، اعتُبرت هذه الوحدة تعبيراً وشكلاً للوحدة "الطبيعيّة" التي نجدّها في هذه الأرض. وكأننا استبدلنا وحدة علويّة بكنيسة تركز على وحدة سفليّة. هذا الاستبدال يحمل في طياته أخطاراً جمة، لأن عصرنا مأخوذ بعبارة "الوحدة" بشكل لم يسبق له مثيل. إذ تشعر أنك أمام سعي محمود لتحقيق الوحدة التي صارت غاية في حد ذاتها، إلى درجة يمكننا معها التحدّث عن هرطقة بكل ما لهذه الكلمة من معنى، في حين لا يشعر السواد الأعظم من المؤمنين بشيء من كل ذلك. فهم لم يذوقوا قط طعم الوحدة ولا اختبروها في عيش يومي. وهم لا يرغبون فيها لأنهم ما عرفوها قط. فالتنفس لا ترغب إلا ما تذوّقته وأدركته وأحبّته، فلا تعود تنساه من بعد. في المناخ الذي يسوده الجهل والنسيان، يجتهد الناس سعياً وراء "وحدة سفليّة" مستغلين عطش الإنسان الذي لا يرتوي إلى الوحدة. إنهم لا يفهمون أن كل وحدة سفليّة لا تحمل في أحشائها بذور الوحدة العلويّة التي يمنحنا إياها المسيح، لا تفقد معناها وقيمتها فحسب، بل تتحوّل إلى صنم وإلى غاية بجد ذاتها تشدّ الدّين والمسيحيّة نفسها إلى الوراثة نحو عبادة الأصنام<sup>(٢١)</sup>.

وتتفق كل ليتورجيات الكنائس الشّرقيّة على ترديد قانون الإيمان النيقاوي القسطنطيني قبل صلاة الإفخارستيّا. فهو في كنائس أورشليم والإسكندريّة وأنطاكية يُتلى قبل القُبلة المقدّسة، أمّا في الكنيسة البيزنطيّة فيُتلى بعد القُبلة المقدّسة. أما الأرمن فيتلونّه بعد الإنجيل مباشرة كعادة الكنيسة اللاتينيّة. وهو يأتي عند السّرّيان المشاركة (الآشوريين) مبكراً، قبل وضع القرابين على المذبح.

وتستخدمه كنيسة روما أيضاً في الخدمة اليومية لاسيما خدمة المساء. أما في الآحاد والأعياد فتستخدم "قانون إيمان الرُّسُل - Apostles Creed" الذي وُضع سنة ٣٤٠م<sup>(٢٢)</sup>.

### طقس ترديد قانون الإيمان في التقليد القبطي

ذكرتُ من قبل أن قدَّاس المؤمنين يسبقه ثلاث صلوات، هي "صلاة الحجاب"، ويقولها الكاهن سرّاً عند حجاب الهيكل، ثم "الأواشي الثلاث الكبار"، ويصليها الكاهن جهراً عند المذبح، ثم أخيراً "صلاة الصلح" وهي صلاة ما قبل الأنافورا.

وفي الطقس القبطي يقع ترديد قانون الإيمان، ثم غسل الكاهن ليديه بين نهاية الأواشي الثلاث الكبار، وبداية صلاة الصلح. وتنفق الكنيسة السريانية الأنطاكية مع الكنيسة القبطية على أن الكاهن يغسل يديه بعد قانون الإيمان مباشرة، مع ملاحظة أن الكنيسة السريانية لا تعرف الأواشي التي تقال قبل صلاة الصلح في الكنيسة القبطية، وهي الصلاة التي تُدعى في الكنيسة السريانية اليوم "صلاة السَّلام"<sup>(٢٣)</sup>، أو "صلاة قُبلة السَّلام".

ولم يكن يُسمح للموعوظين بترديد قانون الإيمان في الكنيسة، إذ لم يكونوا قد نالوا المعمودية المقدَّسة بعد. وفي ذلك يقول القديس غريغوريوس أنطاطق بالإهيات (٣٢٩-٣٨٩م):

[لا يليق ولا يوافق للأعين الضعيفة أن تعين الشمس،  
ولا للذين يرضعون اللبن أن يتناولوا طعاماً كاملاً، بل

٢٢- انظر للمؤلف، معجم المصطلحات الكنسية، الجزء الثالث، تحت كلمة "قانون".  
٢٣- هذه التسمية تعرفها الكنيسة القبطية منذ القرن السادس تقريباً، كما يتضح لنا ذلك من القانون رقم (٩٧) من القوانين الكنسية المنسوبة للقديس باسيليوس.

الأحدر أن يتدرّجوا قليلاً قليلاً إلى قدام، ويرتفعوا رويداً رويداً إلى الأمور السّامية].

ويسبق ترديد قانون الإيمان نداء الشّمّاس باليونانية قائلاً:

Ἐν σοφίᾳ Θεοῦ πρόσχωμεν. Κύριε ἐλέησον, Κύριε ἐλέησον.

”بحكمة الله نصت، يارب ارحم، يارب ارحم“.

وهذا المرد عينه يوجد في الطّقس السّرياني في قدّاس القدّيس يعقوب أخي الرّب، وأيضاً في الطّقس البيزنطي في قدّاس القدّيس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧-٤٠٧م)، ولكن بدون كلمة ”الله“ في كليهما، أي أن المرد فيهما هو: ”بحكمة نصت، يارب ارحم، يارب ارحم“<sup>(٢٤)</sup>.

وهذا المرد السّابق ذكره يأتي عند ابن سباع هكذا: ”بحكمة الله استحيوا<sup>(٢٥)</sup>“. ثم يضيف قائلاً ما نصّه: ”فيقول الشعب الأمانة الصحيحة الارتدكسيه كلمة كلمة كلهم من فم واحد الى هاتيتها...“<sup>(٢٦)</sup>.

أمّا ابن كبر (+ ١٣٢٤م) فيورد مرد الشّمّاس بالعريّة واليونانية بحروف قبطيّة هكذا: ”بحكمة الله احيوا<sup>(٢٧)</sup> - Ἐν σοφίᾳ Θεοῦ πρόσχωμεν“. ثم يكمل ابن كبر قائلاً: ”ويقول الشعب الأمانة كاملة

24- Brightman, F.E., M.A., *op. cit.*, p. 42, 383. ; O.H.E. Burmester, *The Greek Kirugmata, Versicles and Responses, and Hymns in the Coptic Liturgy*, OCP, Vol. II, N. 3-4, Roma 1936, p. 374.

٢٥- وصحتها ”أحيوا“.

٢٦- يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، مرجع سابق، ص ٢١٥

٢٧- الكلمة اليونانية πρόσχωμεν (بروسخومين) والتي انتقلت بنصها إلى اللغة القبطيّة هي من الفعل προσέχω ”نصت“، وليس ”يجيب“. ولكن ابن كبر يكرّر نفس الأمر مرّة أخرى بنفس الكلمة في مرد الشّمّاس الذي يسبق التسبحة الشّاروبيمية.



الأ في قدّاسي خميس العهد وسبت الفرح على ما سيُذكر في مكانه“ (٢٨).

أما مخطوط الفاتيكان رقم (١٧)، فيقول ما نصّه: ”يقول الشعب الامانه الارتدكسيه“، دون أن يورد مرد الشمّاس. وقد سبق أن ذكرتُ غير مرّة أنه أقدم حولاجي قبطي عربي كامل معروف حتى اليوم.

أما مخطوط أكسفورد رقم (هنت ٣٦٠)، وهو أقدم قليلاً من مخطوط الفاتيكان رقم (١٧) السّابق ذكره فيقول ما نصّه: ”يقول الشمّاس بحكمة الله انصتوا يقول الشعب نومن باله واحد“.

ويؤكد البابا غيريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٧م) على أن الشّعب هو الذي يتلو الأمانة في عبارة مختصرة بقوله: ”وإذا تلووا الامانه يغسل الكاهن يديه ...“ (٢٩).

وهو نفس ما تذكره مخطوطات مكتبة دير أنبا مقار. مخطوطا (١٣٣)، (١٣٤): ”تم يقولوا الامانه على التحريز“. مخطوط (١٣٦): ”يقول الشعب الامانه“. مخطوط (١٤٧): ”يقول الشمّاس Πισφια تم يقول الشعب الامانه“.

أما حولاجي سنة ١٩٠٢م فقد أورد مرد الشمّاس بنطقه اليوناني السّابق ذكره مضيفاً في نهايته كلمة قبطيّة هي: δειν ουμεσθιν (حين أوميثمي) أي ”بالحقيقة“، وأورد التّرجمة العربيّة للمرد: ”انصتوا“ (٣٠) بحكمة الله، يارب ارحم، يارب ارحم، بالحقيقة“ (٣١). وبعده يضيف

٢٨- الجزء الثّاني من مخطوط رقم (٢٠٣ عربي) بالمكتبة الأهلبيّة بباريس. وهو ”كتاب مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة لأبي البركات المعروف بابن كبير“ مرجع سابق، الباب ١٧  
٢٩- البايبا غيريال الخامس، الترتيب الطقسي، مرجع سابق، ص ٧٦  
٣٠- بحسب النص اليوناني للمرد تكون الكلمة ”نصت“، وليس ”انصتوا“.  
٣١- كتاب الخولاجي المقدّس، طبعة سنة ١٩٠٢م، ص ٢٨٩؛ طبعة ٢٠٠٢م، ص ٢٠٥

قائلاً: "يقول الشعب الأمانة الأرثوذكسية" (٣٢).

ربما يتعجب القارئ العزيز من مثل هذا الاستطراد في بديهية نشأ عليها الأقباط في كنائسهم، وهي أن الشعب يردّد قانون الإيمان معاً وبفم واحد. ولكن ما دفعني لذلك هو ما ورد في كتاب "خدمة الشماس والألحان" في طبعاته المتعدّدة، وهو الكتاب الذي راجعه القمص عبد المسيح صليب المسعودي، وهو أيضاً كتاب واسع الانتشار إذ لا غنى عنه - إلى جانب الخولاجي المقدّس - لتكميل صلوات القدّاس الإلهي، حيث يورد الكتاب في طبعته الرّابعة ما يلي:

"يقول الشماس مخاطباً الشّعب: أنصتوا بحكمة الله، يارب ارحم، يارب ارحم، بالحقيقة". ويضيف بقوله: "ثم يقف أحد شمامسة الخدمة بباب الهيكل ويكون متّحهاً نحو الغرب، وعن يمينه ويساره شماسان يبد كل منهما شمعة، ويتلو قانون الإيمان الآتي بالقبطيّة والشّعب صامت حتى ينتهي إلى قوله: لمغفرة الخطايا. فيرتّل جميع الشّمامسة والشّعب الجزء الأخير (٣٣). ثم يتقدّم شماس آخر فيتلو القانون بالعربيّة، وعند نهايته يقول جميع الشّمامسة مرتّلين: آمين. أمّا الشّعب فيتلو القانون سرّاً مع الشماس المفسّر" (٣٤).

ولا يجب أن نعبر على ما سبق ذكره لتتو مروراً ساذجاً، لأن عدم تدوين الأقباط لتاريخهم الطّقسي قد دفعني لأن أتحمّس كل كلمة في أي

٣٢- أوردتُ شرحاً كافياً لقانون الإيمان، وذلك في كتاب "الأحبية أي صلوات السّواعي"، فارجع إليه إن رغبت. كما ورد الحديث عنه أيضاً في كتاب "معمودية الماء والروح".

٣٣- أي يجري ترتيل الجزء الأخير بالقبطيّة وهو: "ونتظر قيامة الأموات، وحياة الدّهر الآتي آمين".

٣٤- كتاب خدمة الشماس والألحان، ملتزم طبعه ونشره جمعيّة مهضة الكنائس القبطيّة الأرثوذكسيّة المركزيّة بالقاهرة، الطّبعة الرابعة، ١٩٨١م - ١٩٧٧ش، ص ٧٢

كتاب أو مخطوط، وكل إشارة طقسية ولو عابرة، حتى ولو كانت في ورقة مهملة أو كتاب مغمور. وكم انفتحت أبواب على مصراعها من وراء كلمة في هامش، أو تنبيه طقسى عابر.

إن ما يذكره كتاب خدمة الشمّاس والألحان يتلخّص فيما يلي:  
- أنه أوّل من أشار إلى طقس ترديد قانون الإيمان بالقبطية ثم ترجمته إلى العربية.

- أن الشّعب لا يشترك في ترديد قانون الإيمان، بل يكون ترديده للشمّاس الواقف عند باب الهيكل متّجهاً للشّعب سواء بالقبطية أو بالعربية. أمّا الشّعب فيشارك في العبارة الأخيرة منه فقط.

وبمقارنة ما سبق ذكره مع نص مرد الشمّاس الذي يسبقه مباشرة والذي ترد فيه كلمة "نصت"، أو "أنصتوا" - كما وردت في المخطوطات - يتّضح أن المرد يعني فعلاً إصغاء الشّعب وإنصاته، وليس اشتراكه. وما يزيد الأمر وضوحاً هو أنه في الطّقس البيزنطي والذي هو نفس مرد الشمّاس كما في القبطية يكون فيه ترديد قانون الإيمان للكاهن المترس الصلاة وليس الشّعب.

ففي قدّاس القديس يوحنا ذهبي الفم في الطّقس البيزنطي نقرأ ما يلي: "يصرخ الشمّاس قائلاً: الأبواب الأبواب. بحكمة لنصغ. والمتقدّم يقول: أو من ياله واحد..."<sup>(٣٥)</sup>.

إن صعوبة الأمر تنبع من أنه ليس لدينا مخطوط حولاجي يشير إلى طقس ترديد قانون الإيمان قبل القرن الثالث عشر، وهي الفترة التي ظهرت فيها أوّل مخطوطات حولاجيات قبطي عربي بنهرين.

لقد كان لزاماً على من دوّن ما سبق ذكره في كتاب خدمة الشَّمَّاس والألحان أن يورد المصدر الذي نقل عنه، ولو في إشارة بسيطة، ولكن هذا لم يحدث.

وفي كل ما سبق ذكره لم ترد إشارة طقسية واحدة عن أن الشَّمَّاس يمسك صليباً ويرفعه أثناء النداء الذي يسبق ترديد قانون الإيمان. أمّا كتاب حكمة الآباء المصريين للقس سمعان بن كليل في القرن الثاني عشر فيقول: "يمسك الشَّمَّاس الصليب المكرّم ويرفعه منادياً الشعب: أنصتوا بحكمة الله يارب ارحم، يارب ارحم. ويظل واقفاً مكانه حتى ينتهي الشعب من تلاوة قانون الإيمان. فقلوه يارب ارحم هو تضرّع كي يمنع الربّ برحمته عدم استقامة القلب التي تجعل الذين يقولون الأمانة إنما يقولونها من أفواههم فقط لا من قلوبهم، وهو لذلك يرفع الصليب حتى لا يتشبه أحد باليهود الذين قال عنهم إشعياء: «هذا الشعب يكرمني بشفتيه، أمّا قلبه فبعيد عني». وقال إشعياء هذا لأن شعب العتيقة كان ماهراً في التلاوة ولم يتمهّر في التقوى. فهو يرفع الصليب مثال الحياة النحاسية التي رفعها موسى وكل من كان ينظر إليها كان ينال الشفاء. لنال الشفاء بتلاوة صحيحة للأمانة، وبعلامة الحكمة والحياة التي لربنا يسوع المسيح أي الصليب المكرّم. واعلم أنك ماهر وحكيم بنعمة الروح القدس وأنت على كل الأحوال لا تدرك قوّة كلمات الأمانة إدراكاً صحيحاً إن لم تسكن حكمة الصليب في ضميرك وتصير كائنة أمام عينيك كل حين... لذلك احفظ كلمات الأمانة وردّها كلّما تصاعدت أمواج الحكمة الزائفة، وامسك بعلامة رجاء الحياة، أي صليب ربنا يسوع المسيح" (٣٦).

## ثانياً: غسل الكاهن ليديه

تمهيد

الغسل بالماء في الكتاب المقدس هو إما لظَهارة الشَّخصية أو للتَّطهير الطَّقسي. والإشارات التي ترد عن الغسل العادي في الكتاب المقدس في عهديه القديم والجديد تشير تحديداً إلى غسل القدمين<sup>(٣٧)</sup>، وغسل اليدين<sup>(٣٨)</sup>، وغسل الوجه<sup>(٣٩)</sup>.

وكان على الكهنة واللاويين في العهد القديم واجب الاغتسال بالماء للتطهير الطَّقسي، قبل القيام بأعمالهم المنوطة بهم لثلاث بمرات<sup>(٤٠)</sup>. فلم يكن الكاهن في العهد القديم يلبس حذاء في قدميه في أثناء نوبة خدمته. فعندما كان كهنة بني إسرائيل يصعدون للخدمة أمام تابوت العهد سواء في خيمة الاجتماع أو في الهيكل أو في المجمع - فيما بعد - لمباركة الشعب، كانوا يصعدون حفاة الأقدام. ولم يكن مسموحاً لأحد أن يسير على أرض الهيكل وحذاؤه في رجليه، أو بقدمين متسختين. لذلك كانت ضرورة وجود "المرحضة" لغسل القدمين<sup>(٤١)</sup>.

ويقول ابن سبأع (القرن الثالث عشر): "... فكما أن الكنيسة نظير قبة الزمان ... يجب أن يكون في الكنيسة حوض من نحاس فيه ماء

٣٧- تكوين ٤: ١٨، ٢: ١٩، ٣٢: ٢٤، ٢٤: ٤٣، يوحنا ٣: ١٣ - ١٩

٣٨- خروج ٢١: ٣٠، ١٩: ٣٠، متى ٢: ١٥

٣٩- تكوين ٤٣: ٣١، متى ٦: ١٧

٤٠- خروج ٣٠: ٢٠

٤١- اليهود الآن لا يسرون حفاة في أثناء خدمتهم بل يلبسون نوعاً من الجوارب. وما زال الكثيرون من اليهود في الوقت الحاضر يخلعون أحذيتهم ويمشون حفاة الأقدام في يوم الكفارة، وفي التاسع من شهر آب. (دائرة المعارف الكتابية، الجزء الثالث، ص ١١٥).

لغسل أرجل كل من يطلع إلى هيكل الله... (٤٢)“.

### غسل اليدين في الطُقوس المختلفة

إن الطُقوس القبطية والسريانية والأرمينية تعرف غسل الأيدي بعد قانون الإيمان وقبل القُبلة المقدّسة. أمّا الطُقوس البيزنطي فطقس غسل اليدين فيه يكون عند التّقدمة فقط. وعلى ذلك ينفرد الطُقوس القبطي بين كافة الطُقوس بغسل الكاهن ليديه مرّتين، الأولى عند تقديم الحَمَل، والثانية بعد قانون الإيمان في القدّاس الإلهي.

والطقس القديم لكنيسة أورشليم يقول بأن الدّياكون هو الذي يحمل الإبريق لغسل أيدي الكهنة، كما يذكر ذلك القدّيس كيرلس الأورشليمي (٣١٥-٣٨٦م).

### غسل الكاهن ليديه في الطُقوس القبطي

يقول الكتاب الثامن من المراسيم الرسوليّة في ذلك: ”لِيحضر أحد الإيودياكونين ماءً لغسل أيدي الإكليروس، رمزاً لطهارة النّفوس المكرّسة لله“ (١٢:١١:٨). وهو نفسه نص القانون (١٣:٥٢:١) من قوانين الرُّسُل القبطية: ”ليأت إيودياكون بماء للكهنة ليغسلوا أيديهم مثلاً لطهارة أنفسهم المكرّسة لله“.

أمّا البابا أثناسيوس الرّسولي (٣٢٨-٣٧٣م) فيقول:

[علينا أن نستعد لكي نقرب من الحَمَل السّمائي، وأن

٤٢- يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، كتاب الجوهرة النقيسة في علوم الكنيسة، حققه ونقله إلى اللاتينية الأب فيكتور منصور مستريح الفرنسي، مؤلفات المركز الفرنسيكاني للدراسات الشرقية المسيحية، القاهرة، ١٩٦٦، ص ١٧٧

نلمس الطعام السَّمائي، لذلك فلنغسل أيدينا ونظهر الجسم ونحفظ العقل من أي شر.

ولدينا من القرن الثاني عشر الميلادي شهادة مبدعة لمعنى غسل الكاهن ليديه قبل بدء القدّاس الإلهي للقس سمعان بن كليل، يقول فيها: "يغسل الكاهن يديه ليس لأنه يتشبه بالوالي الروماني الذي صلب ربنا، وإنما لأن الوالي بيلاطس هو الذي أراد أن يتشبهه بالأتقياء فغسل يديه، معلناً براءته وهو منافق. ويردّد الكاهن قول المزمور: «تنضح على بزوفاك فأطهر، تغسلني فأبيض أكثر من الثلج...»، وهو يطلب نقاوة نفسه ليس لأن الماء يعطي النقاوة فهو عديم الحياة، وإنما الاغتسال بحرك النفس لكي تطلب النقاوة من الروح القدس الكائن في النفس والجسد منذ المعمودية»<sup>(٤٣)</sup>.

واضح هنا أنه حتى القرن الثاني عشر الميلادي ظلّ مفهوم غسل اليدين مفهوماً ذا شقين، شق عملي؛ وهو الاستعداد لحمل الجسد المقدّس على اليدين لتقدّيسه، كالعادة السائدة في كل الشّرق أن يغسل اليدين بسبق أي صلاة<sup>(٤٤)</sup>، وشق روحي؛ يحرك قلب الكاهن ليطلب من الرّب نقاوة قلبه ونفسه وجسده بنار الروح القدس الساكن فيه منذ المعمودية، كما أن الماء الذي يغتسل به الآن ينقي يديه.

ولقد ساد في مصادر القرن الثالث عشر والرابع عشر المفهوم العملي لغسل اليدين أنه استعداد الكاهن لحمل الجسد المقدّس على يديه للتقدّيس عليه.

٤٣ - معاني رشم الصليب، مرجع سابق، ص ٧٤

٤٤ - قد شرحنا هذه النقطة في حديثنا عن طقس تقديم الحمل.

لغسل أرجل كل من يطلع إلى هيكل الله... (٤٢)“.

### غسل اليدين في الطُقوس المختلفة

إن الطُقوس القبطية والسريانية والأرمينية تعرف غسل الأيدي بعد قانون الإيمان وقبل القبلية المقدسة. أمّا الطُقوس البيزنطية فقطس غسل اليدين فيه يكون عند التقدمة فقط. وعلى ذلك ينفرد الطُقوس القبطية بين كافة الطُقوس بغسل الكاهن ليديه مرتين، الأولى عند تقديم الحمل، والثانية بعد قانون الإيمان في القداس الإلهي.

والطُقوس القدامى لكنيسة اورشليم يقول بأن الدِّياكون هو الذي يحمل الإبريق لغسل أيدي الكهنة، كما يذكر ذلك القديس كيرلس الأورشليمي (٣١٥-٣٨٦م).

### غسل الكاهن ليديه في الطُقوس القبطية

يقول الكتاب الثامن من المراسيم الرسولية في ذلك: ”لِيُحْضَرُ أَحَدُ الْيَهُودِيَّا كُونِينَ مَاءً لِيُغْسَلَ أَيْدِي الْإِكْلِيروس، رمزاً لطهارة النفوس المكرسة لله“ (١٢:١١:٨). وهو نفسه نص القانون (١٣:٥٢:١) من قوانين الرُّسل القبطية: ”لِيَأْتِ يَهُودِيَّا كُونِينَ بِمَاءٍ لِلْكَهْنَةِ لِيُغْسَلُوا أَيْدِيهِمْ مِثَالاً لَطَهَارَةِ أَنْفُسِهِمُ الْمَكْرَسَةِ لِلَّهِ“.

أمّا البابا أثناسيوس الرسولي (٣٢٨-٣٧٣م) فيقول:

[علينا أن نستعد لكي نقترّب من الحمل السَّمائي، وأن

٤٢- يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، كتاب الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة، حققه ونقله إلى اللاتينية الأب فيكتور منصور مستريح الفرنسي، مؤلفات المركز الفرنسي سكاني للدراسات الشرقية المسيحية، القاهرة، ١٩٦٦، ص ١٧٧



نلمس الطَّعام السَّمائي، لذلك فلنغسل أيدينا ونظهرَّ الجسم ونحفظ العقل من أي شر.

ولدينا من القرن الثاني عشر الميلادي شهادة مبدعة لمعنى غسل الكاهن ليدية قبل بدء القدَّاس الإلهي للقس سمعان بن كليل، يقول فيها: "يغسل الكاهن يديه ليس لأنه يتشبه بالوالي الروماني الذي صلب ربَّنَا، وإنما لأن الوالي بيلاطس هو الذي أراد أن يتشبه بالأتقياء فغسل يديه، معلناً براءته وهو منافق. ويردّد الكاهن قول المزمور: «تنضح على بزوفاك فأطهر، تغسلني فأبيض أكثر من الثلج...»، وهو يطلب نقاوة نفسه ليس لأن الماء يعطي النقاوة فهو عدم الحياة، وإنما الاغتسال يحرِّك النَّفس لكي تطلب النقاوة من الرُّوح القدُّس الكائن في النَّفس والجسد منذ المعمودية»<sup>(٤٣)</sup>.

واضح هنا أنه حتى القرن الثاني عشر الميلادي ظلَّ مفهوم غسل اليدين مفهوماً ذا شقين، شق عملي؛ وهو الاستعداد لحمل الجسد المقدَّس على اليدين لتقديسه، كالعادة السائدة في كل الشُّرق أن غسل اليدين يسبق أي صلاة<sup>(٤٤)</sup>، وشق روحي؛ يحرِّك قلب الكاهن ليطلب من الرَّب نقاوة قلبه ونفسه وجسده بنار الرُّوح القدُّس الساكن فيه منذ المعمودية، كما أن الماء الذي يغتسل به الآن ينقي يديه.

ولقد ساد في مصادر القرن الثالث عشر والرابع عشر المفهوم العملي لغسل اليدين أنه استعداد الكاهن لحمل الجسد المقدَّس على يديه للتقدیس عليه.

٤٣ - معاني رشم الصَّليب، مرجع سابق، ص ٧٤

٤٤ - قد شرحنا هذه النقطة في حديثنا عن طقس تقديم الحَمَل.

لغسل أرجل كل من يطلع إلى هيكل الله... (٤٢)“.

### غسل اليدين في الطُقوس المختلفة

إن الطُقوس القبطية والسريانية والأرمينية تعرف غسل الأيدي بعد قانون الإيمان وقبل القبلية المقدسة. أما الطُقس البيزنطي فطقس غسل اليدين فيه يكون عند التقدمة فقط. وعلى ذلك ينفرد الطُقس القبطي بين كافة الطُقوس بغسل الكاهن ليديه مرتين، الأولى عند تقديم الحَمَل، والثانية بعد قانون الإيمان في القداس الإلهي.

والطقس القديم لكنيسة أورشليم يقول بأن الدياكون هو الذي يحمل الإبريق لغسل أيدي الكهنة، كما يذكر ذلك القُدس كيرلس الأورشليمي (٣١٥-٣٨٦م).

### غسل الكاهن ليديه في الطُقس القبطي

يقول الكتاب الثامن من المراسيم الرسولية في ذلك: ” لِيُحضر أحد الإيبودياكونين ماءً لغسل أيدي الإكليروس، رمزاً لطهارة النفوس المكرسة لله“ (١٢:١١:٨). وهو نفسه نص القانون (١٣:٥٢:١) من قوانين الرُّسُل القبطية: ”ليأت إيبودياكون بماء للكهنة ليغسلوا أيديهم مثلاً لطهارة أنفسهم المكرسة لله“.

أما البابا أثناسيوس الرسولي (٣٢٨-٣٧٣م) فيقول:

[علينا أن نستعد لكي نقرب من الحَمَل السَّمائي، وأن

٤٢- يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، كتاب الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة، حققه ونقله إلى اللاتينية الأب فيكتور منصور مستريح الفرنسي، مؤلفات المركز الفرنسيكابي للدراسات الشرقية المسيحية، القاهرة، ١٩٦٦، ص ١٧٧

نلمس الطَّعام السَّمائي، لذلك فلنغسل أيدينا ونظَّهر الجسم ونحفظ العقل من أي شر.

ولدينا من القرن الثاني عشر الميلادي شهادة مبدعة لمعنى غسل الكاهن ليديه قبل بدء القدَّاس الإلهي للقس سمعان بن كليل، يقول فيها: "يغسل الكاهن يديه ليس لأنه يتشبه بالوالي الروماني الذي صلب ربنا، وإنما لأن الوالي بيلاطس هو الذي أراد أن يتشبه بالأتقياء فغسل يديه، معلناً براءته وهو منافق. ويردّد الكاهن قول المزمور: «تنضح على بزوفاك فأظهر، تغسلني فأبيض أكثر من الثلج...»، وهو يطلب نقاوة نفسه ليس لأن الماء يعطي النقاوة فهو عديم الحياة، وإنما الاغتسال بحرك النَّفس لكي تطلب النقاوة من الرُّوح القدُّس الكائن في النَّفس والجسد منذ المعموديَّة»<sup>(٤٣)</sup>.

واضح هنا أنه حتى القرن الثاني عشر الميلادي ظلَّ مفهوم غسل اليدين مفهوماً ذا شقين، شق عملي؛ وهو الاستعداد لحمل الجسد المقدَّس على اليدين لتقدِّسه، كالعادة السائدة في كل الشُّرق أن غسل اليدين يسبق أي صلاة<sup>(٤٤)</sup>؛ وشق روحي؛ يحرك قلب الكاهن ليطلب من الرَّب نقاوة قلبه ونفسه وجسده بنار الرُّوح القدُّس الساكن فيه منذ المعموديَّة، كما أن الماء الذي يغتسل به الآن ينقي يديه.

ولقد ساد في مصادر القرن الثالث عشر والرابع عشر المفهوم العملي لغسل اليدين أنه استعداد الكاهن لحمل الجسد المقدَّس على يديه للتقدِّس عليه.

٤٣ - معاني رشم الصليب، مرجع سابق، ص ٧٤

٤٤ - قد شرحنا هذه النقطة في حديثنا عن طقس تقديم الحمل.

ف عند ابن سباع يغسل الكاهن يديه لتهيأ للتقدّيس على القربان<sup>(٤٥)</sup>.  
وعند ابن كبير ”ويقدّم للقس ماءً ليغسل يديه. ومن تلك السّاعة لا يمَس شيئاً إلاّ أواني المذبح المكرّزة فقط“<sup>(٤٦)</sup>.

ويذكر ديوناسيوس قاضي أئينا أنه إذا همّ رئيس الكهنة بغسل يديه، يقف القسوس بالترتيب ويغسلون أيديهم واحداً واحداً حسب الرتبة. وهذا يتّضح أن الغرض من غسل اليدين هو غرض عملي، وليس استعفاء من مسؤوليّة ما.

ولكن ظهر في العصور الوُسطى تفسير نحى بمفهوم غسل اليدين منحني بعيداً مغايراً لما شرحته الوثائق القديمة، إذ أصبح يعني تبرئة الكاهن لذمته من أي واحد يتقدّم للتناول بدون استحقاق! وفي ذلك يقول البابا غبريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٧م): ”وإذا رثّلوا الأمانة يغسل الكاهن يديه في جانب المذبح البحري ثلاث دفعوع، ويلتفت إلى الغرب، وينفض يديه أمام الشّعب جميعه، أي أنه ينذرهم بالاحتراز على أنفسهم قبل التناول، أي أنه ما في ذمته شيء من قبل الذي يستجرئ ويتناول جسد المسيح ودمه وهو غير استحقاق فينالّه ما نال يهوذا الإسخريوطي لما تناول جسد المسيح ودمه وهو ليس بأهل له فوثب عليه الشيطان وسكن فيه، حتى جعله باع معلمه وأسلمه لليهود الملاحين الذين صلبوه. فكفانا الله من التّحارب. ثم ينشفهما في ستر نظيف“<sup>(٤٧)</sup>.

٤٥- يوحنا بنّي أبي زكريا بن سباع، مرجع سابق، ص ٢١٧

٤٦- الجزء الثاني من مخطوط رقم (٢٠٣ عربي) بالمكتبة الأهلبيّة بباريس. وهو ”كتاب مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة لأبي البركات المعروف بابن كبير“ مرجع سابق، الباب ١٧ ولم يشر مخطوط الفاتيكان رقم (١٧)، ولا مخطوط أكسفورد رقم (هنت ٣٦٠) إلى غسل الكاهن ليديه بعد قانون الإيمان.

٤٧- البابا غبريال الخامس، الترتيب الطقسي، مرجع سابق، ص ٧٦

وهو نص شبيه بما يذكره القمص عبد المسيح المسعودي في خولاجي سنة ١٩٠٢م نقلاً عن البابا المذكور، فيقول: "وفي أثناء قراءة الأمانة يغسل الكاهن يديه ... على أنفسهم قبل تناول<sup>(٤٨)</sup>. ويتبرأ من ذنب من يستجري على تناول بدون استحقاق من غير علمه. ثم ينشف يديه في ستر نظيف"<sup>(٤٩)</sup>.

وهذا المفهوم الأخير قد ساد عند الكثيرين بعد أن وجد طريقه إلى

ويذكر مخطوط رقم (١٣٤ طقس) بمكتبة دير القديس أنبا مقار (من القرن الثامن عشر) وهو من ترتيب الأبا ميخائيل أسقف سمندو ما يلي: "... ويغسل الكاهن يديه ثلاثة دفع، وقبل تشيغهم يلتفت إلى الشعب وينفض يديه في الماء قدامهم، ويتبرأ من ذنوبهم، ثم ينشف يديه جيداً ...". وهو نفس ما يشرحه أيضاً كتاب "سرّ الثالث في خدمة الكهنوت" لأحد معلّمي البيعة في القرون الوسطى، حين ربط بين غسل بيلاطس ليديه ليتبرأ من دم المسيح، وبين غسل الكاهن ليديه ليتبرأ من ذنب شعبه!! وهو شرح تطرّف بمضمون هذه الممارسة الطقسية فأفرغها من معناها الروحي والليتورجي، حيث يقول الكتاب المذكور ما نصّه: "أما غسله (أي الكاهن) يديه فقد ذكرناه أولاً وهو يدل على أنه يقول: إني قد برأت من ذنوبكم. إن سمعتم وأطعتم وحفظتم ما قرئ عليكم فأنتم بريون وأنا. ومن لم يسمع ولم يطع فإن ذنبه على رأسه. فإن بيلاطس فعل هذا عندما جابوا السيد المخلص إليه، فإنه أخذ ماء وغسل يديه وتبرأ وقال: أنا بري من دم هذا الصديق، إني لم أجد عليه علة واحدة توجب الموت". وما أبعد الفرق بين ما قاله بيلاطس أثناء غسل يديه، وبين ما يقوله الكاهن عند غسل يديه، لأن الكاهن يغسل يديه في أثناء ذلك صلاة تختص به هو شخصياً ولا علاقة لها بتصله من ذنب آخرين، فيقول: "تنضح عليّ بزوفاك فأطهر، تغسلني فأبيض أكثر من الثلج. تسمعي سرورا وفرحاً فتبتهج عظامي المتواضعة. أغسل يدي بالنقاوة وأطوف بمدحك يارب لكما أسمع صوت تسيحتك. هليلويا".

انظر: كتاب سرّ الثالث في خدمة الكهنوت، لمعلّمي البيعة، لناشره جرجس فيلوثاؤس

غورس، مرجع سابق، ص ٢٠، ٢١

٤٨ - حتى هذه الجملة ينقل القمص عبد المسيح المسعودي بالنص ما يذكره البابا غريغال الخامس.

٤٩ - كتاب الخولاجي المقدس، طبعة سنة ١٩٠٢م، ص ٢٩٦

الطِّبَاعَة فِي كِتَابٍ وَاسِعِ الْإِنْتِشَارِ وَهُوَ الْخَوْلَاجِي الْمَقْدَّسُ، أَمَّا مَا سَبَقَهُ مِنْ آرَاءٍ أَوْ مَفَاهِيمٍ تُشْرَحُ هَذِهِ الْجِزْيَةَ عَيْنَهَا فَقَدْ طَوَّأَهَا النَّسِيَانُ. وَلَكِنْ يَبْقَى لَنَا أَنْ مَنْطُوقِ الصَّلَوَاتِ الَّتِي يَقُولُهَا الْكَاهِنُ أَتْنَاءَ غَسْلِ يَدَيْهِ لَا عِلَاقَةَ لَهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ بِهَذَا الْمَفْهُومِ الَّذِي ظَهَرَ فِي الْعَصُورِ الْوُسْطَى.

وَرَبَّمَا كَانَتْ الْأَصُولُ الْأُولَى لِهَذَا الْمَفْهُومِ الَّذِي ظَهَرَ فِي الْكَنِيسَةِ الْقِبْطِيَّةِ فِي الْعَصُورِ الْوُسْطَى هُوَ مَا ذَكَرَهُ سَفَرُ التَّشْنِيَةِ (١: ٢١-٩) عَنْ ذَلِكَ الْأَمْرِ، حَيْثُ يَذْكَرُ أَنَّهُ إِذَا وُجِدَ إِنْسَانٌ قَتِيلٌ لَا يُعْلَمُ مِنَ الَّذِي قَتَلَهُ، فَكَانَ شِيُوخُ الْمَدِينَةِ وَقَضَاتُهَا يَأْخُذُونَ عَجَلَةً مِنَ الْبَقَرِ وَيَنْحَدِرُونَ بِهَا إِلَى وَادٍ دَائِمِ السَّيْلَانِ (أَيِ وَادٍ فِيهِ مَاءٌ دَائِمُ الْجَرِيَانِ) وَيَكْسِرُونَ عُنُقَ الْعَجَلَةِ فِي الْوَادِي، وَيَتَقَدَّمُ الْكَهَنَةُ بَنُو لَآوِي، وَيَغْسِلُ جَمِيعَ شِيُوخِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ الْقَرِيِّينَ مِنَ الْقَتِيلِ أَيْدِيَهُمْ عَلَى الْعَجَلَةِ الْمَكْسُورَةِ الْعُنُقِ فِي الْوَادِي وَيَصْرُخُونَ وَيَقُولُونَ: «أَيْدِينَا لَمْ تَسْفِكْ هَذَا الدَّمَّ وَأَعَيْنَا لَمْ تَبْصُرْ. اغْفِرْ لَشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ الَّذِي قَدِيتَ يَارَبُّ، وَلَا تَجْعَلْ دَمَ بَرِيٍّ فِي وَسْطِ شَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ». فَيَغْفِرُ لَهُمُ الدَّمَّ.

وَهُنَا يَتَّبَعُ أَمَامَنَا أَنْ غَسَلَ الْيَدَيْنِ بِالْمَاءِ كَانَ مِنْ أَجْلِ إِعْلَانِ الْاسْتِعْفَاءِ مِنْ مَسْئُولِيَّةِ سَفْكِ دَمِ بَرِيٍّ. وَلَكِنْ هَذَا الْإِعْلَانُ مَصْحُوبٌ بِنَصِّ يُقَالُ أَتْنَاءَ هَذِهِ الْمَارَسَةِ يُوكَّدُ مَعْنَاهَا أَوْ رَمَزُهَا وَهُوَ: "أَيْدِينَا لَمْ تَسْفِكْ هَذَا الدَّمَّ وَأَعَيْنَا لَمْ تَبْصُرْ".

فَغَسَلَ الْيَدَيْنِ لِلتَّبَرُّتِ مِنْ ذَنْبٍ كَانَتْ عَادَةً يَهُودِيَّةً، كَمَا كَانَتْ عَادَةً يُونَانِيَّةً وَرُومَانِيَّةً أَيْضاً. إِلَّا أَنَّ غَسَلَ الْيَدَيْنِ فِي التَّقْلِيدِ الْيَهُودِيِّ كَأَحَدِ أَنْوَاعِ الْغَسَلَاتِ الطَّقْسِيَّةِ الْيَهُودِيَّةِ لَمْ يَكُنْ يَعْنِي فَقْطَ اسْتِعْفَاءً مِنْ مَسْئُولِيَّةٍ، بَلْ هُوَ أَحَدُ مَعَانِي غَسْلِ الْيَدَيْنِ وَلَيْسَ كُلِّهَا. فَكِتَابُ التَّلْمُودِ يُحْوِي فِصُولًا عَنِ التَّطْهِيرَاتِ، أَيِ الْغَسْلِ وَالِاسْتِحْمَامِ، وَمِنْ بَيْنِهَا فَصَلٌ

عن غسل الأيدي "يدام"، وهو أربعة أبواب. كما أنه في قول صموئيل النبي لشيوخ بيت لحم: «تقدّسوا وتعالوا معي إلى الذبيحة» (اصموئيل ١٦: ٥) يعني بكلمة "تقدّسوا" أي غسلات طقسية تسبق تقديم الذبيحة ولا تعني استعفاء من مسؤوليّة ما.

فلما انتقلت عادة غسل الأيدي إلى الكنيسة المسيحية، ولاسيما في اللّيتورجية المسيحية لم تنتقل بالمفهوم اليهودي أو الوثني كنوع من الاستعفاء من المسؤوليّة. لأن الكاهن في كنيسة العهد الجديد يحمل على عاتقه خطيئة شعب الكنيسة التي يخدمها مع خطيئته، ويتقدّم إلى المذبح السّمائي لينال لنفسه وللشعب ثبيرة بدم المسيح الذي يطهر من كل خطيئة.

فالكاهن يطلب عن نفسه وعن الشعب ويقول: "نسأل ونطلب من صلاحك يا محب البشر، لكي إذ طهرتنا كلنا تولّفنا بك من جهة تناولنا من أسرارك الإلهية، لكي نكون مملوئين من روح القدس". والكاهن لا يعتفي من خطيئة الشعب، بل يطلب عن نفسه ألا تكون خطيئته مانعة لفعل الروح القدس في الشعب الذي يخدمه. فيقول: "من أجل خطاياي خاصة ونجاسات قلبي لا تمنع شعبك نعمة روح القدس، فليكن يا سيّد عبيدك آبائي وإخوتي وضعفي محاللين من فمي بروحك القدس". وهنا الكاهن يستجلب رضى الرّب للصفح عن خطيئة شعب الله، ولا يرى نفسه من ذنب هذا الشعب.

وأما من يتقدّم للتناول من الأسرار المقدّسة بغير استحقاق أي بغير توبة فهو يحمل ذنب نفسه كقول بولس الرسول<sup>(٥٠)</sup> «ليمتحن الإنسان نفسه»، وقوله أيضاً: «لأن الذي يأكل ويشرب بدون استحقاق، يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميّز جسد الرّب». فالدينونة هنا على نفس من يتقدّم

الطباعة في كتاب واسع الانتشار وهو الخولاجي المقدّس، أمّا ما سبقه من آراء أو مفاهيم تشرح هذه الجزئية عينها فقد طواها النسيان. ولكن يبقى لنا أن منطوق النصلوات التي يقولها الكاهن أثناء غسل يديه لا علاقة لها على الإطلاق بهذا المفهوم الذي ظهر في العصور الوسطى.

وربما كانت الأصول الأولى لهذا المفهوم الذي ظهر في الكنيسة القبطية في العصور الوسطى هو ما ذكره سفر التثنية (١٠:٢١-٩) عن ذلك الأمر، حيث يذكر أنه إذا وجد إنسان قتيل لا يُعلم من الذي قتله، فكان شيوخ المدينة وقضاها يأخذون عجلة من البقر وينحدرون بها إلى وادٍ دائم السيّلان (أي وادٍ فيه ماء دائم الجريان) ويكسرون عنق العجلة في الوادي، ويتقدّم الكهنة بنو لاوي، ويغسل جميع شيوخ تلك المدينة القريين من القتل أيديهم على العجلة المكسورة العنق في الوادي ويصرخون ويقولون: «أيدينا لم تسفك هذا الدّم وأعيننا لم تبصر. اغفر لشعبك إسرائيل الذي فديت يارب، ولا تجعل دم بريء في وسط شعبك إسرائيل». فيغفر لهم الدّم.

وهنا يتّضح أماننا أن غسل اليدين بالماء كان من أجل إعلان الاستعفاء من مسؤوليّة سفك دم بريء. ولكن هذا الإعلان مصحوب بنص يقال أثناء هذه الممارسة يؤكد معناها أو رمزها وهو: "أيدينا لم تسفك هذا الدّم وأعيننا لم تبصر".

فغسل اليدين للتّبرئة من ذنب كانت عادة يهوديّة، كما كانت عادة يونانيّة ورومانيّة أيضاً. إلّا أن غسل اليدين في التّقليد اليهودي كأحد أنواع الغسلات الطّقسيّة اليهوديّة لم يكن يعني فقط استعفاء من مسؤوليّة، بل هو أحد معاني غسل اليدين وليس كلّها. فكتاب التّلمود يتّوحي فصولاً عن التّطهيرات، أي الغسل والاستحمام، ومن بينها فصل



عن غسل الأيدي "يدايهم"، وهو أربعة أبواب. كما أنه في قول صموئيل النبي لشيوخ بيت لحم: «تقدّسوا وتعالوا معي إلى الذبيحة» (١ صموئيل ١٦: ٥) يعني بكلمة "تقدّسوا" أي غسلات طقسية تسبق تقديم الذبيحة ولا تعني استعفاء من مسؤوليّة ما.

فلما انتقلت عادة غسل الأيدي إلى الكنيسة المسيحية، ولاسيما في اللّيتورجية المسيحية لم تنتقل بالمفهوم اليهودي أو الوثني كنوع من الاستعفاء من المسؤوليّة. لأن الكاهن في كنيسة العهد الجديد يحمل على عاتقه خطيئة شعب الكنيسة التي يخدمها مع خطيئته، ويتقدّم إلى المذبح السّمائي لينال لنفسه وللشعب ثمرّة بدم المسيح الذي يطهر من كل خطيئة.

فالكاهن يطلب عن نفسه وعن الشعب ويقول: "نسأل ونطلب من صلاحك يا محب البشر، لكي إذ طهرّتنا كلنا تولّفنا بك من جهة تناولنا من أسرارك الإلهية، لكي نكون مملوئين من روحك القدوس". والكاهن لا يعتفي من خطيئة الشعب، بل يطلب عن نفسه ألا تكون خطيئته مانعة لفعل الروح القدس في الشعب الذي يخدمه. فيقول: "من أجل خطاياي خاصة ونجاسات قلبي لا تمنع شعبك نعمة روحك القدوس، فليكن يا سيّد عبيدك آبائي وإخوتي وضعفي محاللين من فمي بروحك القدوس". وهنا الكاهن يستحلب رضى الرّب للصّفح عن خطيئة شعب الله، ولا يرى نفسه من ذنب هذا الشعب.

وأما من يتقدّم للتناول من الأسرار المقدّسة بغير استحقاق أي بغير توبة فهو يحمل ذنب نفسه كقول بولس الرسول<sup>(٥٠)</sup> «ليمتحن الإنسان نفسه»، وقوله أيضاً: «لأن الذي يأكل ويشرب بدون استحقاق، يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير ممّيز جسد الرّب». فالدينونة هنا على نفس من يتقدّم

للتناول بدون استحقاق لا على الكاهن الذي يناوله الأسرار المقدسة.

ولا نستطيع أن نضع قانوناً عاماً على الجميع يكون بموجبه استحقاق التناول من عدمه، فالقانون العام الوحيد في ذلك هو قانون التوبة، لأن لكل نفس ظروفها الخاصة، ولكل حالة احتياجها الخاص. وإن غاب العمل الفردي للكاهن مع الشعب، أو تعطل سر التوبة والاعتراف لينال كل واحد وواحدة من الرجال والنساء والكبار والصغار نصيبه منه، لا يصلح أن يكون التنبه العام بديلاً عن ذلك. ولا ينفع أن يغتسل الكاهن بماء البحار والأنهار ليتبرأ من خطيئة الشعب الذي يرعاه، ويستعفى من حمل مسؤوليته خلاصهم.

لقد ظلت الكنيسة القبطية حتى أواخر القرن التاسع عشر تجتهد في طقس غسل الأيدي طقساً عملياً، وتعليمياً، لا طقس استعفاء من مسؤولية. فالنورخ ألفريد بتلر A. Butler الذي زار كنائس مصر القديمة في أواخر القرن التاسع عشر، ينقل إلينا ما شاهده عن هذه الممارسة برؤيا العين، فيقول: "يردد الجميع في صوت واحد قانون الإيمان، بينما يغسل الكاهن يديه ثلاث مرات، ثم يجففهما في مواجهة الجمهور<sup>(٥١)</sup>". وغسل الكاهن ليديه ويحفيفه لهما أمام الشعب يعني أن الشماس كان حتى ذلك الوقت يحضر الماء إلى الكاهن عند جانب المذبح البحري ليغسل يديه، بحسب الطقس القديم، ولم ترد هنا أي إشارة عن قول البابا غبريال الخامس: "... وينفض يديه أمام الشعب جميعه".

### الفصل الثالث

صلاة الصُّلح (ما قبل الأنافورا)

والقُبلة المقدَّسة

## أولاً: صلاة الصُّلح

### تمهيد

تُعرف صلاة الصُّلح باسم "صلاة ما قبل الأنافورا". وأمّا كلمة "أنافورا - ἡ ἀναφορά - Anaphora" فهي تعني حرفياً في المصطلح اللّيتورجي "تقديم القرّبان أو رفعه - offering". وأُطلقت هذه الكلمة على الجزء الرّئيسي من صلاة الإفخارستيا، وهو الجزء الذي يحوي التّقدّيس والتّذكار والتّناول. لذلك فالكلمة تغطي معظم صلوات اللّيتورجيا، ومن ثمّ فقد أُطلقت عموماً على تقديم ذبيحة الإفخارستيا بكاملها.

وكلمة "أنافورا" عند السّريان والموارنة يقابلها كلمة "قدّاس" عند الأقباط، وفي الكنيسة الآشوريّة تُدعى "قدّاشاه". وأقدم أنافورا معروفة هي أنافورا التّقليد الرّسولي لهيوليتس التي دوّنت قبل سنة ٢٣٥م، والتي يُظنّ أنّها نموذج أنافورا، وليس أنافورا كاملة. ذلك لأنّه في البداية لم يكن هناك نص ثابت للأنافورا، فكان الكاهن يشكر الله على قدر استطاعته، ولكن كان أمام الكاهن نماذج يستعين بها في مثل هذه الصّلوات.

وبعد قليل منعت المجامع المسكونيّة مثل هذه الصّلوات المرتجلة خشية تسرّب أخطاء لاهوتيّة إليها أو أن يتسرّب الهراطقة والمبتدعون إلى الكنيسة عبر نصوصها اللّيتورجيّة.

و"صلاة الصلح"<sup>(١)</sup> أو reconciliation "صلاة ما قيل الأنافورا" تُعرف أيضاً في الطقوس القبطي القدم باسم "صلاة التَّقبيل المقدَّس"<sup>(٢)</sup>، أو "صلاة التَّقبيل للآب"<sup>(٣)</sup>، أو "صلاة التَّقبيل"<sup>(٤)</sup>. أما في الطقوس السَّرياني الأنطاكي فتُعرف باسم "صلاة السَّلام"، أو "صلاة قُبلة السَّلام"<sup>(٥)</sup>.

وصلاة الصلح هي صلاة تعرفها كل الطقوس على اختلافها، كصلاة تسبق إعلان القبلة المقدسة. وتبدأها كل الطقوس أيضاً بقول الكاهن مخاطباً الشعب: "السَّلام للكُل"، أو "السَّلام للجميع"، أو "السَّلام لجميعكم"، أو "سلام الله مع جميعكم"<sup>(٦)</sup>، أو "السَّلام معكم". فيجاوبه الشعب: "ومع روحك"، أو "ولروحك".

ويقول القديس كيرلس الكبير (٤١٢-٤٤٤م):

﴿إن التَّقْلِيدَ الجَارِي فِي الكَنِيسَةِ مِنْذُ الْبَدْءِ يَسْتَعْمَدُ فِي بَدَايَةِ

١- ذكرتُ في الجزء الثَّانِي من "معجم المصطلحات الكنسيَّة" تحت كلمة "صلاة" وفي (ص ٢٦٨) أن صلاة الصلح هي الجزء الأخير من قدَّاس الموعوظين، والذي بعده مباشرة تبدأ القبلة المقدسة إيداناً ببدء قدَّاس المؤمنين. وأعتذر عن هذا الخطأ، وقد جرى تصحيحه في هذا الكتاب. كما ذكرتُ أيضاً أن أي صلاة صلح تُنسب ليوحنا التلث الطوي، يكون المقصود به هو القديس يوحنا ذهبي الفم، ولكن بحسب رأي العالم برايثمان F.E. Brightman - وهو الرأْي الصَّحيح - هو يوحنا أسقف بوسطره Bostra في إقليم سوريا، وكان معاصراً للقديس ساويرس الأنطاكي، وهو ما سبق أن أشرتُ إليه في صلاة الحجاب.

٢- انظر: يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، مرجع سابق، ص ٢١٦

٣- انظر: مخطوط الفاتيكان رقم (١٧).

٤- انظر: مخطوط أكسفورد رقم (هنت ٣٦٠).

٥- هنا يتضح لنا العلاقة الوثيقة بين صلاة الصلح، وبين القبلة المقدسة التي تعقبها مباشرة، وهو ما يذكرنا بالتدعاء القدم للشَّمْسِ والَّذِي بِمُوجِبِهِ يَمْتَنِعُ مِنَ التَّنَاوُلِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ وَجَدَ عَلَى أُخِيهِ، أَوْ مِتَخَاصِمٍ مَعَهُ.

٦- كما في ليتورجية المراسم الرسوليَّة، وليتورجية الكنيسة الرومانية مع تغيير طفيف.

كل الخدمات والأسرار "السّلام لجميعكم" ويرد عليه "ولروحك". وأن المسيح إذ كان يقولها لتلاميذه على الدّوام جعلها بذلك قانوناً للكنيسة كلها].

وفي الكنيسة السّريانيّة الأنطاكيّة يصعد الكاهن إلى درجة المذبح، ويقف إلى جانب مائدة الحياة ووجهه نحو الشّرق وجوباً، ويبدأ بـ "صلاة السّلام" نصالحة البشر مع الله ولتبادل السّلام بين المؤمنين في الكنيسة بعد أن يتبارك الكاهن من الأسرار ليحمل الشّماس السّلام وينقله إلى المؤمنين، فيصافحون بعضهم بعضاً بقبلة مقدّسة أو بسلام تقليدي خاص بالكنيسة<sup>(٧)</sup>.

### صلاة الصّلح في الطّقس القبطي

وفي الطّقس القبطي، يدنو الكاهن إلى المذبح ليصلي صلاة الصّلح بيدين عاريتين، لأنّه مثل آدم الذي طُرد عارياً من الفردوس. أما بعد الصّلح فيضع اللّفائف على يديه لأنّه قد اكتسى بالنعمة وصار أهلاً للوقوف أمام ربّنا يسوع المسيح بسبب موته وقيامته<sup>(٨)</sup>.

ومتى بدأ الكاهن صلاة الصّلح يقف الشّماس مقابل الكاهن، ويرفع علامة الصّليب المكرّم قائلاً: "صَلُّوا من أجل السّلام الكامل..."، محذراً الشّعب بالألّا يقبل سلاماً آخر غير سلام ربّنا يسوع المسيح الذي مات عنّا، وتراءف على جنسنا السّاقط، وأقامه من الموت بموته المحيي.

٧- المجلة البطريركيّة، العدد ١٣٨، تشرين الأوّل، سنة ١٩٩٤م، ص ٥٢٩

٨- معاني رشم الصّليب، مرجع سابق، ص ٧٤، ٧٥

ويرفع علامة الصليب بقوة لا بتكاسل لأنه يخلص بقوة خدمته<sup>(٩)</sup>.

كلمة  $\text{ἡσυχία}$  (في هيريني) في القبطي واليوناني مؤنثة، ولهذا تُرجمت إلى "السَّلامَة"، وصحَّتْها هنا "السَّلام"، لأن السَّلامَة هي عكس الخطر، ولكن السَّلام هو ما قال عنه الرَّب يسوع: «سلامي أعطيك». فالطلبه هنا هي من أجل كمال هذا السَّلام. والسَّلام هو المسيح نفسه كقول بولس الرسول: «هو سلامنا الذي جعل الاثنين واحداً».

وفي صلاة الصلح يأخذ الكاهن اللِّفافة المثلثة الموضوعه فوق الإبروسفارين، ويحملها بين يديه، بينما يقول: "بمسرَّتْك يا الله املاً فلونا من سلامك ...". وهي تشير إلى ختم القبر بعد دفن المخلص. وفي رفع هذه اللِّفافة معنى حل الأختام عن القبر إيدانا برفع الإبروسفارين رمزاً لإعلان القيامة عند القبلة المقدسة. وفي أثناء ذلك يقف الشَّمَّاس في مكانه الطَّقسي القديم في مقابل الكاهن رافعاً الصليب.

### "صلوات الصلح" في الليتورجيات القبطية

لكل ليتورجية من ليتورجيات كنيسة الإسكندرية أكثر من صلاة صلح واحدة، وهي كلها مستعارة من الطَّقس الكبادوكي أو السرياني.

وبحسب الخولاجي المطبوع سنة ١٩٠٢م، هناك صلاتان للصلح في كل قدَّاس من القدَّاسات القبطية الثلاثة.

ففي القدَّاس الباسيلي القبطي توجد صلاتان للصلح:

الأولى: "يا الله العظيم الأبدي الذي جبل الإنسان على غير فساد ..."

وهي للقدّيس باسيليوس الكبير (٣٣٠ - ٣٧٩ م).

والثّانية: ”عال فوق كل قوّة النطق وكل فكر العقل غني مواهبك يا سيّدنا ...“ . وهي ليوحنا أسقف بوسطره Bostra في إقليم سوريا<sup>(١)</sup>.

أمّا مخطوط أكسفورد رقم (هنت ٣٦٠)، فيورد صلاتان أخريان للصلح إلى جانب الصّلاتان السّابقتين ذكرهما، وهما بالقبطيّة والعربيّة. وفيما يلي نصّهما مترجماً إلى العربيّة فقط.

### صلاة للصلح بحسب مخطوط أكسفورد رقم (هنت ٣٦٠)

”اللّهم مبدع كل الأشياء، وبالأفضل الإنسان الذي خلقتة ناطقاً كصورتك. وأتيت به إلى الكون، وزينته بمواهب مقدّسة. الذي أعطانا ناموس المحبّة بعضنا بعضاً، مريداً أن يكون الجميع واحداً كما أنكما واحد أنت وابنك الوحيد ربّنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح. أنت أيضاً يا سيّدنا اجعلنا أحراراً من كل افتراق. واجعل قلبنا واحد في الشّركة، ووحداً في روح القدس. واجعلنا مستحقين أن نقبل بعضنا بعضاً بقبلة مقدّسة، إذ قد صرنا جسداً واحداً، وروحاً واحداً كما دعينا برحاء واحد لدعوتنا بالمسيح يسوع ربّنا. هذا الذي من جهته ...“ .

### صلاة أخرى للصلح بحسب مخطوط أكسفورد رقم (هنت ٣٦٠)

”اللّهم سيّد الكل، اجعلنا أهلاً لهذا الخلاص، هذا الذي نحن غير المستحقين له يا محب البشر، كي إذ قد طهّرنا جميعاً من كل دنس ومن كل مكر ومن كل رياء، نكون أهلاً أن نقبل بعضنا بعضاً بقبلة مقدّسة، إذ قد صرنا جسداً واحداً، وروحاً واحداً برباط المحبّة وسلامة ربّنا يسوع المسيح، هذا الذي أنت مباركٌ معه والروح القدس المحيي المساوي معك

١٠- ارجع لشرح ذلك الأمر في فصل ”صلاة الحجاب“ من هذا الكتاب.



الآن وكل أوان ...“.

وفي القدّاس الغريغوري القبطي هناك صلاتان للصلح:  
الأولى: ”أيها الكائن الذي كان، الدائم إلى الأبد ...“ وهي  
للقدّيس غريغوريوس النزينزي (٣٢٩ - ٣٨٩ م).

والثانية: ”أيها المسيح إلهنا، القوّة المخوفة ...“ وهي للبطريرك  
القدّيس ساويرس الأنطاكي (٤٦٥ - ٥٣٨ م).

وفي القدّاس الكيرلسي (المرقسى) هناك صلاتان للصلح:  
الأولى: ”يا رئيس الحياة وملك الذّهور ...“ وهي للبطريرك  
ساويرس الأنطاكي (٤٦٥ - ٥٣٨ م).

والثانية: ”يا إله المحبّة، ومعطي وحدانيّة القلب ...“ وهي ليوحنا  
أسقف بوسطره Bostra في إقليم سوريا.

### تعقيب على بعض صلوات الصلح في الليتورجيا القبطية

• اتّفقت جميع صلوات الصلح على كونها صلاة تضرّع لكي يهيننا  
الرّب بسلامه السّمائي، وباخجّة الإهتّة التي يسكبها في قلوبنا، لكي يجعلنا  
مستحقين أن نقبل بعضنا بعضاً بقبلة مقدّسة غير غاشّة.

• صلاة الصلح هي الصلّاة التي تُعلن مصالحة الآب للبشر وامتلء  
الأرض بالسّلام الذي نزل إلينا من السّماء من قبل تجسّد وموت وقيامّة  
الابن الوحيد يسوع المسيح. وتطلب إلى الآب أن يجعلنا مستحقين أن  
نقبل بعضنا بعضاً بقبلة مقدّسة، لكي نقترّب إلى الأقداس ونشترك في

القُدَّسات بالمحبة. هذه المحبة التي تفرد لها الكنيسة نداء للصلاة من أجلها: "صَلُّوا من أجل ... المحبة". لتكمل وصية الإنجيل فينا: «طهروا نفوسكم في طاعة الحق بالروح للمحبة الأخوية العديمة الرياء، فأحبوا بعضكم بعضاً من قلب ظاهر بشدة» (١ بطرس ١: ٢٢).

وقبل أن يعلن الشَّمَّاسُ النِّداء بقوله: "قَبِّلُوا بعضكم بعضاً ..."، يسبقه نداء آخر في صلاة الصُّلح هو: "صَلُّوا من ... القبلة الطاهرة". فحين تصلي الكنيسة كلها لكي يجعل الرَّبُّ قِبَلَتها بعضها لبعض قِبلة طاهرة مقدَّسة رسولية، ينادي الشَّمَّاسُ حينئذ قائلاً: "قَبِّلُوا بعضكم بعضاً بقبلة مقدَّسة ...". هنا التَّركيز على أهميَّة الصَّلَاة من أجل القبلة المقدَّسة لكي تكون غير غاشة وبلا رياء، أي الصَّلَاة من أجلها قبل ممارستها.

"الاقتراب إلى الموضع المقدَّس مخوف جدًّا، فمكتوب أن إلهنا نارٌ آكلة. وليس إلهنا مثل النَّار التي لهذا العالم يا أحبائي، ولكن هذا قد علمنا إياه الرُّوح القُدَّس، فإنه كما أن النَّار التي يجعلوا عليها شاشاً لا يمكنها ألا تحرقه، كذلك أيضاً الخطاة الذين يريدون أن يلتصقوا بالله وهم دائماً مقيمون في خطاياهم يهلكون مثل الشَّاش الذي تحرقه النَّار" (القانون ٧٦ من قوانين البابا أثناسيوس بطريرك الإسكندرية).

• أن تبدأ صلاة الصُّلح بسرد تاريخ الخلاص، بدءاً من الخلق والسُّقوط، لم تكن قاعدة عامة اشتركت فيها هذه الصَّلوات، حيث اشتركت صلاتان فقط في هذا السُّرد وهما صلاة الصُّلح الأولى للقُدَّاس الباسيلي، وصلاة الصُّلح الأولى للقُدَّاس الغريغوري.

• أما عن ظهور الأَقنوم الثَّاني وتبسُّده وتأنُّسه، وامتلاء الأرض

بالسَّلام السَّمائي من جرّاء هذا الظهور، فقد اشتركت فيه الغالبية العظمى من هذه الصَّلوات. وتعد صلاة الصَّلح في القُدّاس الكيرلسي هي الصَّلاة التي ركّزت بقوة على ماهية هذا السَّلام السَّمائي، حيث تدعوه "السَّلام السَّمائي المملوء خلاصاً"، فتورد النصّ التَّالي:

"اجعلنا أهلاً للسَّلام السَّمائي اللائق بلاهوتك، والمملوء خلاصاً، لنعطيه بعضنا لبعض بحبّة كاملة، ونقبّل بعضنا بعضاً بقبلة مقدّسة ... ولا تطرحنا نحن عبيدك من أجل دنس خطايانا ... فاجعلنا أهلاً يا سيّدنا بقلب طاهر ونفس مملوءة من نعمتك أن نقف أمامك ونقدّم لك هذه الذبيحة المقدّسة الناطقة الرُّوحانيّة غير الدّمويّة ...".

هذا هو مدخل شركتنا في القُدّاس الإلهي، وهاتان هما الدُّعامتان اللتان نتوكأ عليهما لندنو من الرّب ونقف في حضرته؛ أي السَّلام السَّمائي والحبّة القلبيّة، وبهما نصير أهلاً لنقبّل بعضنا بعضاً.

فلماذا إذا ركّزت صلوات الصَّلح على هذه النُقطة بالذات؟ بل لماذا كانت صلاة الصَّلح نفسها هي من أجل هذه النُقطة عينها؟. ذلك بسبب أن الكتابات المسيحيّة الأولى اتَّفقت كلّها على أن حضور واحد غير مستحق للذبيحة المقدّسة بين الجماعة يضر بالكنيسة كلّها، وبفعل الذبيحة أيضاً!.

فتقول الذبيداحي - تعليم الرُّسل - إن مسؤوليّة الدّاخلين في شركة الإفخارستيا هي أن يكونوا رقباء على بعضهم، فلا يسمحوا لأحد يعرفون أنه في خطيئة أو خصومة مع آخر أن يتقدّم للشركة معهم. لأن شركة غير الطاهر تلوث الباقيين أيضاً، فتورد نصاً صعباً بقولها: "لئلا تنجس ذبيحتكم". وهذا أمر خطير للغاية. فوجود المتهاونين والمستبشرين والتنجسين في القُدّاس الإلهي، واشراكهم في الذبيحة المقدّسة

يتسبّب في ضرر يعم الجميع. ومن هنا دخلت ضرورة القُبلة الجماعية أو المصالحة العامة كمقابل حتمي للاعتراف العام الذي كان يجري علناً في العصور الأولى للمسيحية.

ليس معنى هذا أن القدّاس الإلهي هو للقدّيسين فقط، وإلا لما تقدّم أحد إلى المذبح قط، ولكنه من أجل الخطاة الثائبين، أي الخطاة المجاهدين ضد إغراءات الجسد والعالم والشيطان. من أجل المعترفین بخطاياهم، والرّاجين رحمة إلهنا.

• السّلام السّمائي الذي أنشدته الملائكة يوم ميلاد الرّب يسوع: "ابجد لله في الأعالي وعلى الأرض السّلام وبالنّاس المسرّة"، هو تشيّد تعرفه كل الطّقوس على اختلافها. وهو يُسمى في الطّقوس القبطي "تسبيحة الملائكة"، وفي الطّقوس البيزنطي "المجدلة الكبرى". وقد دخل هذا التّشيد متأخراً في الليتورجيا الرّومانية في حدود القرن السّادس الميلادي.

• في صلاة الصّلح الأولى في القدّاس الغريغوري التي مقدّمها: "أيها الكائن الذي كان الدّائم إلى الأبد..."، وهي للقدّيس غريغوريوس النّاطق بالإلهيات (٣٢٩-٣٨٩م)، فيها يقول الكاهن عبارة تختص بإحدى صفات الابن. وقد تُرجمت هذه العبارة بـ: "الخالق الشّريك مع الآب". وهي تأتي في القبطية هكذا:

Ὁ τοῦ ἡὐφῆρ ἡδημιουργοῦ μεμφιωτ..

وأوّد التعقيب على كلمة "الشّريك"، ومن ثمّ سأورد النّص اليوناني لمقدّمة هذه الصّلاة<sup>(١١)</sup>، مع ترجمته ترجمة حرفية:

Ὁ ὢν, καὶ προὖν, καὶ διαμένων εἰς | والذي، والَّذِي

τοὺς αἰῶνας.

ὁ τῷ πατρὶ συναΐδιος καὶ ὁμοούσιος,  
καὶ σύνοθρος, καὶ συνδημιουργός ...

كان، والدائم إلى الأباد.

الذي هو مع الآب ذاتي\*  
ومساوي وجليسٌ وخالقٌ.

وعلى ذلك فنكون الترجمة هي: "أيها الكائن، الذي كان، الدائم إلى الأبد، الذاتي والمساوي والجليس والخالق مع الآب ...".

أما كلمة "الشريك" كما جاءت في الترجمة العربية للنص القبطي فكانت بسبب الكلمة القبطية **ἰσῆρη** (إشغير) والتي تقابل في اليونانية كلمة **συν** (سين) أي "مع"، كقولنا: **σύνοθρος** أي "جليس مع"، أو **συνδημιουργός** أي "خالق مع".

فكلمة "شريك" وإن كانت لم تزد المعنى وضوحاً - لأن الترجمة تكون كاملة حين نقول عن الابن أنه "خالق مع الآب" - إلا أنه إن كان الابن خالق مع الآب، فهذا يعني أنه شريك معه في الخلق. أو كما يقول آباء الكنيسة: إن الآب خلق العالم بالابن. فهو من هذه الوجهة شريك مع الآب. أما من حيث جوهر الابن فهو واحد مع الآب.

وحدير بالذكر أن كلمة "الشريك" قد وردت في أولى الترجمات العربية للخولاجي المقدس كما نقرأها في مخطوط الفاتيكان رقم (١٧)، والذي جرت نساخته سنة ١٢٨٨م، وعنه نقلت كل الترجمات العربية التي جاءت من بعده.

## ثانياً: القُبلة المقدَّسة

### تمهيد

القُبلة المقدَّسة التي يَقْبَلُ بها الشَّعبُ بعضه بعضاً تكون بعد نداء الشَّمَّاسِ "قَبِّلُوا بعضكم بعضاً". وهذا المرد الذي يبدأ بندااء القُبلة المقدَّسة ينقسم إلى ثلاثة أقسامٍ أساسية؛

القسم الأول من المرد هو: "قَبِّلُوا بعضكم بعضاً بقُبلة مقدَّسة"، وحينئذ يَقْبَلُ الشَّعبُ بعضه بعضاً، ويقولون الأُسبسمس الموافق لليوم كما سأشرح فيما بعد.

القسم الثاني من المرد هو: "يارب ارحم يارب ارحم يارب ارحم. نعم يارب الذي هو يسوع المسيح ابن الله اسمعنا وارحمننا". ويقولوه الشَّمَّاس بعد انتهاء الأُسبسمس، وهو رافع الصَّليب بينما يرفع الإبروسفارين<sup>(١٢)</sup> أمام الكاهن عن القُدسات لكشفها. وذلك طبقاً للقُدَّاس الباسيلي القبطي.

أما القُدَّاس المرقسي فلا يرد به هذا القسم الثاني من المرد، إذ ينتقل المرد من القسم الأول إلى القسم الثالث مباشرة<sup>(١٣)</sup>.

وأما في القُدَّاس الغريغوري فالقسم الثاني من المرد هو: "فلنقف حسناً. لنقف بتقوى. نقف باتصّال. نقف بسلام. نقف بخوف الله

١٢- "الإبروسفارين" عند الأقباط والبيزنطيين يُسمى "الشُّشُوف" أو "النَّافور" عند السَّرِّيَّان.

١٣- كتاب الخولاجي المقدَّس، طبعة سنة ١٩٠٢م، ص ٥٧٢، ٥٧٣

ورعدة وخشوع“<sup>(١٤)</sup>.

وهذا القسم الثاني من المرد نجد في ليتورجيات أورشليم وأنطاكية والقسطنطينية<sup>(١٥)</sup>. فهو في الحقيقة يتبع التقليد السرياني أكثر من كونه تقليداً قبطياً، حتى برغم وروده في القداس الغريغوري القبطي الذي لا يشع التقليد القبطي للأنافورا المصرية.

القسم الثالث من المرد هو: ”قدّموا على الرّسم، قفوا بخوف، وإلى الشّرق انظروا نصت“. وهذا القسم الثالث من المرد هو البداية الفعلية للأنافورا أي لصلب قدّاس الإفخارستيا. ولذلك فهذا القسم الثالث من المرد يُقال وحده بدون القسمين السّابقين في كافة القدّاسات - باستثناء قدّاس الإفخارستيا، أي قدّاس القربان - فهو يُقال مباشرة في قدّاسات اللقّانات، وقدّاس تكريس الميرون والغالبلاون.

أمّا عن الاتجاه للشّرق في هذا المرد عينه فهو ما نقرأه في كتاب الدّسقولية أي تعاليم الرّسل، حيث تقول: ”وبعد خروج الموعوظين والمتّهرون لكي يتوبوا، ليكن الشّعب قياماً معاً وينظرون إلى المشارق، ويصلّون إلى إله السّماء في المشارق، ويتذكّرون المسكن الأوّل الذي هو الفردوس الشّرقى، هذا الذي طُرح الإنسان الأوّل منه لما رضى قلبه بمشورة الحية، ورفض وصية الرّب“<sup>(١٦)</sup>.

١٤ - كتاب الخولاجي المقدّس، طبعة سنة ١٩٠٢م، ص ٤٧٠

١٥ - البطريرك إغناطيوس أفرام الثاني، مرجع سابق، ص ٢٤٤

١٦ - دكتور وليم سليمان فلابدة، الدسقولية، مرجع سابق، الباب العاشر، ص ٢٠٤. وهو

يعادل جزء من الكتاب الثاني من كتب المراسيم الرسولية Apostolic Constitutions.

## المفهوم الليتورجي للقُبلة المقدّسة

القُبلة المقدّسة kiss - ὀσπασμός هي ممارسة ليتورجية قديمة ترافق القدّاس الإلهي منذ أن عرفته الكنيسة المسيحية في نشأتها الأولى.

والقُبلة المقدّسة هي جزء لا يتجزأ من الليتورجيا المسيحية في كل الكنيسة الجامعة شرقاً وغرباً، باستثناء الكنيسة الأنجليكانية في إنجلترا.

فالقُبلة المقدّسة هي علامة المحبة والشركة بين جسد المسيح الواحد الذي هو الكنيسة. ففي الكنيسة المسيحية تُمنح القُبلة للأسقف المرسوم حديثاً ليس بواسطة الإكليروس فحسب، بل وبواسطة كل عضو في الكنيسة، وذلك قبل أن يتقدّم الأسقف ليرفع ذبيحة القدّاس معهم لأول مرة باعتباره كبير كهنتهم<sup>(١٧)</sup>.

ومن ثمّ صار على الأسقف نفسه أن يعطي هذه القُبلة المقدّسة لكل مسيحي جديد بعد المعموديته ومسحه بالميرون المقدّس.

ولم يكن يُسمح لطالبي المعموديّة الذين لم يعتمدوا بعد بتبادل قبلة السّلام مع المؤمنين، لأنه لم يصبحوا بعد أعضاء في جسد المسيح الواحد، ولم يقبلوا بعد الرّوح القدس، ومن ثمّ فطالب المعموديّة لا يستطيع أن يأخذ أو أن يعطي سلام المسيح وحبّه.

وقبلة السّلام كانت تُمارس قديماً بين اليهود كعلامة للمحبّة والصّداقة، كما قبل اسحق يعقوب مثلاً. وقد ورثتها الكنيسة من اليهوديّة بطقسها، ولكن ليس بمفهومها الجديد.



وفي أيام ربَّنَا يسوع المسيح على الأرض كانت القُبلة هي التَّمهيد الدُّمْت أو الأدبي لأي وليمة طقسِيَّة بين اليهود، والتي كان يعنى عدم ممارستها المُواخِذَة والمراجعة<sup>(١٨)</sup>. وعلى ذلك فقد احتلت القُبلة مكانها في العشاء الإفخارستي في الأيام الأولى في أورشليم، إن لم تكن قد مورست بالفعل في العشاء الربَّاني الأخير نفسه.

ولقد أشار إليها القُدَّيس بولس الرُّسول أكثر من مرَّة كرمز وكعلامة للشُّرْكة المسيحيَّة، ولكن بدون إشارة صريحة لوجودها في شركة الإفخارستيًّا، برغم أنه يصعب الشُّك في عدم استخدامها في الليتورجيا المسيحيَّة في أيامه<sup>(١٩)</sup>. فوحدة الكنيسة كجسد المسيح قد فُهمت منذ أيام بولس الرُّسول على أنها جوهر السِّر الإفخارستي<sup>(٢٠)</sup>.

ويولي كتاب الدِّيْداخي الذي دُوِّن في أواخر القرن الأوَّل الميلادي المصالحة أهميَّة بالغة في الاجتماع الإفخارستي. فتقول الدِّيْداخي: "عند اجتماعكم يوم الرُّب، اكسروا الخبز واشكروا بعد أن تكونوا اعترفتم بخطاياكم، لكي تكون ذبيحتكم طاهرة. لا يجتمع معكم كل من له منازعة مع صاحبه حتى يتصالحا، لئلا تتنجس ذبيحتكم" (ديداخي ١٤: ١، ٢).

ومن أجل ذلك نجد أن الدُّسقولِيَّة السِّريانيَّة تأمر الأسقف بأن تُعقد مجالس المصالحة بين المتخاصمين ثاني أيام الأسبوع (أي يوم الاثنين)، ليكون هناك متسع من الوقت للصلح بينهم حتى يوم السَّبْت التَّالي، أي قبل قدَّاس يوم الأحد. وتضيف الدُّسقولِيَّة بالقول: "إذا جلستم في مجلس

١٨- انظر: لوقا ٧: ٤٥

١٩- انظر: رومية ١٦: ١٦، ١ كورنثوس ١٦: ٢٠، ٢ كورنثوس ١٣: ١٢

Cf. Gregory Dix, *Dom, op. cit.*, p. 107.

٢٠- انظر: ١ كورنثوس ١٠: ١٧

الحُكم، ويكون معكم الخصمان اللذان يأخذان وجه الحُكم، فلا تسموهما إخوة حتى يتسالما مع بعضهما»<sup>(٢١)</sup>.

وفي القرن الثاني الميلادي وما بعده بلغت القُبلة الليتورجية أقصى درجات شيوعها كعلامة مسيحية، وكتمهيد حتمي ومباشر للإفخارستيا، وكرمز "لوحة الروح برباط السّلام"، والذي هو - بحسب القدّيس بولس الرّسول - الأساس لحقيقة أن الكنيسة هي «جسد المسيح الواحد» (أفسس ٤: ٣، ٤).

ولقد وردت بنصها اليوناني في رسالة القدّيس بولس الرّسول إلى أهل رومية (١٦: ١٦)، كما يشهد لها القدّيس يوستينوس الشّهيد (١٠٠ - ١٦٥ م) بوضوح، وذلك في عديد من الرّسائل التي يخطّمها بقوله: "Μελέσητε ὑμᾶς ἐν φιλήματι ἁγίῳ" أي "قَبَلُوا بعضكم بعضاً بقُبلة مقدّسة". وأشار أيضاً إلى أن القُبلة الليتورجية هي بمثابة إعداد للإفخارستيا، وخاتمة للصّلوات السّابقة لتقدّيس الأسرار.

فالقُبلة المقدّسة هي إيذان بالدخول المباشر إلى الأنافورا. أمّا كل ما قبل القُبلة المقدّسة من صلوات فهي تُدعى في المراجع الأجنبية Ordinary Mass وهي مجموعة الصّلوات المعتادة أو المألوفة التي تتكرّر في كل قدّاس. أمّا صلوات ما بعد القُبلة المقدّسة فيتحدّد بموجبها نوع الليتورجية التي نصلي بها إن كانت للقدّيس باسيليوس أو القدّيس غريغوريوس أو القدّيس كيرلس، في الطّقس القبطي، أو غيرها من الليتورجيات في الطّقوس الأخرى.

٢١ - الدكتور وليم سليمان قلادة، الدّسقولية، مرجع سابق، الباب الثامن، ص ١٨٢ وهو يقابل الكتاب الثاني من كتب المراسيم الرّسولية Apostolic Constitutions.

ولدينا منذ القرن الثالث الميلادي نصوصاً ليتورجية من الشَّرق يصرخ فيها الشَّمْس وهو واقف إلى جوار كرسي الأسقف، بينما يتبادل الشَّعب القبلة المقدسة، فيقول: "لا يدع أحد بينه وبين أخيه ملامة، ولا غشاً، ولا رياء" (٢٢). وهو نداء بمثابة تحذير أخير - حتى ولو في اللحظات الأخيرة - فيتقدم الأسقف بالمصالحة بينهما. ولقد تطور هذا التحذير الذي ينادي به الشَّمْس تطوراً كبيراً، وصار كمرد طويل (٢٣).

إن وضع قبلة السلام قبل الأنافورا عموماً هو تطبيق لوصية الإنجيل: «فإن قدمت قربانك إلى المذبح، وهناك تذكرت أن لأخيك شيئاً عليك، فاترك هناك قربانك قدام المذبح واذهب أولاً اصطلح مع أخيك. وحينئذ تعال وقدم قربانك» (متى ٥: ٢٣، ٢٤).

وتعلم الدسقولية تعقياً على قول الرب السابق ذكره: "... لأن قربان الله هو صلاة كل واحد وشكره. فإن كان بينك وبين أخيك ملامة، أو لأخيك عليك، فإن صلواتك لا تُسمع قدام الله، ولا يقبل إليه شركك لأجل الغضب الذي بينك وبين أخيك" (٢٤).

ولقد كان لما أورده القديس متى البشير تأثير على وضع القبلة المقدسة في كل الطقوس القديمة شرقاً وغرباً، لتصبح قبل تقديم القرابين Oblatio. ونجد هذا التغيير واضحاً في ليتورجية المراسيم الرسولية. وقد ذكر القديس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧-٤٠٧م) ذلك الأمر عينه، أنه كان

٢٢- وليم سليمان فلادة، الدسقولية، مرجع سابق، الباب العاشر، ص ٢٠٥ وهو يقابل جزء من الكتاب الثاني من كتب المراسيم الرسولية Apostolic Constitutions

23- Gregory Dix, Dom, *op. cit.*, p. 106, 107.

٢٤- دكتور وليم سليمان، الدسقولية، مرجع سابق، الباب الثامن، ص ١٨٩ وهو يقابل جزء من الكتاب الثاني من كتب المراسيم الرسولية Apostolic Constitutions

بمّارس في بعض الجهات في أيامه<sup>(٢٥)</sup>. وفي اللّيْتورجِيّات اليونانيّة المعروفة تحت اسم ليتورجِيّة القُدّيس مرقس اليونانيّة، ولّيْتورجِيّة القُدّيس يعقوب اليونانيّة، تأتي قبله السّلام لتكون سابقة على الأقلّ للصّلاة الأخيرة من صلوات التّقدمة Offertory<sup>(٢٦)</sup>.

وذلك لأنّ تقدّيس الأسرار يبدأ ويكتمل على أساس الحبّ الذي تأسّست عليه الإفخارستيّا، وانسكب من أجله الدّم الإلهي. فالإفخارستيّا خطرة بدون الحبّ إذ تصبح دينونة مخيفة وقبول عقاب وموت بدل غفران وحياة أبدية<sup>(٢٧)</sup>.

الإفخارستيّا هي حبّ المسيح المسكوب فينا، ولولا حيننا بعضنا لبعض ما جرأنا أن نقترّب منها، فهي سرّ شكر من داخل سرّ الحبّ. وهي قادرة أن تسكّن الأب في قلوبنا، وفي مركز حياتنا، وتصلحنا مع الرّوح القُدّس، فنصير بها رعية من القُدّيسين ومن أهل بيت الله.

يقول الأب ثيودور: "بِهذه القُبلة يصنعون نوعاً من الوحدة والحبّ فيما بينهم، فإنّه لا يليق بمن يمثّلون جسداً واحداً في الكنيسة أن يكره أحدهم أحداً له في الإيمان".

### قُبلة السّلام في الطّقوس المختلفة

كلّ الطّقوس تعرف نداء الشّماس "قَبَلُوا بعضكم بعضاً بقُبلة مقدّسة" كما جاءت في رومية (١٦:١٦). ولكن يتفاوت النّداء قليلاً في

25- PG 61, C527.

26- A. Baumstark, *op. cit.*, p. 136.

أرجمته إلى اللغة المحليَّة لكل كنيسة. فيأتي نداء الشَّمَّاس في بعض الكنائس هكذا: "أعطوا السَّلام أحدكم الآخر بقبلة مقدَّسة". أو "فلنعط السَّلام أحدنا الآخر بقبلة مقدَّسة".

وقد انفردت كنيسة القسطنطينيَّة بصيغة: "فلنحب بعضنا بعضاً -  $\alpha\gamma\alpha\pi\eta\sigma\omega\mu\epsilon\nu\ \alpha\lambda\lambda\eta\lambda\omicron\upsilon\varsigma$ ". ولا ريب أن قول الشَّمَّاس هنا "فلنحب" يعني "فلنعانق" طبقاً للسَّريانيَّة<sup>(٢٨)</sup>.

ويشير القُدَّيس يوحنا ذهبي الفم في رسالته إلى ديمتريوس Demetrius لنداء الشَّمَّاس "فلنعانق بعضنا بعضاً -  $\text{Ἀσπασόμενοι ἄλληλους}$ ". وهذا النداء موجود بنصّه في ليتورجيَّة مار يعقوب أخي الرِّب السَّريانيَّة<sup>(٢٩)</sup>.

فالقُبلة اللَّيتورجيَّة بمعناها الكامل هي قبلة بالفم، كما تذكر قوانين الرُّسل، والمراسيم الرُّسوليَّة (الدَّسقوليَّة). لذلك كانت القوانين تنص منذ البداية على أن الرِّجال يقبلون الرِّجال، والنِّساء يقبلن النِّساء، ولا يقبل الرِّجال النِّساء، ولا النِّساء الرِّجال، ويقبل الكهنة بعضهم بعضاً، والشَّمَّامسة بعضهم بعضاً.

وفي بعض الطُّقوس الشَّرقيَّة كان يصاحب القُبلة المقدَّسة عبارات مهدِّدة، ففي الطُّقس البيزنطي يقول الواحد للآخر: "المسيح في وسطنا"، فيحبه الآخر: "الآن، ويبقى حالاً بيننا". أما الكنيسة القبطيَّة فقد احتفظت بألحان ترتلها عند طقس القُبلة المقدَّسة لازالت تحمل اسمها

٢٨- الفعل "حب"، و"يعانق" واحد في السَّريانيَّة. وفي اصطلاح العامة في بعض بلاد الصَّعيد محصر، وبعض بلاد ما بين النُّهرين في الشَّام يُقال "حب يده"، أي "قبل يده".

٢٩- البطريرك إغناطيوس أفرام الثاني، مرجع سابق، ص ١٦٣

اليوناني ἀσπασμός (أسباسموس) أي قُبلة.

ولقد انتقد العلامة كليمنديس الإسكندري (١٥٠-٢١٥م) القُبلة في الكنيسة. وانتقاده لها كان انتقاداً لمعناها الجسدي أي قُبلة فم لقم. فيقول في ذلك:

[... ولكن يوجد آخرون لا عمل لهم إلا أن يجعلوا الكنيسة يتردّد في أصدائها صوت القُبلة مع أنّها ينبغي أن تُفهم على مستوى سري. فالرُّسل يدعون القُبلة "مقدّسة"].

ولم يكن انتقاده لها آتئذ مؤثراً في إيقافها أو تعديلها، إذ ظلّت - ولا زالت - عنصراً أساسياً في اللّيتورجيا. ففي كتابات القدّيس يوستينوس الشّهيد (١٠٠-١٦٥م)، والقدّيس كيرلس الأورشليمي (٣١٥-٣٨٦م)، والقدّيس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧-٤٠٧م)، والقدّيس أغسطينوس (٣٥٤-٤٣٠م)، يتبادل المؤمن القُبلة المقدّسة بالمعانقة (٣٠).

فيقول القدّيس كيرلس الأورشليمي:

[لا تظن أن هذه القُبلة كتلك التي اعتاد الأصدقاء على ممارستها في الاجتماعات. هي ليست من هذا الصّنف. إنّما هذه توحّد النفوس وتزيل كل حقد ... هي علامة اتحاد النفوس معاً].

ويقول عنها القدّيس أغسطينوس:

[هي علامة السّلام، فما تظهره الشّفاة من الخارج يوحد في القلب من الدّاخل].

ويقول عنها القديس يوحنا ذهبي الفم:

[عندما يقبل كل واحد منا فم الآخر، فنحن نقبل مدخل الهيكل. لذلك ليت لا أحد منا يفعل هذا بضمير غاش ... لأن القبلة مقدسة كقول بولس الرسول: «سلموا بعضكم على بعض بقبلة مقدسة» (١ كورنثوس ١٦: ٢٠)]  
(تعليم المعموديات ١١: ٣٤).

وجاء في الدسقولية السريانية أن الشماس في لحظة التقبيل ينادي بصوت عالٍ "إن كان لأحد شيء على آخر ..."، وكأنه يقدم تحذيراً أخيراً، حتى متى وُجد شيء بين اثنين يقوم الأسقف بمصاحتهما.

إن موضع القبلة المقدسة قبل الأنافورا عموماً هي سمة مشتركة تميز الطقوس الشرقيّة دون الغربيّة، باستثناء الطقس البيزنطي الذي فيه يقع قانون الإيمان بين القبلة المقدسة وبين الأنافورا. أمّا طقس كنيسة روما، ففيه تأتي قبلة السلام قبل التناول مباشرة، وانتقلت هذه الخاصية الرومانية الفريدة إلى طقس كنيسة ميلان أيضاً. فهي خاصة غربيّة لا علاقة للطقوس الشرقيّة بها<sup>(٣١)</sup>. وهناك شهادات تؤكد وجود هذه الممارسة في طقس كنيسة روما منذ سنة ٤١٦م<sup>(٣٢)</sup>.

لقد انحصرت القبلة المقدسة في بعض كنائس الشرق بين الإكليروس فحسب، وفي داخل الهيكل<sup>(٣٣)</sup>. أما الأصل القديم للقبلة فلم يكن هكذا.

٣١- هذا هو السبب الذي دفع بعض الباحثين في الليتورجيات إلى الظن بأن نداء الشماس في الطقس القبطي "تقدموا على الرّسم ..."، والذي يعقب نداءه "قبلوا بعضكم بعضاً"، أنه يعني التقدّم للتناول من الأسرار المقدسة.

32- A. Baumstark, *op. cit.*, p. 136.

٣٣- الأب ألكسندر شيمان، مرجع سابق، ص ٢٦

فيقول القدّيس يوحنا ذهبي الفم في إحدى عظاته:  
[عندما كان يحين وقت تبادلنا السّلام، كان الكلّ يقبّل  
الكل، فيحيي رجال الإكليروس الأسقف، والعلمانيّون  
(الرّجال) الرّجال، والنّساء النّساء].

وقد أبقى الأقباط والأرمن والنّساطرة أيضاً على هذه الممارسة التي  
لم تتأثّر بالترتيب البيزنطي الذي جاء في وقت متأخّر. وهي اليوم أقرب  
ما تكون إلى الشّكل القديم لهذا الطّقس في ذلك الوقت.

في الماضي كان على كل شخصين اختلفا على أي أمر، أن يتصالحا  
ويغفرا لبعضهما البعض قبل الاشتراك في الاجتماع الإفخارستي. وفي  
الواقع إن هذه القبلة المقدّسة لم تكن إيذاناً ببدء القدّاس الإلهي، بقدر ما  
كانت شرطاً يجعل من الممكن الشّروع في هذا العمل السرّائري المقدّس،  
إذ لا يمكننا أن نقيم ذكرى المسيح والاتحاد بجسده ودمه والتّوق إلى  
ملكوته الإلهي وحياة الدّهْر الآتي ما لم نلبس حلة المحبّة هذه. فارتداء هذه  
الحلّة هو شرط أساسي للمشاركة في الاحتفال الإفخارستي<sup>(٣٤)</sup>.

ويمكن أن نعزو فتور طقس القبلة اليوم إلى ازدياد عدد المؤمنين  
الذين باتوا يجتمعون في كنائس ضخمة لا يعرفون بعضهم بعضاً. فأنا  
اليوم لا أعرف من يقف بجاني في الكنيسة، وكأنه لا أحد بالنّسبة لي.  
من هنا نفهم لماذا كان يُطلب من المؤمنين في أوّل عهد انسيحيّة الرّد على  
الدّعوة بالقبلة المقدّسة بقبلة حقيقيّة، أي بفعل وليس بكلمة. وما يزيد  
من قابليّة اندثار مثل هذا الطّقس هو النّظرة إليه كمجرد حركة شكليّة.  
المحبّة هي جوهر قداسة الكنيسة، لأنها فاضت في قلوبنا بالرّوح القدّس



المعطى لنا. وهي جوهر وحدة الكنيسة<sup>(٣٥)</sup>. فما هي الكنيسة إن لم تكن شركة محبة؟. وعلى رأي من قال في تعريف الكنيسة "محبَّة تجسَّدت في جماعة"<sup>(٣٦)</sup>. المحبَّة بين الجماعة هي التي توَهَّل الكنيسة لأن تعلن المسيح ومحبته للعالم، ولأن تشهد له في أرجاء المسكونة.

لا يمكن للكنيسة أن تكون جسراً تعبر عليه محبة المسيح إلى العالم ما لم تجد الكنيسة كما لها في المحبَّة. فنحن عندما نذهب إلى الكنيسة نذهب سعياً وراء المحبَّة، المحبَّة التي لا نقتبلها إلا في وحدتنا.

نحن حتى اليوم لا نزال نتسَّر وراء تقوى حديثة وفردية إلى أقصى درجة، ومخالفة كلية للخبرة الأصيلة للكنيسة، نررُّ بها انفصالنا عن الجماعة. حتى صار البعض ينفرون من أعداد المؤمنين الكبيرة بحجة أنهم يعوقون صلاتهم، فيسعون إلى الصَّلَاة في كنائس خالية معتمة لا يرتادها عدد كبير من المؤمنين، ويبحثون عن زاوية اختلاء ينكفئون فيها بعيداً عن "صحب الجماعة". فمن قال إن الهدف من التثام الجماعة أو مشاركتنا في الصَّلَاة معها هو التأمُّل المنفرد الانعزالي؟<sup>(٣٧)</sup>.

### القَبلة المقدَّسة في الطَّقس القبطي

القَبلة المقدَّسة في الطَّقس القبطي القديم - كما في كل الطَّقوس الأخرى - كانت بتقبيل القدم. فيقول القانون (٣٤:١) من قوانين الرُّسُل القبطية (القرن الخامس السادس للميلاد): "وإذا فرغوا من الصَّلَاة، يعطون السَّلَام لبعضهم بعضاً بأفواههم".

٣٥ - انظر أفسس ١٦:٤ الأب ألكسندر شيمان، مرجع سابق، ص ٢٠٦

٣٦ - الأب ألكسندر شيمان، مرجع سابق، ص ٢٠٣

٣٧ - الأب ألكسندر شيمان، مرجع سابق، ص ٢٠٥

وفي الكتاب الأوّل من قوانين الرُّسُل القبطيّة: ”ولتقف النِّساء - المؤمنات أو الموعوظات - في موضع في الكنيسة يصلّين وحدهن. فإذا فرغن من الصَّلَاة، فلا تسلّم الموعوظات على بعضهن البعض، لأن قبلتهن ليست بعد ظاهرة. وليقبّل المؤمنون بعضهم بعضاً؛ الرِّجال يقبِّلون الرِّجال، والنِّساء يقبِّلن النِّساء، ولا يقبّل الرِّجال النِّساء“ (١: ٣١: ٢-٤).

وفي نفس الكتاب الأوّل من قوانين الرُّسُل القبطيّة نقرأ أيضاً: ”وهكذا إذا كملّ الأسقف كل الصَّلوات التي يجب أن يقولها لأجل المرضى، وبقية الصَّلوات، فليقل لهم الشَّماس: قبلوا بعضهم بعضاً بقبلة ظاهرة. وليقبّل الكهنة الأسقف، أما العلمانيون فالرِّجال يقبِّلون الرِّجال، والنِّساء يقبِّلن النِّساء“ (١٠: ٥٢: ١) (٣٨).

ولقد حاول كتاب الجوهرة التّفيسية في شرح علوم الكنيسة لابن سباع (القرن الثالث عشر) أن يجمع بين القبلة بالنم، والمنصافحة باليد فيقول في الباب (٧٤): ”يقبّل جميع الشَّعب بعضهم بعضاً بقبلة مقدّسة ظاهرة سالمة من العنق. وصفة القبلة أن يقبّل الواحد الآخر من النّاحية اليمنى من عنقه، ويعوضه الآخر بقبلة مثلها في عنقه“ (٣٩).

أما ابن كبر (+ ١٣٢٤م) فيقول: ”يقبّل الرِّجال الرِّجال، والنِّساء النِّساء، ويركع بعضهم لبعض“ (٤٠).

وعند ابن كبر أيضاً: ”وإذا قرئ الأسبسمس يقول الشَّماس قبلوا بعضهم بعضاً بقبلة مقدّسة  
 Δσπασεσθε ἀλλήλους ἐν φιλίᾳ

٣٨- انظر: المراسيم الرسوليّة ٨: ١١: ٩

٣٩- يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، مرجع سابق، ص ٢١٧

٤٠- كتاب مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة، لأي البركات المعروف بابن كبر، الجزء

الثاني (مخطوط)، مرجع سابق، الباب ١٧

ἀγίων فيقبل الرجال الرجال والنساء النساء، ويركع بعضهم لبعض ويرتل المرتلون بما يليق بذلك اليوم... ثم يُرفع الإبروسفارين مثلاً لرفع الحجر الذي دُحرج عن باب القبر. وطرح ربنا الأكفان واللفائف عن جسده الطاهر الشريفة وقت قيامته“ (٤١).

وعند البابا غريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٧م): ”ثم يتلو أو شية الصلح إلى آخرها. وعند قول الشماس Διςπασαχοε يُقبل الكهنة بعضهم بعضاً، والشماسة بعضهم بعضاً. وهذا هو مثال للصلح الذي جعله بين السمائيين والأرضيين. فإن الرسول يقول إنما جاء يصلح بين السمائيين والأرضيين. فمن كان في نفسه من أخيه أمر، إن كان ضروري أو غير ضروري، ففي هذا الوقت يتركه له، ويقبله، ولا يكون تقبيله له بغش ودغل ومكر، فيصير مثل يهوذا الذي قبل السيد بغش ودغل ومكر. ثم إنهم إذا صفحوا وقبلوا بعضهم بعضاً بحبة وثية خالصة، فيصيروا مشتركين مع الملائكة في التقديس الذي هو قدوس قدوس قدوس الرب الصباوت، السماء والأرض مملوءة من مجدك المقدس“ (٤٢).

٤١- نفس المرجع السابق.

وهذا هو التفسير الذي عُرف في الكنيسة عن معنى رفع الإبروسفارين، وهو ما يذكره أيضاً كتاب ”سرّ الثالث في خدمة الكهنوت“ لمعلمي البيعة في العصور الوسطى. انظر: كتاب سرّ الثالث في خدمة الكهنوت، لمعلمي البيعة، لناشره جرجس فيلوثاؤس

عوض، مرجع سابق، ص ٢١

٤٢- البابا غريال الخامس، الترتيب الطقسي، مرجع سابق، ص ٧٧

وإنه من المدهش حقاً أن يورد كتاب ”سرّ الثالث في خدمة الكهنوت“ لأحد معلمي البيعة في القرون الوسطى نفس ما يذكره البابا غريال الخامس هنا، ولكن مع بعض الاختلافات البسيطة، مما يتضح معه أن كلاهما يتقلان من مصدر آخر أقدم منهما كليهما.

فيقول الكتاب المذكور: ”الكاهن يُقبل الكاهن، والشماس يُقبل الشماس، والشعب مثله يُقبلون بعضهم بعضاً، فهذا هو مثال الصلح الذي جعله الرب بين

## شكل القُبلة المقدّسة اليوم في الطُقوس المختلفة

في الطُقوس القبطي اليوم يتصافح الشَّعب مع بعضه البعض بكلتا اليدين، وكذلك الإكليروس أصحاب الرُّتبة الكنسيّة الواحدة مع بعضهم البعض. أما في الطُقوس السَّرِّياني فيأخذ الشَّمَّاس يدي الكاهن بين يديه ثمَّ يمسح وجهه بيديه. وفي الطُقوس الأرمني ينحني كل واحد لرفيقه، وفي الطُقوس البيزنطي حين يخدم القدّاس أكثر من كاهن يقبّل كل منهم الآخر، فيقول المتقدّم: ”المسيح معنا وفيما بيننا“، فيجيبه الأصغر ”كان وكائن ويكون“، وإذا كان رئيس الكهنة هو الذي يخدم الذَّبِيحَةَ المقدّسة، فيقبّلون القرايين ثمَّ يده ثمَّ بعضهم بعضاً بالتتابع. أما طقس القُبلة في كنيسة روما فهو طقس بلا صلاة أو ألحان مصاحبة له.

## الأسبَسُموس الذي يرافق نداء الشَّمَّاس بالقُبلة المقدّسة

الكلمة اليونانيّة  $\alpha\sigma\pi\alpha\sigma\mu\acute{o}\varsigma$  - Aspasmos (أسبَسُموس) تعني ”ترحيب - تحية - قُبلة - سلام (salutation)“. وقُبلة السَّلَام، أو القُبلة المقدّسة هي الممارسة الطُقُسيّة التي يبدأ من بعدها مباشرة قدّاس الإفخارستيّا، في كل الشرق.

وفي الكنيسة القبطيّة هناك تعبيراً ”أسبَسُموس آدام“، و”أسبَسُموس

---

السَّمائيين والأرضيين، ونقض العتيقة بالحديثة. ومن كان في نفسه من أخيه أمرٌ ففي هذا الوقت يتركه ويقبّله ولا يكون قبوله له بعش كمثل يهوذا الذي قبّل السيّد بعش ودغل ومكر. وليشتركا مع الملائكة في التّقدّيس الذي هو قدوسٌ قدوسٌ قدوسٌ ربُّ الصّباؤوت السَّماء والأرض مملوءتان من مجدك المقدّس“.

انظر: كتاب سرّ الثالوث في خدمة الكهنوت، لمعلمي البيعة، ناشره جرحس فيلوثاؤس عوض، مرجع سابق، ص ٢٢

واطس“، وهما نعمتان للحنين يرُدُّهما الشَّعب كله في القدَّاس الإلهي.

### الأسبسموس الآدام

يُقال بعد مرد الشَّمَّاس: ”قَبِّلُوا بعضكم بعضاً بقبلة مقدَّسة (٤٣)“.

حيث يبدأ الأسبسموس إمَّا سنوي أو يُختص ببعض المناسبات الكنسيَّة، ثم يكمل الشَّمَّاس المرد بعد انتهاء الأسبسموس بقوله: ”يارب ارحم ...“.

### الأسبسموس الواطس

وهو يُقال قبل التسبحة الشَّاروبيميَّة مباشرة. وهو أيضاً إمَّا سنوي أو يُختص ببعض الأعياد السيِّديَّة. ولقد استقر في الليتورجيَّة القبطيَّة أسبسموس واطس مختصر هو ”الشَّاروبيم يسجدون لك والسُّيرافيم يحدونك صارخين قائلين“، حيث يعقبه مباشرة ”التَّسبحة الشَّاروبيميَّة“.

والآن ينصب حديثنا عن الأسبسموسات الآدام التي ترافق نداء الشَّمَّاس: ”قَبِّلُوا بعضكم بعضاً“.

فالبايا غبريال الخامس لم يذكر عنها شيئاً سوى أنه دعاها ”التَّرتيل“، وذلك في قوله: ”وإذا فرغ التَّرتيل وقت الصُّلح يقول الشَّمَّاس إبروسفارين“ (٤٤).

أمَّا ابن كبر (+ ١٣٢٤م) فهو يطلعنا بتفصيل عنها في زمانه فيقول: ”وإذا قرئ الأسبسموس يقول الشَّمَّاس قبلوا بعضكم بعضاً بقبلة مقدسة ... ويرتل المرتلون بما يليق بذلك اليوم. أما في ساير الأيام فيقولوا

٤٣- ليس دقيقاً ما يذكره كتاب خدمة الشَّمَّاس (ص ٨٠) أن الأسبسموس الآدام يكون قبل مرد الشَّمَّاس قبلوا بعضكم بعضاً، إذ يلزم أن يكون بعده. (انظر في ذلك: كتاب الخولاجي المقدس، ١٩٠٢ أفرنكية، مرجع سابق، ص ٣٠٤، ٤٦٨، ٥٧٢).

٤٤- البايا غبريال الخامس، الترتيب الطقسي، مرجع سابق، ص ٧٧

أو يقولوا قبلوا بقبلة **Πῆς Πεννοϥ** وفي أيام الفصح والأعياد والخمسين...<sup>(٤٥)</sup> يقال ليوم الميلاد **Ραϥι οτοϥ** وقد يقال بين الغطاس والميلاد **Παϥνατ ζεν νιβαλ** وأوقات الاختصار لا يقال ذلك وقد تقتصر على **Σιτεν νιεϥχη** في أيام تذكارات الشهداء والقديسين والملائكة. ويذكر اسم كل واحد منهم في يومه. وقد يقتصر على **Πενοϥϥϥ** وعند قولها يسجدون لله جميعاً في أيام السجود، أو يركعون في الأيام التي لا سجود فيها. والغالب الركوع...<sup>(٤٦)</sup>.

ومن القول السّابق لابن كبير نعرف ما يلي:

• الأسبسموس السنوي المعتاد في زمانه هو: **Πῆς Πεννοϥ** أي: "أيها المسيح إلهنا". وهو نفسه الأسبسموس الذي أورده خولاجي سنة ١٩٠٢م، ولكن مقدّمته هي: **Πῆς Πενϥϥηρ** أي: "أيها المسيح مخلصنا"، وللأهميّة سأورد نصّه هنا بالكامل.

"أيها المسيح مخلصنا، اجعلنا أهلاً لسلامك المقدّس في السمّوات. لكي نسبحك مع الشّاروبيم والسّارافيم صارخين قائلين: قدوسٌ قدوسٌ قدوسٌ أيها الرّبّ الضّابط الكلّ السّماء والأرض مملوءتان من مجدك وكرامتك.

بشفاعات والدة الإله القدّيسة مريم، يارب انعم لنا بغفران خطايانا.  
بشفاعة الثلاثة المنيرين الأطهار ميخائيل وغبريال ورافائيل يارب

٤٥- هذه الثلاث نقاط وضعتها لأنّي أظن أن نصّ مخطوط ابن كبير سقط منه يضع كلمات قبطيّة، إذ لم يذكر الأسبسموس الذي يقال في أيام الفصح والخمسين. إلا إن كان النصّ يعني ما يلي: "أو يقولوا قبلوا بقبلة **Πῆς Πεννοϥ** في أيام الفصح والأعياد والخمسين"، حيث يكون الأسبسموس المذكور هو المختصّ بعيد الفصح.  
٤٦- كتاب مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة، لأبي البركات المعروف بابن كبير، الجزء الثاني (مخطوط)، مرجع سابق، الباب ١٧

انعم لنا بغفران خطايانا.

بشفاعة الأربعة حيوانات غير المتجسّدين، والأربعة والعشرين  
قسيساً يارب انعم لنا بغفران خطايانا.

بشفاعة سبعة رؤساء الملائكة وجميع الطغمت السّمائيّة، يارب انعم  
لنا بغفران خطايانا“.

ويكمّل كتاب الخولاجي بقوله:

ثم يقولون لأبائنا الرُّسل وما يختارون من الشُّهداء والقديسين  
والبطاركة. ثم في الآخر يقولون: ”نسجد لك أيها المسيح ...“.

والآن يستطيع القارئ - بعد أن قرأ ما سبق للتّو - أن يعرف من  
أين أتى مرد: ”بشفاعات والدة الإله القديسة مريم ...“. والذي صار  
مرداً ثابتاً في القدّاس اليوم. ولماذا نسميه أسبسموس آدام مختصر.

فهو في الحقيقة لم يكن مرداً ثابتاً على مدار السنّة الطقسيّة في كل  
مناسباتها، ولكنه أسبسموس من الممكن أن يُقال في صوم وأعياد العذراء،  
كأحد الأسبسموسات الآدام، وحتى في هذه الحالة كان يسبقه المقدّمة  
الثابتة التي لا تتغيّر مع تغيّر أعياد الشُّهداء والقديسين في حالة ترديد هذا  
الأسبسموس وهي: ”أيها المسيح مخلصنا اجعلنا أهلاً لسلاّمك المقدّس في  
السّموات ...“. ثم إنه أيضاً أسبسموس سنوي فقط.

وينبغي هنا أن يلاحظ القارئ مدى الرّباط المحكم بين ما يمارسه  
الشّعب من قبلة مقدّسة، وبين صلاته أثناء هذه القبلة لكي يجعلنا الرّب  
أهلاً لسلاّمه السّمائي بشفاعات والدة الإله القديسة مريم.

ولكن حين اقتطع المرد ”بشفاعات والدة الإله ...“ من سياق نص

الأسبسموس السّابق ذكره، احتلّ المعنى بين ما نمارسه، وما نقوله، إذ ما علاقة القبلّة المقدّسة بطلب شفاعة العذراء في هذه اللّحظة بالذّات؟. أما حين نطلب أن يجعلنا الرّبّ مستحقين لسلامه السّمائي، بشفاعة العذراء أو الملائكة أو الآباء الرُّسل أو الشُّهداء أو القديسين، يكمل الشّعب السّؤال بطلب غفران الخطايا من جرّاء هذه الشّفاعة. لأنّها لحظة قبلّة السّلام والمصالحة لغفران الخطايا، والصّفح عن الآثام.

• ومن كلام ابن كير يتّضح لنا أيضاً أن اقتطاع الرُّبع الخاصّ بالعذراء - أو غيره من الأرباع - من الأسبسموس المذكور كان يحدث في أيامه في أوقات الاختصار، حيث يقتصر على طلب الشّفاعة أو الطّلبة في تذكارات العذراء والملائكة، والشُّهداء والقديسين.

• يذكر ابن كير أنه في حالة عدم ترتيل الأسبسموس، فيقتصر على  $\text{Κενώωυτ}$  (نسجد لك أيها المسيح...). وعند قولها يسجدون لله جميعاً في أيام السُّجود، أو يركعون في الأيام التي لا سجود فيها. والغالب الرُّكوع.

إذاً هذا الرُّبع المذكور "نسجد لك أيها المسيح..."، والذي يأتي في مردّاتنا الحاليّة تالياً مباشرة للأسبسموس الآدام، وسابقاً مباشرة لمرد يوناني آخر هو "رحمة السّلام، ذبيحة التّسبيح"، هو مرد لا علاقة له في الحقيقة لا بالأسبسموس الآدام - إذ يمكن أن يقال بدونه - ولا بالمرد اليوناني التّالي له، والذي هو بدء قدّاس المؤمنين. وهذا المرء الأخير هو الذي كان يُقال مباشرة بعد رفع الإبروسفارين من على القرايين.

ومن أجل ذلك يورد حولاجي سنة ١٩٠٢م طبقاً لما يرد في المخطوطات أنه بعد مرد الشّمس: "تقدّموا (قدّموا) على الرّسم. قفوا



برعدة وإلى الشَّرْق أنظروا. ننصت“. يقول الشَّعب: ”رحمة السَّلام ذبيحة التَّسييح“. فهو مرد سحيق في القدم، قائم بذاته.

وفي ذلك نقرأ في مخطوط الفاتيكان رقم (١٧) في بدء قَدَّاس القُدِّيس باسيليوس للآب ما يلي: ”يقول الشَّمَّاس تقدَّموا أيها النَّاس قفوا وإلى الشَّرْق انظروا. يقول الشَّعب رحمة وسلامة وذبيحة تامة“.

وفي مخطوط أكسفورد رقم (هنت ٣٦٠) يأتي المرد معرَّباً هكذا: ”رحمة وسلامة وذبيحة وتسبيحة“<sup>(٤٧)</sup>.

وبرغم الاختلافات في التَّرجمة العربيَّة للمرد اليوناني، تتفق كل المخطوطات على النَّص اليوناني للمرد وهو:

Ἐλεος εἰρήνης. Θυσία αἰνέσεως<sup>(48)</sup>

وفي ذلك يقول ابن سباع: ”وإذا وصل إلى حد شيل الإبروسفارين يسأل عن الخدَّام ويقول قفوا حسنا قفوا بخشية قفوا بطلبة قفوا بخوف من الله واستجيبوا فيجاوب الشعب قائلين سلامة ورحمة وذبيحة“<sup>(٤٩)</sup>.

فرفع الإبروسفارين يكون بعد انتهاء الأسبسمس إن قيل، أو بعد ترتيل الرَّبِّع ”نسجد لك أيها المسيح...“. فيقول ابن كبير أنه بعد

٤٧- يورد مخطوط رقم (ط ١٤٧) النَّص هكذا: ”رحمه وسلامه وذبيحه زكيه“. ومخطوط (١٣٦) ”رحمه وسلامه وذبيحه نقيه“. ومخطوط (١٣٤) ”رحمة وسلامه وصعيده زكيه“ ... الخ.

٤٨- في قَدَّاس القُدِّيس يعقوب أخي الرَّبِّ في الطَّقْس السَّرِّياني، وفي قَدَّاس القُدِّيس يوحنا ذهبي الفم في الطَّقْس البيزنطي تأتي الكلمة الأولى في هذه المرد Ἐλεον

Cf. O.I.E. Burmester, *The Greek Kirugmata*, ... op. cit., p. 375, n. 2.

٤٩- يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، مرجع سابق، ص ٢٤٦: ٢٤٧

الأسبسموس السّابق ذكره، اختلّ المعنى بين ما نمارسه، وما نقوله، إذ ما علاقة القبلّة المقدّسة بطلب شفاعة العذراء في هذه اللّحظة بالذّات؟. أما حين نطلب أن يجعلنا الرّب مستحقين لسلامه السّمائي، بشفاعة العذراء أو الملائكة أو الآباء الرُّسُل أو الشُّهداء أو القديسين، يكملّ الشّعب السّؤال بطلب غفران الخطايا من جرّاء هذه الشّفاعَة. لأما لحظة قبلّة السّلام والمصالحة لغفران الخطايا، والصّفح عن الآثام.

♦ ومن كلام ابن كير يتّضح لنا أيضاً أن اقتطاع الرُّبع الخاصّ بالعذراء - أو غيره من الأرباع - من الأسبسموس المذكور كان يحدث في أيامه في أوقات الاختصار، حيث يقتصر على طلب الشّفاعَة أو الطّلبة في تذكارات العذراء والملائكة، والشُّهداء والقديسين.

♦ يذكر ابن كير أنه في حالة عدم ترتيل الأسبسموس، فيقتصر على **Πεντοῦντ** (نسجد لك أيها المسيح ...). وعند قولها يسجدون لله جميعاً في أيام السُّجود، أو يركعون في الأيام التي لا سجود فيها. والغالب الرُّكوع.

إذاً هذا الرُّبع المذكور "نسجد لك أيها المسيح ..."، والذي يأتي في مردّاتنا الحاليّة تالياً مباشرة للأسبسموس الآدام، وسابقاً مباشرة لمرد يوناني آخر هو "رحمة السّلام، ذبيحة التّسبيح"، هو مرد لا علاقة له في الحقيقة لا بالأسبسموس الآدام - إذ يمكن أن يقال بدونه - ولا بالمرد اليوناني التّالي له، والذي هو بدء قدّاس المؤمنين. وهذا المرء الأخير هو الذي كان يُقال مباشرة بعد رفع الإبروسفارين من على القرايين.

ومن أجل ذلك يورد خولاجي سنة ١٩٠٢م طبقاً لما يرد في المخطوطات أنه بعد مرد الشّمّاس: "تقدّموا (قدّموا) على الرّسم. قفوا

برعدة وإلى الشَّرْق أنظروا. ننصت“. يقول الثَّعْب: ”رحمة السَّلام ذبيحة التَّسْبِيح“. فهو مرد سحيق في القدم، قائم بذاته.

وفي ذلك نقرأ في مخطوط الفاتيكان رقم (١٧) في بدء قَدَّاس القُدَّيس باسيلوس للآب ما يلي: ”يقول الشَّمَّاس تقدَّموا أيها النَّاس قفوا وإلى الشَّرْق انظروا. يقول الشَّعب رحمة وسلامة وذبيحة تامة“.

وفي مخطوط أكسفورد رقم (هنت ٣٦٠) يأتي المرد معرباً هكذا: ”رحمة وسلامة وذبيحة وتسبحة“<sup>(٤٧)</sup>.

وبرغم الاختلافات في التَّرجمة العربيَّة للمرد اليوناني، تَنفَق كل المخطوطات على النَّص اليوناني للمرد وهو:

Ἐλεος εἰρήνης. Θυσία αἰνέσεως<sup>(48)</sup>

وفي ذلك يقول ابن سباع: ”وإذا وصل إلى حد شيل الابروسفارين يسأل عن الخَدَّام ويقول قفوا حسنا قفوا بخشية قفوا بطلبة قفوا بخوف من الله واستجيبوا فيجاوب الشعب قايلين سلامة ورحمة وذبيحة“<sup>(٤٩)</sup>.

فرفع الإبروسفارين يكون بعد انتهاء الأسيسمس إن قيل، أو بعد ترتيل الرَّبِّع ”نسجد لك أيها المسيح...“. فيقول ابن كبر أنه بعد

٤٧- يورد مخطوط رقم (ط ١٤٧) النَّص هكذا: ”رحمة وسلامه وذبيحة زكيه“. ومخطوط (١٣٦) ”رحمة وسلامه وذبيحة نقيه“. ومخطوط (١٣٤) ”رحمة وسلامه وصعيده زكيه“... الخ.

٤٨- في قَدَّاس القُدَّيس يعقوب أخي الرَّبِّ في الطَّقْس السَّرِّياني، وفي قَدَّاس القُدَّيس يوحنا ذهبي الفم في الطَّقْس البيزنطي تأتي الكلمة الأولى في هذه المرد Ἐλεον

Cf. O.I.E. Burnester, *The Greek Kirugmata*, ... op. cit., p. 375, n. 2.

٤٩- يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، مرجع سابق، ص ٢٤٦، ٢٤٧

الأسبسموس السابق ذكره، احتلّ المعنى بين ما نمارسه، وما نقوله، إذ ما علاقة القبلة المقدّسة بطلب شفاعة العذراء في هذه اللّحظة بالذات؟. أما حين نطلب أن يجعلنا الربّ مستحقين لسلامه السّمائي، بشفاعة العذراء أو الملائكة أو الآباء الرُّسل أو الشُّهداء أو القديسين، يكملّ الشعب السؤال بطلب غفران الخطايا من جرّاء هذه الشّفاعة. لأنّها لحظة قبلة السّلام والمصالحة لغفران الخطايا، والصّفح عن الآثام.

♦ ومن كلام ابن كير يتّضح لنا أيضاً أن اقتطاع الرُّبع الخاص بالعذراء - أو غيره من الأرباع - من الأسبسموس المذكور كان يحدث في أيامه في أوقات الاختصار، حيث يقتصر على طلب الشّفاعة أو الطّلبة في تذكارات العذراء والملائكة، والشُّهداء والقديسين.

♦ يذكر ابن كير أنه في حالة عدم ترتيل الأسبسموس، فيقتصر على **Πενοτικυτ** (نسجد لك أيها المسيح ...). وعند قولها يسجدون لله جميعاً في أيام السُّجود، أو يركعون في الأيام التي لا سجود فيها. والغالب الرُّكوع.

إذاً هذا الرُّبع المذكور "نسجد لك أيها المسيح ..."، والذي يأتي في مردّاتنا الحاليّة تالياً مباشرة للأسبسموس الآدام، وسابقاً مباشرة لمرد يوناني آخر هو "رحمة السّلام، ذبيحة التّسبيح"، هو مرد لا علاقة له في الحقيقة لا بالأسبسموس الآدام - إذ يمكن أن يقال بدونه - ولا بالمرد اليوناني التّالي له، والذي هو بدء قدّاس المؤمنين. وهذا المرء الأخير هو الذي كان يُقال مباشرة بعد رفع الإبروسفارين من على القرايين.

ومن أجل ذلك يورد خولاجي سنة ١٩٠٢م طبقاً لما يرد في المخطوطات أنه بعد مرد الشّماس: "تقدّموا (قدّموا) على الرّسم. فقوا

برعدة وإلى الشَّرْق أنظروا. نصت“. يقول الشَّعب: ”رحمة السَّلام ذبيحة التَّسبيح“. فهو مرد سحيق في القدم، قائم بذاته.

وفي ذلك نقرأ في مخطوط الفاتيكان رقم (١٧) في بدء قدَّاس القُدَّيس باسيلوس للآب ما يلي: ”يقول الشَّمَّاس تقدِّموا أيها النَّاس قفوا وإلى الشَّرْق انظروا. يقول الشَّعب رحمة وسلامة وذبيحة تامة“.

وفي مخطوط أكسفورد رقم (هنت ٣٦٠) يأتي المرد معرَّباً هكذا: ”رحمة وسلامة وذبيحة وتسبيحة“<sup>(٤٧)</sup>.

وبرغم الاختلافات في التَّرجمة العربيَّة للمرد اليوناني، تتَّفَق كل المخطوطات على النَّص اليوناني للمرد وهو:

Ἐλεος εἰρήνης. Θυσία αἰνέσεως<sup>(48)</sup>

وفي ذلك يقول ابن سباع: ”وإذا وصل إلى حد شيل الإبروسفارين يسأل عن الخدَّام ويقول قفوا حسنا قفوا بخشية قفوا بطلبة قفوا بخوف من الله واستجيبوا فيجاوب الشعب قايلين سلامة ورحمة وذبيحة“<sup>(٤٩)</sup>.

فرقع الإبروسفارين يكون بعد انتهاء الأسبسمس إن قيل، أو بعد ترتيل الرَّبِّع ”نسجد لك أيها المسيح...“. فيقول ابن كبير أنه بعد

٤٧- يورد مخطوط رقم (ط ١٤٧) النص هكذا: ”رحمة وسلامه وذبيحة زكية“. ومخطوط (١٣٦) ”رحمة وسلامه وذبيحة نقيه“. ومخطوط (١٣٤) ”رحمة وسلامه وصعيده زكية“... الخ.

٤٨- في قدَّاس القُدَّيس يعقوب أخي الرَّبِّ في الطَّقْس السَّرَّياني، وفي قدَّاس القُدَّيس يوحنا ذهبي الصَّم في الطَّقْس البيزنطي تأتي الكلمة الأولى في هذه المرد <sup>Ἐλεον</sup>

Cf. O.H.E. Burmester, *The Greek Kirugmata*, ... op. cit., p. 375, n. 2.

٤٩- يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، مرجع سابق، ص ٢٤٦، ٢٤٧

ترتيل الشعب "نسجد لك أيها المسيح ..."، ويسجدون لله جميعاً أو يركعون، "يرفع الإبروسفارين مثلاً لرفع الحجر الذي دُحرج عن باب القبر، وطرح ربُّنا الأكفان واللفائف عن جسده الطاهر الشريف وقت قيامته" (٥٠).

وهكذا يشرح لنا الطّقس سرّ دخولنا إلى السّماء. فإن الكاهن ومعه الشّمّاس مقابلة يرفعان الإبروسفارين، ويحرّكاه إلى أعلى بحدوء، فتسمع أصوات الجلاجل المثبّته فيه، رمزٌ لإعلان قيامة ربِّنا التي هي سرّ تأهّلنا للسّماويّات وخيراتنا الرُّوحية، التي هي جسد ربِّنا ودمه الكريم، أي شجرة الحياة التي لا يموت أكلوها.

### أصل الهيئتيّات ومنشأها

وهنا لا بد لي أن أشير إلى ما سبق أن أرجأت الحديث عنه في الفصل المعنون بـ "العناصر الليتورجية لطقس تقديم الحمل"، بخصوص الهيئتيّات وأصلها ومنشأها. فهذا الأسبسموس الآدام المذكور سابقاً، مع ما يرتبط به من شفاعات أو طلبات خاصة بالعدراء والملائكة والشهداء والقديسين، هو أصل الهيئتيّات التي تردّها اليوم قبل قراءة فصل البولس. أمّا مكانها القديم فكان هنا عند النّداء بالقبلة المقدّسة. وهذا الأسبسموس كان يتقي هيئتيّة (أي طلبه) واحدة طبقاً لمناسبة أحد أعياد الشّهداء أو القديسين في يوم عيده، أمّا اليوم فبعد انتقال هذه الهيئتيّات إلى ما قبل قراءة فصل البولس استطالت رويداً رويداً حتى صارت أربعاً عديدة، تُختتم الآن برقع البابا البطريرك والأب الأسقف. وهي لم تكن كذلك من قبل، فابن كير يذكر عنها ما يلي: "وقد تقتصر على **ΣΙΤΕΝ ΝΙΕΤΥΧΗ**

٥٠- الجزء الثاني من مخطوط رقم (٢٠٣ عربي) بالمكتبة الأهلية بباريس. وهو "كتاب مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة لأبي البركات المعروف بابن كير" مرجع سابق، الباب ١٧

في أيام تذكارات الشُّهداء والقُدَّيسين والملائكة. ويذكر اسم كل واحد منهم في يومه، "أما القُمُص عبد المسيح صليب اليراموسي (١٨٤٨-١٩٣٥م) فقد زاد بقوله: "... ثم يقولون لآبائنا الرُّسُل وما يُختارون من الشُّهداء والقُدَّيسين والبطاركة".

وقد سبق أن أشرتُ إلى أن أوَّل إشارة وردت عن هذه الهيئتين بوضعها الرَّاهن كانت في كتاب خدمة الشَّمَّاس في طبعته سنة ١٦٥٤ للشهداء/١٩٣٨م.

♦ الأَسْبِسْموس الآخر الذي ذكره ابن كبر هو Δρι̅σπ̅α̅ζ̅ε̅σ̅ε̅ أي "قَبَلُوا". ونصُّه هو: "قَبَلُوا بِقُبلة مقدَّسة، وطَهَّرُوا قلوبكم من كل شر. كونوا مستعدِّين لموهبة الله حتى تنالوا من هذه الأسرار. وبهذا نفوز بالرَّحمة ومغفرة خطايانا كعظيم رحمته. نسجد لك أيها المسيح ...".

انظر ما أبدع هذا الأَسْبِسْموس، وما أعمق كلماته، ولماذا اندثر رغم حكمة معانية المتوافقة مع لحظة القُبلة المقدَّسة؟. هل من غيُور على كنيسته يعيد إليها هذا اللحن البديع المعنى؟.

♦ ويذكر ابن كبر أيضاً أنه في عيد الميلاد يُقال أَسْبِسْموس Ρα̅υ̅ι̅ . وهو يشير هنا إلى الرُّبعين الأوَّل والثاني من القطعة الخامسة من نيُّطوكيَّة يوم الاثنين، وهما: "أفرحوا وتهلَّلوا يا جنس البشر، لأنه هكذا أحبَّ الله العالم، حتى بذل ابنه الحبيب عن المؤمنين به، لكي يحيوا إلى الأبد".

♦ ويذكر ابن كبر أيضاً أنه يقال بين الميلاد والغطاس أَسْبِسْموس Π̅α̅ϣ̅η̅α̅τ̅ ζ̅ε̅ν̅ η̅ι̅β̅α̅λ̅ وهو الرُّبع الأوَّل وما بعده من القطعة الرَّابعة من

ترتيل الشعب "نسجد لك أيها المسيح ..."، ويسجدون لله جميعاً أو يركعون، "يرفع الإبروسفارين مثلاً لرفع الحجر الذي دُحرج عن باب القبر، وطرح ربُّنا الأكفان واللفائف عن جسده الطاهر الشّريف وقت قيامته" (٥٠).

وهكذا يشرح لنا الطّقس سرّ دخولنا إلى السّماء. فإن الكاهن ومعه الشّمّاس مقابلة يرفعان الإبروسفارين، ويحرّكاه إلى أعلى همدوء، فتسمع أصوات الجلاجل المثبّته فيه، رمزٌ لإعلان قيامة ربِّنا التي هي سرّ تأهلنا للسمّاويّات وخيرات الرُّوحية، التي هي جسد ربِّنا ودمه الكريم، أي شجرة الحياة التي لا يموت أكلوها.

### أصل الهيئات ومنشأها

وهنا لا بد لي أن أشير إلى ما سبق أن أرجأت الحديث عنه في الفصل المعنون بـ "العناصر الليتورجية لطقس تقديم الحمل"، بخصوص الهيئات وأصلها ومنشأها. فهذا الأسبسموس الآدام المذكور سابقاً، مع ما يرتبط به من شفاعات أو طلبات خاصة بالعدراء والملائكة والشهداء والقديسين، هو أصل الهيئات التي نرددها اليوم قبل قراءة فصل البولس. أمّا مكانها القديم فكان هنا عند النداء بالقُبلة المقدّسة. وهذا الأسبسموس كان ينتقي هيتية (أي طلبه) واحدة طبقاً لمناسبة أحد أعياد الشّهداء أو القديسين في يوم عيده، أمّا اليوم فيبعد انتقال هذه الهيئات إلى ما قبل قراءة فصل البولس استطالت رويداً رويداً حتى صارت أربعاً عديدة، تُختتم الآن برقع البابا البطريرك والأب الأسقف. وهي لم تكن كذلك من قبل، فابن كبر يذكر عنها ما يلي: "وقد تقتصر على **ΣΙΤΗΝ ΝΙΕΤΧΗ**

٥٠ - الجزء الثاني من مخطوط رقم (٢٠٣ عربي) بالمكتبة الأهلئية بباريس. وهو "كتاب مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة لأي البركات المعروف بابن كبر" مرجع سابق، الباب ١٧



في أيام تذكارات الشُّهداء والقُدَّيسين والملائكة. ويذكر اسم كل واحد منهم في يومه، "أمَّا القُمص عبد المسيح صليب البراموسي (١٨٤٨-١٩٣٥م) فقد زاد بقوله: "... ثم يقولون لآبائنا الرُّسل وما يُختارون من الشُّهداء والقُدَّيسين والبطاركة".

وقد سبق أن أشرتُ إلى أن أوَّل إشارة وردت عن هذه الهيئتيَّات بوضعها الرَّاهن كانت في كتاب خدمة الشَّمَّاس في طبعته سنة ١٦٥٤ للشهداء/ ١٩٣٨م.

• الأسيَّسُموس الآخر الذي ذكره ابن كبر هو Δρι̅σ̅πα̅ζ̅ε̅σ̅ε̅ أي "قَبِلُوا". ونصُّه هو: "قَبِلُوا بِقُبلة مقدَّسة، وطهَّروا قلوبكم من كل شر. كونوا مستعدِّين لموهبة الله حتى تنالوا من هذه الأسرار. وبهذا نفوز بالرحمة ومغفرة خطايانا كعظيم رحمته. نسجد لك أيها المسيح ...".

انظر ما أبدع هذا الأسيَّسُموس، وما أعمق كلماته، ولماذا اندثر رغم حكمة معانية المتوافقة مع لحظة القُبلة المقدَّسة؟. هل من غيُور على كنيسته يعيد إليها هذا اللحن البديع المعنى؟.

• ويذكر ابن كبر أيضاً أنه في عيد الميلاذ يُقال أسيَّسُموس Ρα̅υ̅ι̅ ο̅ρο̅σ̅ θε̅λι̅η̅ الخامسة من ثيُوطوكيَّة يوم الاثنين، وهما: "أفرحوا وتهلَّلوا يا جنس البشر، لأنه هكذا أحبَّ الله العالم، حتى بذل ابنه الحبيب عن المؤمنين به، لكي يحيوا إلى الأبد".

• ويذكر ابن كبر أيضاً أنه يقال بين الميلاذ والغطاس أسيَّسُموس Πα̅ρ̅η̅να̅υ̅ δε̅ν̅ ν̅ι̅βα̅λ̅ وهو الرُّبع الأوَّل وما بعده من القطعة الرَّابعة من

ثيوطوكيّة يوم الاثنين، وهي: "كان ينظر بأعين النبوّة إلى سرّ عمانوئيل، إشعياء النبي العظيم، فلهذا صرخ قائلاً: إنه وُلد لنا ولد، وأُعطينا ابناً رئاسته على كتفيه...".

وجدير بالذكر أن الأسبسموس الآدام الذي يُقال حالياً في عيد الميلاد هو الرُّبعان الثالث والرابع من نفس القطعة الرُّبعية من ثيوطوكيّة يوم الاثنين، أمّا ابن كبير فأضاف الرُّبعين الأولين من نفس القطعة المذكورة.

أما الأسبسموسات الآدام للأعياد السيديّة، فقد دخلت الليتورجيّة القبطيّة بغزارة مع أوائل القرن العشرين على يد القمّص عبد المسيح المسعودي البراموسي نقلاً عن بعض مخطوطات في مكتبة دير السيّدة العذراء (برموس)، بعد إجراء بعض التّصحّيات اللُّغويّة<sup>(٥١)</sup>.

### معنى قول الشّمّاس: "قدّموا على الرّسم"

في مرد "قبّلوا بعضكم بعضاً بقبلة مقدّسة"، يقول الشّمّاس بعده مباشرة: "قدّموا على الرّسم، قفوا بخوف وإلى الشّرق انظروا. نصت". وهي العبارة التي شاعت في ترجمتها العربيّة إلى "تقدّموا على الرّسم..."، حتّى ذهب البعض إلى تفسير عبارة "تقدّموا على الرّسم" على أنّها نداء بالتقدّم للتّناول من الأسرار المقدّسة. فمن أين جاء هذا اللبس الذي خلط في هذه اللّحظة من القدّاس بين تقديم القرابين وبين التّناول من الأسرار المقدّسة؟. هذا ما سأشرحه في السّطور التّالية بمعونة الرّب.

٥١- كثير من هذه الأسبسموسات الآدام أو الواطس الخاصة بالمناسبات مأخوذة عن أرباع من الثيوطوكيات أو الذكصولوجيات، وأحياناً يكون الأسبسموس هو نفسه مرد الإبركسيس لهذه المناسبة، وهذا الأخير هو بدوره واحد من أرباع الناقوس الخاصة بذات المناسبة، وذلك بعد أن شح الإلهام الشعري منذ عهد بعيد.

الكلمة اليونانية محل الخلاف في التَّرجمة إلى العربية هي كلمة "بروسفارين - προσφέρειν - prospharin" . وهي هنا في صيغة المصدر، وتأتي من الفعل προσφέρω (بروسفيرو)، وقد ورد هذا الفعل في أسفار العهد الجديد ٤٨ مرّة، تُرجم في ٤٧ مرة منها إلى: "يقدّم" - يُحضر - يضع أمام - to set before one - يُقرّب شيء إلى آخر to bring one thing near another ، ومرّة واحدة بمعنى "يعامل"<sup>(٥٢)</sup>.

والتَّرجمة الحرفيّة لهذا الجزء من المرد في اليونانية هي: "لتقدّموا"<sup>(٥٣)</sup> على الرّسم προσφέρειν κατὰ τρόπον (بروسفارين كاتا تروبون)، قفوا برعدة (إستاثيتي ميتا ترومو)، وإلى الشّرق انظروا، ننصت"<sup>(٥٤)</sup>.

ولنا ملاحظتان:

الملاحظة الأولى: أن كلمة προσφέρειν (بروسفارين) تأتي في صيغة المصدر، وبحسب القواعد اللّغويّة، لا يمكن أن يكون الفعل الأساسي في الجملة في صيغة المصدر إلّا إذا وُجد فعل آخر معه. وهذا الفعل الآخر هو στάθητε (إستاثيتي) أي "قفوا". ثمّ أنه بحسب قواعد اللّغة أيضاً، يأتي المصدر بدون أداة تعريف للتّعبير عن غرض معيّن

٥٢ - عبرانيين ١٢: ٧

٥٣ - قدّموا وليس تقدّموا.

٥٤ - وذلك طبقاً للقداس الكيرلسي، ولكن يسبق هذا المرد في القداسين الباسيلي والغريغوري قول الشّماس: "يارب ارحم، يارب ارحم، يارب ارحم، نعم يارب الذي هو يسوع المسيح ابن الله اسمعنا وارحمنا" (وهو مرد بالقبطيّة)، ويضاف إليه في القداس الغريغوري القبطي مرد الشّماس: "فلنقف حسناً، لنقف بتقوى، لنقف باتصال، نقف بسلام. نقف بخوف الله ورعدة وخشوع" (وهو مرد باليونانية). وهذا المرد الأخير موجود بنصّه في قداّسات الكنيسة البيزنطيّة، وفي ليتورجية المراسيم الرّسوليّة.

Cf. Brightman, Liturgics Eastern And Western, vol. 1, Oxford, 1967, p. 321.

وذلك بعد أفعال الحركة أو الوقوف. لهذا تكون التّرجمة الدّقيقة للمرد اليوناني "قفوا برعدة لتقدّموا بحسب الرّسم ..."، أي لتقدّموا قرايينكم بحسب العادة. أو يمكن أن تكون ترجمة المراد هكذا: "لتقدّموا بحسب الرّسم؛ قفوا برعدة ...".

الملاحظة الثّانية: لا يمكن أن يكون المصدر προσφέρειν (بروسفارين) بمعنى "تقدّموا" أو مشتقاته، لأن أصل الفعل وهو προσφέρειν (بروسفيرو) لا يأتي أبداً بمعنى "يتقدّم"، سواء في صيغة المبني للمجهول أو في صيغة المبني للمعلوم، بل بمعنى "يقدم".

ومن هنا تكون التّرجمة العربيّة لمرد الشمس طبقاً للنّص اليوناني: "لتقدّموا على الرّسم" προσφέρειν κατὰ τρόπον (بروسفارين كاتا تروبون)، وليس "تقدّموا على الرّسم". وقد وردت كلمة προσφέρειν (بروسفارين) مترجمة إلى "قدّموا" ثلاث مرّات في الخولاخي الذي طبعه الطوخي في روما في القرن السابع عشر<sup>(٥٥)</sup>.

فيُضح إذاً أن هذا التّداء لا يعني التّقدم للتّناول من الأسرار المقدّسة، وإنما يعني أن تقدّم القرايين بحسب الرّسم أو بحسب العادة ليبدأ القدّاس الإلهي. مما يفيد أن طقس تقديم الحمل لم يكن يسبق قدّاس الموعوظين كما هو حادث اليوم، بل كان يعقبه، إذ لم يكن ممكناً للموعوظين الاشتراك في الصّلاة سوى سماعهم للرّسائل وفصل الإنجيل المقدّس والعظة وبعض الأواشي التي تُحتّم بأوشية الموعوظين. بل إن المرء ليعجب من أن يظل هذا المراد السّحيق في القدّم يحدّد بكل دقّة أن وقت تقديم القرايين يكون بعد القُبلة المقدّسة مباشرة. وهذا بعينه هو الطّقس القديم الذي ساد

في الكنيسة الجامعة، وليس في الكنيسة القبطية فحسب.

وما يدعّم هذا الأمر أيضاً، أن هذا المرد في الكنيسة اليونانية حتى اليوم هو: "لنقف حسناً، لنقف بخوف، لنصنع، لنقدّم بسلام القربان المقدّس". فيجيب الشعب: "رحمة سلام، ذبيحة تسييح". فواضح هنا أن نداء الشَّماس يكون لتقدم القرايين بعد انتهاء قدّاس الموعوظين<sup>(٥٦)</sup>. بل وبعد القبلة المقدَّسة بتحديد أكثر.

وإن القديس يوستينوس الشهيد (١٠٠-١٦٥م) هو أوّل من أشار فعلاً إلى أن القبلة المقدَّسة هي المهّد لتقدم القرايين في قدّاس الإفخارستيا<sup>(٥٧)</sup>.

وبعد يوستينوس الشهيد بحوالي ستين سنة يشير هيبوليتس الروماني في كتابه "التقليد الرسولي" (٤: ١-٣) إلى أن تقدم القرايين يكون بعد القبلة المقدَّسة مباشرة، فيقول:

"وعندما يُقسم أسقفًا، فليعط كل واحد له قبلة السلام مصافحاً له، لأنه صار مستحقاً لهذا. ويُحضر الشَّماس له القرايين، و يضع يده مع كل القسوس على القرايين ويشكر قائلاً: الرّب معكم. يقول الشعب: ومع روحك. يقول الأسقف: ارفعوا قلوبكم. يقول الشعب: هي عند الرّب. يقول الأسقف: فلنشكر الرّب. فيقول الشعب: مستحق وعادل. وبعد ذلك يستمر هكذا، ويقول ما يأتي بعد هذا كعادة القدّاس".

ومن هنا يتّضح لنا أن القبلة المقدَّسة قد صارت أحد الثوابت

٥٦- انظر: خدمة القداس الإلهي لأبينا الجليل في القديسين يوحنا ذهبي الفم، حسب الطقس البيزنطي، القاهرة، إبريل، ١٩٧٠م.

Cf. also, Brightman, op. cit., vol.1, Oxford, 1967, p. 309ff.

57- Ap. I. 65. ; Cf. Gregory Dix, Dom, op. cit., p. 108.

المستقرّة في التّقليد اللّيتورجي، حيث يلزم أن تأتي في هذا الموضع الطّقسي تحديداً، أي قبل تقديم القرايين مباشرة كما في طقس الإفخارستيا قبل نيقية، وذلك في كل مكان شرقاً وغرباً<sup>(٥٨)</sup>.

كما أننا نجد في قوانين الرُّسل القبطيّة أن تقدم القرايين يكون بعد القبلّة المقدّسة، وليس قبلها، أي بالضرورة بعد انتهاء قدّاس الموعوظين. فيقول القانون (٣٤:١) "وإذا فرغوا من الصّلاة، يعطون السّلام لبعضهم بعضاً بأفواههم (أي القبلّة المقدّسة). وليدخل الشّماسة بالقرايين إلى الأسقف (أي تقديم الحمل)، وليشكر الأسقف على الخبز والكأس، ليصيرا جسد المسيح ودمه، هذا الذي أهرق عَنَّا كلنا، نحن الذين آمنّا به".

أما القانون (٥٢:١) من قوانين الرُّسل القبطيّة أيضاً فيوضّح ذلك الأمر بكلّ جلاء، حين يذكر أنه بعد أن يقول الشّماس: "لنقف بخوف وورعة"، يقول "بروسفارين"<sup>(٥٩)</sup>، ثم يقول القانون: "وإذا تم هذا فليات الشّماس بالخبز للأسقف إلى المذبح...". وواضح هنا تماماً أن تقديم الحمل يكون بعد نداء الشّماس "بروسفارين"<sup>(٦٠)</sup>.

ولكن يبقى أماننا السّؤال السّابق الإشارة إليه وهو: لماذا حدث خلط في هذه الجزئيّة من القدّاس، وبالتّحديد في هذا المرد الخاص بالشّماس، ولاسيّما كلمة "بروسفارين"، حيث اعتبرها بعض شُراح

58- Gregory Dix, *Dom, op. cit.*, p. 108.

٥٩- جاءت في المخطوطات في صيغة "برسفارن" وناسخ أحد هذه المخطوطات يكتب بين السطور *proserin*. ولتفصيلات أوفر انظر للمؤلف: كتاب "قوانين الرُّسل القبطيّة".

٦٠- انظر أيضاً الدّسقولية، الفصل ٣٨.

ومع ذلك تظل دراستنا دراسة لغويّة أكاديميّة بحثة لا تبيح أي تعبير في نصوص الصّلوات اللّيتورجيّة، ولو للكلمة واحدة منها، لأنه أمر يختص بالرئاسة الكنسيّة فقط.

العلقوس ألما تعني "تقدّموا" أي تقدّموا للتناول من القرايين، وليس "قدّموا" أي قدّموا القرايين؟.

إن هذا الخلط حدث بسبب التّدخل الحادث في هذه الجزئيّة من القدّاس بين التّقليدين الشّرقي والغربي. فالتّقليد الشّرقي - وهو التّقليد الذي حافظ على القديم - ظلّ يراعي أن يكون تقدم القرايين بعد القبلّة المقدّسة. أما التّقليد الغربي ولاسيّما تقليد كنيسة روما فقد نقل القبلّة المقدّسة إلى آخر القدّاس الإلهي لتكون قبل التناول مباشرة. ومن هنا كان الخلط بين ما هو شرقي وما هو غربي.

فما يلزم أن نعرفه هو أن الوثائق الرُّومانيّة لم تُشر إلى القبلّة المقدّسة في طقس كنيسة روما لمدة مائتي عام بعد هيبوليتس الرُّوماني<sup>(٦١)</sup>. ثم نجد بعد ذلك أن موضع القبلّة قد انتقل في طقس روما فقط من مكانها الطّقسي القديم قبل التّقدمة إلى ما قبل التناول من الأسرار المقدّسة، وهو الوضع المغاير للتّقليد المسيحي المبكّر شرقاً وغرباً.

ولقد انتقل تأثير كنيسة روما بخصوص الموضع الطّقسي للقبلّة المقدّسة والذي صار قبل التناول وليس قبل التّقدمة، انتقل إلى كنائس شمال أفريقيا في أواخر القرن الرّابع الميلادي<sup>(٦٢)</sup>.

وبعد ذلك تبنت كنائس شمال أفريقيا عادة ترتيب الصّلاة الرّبانيّة بين القسمة والتناول، وربما أخذت هذه الممارسة من تقليد قدم في كنيسة أورشليم، وذلك كممارسة ليتورجيّة تكمل عملياً عبارة الصّلاة الرّبانيّة: «واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمدنيين إلينا»، حيث تأتي القبلّة

٦١- أي في الثّلاث الأوّل من القرن الثالث الميلادي.

62- Augustine, *Ep. Lix.* ; Cf. Gregory Dix, *Dom, op. cit.*, p. 108.

المقدّسة بعد الصلّاة الربّانية مباشرة، تحقيّقاً فعلياً لهذا الغفران، وكتمهيد مباشر للتناول.

وهذا الأمر لم نجده في طقس كنيسة روما في تلك الفترة، حيث أن استخدام الصلّاة الربّانية في ليتورجية الإفخارستيا فيها لم تكن موجودة قبل زمن البابا غريغوريوس الكبير (+ ٦٠٤ م).

وحيث تبنت روما ممارسة الصلّاة الربّانية في ليتورجيتها الإفخارستية كما في سائر العالم المسيحي، فقد أدخلتها ليس بعد القسمة كما في كنائس شمال أفريقيا، بل بين الصلّاة الإفخارستية والقسمة كما في طقس كنيسة أورشليم. أي أن الصلّاة الربّانية تأتي في طقس كنيسة روما قبل القسمة، ومن ثمّ فقد انفصلت القبلّة المقدّسة عن عبارة الصلّاة الربّانية «واغفر لنا ذنوبنا...» كما مارست كنائس شمال أفريقيا في القرن الرّابع الميلادي (٦٣).

لقد تبنت كنيسة روما الموضع الطّقسي الجديد للقبلّة المقدّسة ليس قبل سنة ٤١٦ م بكثير، وهو ما عرفناه من رسالة للبابا إينوسنت الأوّل لأخيه الأسقف دستتيوس Decentius أسقف جوبيو Gubbio وفيها يحض كنائس إيطاليا القريبة من روما والتي كانت تمارس القبلّة المقدّسة في موضعها الطّقسي القديم قبل التّقدمة، لكي تتبع عادة كنيسة روما في هذا الأمر، وفي أمور طقسية أخرى (٦٤).

٦٣- أي أن طقس كنائس شمال أفريقيا هو: الصلّاة الإفخارستية - القسمة - الصلّاة الربّانية - القبلّة - التناول.

أمّا طقس كنيسة روما فهو: الصلّاة الإفخارستية - الصلّاة الربّانية - القسمة - القبلّة - التناول.

وتبنت كنائس غربيّة أخرى ترتيب كنيسة روما، وكنائس شمال أفريقيا في نقل القبلة المقدسة لتكون قبل التناول مباشرة، كما حدث في الطقوس السّلي في إنجلترا.

ولم تكن كنيسة روما وحدها هي التي غيرت الموضع الطّقسي للقبلة المقدسة، بل إن الشّرق المسيحي قد سبق روما في هذا التّغيير، ولكنه نقل القبلة لتكون بعد تقديم القرايين بدلاً من قبلها. وقد حدث هذا التّغيير أولاً في أورشليم سنة ٣٤٨م. أمّا في أنطاكية فقد ظلّ موضعها القديم كما هو حتى إلى زمن القديس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧-٤٠٧م)، حيث بدأت تنتشر عادة كنيسة أورشليم في زمانه في كنيسة سوريا. وفي القرن الخامس الميلادي صارت القبلة مستقرة في موضعها الجديد بعد التّقدمة في الكنيسة الأنطاكيّة كما في كنيسة أورشليم.

وهو نفس ما حدث أيضاً في كنائس ما بين النهرين، وكنائس آسيا الصغرى، كما يصفها لنا أسقفها ثيودور (٤١٠م) (٦٥).

وفي غضون القرن الخامس أو السادس الميلادي تبنت كنيسة القسطنطينيّة عادة كنيسة أورشليم. ومنها انتقلت إلى كل كنائس الشّرق (٦٦). بينما ظلّت كنيسة مصر وحدها حتى ذلك الوقت (أي القرن السادس الميلادي أو بعده) تحفظ القبلة في موضعها الطّقسي القديم قبل

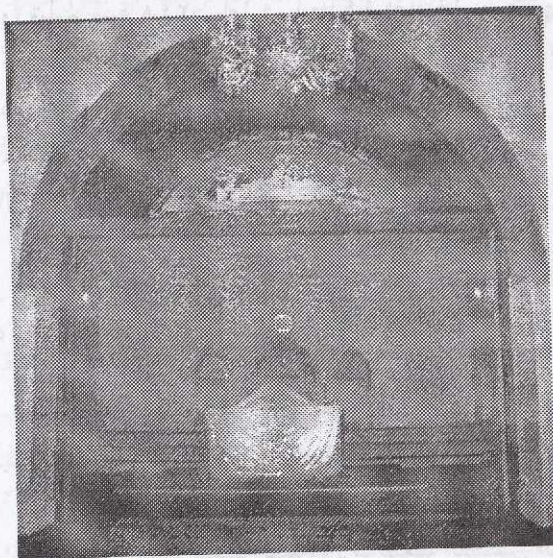
65- Theodore, *Catecheses*, V. ; Cf. Gregory Dix, *Dom*, *op. cit.*, p. 109.

٦٦- بل قد انتقل طقس كنيسة القسطنطينيّة في هذه الجزية إلى الغرب أيضاً حيث تبنى الطّقوس الموزارابي في أسبانيا الطّقوس القبطي بخصوص القبلة المقدسة، مع بعض الطّقوس البيزنطيّة الأخرى، ربما في القرن السادس الميلادي كنتيجة لاحتلال أسبانيا بواسطة الإمبراطوريّة البيزنطيّة تحت قيادة جستنيان Justinian.

Cf. Gregory Dix, *Dom*, *op. cit.*, p. 109.



التّقدمة<sup>(٦٧)</sup>. أي أن كنيسة الإسكندريّة كانت آخر كنيسة في الشّرق تُغيّر الموضع الطّقسيّ القدام للقبلة لتكون بعد تقدّم القرايين وليس قبلها. ومع ذلك ظلّ مرد الشّمّاس في الكنيسة القبطيّة محافظاً على التّرتيب الطّقسيّ القدام لهذه الجزئيّة من القدّاس الإلهي حين يأتي النّداء بالقبلة المقدّسة، ويعقبه مباشرة النّداء بتقدّم القرايين<sup>(٦٨)</sup>.



67- Gregory Dix, *Dom, op. cit.*, p. 109.

٦٨- نفس هذا الأمر بعينه تكرر في كنيسة ميلان في الغرب، إذ أن كنيسة ميلان قد تبعت كنيسة روما في ترحيل القبلة المقدّسة إلى أواخر القدّاس لتكون قبل التّناول، برغم أن الشّمّاس في كنيسة ميلان حتى اليوم ما زال يعلن النّداء بالقبلة في موضعه الطّقسيّ القدام قبل التّقدمة.

Cf. Gregory Dix, *Dom, op. cit.*, p. 110.

الفصل الرَّابِع

مقدِّمة الأنافورا

أو صلاة الشُّكر الكُبرى

## تمهيد

لو كانت الخدمات الكنسيّة هي قدّاس الموعوظين فقط، لتخلّصت الكنيسة من كثير من الاضطهاد الحكومي لها. فبرغم اعتياد الكنيسة التّعريض لاضطهاد الوثنيين المتعصّبين لها، إلّا أن اصطدام السُلطات الحاكمة بالكنيسة كان بسبب أن الكنيسة ظلّت تقيم صلاة الإفخارستيا في سرّيّة تامّة، بينما كانت الحكومة قد منعت نهائياً الجمعيّات والتّوادي السريّة. ولم يكن ميسوراً للكنيسة أن تجعل صلاة الإفخارستيا أو القدّاس علانية، لأن هذه الصلّاة موقوفة على الأعضاء في جسد المسيح، أي جماعة القدّيسين. ومن ثمّ كانت القدّاسات قبل نيقيّة تُقام في بيوت خاصة، وكانت العادة بأن تُقام في بيت رجب لأحد الأعضاء الأغنياء. وذلك لأنه في مثل هذا البيت تتيسّر السريّة التّامة.

أما قانون جالينوس سنة ٢٦٠م فقد أباح للمسيحيّين حرّيّة الاجتماع. وعلى الرّغم من أن هذا القانون لم يمنع استشهاد بعض المسيحيّين من أجل الإيمان، إلّا أنه أعطى للكنيسة فترة هدوء نسبي لمُدّة أربعين عاماً قبل الاضطهاد الضّخم الذي شنّه الإمبراطور دقلديانوس.

وفي خلال هذه المدّة كانت الصلّاة الجماعيّة تُقام في أمان. ولأوّل مرة شُيّدت مبان خاصة بعبادة المسيحيّين. كما أننا نستدل من حال

كنيسة سيرنا - وهي مدينة صغيرة في شمال أفريقيا تُسمى الآن قسنطينة بالجزائر - على أن الكنيسة في تلك الفترة كانت تحصل على ما يلزمها من التّأثيث الفاخر، وذلك لأن هذه الكنيسة كان لديها كأسان من الذهب، وستّة من الفضة، وست صواني من الفضة، وسبعة مصابيح من الفضة، وغير ذلك الكثير.

وهذه التّطوّرات لم تعد غريبة بل طبيعيّة، لأن الكنيسة لم تكن جماعة خاصة، أو نصف خاصة، لأنّها شعرت بواجبها نحو تبشير العالم بالمسيح بمجرد الاعتراف بها ورفع الاضطهاد عنها. وهكذا لم تبق الكنيسة منعزلة بدون النّظر إلى ما كان هذا الخروج عن العزلة يجلبه عليها من المخاطر. ولقد اختارت الكنيسة أن تسير في هذا الطّريق.

### معنى الأنافورا: ἡ ἀναφορά - Anaphora

كلمة ἡ ἀναφορά (أنافورا) في اليونانية تفيد عدّة معاني من أهمّها: "إعادة نقل"، أو "اللّجوء إلى (طلباً للمساعدة)". وصارت تعني حرفياً في المصطلح اللّيتورجي "تقديم القربان أو رفعه - offering"، لأنّها تتركّب من مقطعين: ἀνα (أنا) وتعني: "إلى فوق"، و φερά (فوراً) وتعني "يرفع أو يقدّم أو يلبس". وعلى ذلك فالأنافورا هنا تعني رفع الصّعيدة أو القربان إلى فوق. وقد أُطلقت الكلمة على الجزء الرّئيسي من صلاة الإفخارستيا، وهو الجزء الذي يحوي التّقدّيس والتّذكّار والتّناول. لذلك فالكلمة تغطي معظم صلوات اللّيتورجيا، لذلك أُطلقت عموماً على تقديم ذبيحة الإفخارستيا بكاملها.

وكلمة "أنافورا" عند السّريان والموارنة يقابلها كلمة "قدّاس" عند

الأقباط، وهي تُدعى في الكنيسة الآشورية "قدّاشاه".

وإنه من العجيب حقاً أن تعبير "أنافورا" ليس هو التّعبير المشهور في الكنيسة القبطيّة، إذ حلّ محله تعبير "القدّاس"، برغم أن العنوان القبطي لأيّ قدّاس قبطي في مخطوطاتنا القبطيّة، وفي الخولاجي المطبوع أيضاً يعمل تعبير "أنافورا".

فإنّ عنوان القدّاس الباسيلي القبطي هو:

Ⲭⲏⲁⲛⲁⲫⲟⲣⲁ ⲛⲧⲉ ⲡⲓⲁⲛⲓⲟⲥ Ⲫⲁⲥⲓⲗⲓⲟⲥ ⲉ̀ϥⲓⲱⲧ.

أي: "أنافورا القدّيس باسيليوس للآب" (١).

وعنوان القدّاس الغريغوري القبطي هو:

Ⲭⲏⲁⲛⲁⲫⲟⲣⲁ ⲛⲧⲉ ⲡⲓⲁⲛⲓⲟⲥ Ⲫⲣⲏⲛⲓⲟⲣⲓⲟⲥ ⲡⲓⲑⲉⲟⲗⲟⲥⲟⲥ

أي: "أنافورا القدّيس غريغوريوس الناطق بالإلهيّات" (٢).

وعنوان القدّاس المرقسي هو:

Ⲭⲁⲣⲭⲏ ⲛⲧⲉⲁⲛⲁⲫⲟⲣⲁ ⲛⲧⲉ ⲡⲉⲛⲓⲱⲧ ⲉ̀ϥⲟⲩⲁⲪ Ⲫⲁⲣⲕⲟⲥ  
ⲡⲓⲁⲡⲟⲥⲧⲟⲗⲟⲥ ⲑⲛⲉⲧⲁϥⲉⲣⲪⲉⲪⲉⲟⲛ ⲓⲙⲓⲟⲥ ⲛⲧⲉ ⲡⲓⲧⲣⲓⲥⲙⲁⲕⲁⲣⲓⲟⲥ  
ⲡⲓⲁⲛⲓⲟⲥ ⲕⲣⲓⲗⲓⲗⲟⲥ ⲡⲓⲁⲣⲭⲏⲉⲡⲓⲕⲟⲡⲟⲥ.

أي: "بدء أنافورا أبينا القدّيس مرقس الرّسول، الذي ربّه وجمعه المثلث الطّوبى القدّيس كيرلس رئيس الأساقفة" (٣).

- 
- ١- كتاب الخولاجي المقدّس، طبعة سنة ١٩٠٢م، ص ٣١٢  
وقد ترجم الخولاجي المذكور هذا العنوان القبطي إلى: "قدّاس القدّيس ... الخ".  
٢- كتاب الخولاجي المقدّس، طبعة سنة ١٩٠٢م، ص ٤٥١  
وقد ترجم الخولاجي المذكور هذا العنوان القبطي إلى: "قدّاس القدّيس ... الخ".  
٣- كتاب الخولاجي المقدّس، طبعة سنة ١٩٠٢م، ص ٥٥٣.

## الحوار اللّيُتورجي في مقدّمة الأنافورا

يدور الحوار اللّيُتورجي في بدء قدّاس المؤمنين بين الكاهن والشَّعب كما يلي:

يقول الكاهن: "الرّب مع جميعكم". يرد الشَّعب: "ومع روحك".  
 يقول الكاهن: "ارفعوا قلوبكم". يرد الشَّعب: "هي عند الرّب".  
 يقول الكاهن: "فلنشكر الرّب". يرد الشَّعب: "مستحق وعادل".

وعلى ذلك، فإن الأصل في النّص اللّيُتورجي السّابق ذكره هو الحوار وليس الرُّشومات. أي الحوار المباشر بين الكاهن والشَّعب، حيث يتّجه الكاهن إلى ناحية الغرب في مواجهة الشَّعب، ويُجري هذا الحوار اللّيُتورجي السّحيق في القدم، بكامله. وبعد انتهائه يلتفت إلى الشّرق لبدء الصّلاة مخاطباً الله الآب بنفس ما نطق به الشَّعب للتو "مستحق ومستوجب" أو "مستحق وعادل".

لذلك نجد أن ابن سباع في القرن الثّالث عشر يشرح هذا الحوار اللّيُتورجي هكذا: "يدير الكاهن وجهه إلى الغرب ويقول الرب مع جميعكم فيقول له الشعب ومع روحك. ثم يقول لهم الكاهن استفهما منهم أين عقولكم فيقولون هي عند الرب ... ثم يقول لهم الكاهن اشكروا الرب فيجيبوه قائلين مستحق ومستوجب وعادل ..."<sup>(٤)</sup>.

وما يذكره ابن سباع يؤمّن عليه مخطوط الفاتيكان رقم (١٧) الذي دُوّن سنة ١٢٨٨م، فيذكر: "يقول الكاهن: الرب معكم، يقول الشعب: ومع روحك. يقول الكاهن: اين هي قلوبكم؟، يقول الشعب: هي عند

ولكن الخولاجي المذكور ترجم القبطيّة إلى "بدء قدّاس ... الخ".

٤- يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، مرجع سابق، ص ٢٤٧

الرب. يقول الكاهن: اشكروا الرب، يقول الشعب: مستحق ومستوجب“ . وهو أيضاً ما يذكره مخطوط أكسفورد رقم (هنت ٣٦٠).

وهنا أيضاً لا ذكر لأي رشومات. أمّا البابا غبريال الخامس فهو أوّل من يذكر رشومات مصاحبة لهذا الحوار، أو ربما يشرح واحدة من النماسات الطقسيّة التي عُرفت من قبل زمانه مصاحبة لهذا الحوار، فيقول في ذلك: عندما يقول الكاهن ”الرب مع جميعكم“، يرشم الشعب مثال الصليب. وإذا قال ”ارفعوا قلوبكم“، يلتفت للشرق ويرشم الخدّام رشماً واحداً. وإذا قال ”فلنشكر الرب“ يرشم ذاته رشماً واحداً. ويعود للشرق ويقول ”مستحق وعادل ...“<sup>(٥)</sup>.

ولكننا لا نستطيع أن نعبر على قول البابا غبريال أن الكاهن عندما يقول ”ارفعوا قلوبكم“ يلتفت إلى الشّرق، ثم يعود البابا المذكور فيذكر مرّة أخرى عبارة ”ويعود للشّرق ويقول مستحق وعادل“. وهنا يتّضح عدم انسجام التّعليمات الطقسيّة التي يوردها إلاّ إن اعتبرنا أن قوله الأخير بالاتجاه للشّرق يعني أن الكاهن حتى الحوار الثالث والأخير مع الشّعب كان لازال متّجهاً ناحية الغرب في مقابل الشّعب.

أمّا كتاب الخولاجي المطبوع سنة ١٩٠٢م، ففي ذكره للرّشم الثّاني على الخدّام لم يكتف بما ذكره البابا غبريال الخامس عن هذا الرّشم، والذي يقول فيه: ”يلتفت للشّرق ويرشم الخدّام رشماً واحداً“، بل أضاف بقوله: ”يقول الكاهن وهو يرشم الخدّام شرقاً عن يمينه رشماً واحداً“. وكأنه يقول أن خدّام المذبح يقفون عن يمين المذبح فقط، أي عن يمين الكاهن. ورغم هذا وذاك فإن قول الكاهن عند هذا الرّشم الثّاني

“ارفعوا قلوبكم” هو نداء لكل الشعب وليس للخُدّام فحسب.

بل إن خولاجي سنة ١٩٠٢م أورد حاشية يوضّح فيها كيفية ممارسة هذه الرُشومات، وهو ما لم يذكره غيره، ولم يرد ذكره عند البابا غبريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٧م). فيقول الخولاجي المذكور: “أمّا الكاهن فإنه يضع اللِّفافة التي معه على يده اليسرى<sup>(٦)</sup>، ويأخذ بيده اليمين اللِّفافة التي على القربانة، ويرشم بها الثلاثة رشومات الآتية. وبعد ذلك يبقى اللِّفافتين على يديه في كل القدّاس ما خلا وقت رشومات القربان والكأس ووقت القسمة وما بعدها...“<sup>(٧)</sup>.

أي أن الرُشومات المذكورة والمصاحبة للحوار الليتورجي أصبحت بلفافة الحَمَل. وهنا انقسمت المخطوطات إلى قسمين، القسم الأوّل يورد الحوار الليتورجي بدون ذكر لأي رشومات<sup>(٨)</sup>، وهو الأكثر شيوعاً. والقسم الثاني منها يورده مصحوباً برشومات<sup>(٩)</sup> كما يذكر البابا غبريال الخامس، وهو الأقل عدداً. ولكن لم يذكر أي مخطوط ما يذكره خولاجي سنة ١٩٠٢م عن أن الرُشومات تكون بلفافة الحَمَل على وجه الخصوص.

وهنا ينبغي أن نعرف ما يعنيه وضع اللِّفافة على يدي الكاهن كما يشرحه لنا البابا غبريال الخامس. فإن أوّل ذكر عنده لوضع لفافة على يدي الكاهن هو ما يذكره في نهاية الأواشي بعد قول الكاهن: “اذكر

٦- وهي اللِّفافة التي كانت موضوعة على الإبروسفارين على شكل مثلث علامة ختم القبر، وهي التي يرفعها الكاهن أمام عينيه حين يقول: “بمسرتك يا الله املاً قلوبنا من سلامتك...“.

٧- كتاب الخولاجي المقدّس، طبعة سنة ١٩٠٢م، ص ٣١١.

٨- مثل مخطوط (ط ١٣٣)، ومخطوط (ط ١٣٤) ومخطوط (ط ١٤٧).

٩- مثل مخطوط (ط ١٣٦).



يارب الذين قدّموا لك هذه القرايين ...“ . فيقول في ذلك:

”فإذا قال الشمّاس (القارئون)<sup>(١٠)</sup> يقول الكاهن السرّ (اذكر أيضاً يارب ...)<sup>(١١)</sup> وبعد ذلك يأخذ الكاهن على يده اليمنى لفافة حرير. فإنه من حين يمس الكاهن القرايين بيديه، من حين يقول (أخذ خبزاً) إلى آخر القدّاس، لا يمكن أن يشير بيديه إلى الشعب بيديه مكشوفتين لكن ملفوفتين بلقافة حرير إجلالاً وتعظيماً لما لمس. فإذا فرغ من قراءة هذا السرّ يلف يده اليمنى بلقافة حرير ويشير بها إلى الغرب للشعب، ويقف بجانباً، ويده اليسرى مبسوطة على الصينية طالباً إلى المسيح، ويتلو البركة إلى آخرها<sup>(١٢)</sup>، وفي ضمن ذلك يقول الشمّامسة الترحيم للآباء البطاركة الدارجين إلى آخرها ...“<sup>(١٣)</sup>.

- مما سبق ذكره يتّضح لنا أن طقس البابا غريال يعني ما يلي:
- أن الكاهن قبل أن يقول: ”أخذ خبزاً على يديه ...“ يصلي بيدين مكشوفتين، وهو ما تكرر في غير موضع من كتابه ”الترتيب الطقسي“.
- وبالتالي تكون الرُشومات المصاحبة للحوار اللّيورجي في بداية القدّاس هي رشومات بيدين مكشوفتين.

- أن وضع اللّفاقة على يدي الكاهن يكون فقط حين يتّجه الكاهن ليشير بها ناحية الشعب، وذلك في المراحل المتأخّرة من القدّاس، أي بعد

١٠- ما بين القوسين ( ) في هذه الفقرة يرد في النّص بالقطيعة فقط.

١١- وهو بداية التّرحيم ”اذكر أيضاً يارب كل الذين رقدوا، وتيّحوا في الكهنوت، والذين في طعمة العلمانيين ...“ . وهو يقال سرا، لذلك يسميه البابا غريال ”السرّ“.

١٢- سأشرح ذلك الأمر بالتّفصيل عند الحديث عن الأواشي والتّرحيم.

١٣- البابا غريال الخامس، التّرتيب الطقسي، مرجع سابق، ص ٨٢

الانتهاء من كلمات التأسيس "أخذ خبزاً على يديه ...".

- إلى حد قوله إن اليد اليمنى التي يتجه بها الكاهن ناحية الشعب يكون عليها لفافة حرير، بينما يده اليسرى تكون بدون لفافة ومبسوطة على الصنيينة، كما يفهم من كلامه السابق بكل وضوح.

وهذا هو السبب الذي لأجله توضع اللفافة على يدي الكاهن، وهذا كله هو بحسب طقس البابا غبريال الخامس، وهو الطقس الأساسي الذي نقل عنه خولاجي سنة ١٩٠٢م، كل ما ورد به. بل إن ما سبق ذكره من قول البابا غبريال الخامس قد أورده الخولاجي المذكور بحرفه<sup>(١٤)</sup>.

وورد في خولاجي الأنبا بطرس: "وارشم الشعب أولاً، ثم الخدام، وبعد ذلك ارشم ذاتك آخر الكل، متذكراً أنك تقف لخدمة العبيد رفقاءك، وأنه لا يجوز لك أن تسبق غيرك حتى في الرشومات مع أنها نصيبك. ولكن من يؤخر ذاته ينال هدوء وسلام الاتضاع"<sup>(١٥)</sup>.

لقد انصرفت التعليمات الطقسية إلى شرح طريقة الرشومات، أكثر بكثير من اهتمامها بالحوار الليتورجي نفسه والذي كان يدور مواجهته بين الكاهن والشعب حتى نهايته. ومن ثم فقد أضافت التعليمات الطقسية أنه إذا كان الأب البطريك أو الأسقف حاضراً، ولم يكن خادماً، فهو الذي يرشم الشعب والخدام وذاته بالصليب وهو صامت<sup>(١٦)</sup>. أما الكاهن الخديم فهو الذي يقول كلام الرشومات بدون رشم إلا على ذاته فقط. ونفس الشيء يعمل عند أجيوس.

١٤- كتاب الخولاجي المقدس، طبعة سنة ١٩٠٢م، ص ٣٦٦؛ طبعة ٢٠٠٢م، ص ٢٥٢

١٥- معاني رشم الصليب، مرجع سابق، ص ٧٩

١٦- ولاحظ هنا أن الرشومات تتم بدون لفافة الحمل في هذه الحالة.

## أصل الرُشومات التي صاحبت الحوار اللّيورجي

فما هو إذاً أصل هذه الرُشومات المصاحبة لهذا الحوار اللّيورجي؟  
هذه الرُشومات ذات أصول سريانيّة قديمة، لم تنتقل إلى الطّقس القبطي إلاّ بعد زمن طويل.

ففي كتاب المراسيم الرّسوليّة - ذو التّقليد السّرياني - ومنذ النّصف الثاني من القرن الرّابع الميلاديّ نقرأ ما يلي:  
”يبدأ رئيس الكهنة أن يصلّي سرّاً مع الكهنة، ويرتدي لباساً بهيماً، ويقف عند المذبح، ويرشم علامة الصّليب باليد على جبهته ويقول:  
نعمة الله ضابط الكل، ومحبّة ربّنا يسوع المسيح، وشركة الرّوح القُدّس تكون مع جميعكم.

ويقول الجميع باتفاق الأصوات: ومع روحك.

يقول رئيس الكهنة: ارفعوا القلب.

و(يقول) الجميع: هو عند الرّب.

و(يقول) رئيس الكهنة: فلنشكر الرّب.

و(يقول) الجميع: مستحق وعادل“ (المراسيم الرّسوليّة ٨: ١٢: ٤، ٥).

ومما سبق يتّضح أن الرّشم المصاحب لهذا الحوار اللّيورجي كان يجريه مترسّ الصلاة على جبهته هو عند قوله الجزء الأوّل من الحوار.

ثمّ انتقلت عادة الرّشم عند السّريان بأن يرسم الأسقف أو الكاهن المقرّب إشارة الصّليب على صدره، مبتدئاً من جبهته، ثمّ صدره، ثمّ كتفه اليسرى ثمّ كتفه اليمنى. وبعد ذلك يرسم إشارة الصّليب على الجماعة بالصّورة المذكورة، أي من فوق إلى أسفل، ومن الجهة اليسرى إلى

اليُميني<sup>(١٧)</sup>. وهكذا انتقلت عادة الرُّشم من الطُّقس السُّرياني إلى الكنائس الأخرى شرقاً وغرباً. أما كنيسة القسطنطينية فإنها ترسم علامة الصُّليب من فوق إلى أسفل، ومن اليمين إلى اليسار. وقد سرت هذه العادة منها إلى السُّريان المشاركة<sup>(١٨)</sup>.

أما أقدم إشارة تأتينا عن الرُّشومات التي يرشمها الكاهن على نفسه، وعلى الشَّمامسة القائمين على يمين المذبح ويساره، وعلى الشَّعب، في هذه الحوار اللِّيُتورجي، فتأتينا من عند القُدِّيس يعقوب الرهاوي (٦٣٣-٧٠٨ م) أسقف إديسا Edessa<sup>(١٩)</sup>.

وبعد هذه المقدّمة في الشُّرح الطُّقسي لهذا الحوار اللِّيُتورجي تأتي إلى تفصيلاته واحدة فواحدة.

### الرَّبُّ مع جميعكم

هذه التَّحِيَّةُ المعروفة في كافة التَّقاليد اللِّيُتورجيَّة شرقاً وغرباً هي تَحِيَّةٌ تقليديَّةٌ متوارثة، انتقلت إلى الكنيسة المسيحيَّة من تقليد يهودي قدم يأتي في صيغة «الرَّبُّ معكم» (راعوث ٤:٢). أمَّا إجابته التَّقليديَّةُ فهي: "باركك الرَّبُّ". ولهذا التَّحِيَّةُ التَّقليديَّةُ صيغة أخرى قريبة المعنى إلى هذه الصِّيغة السَّابِقة تقول: «بركة الرَّبُّ عليكم»، و«باركناكم باسم الرَّبُّ» (مزمو ١٢٩:٨).

وهذه التَّحِيَّةُ اللِّيُتورجيَّةُ التي يقولها مترس الصلاة للشَّعب توجد في الشُّرق المسيحي على ثلاثة أشكال:

١٧- البطريرك إغناطيوس أفرام الثاني، مرجع سابق، ص ٢٤٦

١٨- نفس المرجع، ص ٢٤٦

١٩- البطريرك إغناطيوس أفرام الثاني، مرجع سابق، ص ٢٤٦، حاشية رقم ١

**الشكل الأوّل:** يتكوّن من كلمة مفردة هي "الرّب - Κύριος" في عبارة "الرّب مع الجميع"، وهو تقليد كنيسة الإسكندريّة.

ولقد حفظت كنيسة الإسكندريّة الصّيغة اللّيتورجيّة القديمة الأصليّة اليوناني ولكن بحروف قبطيّة في أقدم مخطوطات الخولا جيّات القبطيّة كما في مخطوط الفاتيكان رقم (١٧)، ومخطوط أكسفورد رقم (٣٦٠). بل إن هذه الصّيغة عينها نجدّها عند البابا غريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٧ م). ولكن ما نلاحظه أن ترجمة هذه الصّيغة اللّيتورجيّة إلى اللّغة العربيّة كانت ترجمة غير حرفيّة، فقد تُرجمت إلى "الرّب مع جميعكم"، وليس "الرّب مع الجميع" كما ترد الصّيغة في النّص القبطي لها نقلاً عن اليوناني.

أمّا القدّاس الباسيلي اليوناني كما ذكره رنودوت E. Renaudot بحسب التّقليد القبطي فجاءت الصّيغة Ὁ Κύριος μετὰ πάντων ὑμῶν أي "الرّب مع جميعكم". وتعبير "جميعكم" نجده كذلك في القدّاسين الغريغوري والكيرلسي القبطيين.

وليس هناك فرق كبير بين قول الكاهن: "الرّب مع الجميع"، وبين قوله: "الرّب مع جميعكم"، لأن مضمون التّعبير الذي يقوله الكاهن "الرّب مع الجميع" يعني تحديداً "مع جميعكم"، لأن مرد الشّعب الختمي والذي يعقب هذه التّحيّة هو: "ومع روحك". وإلّا لو كان قول الكاهن "الرّب مع الجميع" يعني أن الرّب معه ومع الشّعب أيضاً، لما كانت هناك ضرورة لمرد الشّعب "ومع روحك"، أي "ومع روحك الرّب أيضاً".

تماماً كما في قول الكاهن Εἰρήνη πᾶσιν (إيريني باسي) أي "السّلام للجميع"، والتي تُترجم إلى العربيّة دائماً: "السّلام لجميعكم"، لأن مرد الشّعب الختمي الذي يعقب هذا السّلام هو دائماً: "ولروحك"، أي "ولروحك هذا السّلام".

هنا تبرز مكانة مشاركة الشّعب في الصّلوات اللّيتورجيّة وأهمّيّتها، فالشّعب كله مجتمعاً معاً حول المذبح المقدّس يمكنه أن يخاطب الكاهن معطياً إياه السّلام، وطالباً لأجله معيّة الرّب. وهذه العلاقة البديعة والوثيقة بين الكاهن والشّعب، هي التي توّهل الكنيسة كلها للارتقاء إلى السّماء. وهنا لا ننسى الطّلبة اللّيتورجيّة الهامة التي تقول: "وصلواتهم التي يصنعونها عنا، وصلواتنا نحن أيضاً عنهم، اقبلها إليك على مذبحك المقدّس التّاطق السّمائي...".

أمّا في كنيسة روما كما في كنيسة ميلان، فترد فيهما هذه التّحيّة اللّيتورجيّة في صيغة مبسّطة هي: "الرّب معكم - Dominus vobiscum". وهذه الصّيغة لها أصل يوناني في التّقليد الرّسولي هيبوليتس هو: Ὁ Κύριος μεθ' ὑμῶν أي "الرّب معكم". فنقرأ في التّقليد الرّسولي: "وبعد ذلك يصلّب على جباههم بزيت المسحة، ويقبلهم قائلاً: الرّب معكم Ὁ Κύριος μεθ' ὑμῶν. ويقول أيضاً الذين تعمّدوا: ومع روحك. هكذا يفعل بمن يتعمّد" (التّقليد الرّسولي ٢١:١٩).

**الشكل الثّاني:** تأتي فيه هذه التّحيّة اللّيتورجيّة في صيغة تختص بالتّالوث القدّوس، ولكنها تبدأ بأقنوم الابن، أي باسم المسيح، امتداداً لما ورد في رسالة كورنثوس: «نعمة ربّنا يسوع المسيح، ومحبّة الله، وشركة الرّوح القدّس مع جميعكم» (٢ كورنثوس ١٣:١٤).

وهذه الصيغة قد تبناها التَّقْلِيدُ البيزنطي - مع تعديل طفيف - حيث تأتي هكذا: "نعمة ربنا يسوع المسيح، ومحبّة الله الآب، وشركة الرُّوحِ القُدَّسِ فلتكن مع جميعنا". وقد انتشرت فيه انتشاراً واسعاً. إلا أن أصلها ليس من القسطنطينيّة بل من أنطاكية، حيث استخدمها القُدَّيسُ يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧-٤٠٧ م) في عظاته<sup>(٢٠)</sup>.

**الشكل الثالث:** ويرد فيها - أي في هذه التحيّة الليتورجيّة - ذكر الثلاثة أقانيم، ولكنها تبدأ بأقوم الله الآب.

فليتورجيّة القُدَّيسِ يعقوب أخى الرّب (الطقس السرياني)، سواء في نصّها اليوناني أو السرياني، يرد فيها هذه الصيغة هكذا: "محبّة الله الآب ونعمة الابن الوحيد، وشركة الرُّوحِ القُدَّسِ تكون مع جميعكم"<sup>(٢١)</sup>.

أمّا العالم أندريه تاربي André Tarby فقد أورد هذه الصيغة بحسب التَّقْلِيدِ السرياني القديم هكذا: "محبّة الله الآب، ونعمة ربنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح، وشركة الرُّوحِ القُدَّسِ تكون مع جميعكم"<sup>(٢٢)</sup>.

وقد نشأت هذه الصيغة في أورشليم. ويعطينا الكتاب الثامن من المراسيم الرسوليّة Apostolic Constitutions صيغة منمّقة ومغايرة لها نوعاً مع بعض الإضافات الطفيفة. والتَّقْلِيدُ الأرمني له صيغة مشابهة لهذه الصيغة.

وهذه التحيّة التَّقْلِيدِيّة القديمة لم تكن تُقال في صلاة الإفخارستيا فقط، بل كانت هي التحيّة التي يقولها الأسقف في أي وليمة أغابي يحضر

20- PG 50, C. 458.

٢١- البطريرك إغناطيوس أفرام الثاني، مرجع سابق، ص ٢٤٥

22- André Tarb, *La prière eucharistique de l'Église de Jérusalem*, 1972, p. 25-70.

فيها مع جموع الشَّعب الحاضرين. وكتاب التَّقْلِيد الرِّسُولِي الذي دُوِّن قبل سنة ٢٣٥، يشرح لنا هذا الطَّقْس البديع في حالة إقامة عشاء للجماعة في المساء، فيقول: "عندما يأتي المساء، يكون الأسقف هناك، وليحضر الشَّمْسُ السَّرَاج. ويقف الأسقف في وسط المؤمنين، وقبل أن يشكر يقول: الرَّبَّ معكم. ويقول الشَّعب أيضاً: ومع روحك. ويقول الأسقف: فلنشكر الرَّب. ويقول الشَّعب: مستحق ومستوجب، له العظمة والرِّفعة مع المجد. وهو لا يقول: ارفعوا قلوبكم، لأنَّها تقال في القُرْبان" (٢٦:١٦-٢١).

وفي جميع اللَّيتورجيات تكون الإجابة هي: "ومع روحك".

### ارفعوا قلوبكم

ويأتي هذا العنصر الثاني من الحوار تحت ثلاثة أشكال، لا يوجد شكل منها كاختصار لآخر. وهو عنصر يختص بصلاة الإفخارستيا، وقدَّاسات اللقنات فحسب، ولا يقال في أي اجتماع ليتورجي آخر. وهذه الأشكال الثلاثة هي:

الشَّكْل الأوَّل: يكون في قول الكاهن:

"(ارفعوا) (٢٣) القلوب إلى فوق - Ἄνω τὰς καρδίας"

وهي الصِّيغة التي ظهرت في كنيسة أورشليم، وقد عرفناها من العظات التي ألقاها القُدِّيس كيرلس الأورشليمي (٣١٥-٣٨٦م) لطالبي

٢٣- كلمة "ارفعوا" لازمة هنا لترجمة العبارة اليونانية المذكورة، لأن الكلمة اليونانية τὰς καρδίας (أي القلوب) تأتي في صيغة المفعول به، وليس هناك فعل واضح في الجملة، بل هو فعل مُضمَر.

المعمودية<sup>(٢٤)</sup>. كما ذكرها أيضاً أنسطاسيوس السّينائي<sup>(٢٥)</sup>. ولكن الاحتمال الأقرب جداً أن أصولها تعود إلى كنيسة الإسكندرية.

وفي الليتورجية الأرمينية يوضع في فم الشّمّاس بدلاً من الكاهن النّداء الموجه إلى الشّعب قائلاً: "ارفعوا بخوف قلوبكم إلى الرّب"<sup>(٢٦)</sup>.

**الشّكل الثّاني:** يكون في قول الكاهن:

"(ارفعوا) العقل إلى فوق - *Ἀνω τὸν νοῦν*"<sup>(٢٧)</sup>.

وهو تقليد أنطاكي، حيث يرد هذا الشّكل في الكتاب الثامن من المراسيم الرّسوليّة Apostolic Constitutions .

ويستعمل السّريان المشاركة، أي الآشوريون، هذا التّعبير في ليتورجية أدبي وماري.

وفي المقالة التاسعة للقدّيس يوحنا ذهبي الفم عن التّوبة، يستشهد بمناداة الشّمّاس للمؤمنين بقوله: "لنرفع عقلنا وقلوبنا" إلى الله.

*Ἀνω σχῶμεν ἡμῶν τὸν νοῦν καὶ τὰς καρδίας.*

وذلك النّداء لا تعرفه سوى ليتورجية مار يعقوب أخي الرّب السّريانيّة. أما سائر الليتورجيات فيكون النّداء فيها برفع القلوب وليس العقول<sup>(٢٧)</sup>.

**الشّكل الثّالث:** ويكون في صيغة:

"الأذان للرّب - *Aures ad Dominum*"

وهو ما يستخدمه الطّقس الأسباني القديم (أي الطّقس الموزارابي).

24- PG 33, C. 1112.

25- PG 89, C. 837A

٢٦- البطريرك إغناطيوس أفرام الثّاني، مرجع سابق، ص ١٩٥

٢٧- البطريرك إغناطيوس أفرام الثّاني، مرجع سابق، ص ١٩٥

ولكن هذا النّداء الأخير قد شدّ عن كل تقليد الكنيسة، لأن القلب في اللاهوت الأبائي المسيحي القديم، وكذلك في الأدب الفرعوني، هو الذي يودّي وظيفة الفهم والمعرفة، ومنه نبع الحكمة.

ولقد تطوّر الشّكل الأوّل إلى:

"لنمسك القلوب مرفوعة - *Ἀνω σχῶμεν τὰς καρδίας*"<sup>(٢٨)</sup>

وقد وردت هذه الصّيغة في مخطوط كسمارسك F. Kasmarsk Codex الذي يحوي النّص اليوناني للقدّاس المرقسي بحسب تقليد الكنيسة القبطيّة.

والفرق هنا أن النّداء "القلوب إلى فوق"، ربما يعني رفعها في هذه اللّحظة عينها فقط. أما النّداء "لنمسك القلوب مرفوعة" فصار يعني رفعها إلى فوق والاحتفاظ بها مرفوعة دائماً.

وقد تطوّرت هذه الصّيغة أيضاً إلى:

"لنمسك قلوبنا مرفوعة - *Ἀνω σχῶμεν τὰς καρδίας ἡμῶν*"<sup>(٢٩)</sup>.

أي مع إضافة ضمير جمع المخاطبين ἡμῶν . وقد دخلت هذه الصّيغة في التّقليد الأنطاكي.

وفي مصر تنافست صيغتان لتحتل أحدهما مكان الصّدارة؛ الأولى هي: "لنرفع قلوبنا - *Ἀνω ἡμῶν τὰς καρδίας*"<sup>(٣٠)</sup>. أما الثّانية فهي: "ارفعوا قلوبكم - *Ἀνω ὑμῶν τὰς καρδίας*"<sup>(٣١)</sup>، وهذه الصّيغة الأخيرة هي التي انتشرت في كنيسة مصر.

وهاتان الصّيغتان هما في الحقيقة امتداد للصّيغة الأولى: "القلوب إلى فوق"، والتي ربما تكون هي الصّيغة الأصليّة التي نشأت في الإسكندرية، وذلك لأن هذه الصّيغة هي صيغة أصيلة في التّقليد الرّسولي هيولييتس،



كما نراها أيضاً في طقس كنيسة روما، وكنيسة ميلان. وهنا أيضاً قد نقلت كنيسة روما عن كنيسة الإسكندرية مقدّمة الأنافورا. وعلى ذلك فنحن الآن أمام نقطة التقاء بين الإسكندرية وروما وأورشليم أيضاً مهد الكنيسة المسيحية<sup>(٢٨)</sup>.

ويقول القدّيس أغسطينوس (٣٥٤-٤٣٠م):

«إن النّداء "ارفعوا قلوبكم" هو نداء عام في جميع كنائس العالم شرقاً وغرباً».

وتجاوب الجماعة في جميع الليتورجيات: "هي عند الرّب"، ما خلا السّريان المشاركة، فيجاوبون: "هي عندك يا إله إبراهيم واسحق ويعقوب، أيها الملك المجيد"<sup>(٢٩)</sup>.

فبدء القدّاس الإلهي يعني أننا بدأنا الصّعود إلى السّماء، حيث ذبيحة الابن الوحيد قائمة وسط عرش الله<sup>(٣٠)</sup>. لأننا إذا وقفنا في هيكل المقدّس يارب نحسب أننا قائمون في السّماء. وعندما يجيب الشّعب: "هي عند الرّب" يعني أننا بكلّيتنا قد صرنا عند الرّب ومعّه. وإن من ينال نعمة رفع قلبه في هذه اللّحظة بالذّات، هو من اعتاد أن يتّجه صوب السّماء طوال حياته.

### فلنشكر الرّب

هذه هي بداية صلاة الشّكر الكُبرى، والتي بسببها يُسمى الطّقس كله بصلاة الشّكر، أو بسر الشّكر. وهذه الصّيغة الليتورجية كانت تُقال

28- A. Baumstark, *op. cit.*, p. 84.

٢٩- يرد مثل هذا الابتهاال في صلاة منسى الملك.

٣٠- انظر: رؤيا ٦:٥

في الطقوس العبري في نهاية الوليمة على كأس البركة، وهي مرفوعة في يد رئيس المتكأ. وكان لا يصح أن تكون حواراً إلا إذا كان عدد الحضور لا يقل عن مائة شخص. فهي نداء لصلاة شكر جماعي. ومن ثم فهي الصيغة القديمة التي كان يردها المجمع اليهودي.

أمّا إذا كان العدد في حدود عشرة أشخاص، فتكون صلاة الشكر الصغرى والتي ليس لها مرد<sup>(٣١)</sup>.

إن صلاة الشكر اليهودية التي هي مثل صلاة الشكر المسيحية تماماً يسبقها دعاء invitation صيغته في ليتورجية روما هي: "فلنشكر الرب إلهاً"، هي ترجمة حرفية لما أمر به كتاب المشنا Mishna عندما يجتمع على الأقل مائة شخص ليحتفلوا بأي وليمة يهودية عادية. وطبيعياً فإن محتويات جديدة قد ألحقت على الصلاة القديمة التي كانت تقال في أي وليمة يهودية عادية بعد أن أصبحت تلك الصلاة القديمة هي الصلاة المقدسة والمكرسة للوليمة السرائرية التي هي الذبيحة المقدسة (الإفخارستيا)، إذ نجد في نص وحيد ورد في الصلاة الثالثة من الديداحي في كلماتها الافتتاحية. ونشير هنا إلى الأنافورا القديمة التي وردت في التقليد الرسولي لهيبوليتس. وهذه الصيغة الطقسية هي الصيغة الأولية لصلاة الشكر الكبرى، أي الصيغة التي اشتقت منها كل الصيغ الإفخارستية (أي صلوات الشكر)، التي أتت بعد ذلك<sup>(٣٢)</sup>.

يقول القديس أغسطينوس (٣٥٤-٤٣٠م):

٣١- مثل صلاة الشكر التي تقال للتقديس على الكأس في طقس تقديم الحمل وهي: "فلنشكر صانع الخيرات..."، وهي بدون مرد مباشر.

Cf. A. Baumstark, *op. cit.*, p. 47.

32- A. Baumstark, *op. cit.*, p. 47.

[فلنشكره لأنه لو لم يهبنا نعمته لبقيت قلوبنا متشبّثة بالأرض. ها أنتم تشهدون بهذا وتقولون مستحق وعادل أن نشكر ذاك الذي رفع قلوبنا إلى حيث يوجد رأسنا].

وتتفق جميع الليتورجيات على صيغة "فلنشكر الرب"، ما عدا ليتورجية أدي وماري للسريان المشاركة (النساطرة)، حيث يقول الكاهن فيها: "يقربّ القربان لله ربّ الجميع".

### مستحقّ وعادل

هذا المرد "مستحقّ ومستوجب" كما في ترجمته العربية القديمة الأكثر دقة، أو "مستحقّ وعادل" وهي ترجمته العربية التي ظهرت في العصور الوسطى، هو مرد قديم جداً معروف في كافة أنحاء العالم المسيحي شرقاً وغرباً بلا استثناء. ومع ذلك فليس له نموذج يهودي يناظره، لأنه مرد لا يعرفه المجمع اليهودي. أي أن منشأه وأصله جاء من العالم اليوناني الهليني، ودخل لغة المسيحية المبكرة في مهد نشأتها<sup>(٣٣)</sup>.

ويخطئ البعض في فهم مضمون هذا المرد ولاسيما بعدما صارت ترجمته الشائعة هي: "مستحقّ وعادل"، إذ ينسبون إلى الله الاستحقاق والعدل. ويكون هذا الأمر صحيحاً فقط إن كان المرد في اليونانية في صيغة الفاعل المفرد المذكّر أي Ἀξίος καὶ δίκαιος (أكسيوس كي ذيكويس). ولكن هذا المرد في كافة الليتورجيات هو Ἀξίον καὶ δίκαιον (أكسيون كي ذيكيون) في صيغة الفاعل المفرد المحايد.

ومن ثمّ فالمرء ليس صفة موجهة إلى الرب، ولكنه موجه إلى

الشُّكر نفسه، أي ”إنه أمرٌ واجبٌ ولائقٌ أن نشكرك“، أو ”إنه مستحقٌ وعادلٌ أن نشكر الله“.

وفهم المرد يأتي بسهولة من مجريات الحوار بين الكاهن والشَّعب، فحين يقول الكاهن للشَّعب: فلنشكر الرَّب. يجيب الشَّعب: إنه واجب ولازم أن نشكره. هذا هو معنى المرد في نصّه اليوناني.

وحين يأخذ الكاهن بادئة الصَّلَاة نفسها من ذات مرد الشَّعب ليتوجّه بها إلى الله ويخاطبه بقوله: ”مستحقٌ وعادلٌ ...“، فهو يقول إنه ”واجب ولائقٌ“ أو ”واجب ولازم“<sup>(٣٤)</sup> أي ”إنه واجب ولازم أن نسبِّحك ونباركك ونخدمك ونسجد لك ونعجِّدك ...“، أي أن كلمات المرد التي التقطها الكاهن في فم الشَّعب ليبدأ بها الصَّلَاة الإفخارستيَّة هي تقرير حال، وإلا لو كانت كلمتا ”مستحقٌ وعادلٌ“ تأتي كصفات تختص بالله لما استقام المعنى في صلاة الكاهن<sup>(٣٥)</sup>.

٣٤- كما في الترجمة العربيَّة لمخطوط كسمارسك F. Kacmarcik Codex .  
٣٥- الذي سبَّب هذا اللبس في فهم معنى المرد هو صعوبة معرفتنا لقواعد اللُّغة العربيَّة. فقد كان من السَّهل أن نفهم مضمون المرد لو أن كلماته هي: ”مستحقٌ (بفتح الحاء) ومستوجبٌ (بفتح الواو)“. ولكنها لا تأتي هكذا أبداً في اللُّغة العربيَّة، لأنَّها في هذه الحالة صارت اسم مفعول. واسم المفعول في اللُّغة العربيَّة هو اسم مشتق يدلُّ على معنى مجرد غير دائم، أي لا يلزم صاحبه (الشُّحو الوافي ص ٢٦٠). وإن جاء المرد ”مستحقٌ (بكسر الحاء) ومستوجبٌ (بكسر الجيم)“ فهو لا يعني كذلك أنه اسم فاعل، لأنَّ اسم الفاعل في اللُّغة العربيَّة هو اسم مشتق يدلُّ على معنى مجرد حادث (أي عارض يطرأ ويذول) على فاعله (الشُّحو الوافي ص ٢٣٦). ولكن المرد هنا جاء ”صفة مشبَّهة“. والفرق بين الصِّفة المشبَّهة واسم الفاعل هو أن الأوَّل رغم مظهرها الذي يوهمنا بأنَّها اسم فاعل إلا أنَّها تعني في حقيقتها معنى ثابت، وهو ما ينطبق على اسم الفاعل. فنقول مثلاً: الكوكب مظلم السُّطح. ومظلم هنا صفة مشبَّهة، وليست اسم فاعل، لأنَّها صفة ثابتة.

[فلنشكره لأنه لو لم يهبنا نعمته لبقيت قلوبنا متشبّثة بالأرض. ها أنتم تشهدون بهذا وتقولون مستحق وعادل أن نشكر ذاك الذي رفع قلوبنا إلى حيث يوجد رأسنا].

وتتفق جميع الليتورجيات على صيغة "فلنشكر الرب"، ما عدا ليتورجية أدي وماري للسريان المشاركة (التساطرة)، حيث يقول الكاهن فيها: "يقرب القربان لله ربّ الجميع".

### مستحقّ وعادل

هذا المرد "مستحقّ ومستوجب" كما في ترجمته العربية القديمة الأكثر دقة، أو "مستحقّ وعادل" وهي ترجمته العربية التي ظهرت في العصور الوسطى، هو مرد قديم جداً معروف في كافة أنحاء العالم المسيحي شرقاً وغرباً بلا استثناء. ومع ذلك فليس له نموذج يهودي يناظره، لأنه مرد لا يعرفه المجتمع اليهودي. أي أن منشأه وأصله جاء من العالم اليوناني الهليني، ودخل لغة المسيحية المبكرة في مهد نشأتها<sup>(٣٣)</sup>.

ويخطئ البعض في فهم مضمون هذا المرد ولاسيما بعدما صارت ترجمته الشائعة هي: "مستحقّ وعادل"، إذ ينسبون إلى الله الاستحقاق والعدل. ويكون هذا الأمر صحيحاً فقط إن كان المرد في اليونانية في صيغة الفاعل المفرد المذكّر أي Ἀξίος καὶ δίκαιος (أكسيوس كي ذيكويس). ولكن هذا المرد في كافة الليتورجيات هو Ἀξίον καὶ δίκαιον (أكسيون كي ذيكيون) في صيغة الفاعل المفرد المحايد.

ومن ثمّ فالمرء ليس صفة موجهة إلى الربّ، ولكنه موجه إلى

الشكر نفسه، أي "إنه أمرٌ واجبٌ ولائقٌ أن نشكرك"، أو "إنه مستحقٌ وعادلٌ أن نشكر الله".

وفهم المرد يأتي بسهولة من مجريات الحوار بين الكاهن والشعب، فحين يقول الكاهن للشعب: فلنشكر الرب. يجيب الشعب: إنه واجب ولازم أن نشكره. هذا هو معنى المرد في نصّه اليوناني.

وحين يأخذ الكاهن بادئة الصلاة نفسها من ذات مرد الشعب ليتوجّه بها إلى الله ويخاطبه بقوله: "مستحقٌ وعادلٌ..."، فهو يقول إنه "واجبٌ ولائقٌ" أو "واجبٌ ولازم" (٣٤) أي "إنه واجبٌ ولازم أن نسبحك ونباركك ونخمدك ونسجد لك ونعجّدك..."، أي أن كلمات المرد التي التقطها الكاهن في فم الشعب ليبدأ بها الصلاة الإفخارستية هي تقرير حال، وإلا لو كانت كلمتا "مستحقٌ وعادلٌ" تأتي كصفات تختص بالله لما استقام المعنى في صلاة الكاهن (٣٥).

٣٤- كما في الترجمة العربية لمخطوط كسمارسك F. Kacmarcik Codex .

٣٥- الذي سبب هذا اللبس في فهم معنى المرد هو صعوبة معرفتنا لقواعد اللغة العربية. فقد كان من السهل أن نفهم مضمون المرد لو أن كلماته هي: "مستحق (بفتح الحاء) ومستوجب (بفتح الواو)". ولكنها لا تأتي هكذا أبداً في اللغة العربية، لأنها في هذه الحالة صارت اسم مفعول. واسم المفعول في اللغة العربية هو اسم مشتق يدل على معنى مجرد غير دائم، أي لا يلزم صاحبه (النحو الوافي ص ٢٦٠). وإن جاء المرد "مستحق (بكسر الحاء) ومستوجب (بكسر الجيم)" فهو لا يعني كذلك أنه اسم فاعل، لأن اسم الفاعل في اللغة العربية هو اسم مشتق يدل على معنى مجرد حادث (أي عارض يطرأ ويذول) على فاعله (النحو الوافي ص ٢٣٦). ولكن المرد هنا جاء "صفة مشبهة". والفرق بين الصفة المشبهة واسم الفاعل هو أن الأولى رغم مظهرها الذي يوهمنا بأنها اسم فاعل إلا أنها تعني في حقيقتها معنى ثابت، وهو ما ينطبق على اسم الفاعل. فنقول مثلاً: الكوكب مظلم السطح. ومظلم هنا صفة مشبهة، وليست اسم فاعل، لأنها صفة ثابتة.

وهنا يضع الكاهن اللّفائف على يديه أثناء الصّلاة. وقد ورد في خولاجي الأنبا بطرس ما يلي: ”وعلة وضع اللّفائف على اليدين أثناء الصّلاة بعد الصّلح هي أن الكاهن يستر يديه معلناً أن اليدين الطّاهرتين المحييتين هما بدا ربّنا يسوع المسيح. وأن نعمته الإلهيّة هي التي تخدم الآن. وأن الذي يعطي النّعمة هو الابن الوحيد رئيس الكهنة الحقيقي الذي وحده له الكهنوت. وهكذا يتم قول الرّسول: إننا بلا كفاءة نخدم هذا العهد الأفضل“ (٣٦).

### العناصر التي تحويها صلاة الشكر الكبرى

”صلاة الشكر الكبرى“ هي مقدّمة الأنافورا، وهي تُدعى في النّص اليوناني للقدّاس الباسيلي *Ἀρχὴ τῆς προσκομιδῆς* أي ”بدء التّقدمة“، وهي الصّلاة التي يقوها الكاهن، وهي تسبق التّسبحة الشّاروبيميّة مباشرة.

وتحتوي صلاة الشكر الكبرى هذه على أربعة عناصر أساسيّة، وهي العناصر التي تُكوّن في مضمونها صلاة الإفخارستيّا كلّها، باعتبارها إفخارستيّة شكر مقدّمة لله الآب بواسطة ابنه يسوع المسيح. ويُستفاد من كلام القدّيس يوستينوس الشّهيد (١٠٠-١٦٥ م) أن صلاة الإفخارستيّا من أوّلها إلى آخرها توجّه إلى الله الآب، وفي ذلك تتفق جميع

---

فالصفة المشبهة هي اسم مشتق يدل على ثبوت المعنى المجرد لصاحبه في كل الأزمنة ثبوتاً عاماً أي الاعتراف بتحقيقه ووقوعه شاملاً الأزمنة الثلاثة المختلفة، فلا يختص ببعضها دون البعض الآخر. فهو أمر دائم ملازم لصاحبه (أي الموصوف) طيلة حياته. وتُبنى الصفة المشبهة من غير الثلاثي (كما في حالتنا هذه ”مستحق“) قياساً على أوزان اسم الفاعل إذا قصد به الثبوت والاستمرار لا معنى الحدوث والتجدّد.

انظر: معجم قواعد اللغة العربيّة ص ٨٤

٣٦- معاني رشم الصليب، مرجع سابق، ص ٧٤

الليتورجيات ما خلا ليتورجية القديس غريغوريوس التيولوجوس في الطقس القبطي، حيث أنها تخاطب الله الابن في نصّها اليوناني والقبطي على السواء.

أما ليتورجية السريان المشاركة المنسوبة إلى "أدي وماري" مبشّري الشرق، فإن بعض الصلوات فيها موجّهة إلى الثالوث، وبعضها موجّه إلى الابن<sup>(٣٧)</sup>.

أمّا هذه العناصر الليتورجية التي تحويها صلاة الإفخارستيا أي صلاة الشُّكر، فهي بحسب الترتيب التالي: شكر الله الأب على عمله في الخليقة، ثمّ تجسّد ابنه الوحيد، ثمّ آلام الابن، ثمّ رواية خميس العهد والتي تأتي دائماً بعد رواية الآلام.

وهذا الترتيب نجده متبعاً في جميع الليتورجيات القديمة باستثناء ليتورجية القديس سراييون التي لا تتبع هذا الترتيب. أمّا ليتورجية هيبوليتس، وهي أقدم نص ليتورجي وصل إلينا، فقد أوردت هذا الترتيب في صورته المختصرة والبسيطة.

فمن العنصر الأوّل أي الخليقة تقول: "نقدّم لك الشُّكر يا الله، بفتاك الحبيب يسوع المسيح، الذي أرسلته لنا في نهاية الأزمنة مخلصاً وفادياً ورسول إرادتك. الذي هو كلمتك غير المنفصل عنك، الذي به خلقت كل الأشياء" (التقليد الرسولي ٤: ٤، ٥).

وعن العنصر الثاني تقول ليتورجية هيبوليتس: "ومعسرّتك أرسلته من السماء إلى بطن العذراء، وتجسّد الذي حُمِلَ به فيها، واستعلن ابنك



المولود من الروح القدس والعذراء“ (التقليد الرسولي ٦:٤).

وعن العنصر الثالث تقول: ”الذي تمّ إرادتك، وأعدّ لك شعباً مقدّساً، وإذ بسط يديه للألم أعتق الذين قد آمنوا بك من الألم. الذي أسلم ذاته للألم طواعية، ليبيد الموت، ويحطّم قيود إبليس، ويطأ الجحيم تحت قدميه، ويقود الأبرار إلى النور، ويؤسّس النظام، ويظهر القيامة“ (التقليد الرسولي ٧:٤، ٨).

وعن العنصر الرابع تقول: ”أخذ خبزاً وشكرك قائلاً: خذوا كلوا، هذا هو جسدي الذي يُكسر لأجلكم لمغفرة الخطايا. وهكذا الكأس أيضاً، قائلاً: هذا هو دمي الذي يُسفك لأجلكم“ (التقليد الرسولي ٩:٤)

ويعقب كتاب التقليد الرسولي على صلاة الشكر السابق ذكرها بقوله: ”ويشكر الأسقف كما سبق وقلنا. ليس من الضروري تماماً أن يتلو نفس الكلمات التي قلناها، كي يُجهد نفسه ليقولها عن ظهر قلب، مقدّماً شكراً لله، لكن كل واحد يصلي على قدر قوّته. وإذا كان واحداً يقدر أن يصلي طويلاً بكفاية ويقول صلاة جلييلة، فهذا صالح. أما إن كان واحد، عندما يصلي يقول صلاة محدّدة، فلا يمنع أحد، بشرط واحد، هو أن يقول صلاة صحيحة مستقيمة“ (التقليد الرسولي ١٠:٣-٥)

ويؤيد هذا الكلام ما سبق ذكره في الديداحي - تعليم الرّسل - إذ بعد أن تورد الديداحي نص صلاة شكر بدايتها: ”نشكرك أيها الآب القدّوس، من أجل اسمك القدّوس الذي أسكنته في قلوبنا ...“ (ديداحي ٢:١٠)، تعود فتقول: ”أما الأنبياء فدعّوهم يشكرون بقدر ما يريدون“ (ديداحي ٧:١٠).

ولكن عندما صار التقليد الرسولي في خطر من أن يتغيّر بسبب ظهور الهرطقات، وضعت الكنيسة نصوصاً ليتورجية إلزامية، وهي التي تُعرف باسم: "صلوات التّقدّيس".

### واحدة من صلوات الشكر قبل نيقية

وفيما يلي أوردُ واحدة من صلوات الشكر أو صلوات الإفخارستيا التي كانت تُصلى قبل مجمع نيقية المسكوني الأوّل سنة ٣٢٥م.

"إننا نقيم لك الشكر يارب بواسطة ابنك المحبوب يسوع المسيح الذي أرسلته في آخر الدهور مخلصاً وقادياً، وهو ملاك مشورتك وكلمتك غير المفترق منك، الذي به عملت كل شيء، وبه سررت. الذي أرسلته من السماء إلى بطن العذراء، فحبلت به، وفيها صار جسداً، وأعلن ابنك المولود من الروح القدس والعذراء. الذي أكمل إرادتك، وقدم لك شعباً مقدساً، وبسط يديه للألم حتى خلص من الألم أولئك الذين آمنوا بك. هذا الذي حين خافوه أسلم ذاته بإرادته إلى الألم، لكي يزيل الموت ويمزق صك الشيطان، ويمحطم جهنم، ويضئ الأبرار، ويثبت الشريعة، ويعلن القيامة. ولهذا أخذ خبزاً وقدم لك الشكر وقال: خذوا كلوا هذا جسدي الذي يكسر عنكم. وهكذا الكأس قائلاً: هذا هو دمي الذي يسفك عنكم. وكل ما فعلتم هذا تقيمون تذكاري.

والآن نقيم تذكاري موته وقيامته، ونقدّم لك الخبز والخمر شكراً لك لأنك جعلتنا أهلاً أن نقف أمامك ونخدمك ككهنة ونضرع إليك أن ترسل روح القدس عليّ تقدمة كنيستك المقدسة، وأن تمنح الذين يشتركون أن يكونوا واحداً. وأن يكملوا بالروح القدس من أجل تثبيت إيمانهم في الحق، حتى نسبحك ونمجّدك في ابنك يسوع المسيح الذي به

يكون لك ولروحك القدّوس المجد والكرامة في كنيستك المقدّسة، الآن وكل أوان وإلى كل الأجيال.  
ويجيب الشعب: آمين<sup>(٣٨)</sup>.

هذا هو القدّاس الإلهي في صورته البسيطة المختصرة في كنيسة ما قبل نيقية. وهي خدمة تستغرق بين ١٥-٢٠ دقيقة. ومن هذا النّظام الرّباعي أخذت مجموعات القدّاسات في الشّرق والغرب في القرن الرّابع فصاعداً.

إن صلاة الإفخارستيا محسوبة أمّا صلاة واحدة متّصلة، لا يفصلها حاجز، ولا تجاوب عليها الجماعة إلاّ عند ختامها بالمرد "أمين"، وهو ما أشار إليه القدّيس يوستينوس الشهيد (١٠٠-١٦٥م)<sup>(٣٩)</sup>.

### مقدّمة الأنافوراً في قدّاس القدّيس سراييون

ليس لدينا نصوص ليتورجية موثقة للقدّاس في كنيسة مصر تعود إلى ما قبل مجمع نيقية سنة ٣٢٥م. أمّا أقدم وثيقة لهذا التّقليد الإسكندري وصلت إلينا فهي حولاجي القدّيس سراييون أسقف تمويس Thmuis بالوجه البحري، والذي صار أسقفاً قبل سنة ٣٣٩م، وتبيّن ما بين سنة ٣٥٣م وسنة ٣٦٠م. وهو الخولاجي الذي حُفظ لنا نصّه في مخطوط يعود زمن نساخته إلى القرن الحادي عشر الميلادي<sup>(٤٠)</sup>.

وهناك من الأدلة القويّة من داخل نص قدّاس القدّيس سراييون ما

٣٨- عن مخطوط "قدّاس ما قبل نيقية والتغيرات المتأخّرة التي طرأت عليه"، محفوظ في مكتبة دير السيّدة العذراء السرياني بوادي النّطرون.

٣٩- البطريرك إغناطيوس أفام الثاني، مرجع سابق، ص ٢٤٨

40- Gregory Dix, Dom, *op. cit.*, p. 162.

يثبت أنه نص منقول عن صلاة إفخارستية مصرية أكثر قدماً من زمن سراييون نفسه. ويمكننا استيضاح الخطوط العريضة لهذه الصّلاة المصرية القديمة بمقارنتها بفقرات ليتورجية وردت في كتابات كتّاب مصريين منذ القرن الثالث الميلادي<sup>(٤١)</sup>.

أما مقدّمة أنافوراً القدّيس سراييون والتي نوردّها فيما يلي في خمس فقرات، يتّضح لنا أن الفقرة الأولى منها تدحض تعليم أريوس الذي كان يقول: إن الابن لا يعرف جوهر الآب. وهذا يدفعنا إلى الظنّ بأن هذه الفقرة الأولى قد ألحقت بمقدّمة الإفخارستيا في قدّاس القدّيس سراييون في خلال الرّبع الأوّل من القرن الرّابع الميلادي، حين كانت المهرطقة الأريوسية على أشدها في ذلك الوقت<sup>(٤٢)</sup>.

وهذه المقدّمة هي:

(١) "مستحقّ ومستوجب أن نسبّحك ونرتّل لك ونمجدك، أنت غير المولود، أبا الابن الوحيد يسوع المسيح. نسبّحك أيها الإله غير المولود، غير المفحوص، غير المدرك من كل خليقة. نسبّحك أنت الذي يعرفك ابنك الوحيد والذي أخرج الخليقة عنك، وأظهرها لك، وعرفّها بك. نسبّحك أنت الذي تعرف الابن وتكشف أجماده للقدّيسين. أنت الذي يعرفك ويراك الكلمة المولود منك، ويُظهرك للقدّيسين.

(٢) نسبّحك أيها الآب غير المنظور، مانح الخلود، أنت مصدر الحياة وينبوع الثور، وينبوع كل نعمة وكل حق. يا محب البشر، ومحب الفقير، والمصالح لكل، ومجتذب الجميع إليه بمحبي ابنك الحبيب.

41- Gregory Dix, Dom, *op. cit.*, p. 162.

42- Gregory Dix, Dom, *op. cit.*, p. 165.

(٣) نتوسّل إليك اجعلنا أناساً أحياء، امنحنا روح النور حتى نعرفك أنك أنت الحق ويسوع المسيح الذي أرسلته. امنحنا الرُّوح القُدُس لكي نقدر أن نعلن عن أسرارك التي لا توصف ونخبر بها. ليتكلّم فينا الرّب يسوع والرُّوح القُدُس ويسبحانك بواسطتنا.

(٤) لأنك أنت فوق كل رئاسة وسلطان وقوّة وسيادة، وكل اسم يُسمّى ليس فقط في هذا الدّهر بل أيضاً في الآتي.

(٥) أنت الذي يقف حولك ألوف ألوف، وربوات ربوات الملائكة ورؤساء الملائكة، والعروش، والرّبوبيّات، والرّئاسات، والسّلاطين. أنت هو الذي يقف حولك السّيرافان المكرّمان جداً ذوو السّتّة أجنحة. فبجناحين يغطيان وجهيهما، وبأثنين يغطيان أرجلهما، ويطيران باثنتين ويقدّسانك. اقبل أيضاً تقديسنا قائلين معهم ...“

### تطوُّر النَّصِّ اللّيتورجي لمقدّمة الأنافورا

إن المقدّمة التّقليديّة لصلاة الإفخارستيا كما رأيناها في قدّاس ما قبل نيقية - والذي سبق ذكره - هي تقديم الشُّكر للآب بواسطة ابنه يسوع المسيح: ”إننا نقيم لك الشُّكر يارب بواسطة ابنك المحبوب يسوع المسيح ...“ وهذا هو مضمون الإفخارستيا كلها.

وتشذ مقدّمة أنافورا القديس سراييون عن هذه القاعدة الرّئيسيّة، حيث لا يرد فيها كلمة ”الشُّكر“ أي ”الإفخارستيا“، بل قد اختفى منها تماماً أي إشارة لفعل ”الشُّكر“ هذا.

إلّا أن تطوّراً قد لحق بمقدّمة الأنافورا تسبّب في غموض الهدف

الأساسي من الصَّلَاة وهو تقدّم الشُّكر لله. فأفعال التَّسبيح استطلّات واتسعت لتتخطى الشُّكر كفعل أساسي إلى أفعال التَّرتيل والسُّجود وغيرها. وهي الأفعال التي لحقت بمرد الشَّعب: "مستحقّ وعادل" - كما سنرى بعد قليل - ودخلت على مقدّمة الأنافورا صفات إضافية تختص بأقنوم الآب، وبأقنوم الابن المتجسّد، وهي صفات تبيّن وحدانيّة أقنومه وخواص كل من طبيعته الإلهيّة والإنسانيّة، مما يدل على مجاهمة لبعض الهرطقات التي ظهرت في الكنيسة فيما يتعلّق بالثالوث والتَّجسّد. بالإضافة إلى أن تسبحة الشَّاروبيم "قدوسٌ قدوسٌ قدوسٌ..." قد أضيف إليها هتاف "مباركٌ الآتي باسم الرّب". بالإضافة إلى الأواشي الكثيرة التي نخبدها في القدّاس المرقسي القبطي. وهذه هي أهم الإضافات التي لحقت بصلاة مقدّمة الأنافورا.

وفيما يلي شرحٌ لهذا التَّطور الذي لحق بمقدّمة الأنافورا.

بعد أن استقرت نصوص الصَّلوات الليتورجيّة وأصبحت نصوصاً إلزاميّة، فإن الصَّيغ المختصرة التي يتم تبادلها بين الكاهن والشَّعب في مقدّمة الأنافورا قد أثرت على النُّصوص الليتورجيّة التي تعقبها مباشرة، فأكسبتها ما يُعرف في علم الليتورجيا باسم Stereotyped form حيث يلتقط الكاهن أو الشَّعب الكلمات الأخيرة من الحوار الليتورجي الذي يدور بينهما، ليبدأ بها صلّاته أو مردّه، فتأتي الصَّلوات في شكل أخذ وعطاء بين رئيس الصَّلَاة وجموع المصلّين. وهذا يتّضح جليّاً من معظم الصَّلوات المقدّسة للأنافوروات المختلفة.

ومن أمثلة ذلك قول الشَّمّاس: "الجلوس يقفوا"، فيقول الكاهن: "أنت الذي يقف حولك الملائكة ورؤساء الملائكة ... الخ".

وفي نهاية الصَّلَاة السَّابِق ذكرها مباشرة يقول الكاهن: "...

يسبّحون على الدوام ويصرخون قائلين: “

فيأتي مرد الشعب ملتقطاً كلمة قائلين، ليقول: “قدوسٌ قدوسٌ قدوسٌ رب الصبّاوت”، فيقول الكاهن معقباً على مرد الشعب: “قدوسٌ قدوسٌ قدوسٌ أنت بالحقيقة، أيها الربّ إلهنا”... الخ.

وتبدأ صلاة الإفخارستيا في الديداحي، وفي التقليد الرّسولي لهيبوليتس بصلاة شكر بسيطة هي: “نشكرك - Eὐχαριστοῦμεν”.

أمّا في الشّكل الشائع لأنافورا، فقد حرت محاولة ربط فعل الشّكر “نشكرك” مع المرد “مستحقٌ وعادلٌ” الذي هو المرد الأخير من الحوار الافتتاحي للإفخارستيا. وهذه الطّريقة جاء الشّكل الكلاسيكي لبداية الأنافورا في كل الشّرق والغرب. وهو الشّكل الذي جاء معتمداً على الإسهاب والتّضخيم للمرد “مستحقٌ وعادلٌ - Ἄξιον καὶ δίκαιον”.

ففي ليتورجية القدّيس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧-٤٠٧ م) جاءت بداية الأنافورا هكذا: “مستحقٌ وعادلٌ أن نسبّحك σε εὐχαριστεῖν ونباركك σε εὐλογεῖν ونحمّدك σε αἰνεῖν ونشكرك σε προσκυνεῖν في كل مكان سيادتك ἐν παντὶ τόπῳ τῆς δεσποτείας σου... الخ”. فأفعال الشّكر والتّسبيح هنا هي خمسة أفعال.

ولازالت مقدّمة هذه الأنافورا أكثر غنى من تلك التي للقدّيس باسيليوس اليونانيّة: “أنت هو السيّد الربّ الإله الآب ضابط الكل، إنه مستحقٌ ومستوجبٌ ولائقٌ بسيادة قداستك أن نسبّحك، ونحمّدك ونباركك، ونعبّدك، ونشكرك، أنت هو الإله الحقيقي وحدك...”.

وأفعال الشّكر والتّسبيح هنا هي أيضاً خمسة أفعال.

وهناك نماذج شرقية أخرى أطول وأوفر غزارة من تلك النماذج اليونانية السابقة<sup>(٤٣)</sup>.

فليتورجية مار مرقس الرّسول (القدّاس الكيرلسي) في الكنيسة القبطية تقدّم لنا أفعال الشّكر والتّسبيح بكثرة أكثر من أي ليتورجية أخرى شرقاً وغرباً، فتقول: “مستحقٌ ومستوجبٌ أن نسبّحك، ونرثّل لك، ونباركك، ونخدمك، ونسجد لك، ونشكرك، ونحمّدك، ونعترف لك، ليلاً ونهاراً بشفاه غير هادئة، وقلب لا يسكت، وتمجيدات لا تنقطع...”.

فأفعال الشّكر والتّسبيح هنا هي ثمانية أفعال، بينما نجدها خمسة فقط في ليتورجية القدّيس يعقوب الرّسول في الطقس السّرياني الأنطاكي، حيث يرد النّص اللّيتورجي هكذا:

”إنه بالحقيقة مستحقٌ وعادلٌ ولائقٌ وضروريٌ أن نسبّحك ونباركك ونسجد لك ونحمّدك ونشكرك، يا خالق الخليقة المرئية وغير المرئية. أنت الذي تسبّحك سماءات السّموات وكل قوّاتها، الشّمس والقمر وكل مجموعات النّجوم والأرض والبحر وكل ما فيها، أورشليم السّمائيّة، كنيسة الأبيكار المكتوبين في السّموات. الملائكة ورؤساء الملائكة والكراسي والأرباب والرّئاسات والقوّات والسّيادات المخوفة. الشّاروبيم ذو الأعين الكثيرة، والسّيرافيم ذو السّنة أجنحة، بجناحين يغطون وجوههم، وباتنين أرجلهم، ويطيرون باتنين. ويصيحون الواحد للآخر بتسبيحات إلهية لا تنقطع، من فم لا يسكت بتسبيحة الغلبة لمجدك العجيب، يصيحون بصوت عال، ويمجدون ويصرخون قائلين“.

ويعقب القُدَّيس كيرلس الأورشليمي (٣١٥-٣٨٦م) على هذه المقدّمة في عظته إلى المعمّدين الجُدُد (عظة ٦:٥):

”... بعد ذلك نذكر السَّماء والأرض والبحر، الشَّمس والقمر والنُّجوم وكل الخليفة العاقلة وغير العاقلة، المريّة وغير المريّة، الملائكة، ورؤساء الملائكة، الرّئاسات، والسّيادات، والقوّات، والكراسي، والشّاروبيم ذوي الأوجه الكثيرة. ثم نقول بصوت عال كلمات داود: «عظّموا الرّب معي». نذكر أيضاً السّيرافيم الذين رأهم إشعيا بالروح القُدّس وهم يحيطون بعرش الله بجناحين يسترون وجوههم، وبجناحين أرحلهم، ويطيرون باثنين. والجميع يصيحون: قدوس قدوس قدوس رب الصّباؤوت. لأنه لهذا السّبب نحن نكرّر هذا الاعتراف لله الذي انتقل إلينا من السّيرافيم، حتى نشارك جنود العالم فوقاني في التّسبيح“.

وبينما تخلو ليتورجيّة القُدّيس باسيليوس القبطيّة من أي أفعال تسبيح، نجدّها في ليتورجيّة القُدّيس غريغوريوس القبطيّة خمسة أفعال أيضاً هي: ”نسبّحك، وباركك، ونخدمك، ونسجد لك، ونمجّدك“. أمّا ليتورجيّة القُدّيس سرايون - من القرن الرّابع الميلادي - فتأتي فيها أفعال التّسبيح ثلاثة فقط هكذا: ”مستحقّ ومستوجب أن نسبّحك، ونرتّل لك، ونمجّدك“.

وهكذا انفردت اللّيتورجيّة المرقسيّة القبطيّة بأفعال تسبيح تختص بها هي وحدها، وهي: ”نرتّل لك، ونخدمك، ونعترف لك“.

ويتخلّل هذه الصّلاة مردّين للشّماس: الأوّل هو: ”أيها الجلوس قفوا“، والثاني هو: ”وإلى الشّرق انظروا“. وهناك مرد آخر يسبق

التَّسْبِحة الشَّاروِيْمِيَّة مباشرة هو "نصت".

### "أيها الجلوس قفوا"

تنفرد كنيسة الإسكندريَّة بقول الشَّمَّاس: "أيها الجلوس قفوا"، أما اللِّيْتورجِيَّات الأخرى فيأتي النِّداء فيها بالوقوف هكذا: "قفوا"، أو "فلنقف" (٤٤).

وهذا المرد لا يعني بالطبع أن الشَّعب كان جالساً، لأن المرد السَّابِق له مباشرة كان: "قفوا بخوف وإلى الشَّرْق انظروا". فتنبه الشَّمَّاس هنا ونحن قيام على أقدامنا، هو لئلا يدرك التَّعب أحداً منّا، أو يمر التَّهاون على قلبه، أو يعود إلى السَّحس. فيطلب الشَّمَّاس أن تنتبه عقولنا لا أقدامنا، وأن ننال بحجة الانتباه الرُّوحي لا الوقوف الجسداني (٤٥).

### "وإلى الشَّرْق انظروا"

وجاء هذا المرد حسب نص القدَّاس الباسيلي اليوناني هكذا: *Βίς ἀνατολᾶς βλέπετε* أي "وإلى الشَّرْق انظروا دائماً" حيث جاءت الكلمة *βλέπετε* بدلاً من الكلمة *βλέψατε*. حيث المذبح شرقاً الذي لا يجب أن يفارق عقولنا وقلوبنا، سواء كنَّا في الكنيسة أو في أعمالنا. فإلى الشَّرْق انظروا كل حين، حيث المذبح وجسد ودم عمانوئيل إلهنا موضوعين عليه. والملائكة ورؤساء الملائكة قيام.

وقد ربَّبت الكنيسة أن ننظر إلى الشَّرْق قبل تسبحة الشَّاروِيْم  
لأننا بعد أن استعدنا كرامتنا بالمعموديَّة المقدَّسة، نُقبل إلى التَّسْبِيح

٤٤ - البطريرك إغناطيوس أفرآم الثاني، مرجع سابق، ص ١٩٢

٤٥ - معاني رشم الصَّليب، مرجع سابق، ص ٨١



بعزّة البنين، وشُكر المفديين<sup>(٤٦)</sup>.

### ”نصت“

في نهاية صلاة ”بدء التّقدمة“، وقبل التّسبحة الشّاروبيميّة مباشرة يقول الشّمّاس مرد: ”نصت - Προσχωμεν“.

ولقد تفاوتت مخطوطات الخولاجيّات القبطيّة في إيراد هذا المرد من عدّمه، فبينما لم يرد في كثير منها<sup>(٤٧)</sup>، فقد ورد في بعضها<sup>(٤٨)</sup>. أمّا شيوخه في كل القدّاسات فكان بعد تدوينه في الخولاجي المطبوع، حيث سادت الممارسة التي تشير إليه، وتوارت الأخرى.

أما قول الشّمّاس: ”نصت“، فيعني أن يكف كل إنسان عن الاهتمامات الباطلة، وأن يرفع عيني عقله إلى الشّارويم الممتلئين أعيناً، وأن يصرخ الكل متى سمعوا هذا النّداء السّماوي. لأن إشعياء أخبرنا بأن «هذا نادى ذاك». وعندئذ يجب أن تصمت الكنيسة برهة لكي تسمع عقلياً تسبيح الشّارويم وتشترك معهم بالتّسبيح الدّائم قائلين:

٤٦ - معاني رشم الصّليب، مرجع سابق، ص ٨١

٤٧ - لم يرد هذا المرد في مخطوط الفاتيكان رقم (١٧)، وهو أقدم مخطوط خولاجي قبطي عربي كامل، وتاريخ نساخته يعود إلى سنة ١٢٨٨م. ولم يرد كذلك في مخطوطات الخولاجيّات أرقام (١٣٣ ط؛ ١٣٦ ط؛ ١٤٧ ط) بمكتبة دير القديس أنبا مقار. ولم يورده الطوخي في الخولاجي القبطي الذي طبعه في روما في القرن السّابع عشر. ولم يرد في النّص اليوناني للقدّاس المرقسي بحسب مخطوط كسمارسك . F. Kacmarcik Codex

٤٨ - ورد هذا المرد في النّص اليوناني للقدّاس الباسيلي الذي نشره رونودوت E. Renaudot (Cf. PG, 31, 1636C)، كما ورد أيضاً في مخطوط خولاجي رقم (١٣٤ ط) بمكتبة دير القديس أنبا مقار. وهو معروف أيضاً في قدّاسات الكنيسة اليونانيّة.

Cf. O.H.E. Burmester, *The Greek Kirugmata, ... op. cit.*, p. 375.

”قدوسٌ قدوسٌ قدوسٌ...“.

وقد ورد في خولاجي من القرن الرابع عشر هذا المرد هكذا: ”نصت بسكون ومعرفة. القوّات السّمائيّة تسبح، ونحن أيضاً نسبح معهم“<sup>(٤٩)</sup>.

### مقدّمة الأنافورا في القدّاس المرقسي (الكيّرلسي)

إن هذه الصلّاة التي تبدأ بالحوار اللّيورجي ”الرّب مع جميعكم“ وتنتهي قبل التّسبحة الشّاروبيميّة مباشرة هي قصيرة في القدّاس الباسيلي، وأطول نوعاً في القدّاس الغريغوري، ولكنها طويلة جداً في القدّاس المرقسي، بعد أن أُضيف إليها عدد كبير من الأواشي فلق هذه الصلّاة إلى نصّفين متباعين عن بعضهما.

فمقدّمة الأنافورا في القدّاس المرقسي - وفي نصفها الأوّل - يتخلّلها الثّلاث مردّات السّابق ذكرها، وهي: ”أيها الجلوس قفوا“، و”وإلى الشّرق انظروا“، و”نصت“.

وفيها يقول الكاهن: ”... أنت هو الذي خلق الإنسان كصورتك وكشبهك، وخلق كل الأشياء بحكمتك. نورك الحقيقي ابنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا وملكننا كلّنا يسوع المسيح، هذا الذي من قبله نشكر ونقرّب لك معه مع الرّوح القدس الثّالث المقدّس المساوي غير المفرق، هذه الذبيحة النّاطقة وهذه الخدمة غير الدّمويّة“.

وهنا يرشم الكاهن دُرج البُخور، ويضع يد بُخور في الجمرّة، ثم يأخذ الجمرّة بيده، ويقول مكملًا الصلّاة: ”هذه التي (أي هذه

الذبيحة الناطقة، وهذه الخدمة غير الدّمويّة) تقرّها لك جميع الأمم“.

ثم يرشم بالجمرة على القرايين الموضوعة على المذبح من الشّرق إلى الغرب ومن الشّمال إلى اليمين وهو يقول: ”من مشارق الشّمس إلى مغاربها، ومن الشّمال إلى اليمين“.

ثم يرفع البخور فوق التّقدمات ويقول: ”لأن اسمك عظيم يارب في جميع الأمم، وفي كل مكان يقدّم بخور لاسمك القدّوس وصعيدة *ercia* - أي ذبيحة - طاهرة، وعلى هذه الذبيحة وهذا القربان“.

وهنا كان يأتي مباشرة مرد الشّمّاس: ”أيها الجلوس قفوا، وإلى الشّرق انظروا“. ولكن بدلاً منه أتى مرد الشّعْب: ”يارب ارحم“، ليصلي الكاهن بعده مباشرة خمس عشرة أو شيّة قبل أن يكمل الكاهن تكلمة مقدّمة الأنافورا قائلاً: ”لأنك أنت هو الله الذي فوق كل رئاسة وكل سلطان، وكل قوّة، وكل سيادة، وكل اسم يُسمى ليس في هذا الدّهر فقط بل وفي الآتي...“، حيث يأتي في نهاية هذه الصّلاة التّسبحة الشّاروبيميّة.

وفيما يلي توضيح للتّسلسل الذي ينتهجه القدّاس المرقسي:

أواشي: (١) السّلامة (أو بالحري السّلام).

(٢) المرضي.

(٣) المسافرين.

(٤) مياه النّهر، أو الزّروع، أو أهوية السّماء.

(٥) الملك.

المجمع والتّرحيم (وهو بمثابة أو شيّة الرّاقدين).

(٦) القرايين.

(٧) البطريرك.

(٨) الأساقفة.

(٩) بقية الأرثوذكسيين.

(١٠) الموضع.

(١١) القيام والمشاركين في الطلبة.

(١٢) الذين أمرونا أن نذكرهم.

يقول الشمّاس: اسجدوا لله بخوف ورعدة.

(١٣) الخدم. (وهي تقال سراً. وبدايتها: "أذكر يارب

نفسى الضعيفة الشقيّة ...").

(١٤) الاجتماعات.

يقول الشمّاس: أيها الجلوس قفوا.

الطلبة (التي بدايتها: "حل المربوطين". ويرد الشعب على

كل ربع منها "يارب ارحم").

يقول الشمّاس: وإلى الشُّرق انظروا.

يقول الكاهن: "لأنك أنت هو الله الذي فوق كل رئاسة وكل

سلطان، وكل قوّة، وكل سيادة، وكل اسم يُسمّى

ليس في هذا الدَّهر فقط، بل وفي الآتي ... لكن مع

كل من يقدّسك، اقبل تقدسنا ممّا نحن أيضاً

يارب، إذ نسبحك معهم قائلين".

يقول الشمّاس: ننصت.

يقول الشعب: قدوسٌ قدوسٌ قدوسٌ رب الصِّبَاووت ... الخ

إن هذا الكَم الكبير من الأواشي التي ألحقت على القدّاس المرقسي في

بدايته قد شَطَرَ مقدّمة الأنافورا إلى نصفين، هذه المقدّمة التي هي في

مضمونها الأساسي - بل مضمون صلاة الإفخارستيا كلها - صلاة شكر

مقدّمة لله بابنه يسوع المسيح. وهذه الأواشي الخمس عشرة - إذا اعتبرنا أن الجمع والتّرحيم هو بمثابة أوشية خاصة بالمتقلين - هي أحد أهم الإضافات التي لحقت بمقدّمة أنافورا القُدَّاس المرقسي على يد القُدَّيس كيرلس الكبير (٤١٢-٤٤٤م).

أما قُدَّاسا القُدَّيسين باسيليوس وغريغوريوس فقد أبقى كل منهما على مقدّمة اللّيتورجيا متماسكة، حيث تأتي الأواشي فيهما قرب النهاية، أي بعد حلول الرُّوح القُدَّس علينا وعلى القرايين. وهو التّطوُّر الذي لحق بمكان الأواشي في القُدَّاسات عموماً في غضون القرن الرّابع الميلادي.

بل إن الطّلبات التّوسّليّة Litany في قُدَّاس القُدَّيس سراييون الخاصة بالأحياء والمنتقلين ومقدّمي القرايين هي إضافات لحقت بالنّص الأصلي لصلاة الإفخارستيا - كما حدث في كثير من الكنائس الأخرى - بعد صلاة الاستدعاء، وذلك قبل نهاية القرن الرّابع الميلادي.

لقد كانت الرّغبة العامّة في الكنائس هي إدخال الطّلبات التّوسّليّة Litany في الإفخارستيا بعد استحالة القرايين إلى جسد المسيح ودمه الكريمين لتنال هذه الطّلبات قوتها وفعاليتها من الذّبيحة الموضوعّة على المذبح.

وهذه الرّغبة قد ظهرت أولاً في كنيسة أورشليم في غضون القرن الثّالث الميلادي، حيث تمّت فيها فعلاً هذه الممارسة اللّيتورجيّة. وهو ما نجد تفسيره الرُّوحي واللّيتورجي بعد ذلك في عظات القُدَّيس كيرلس الأورشليمي (٣١٥-٣٨٦م) وبالتّحديد سنة ٣٤٨م<sup>(٥٠)</sup>.

ولكن حتى ذلك الوقت لم يكن هذا التّطوُّر قد طال ليتورجيّة

القدّيس سراييون المصريّة. فلقد تبنت كنيسة الإسكندريّة مفهوماً آخر، استقتته من نصوص صلواتها الليتورجيّة التي ترى أن الخبز والخمر الموضوعين على المذبح هما "قُدسات سبق وضعها أمام الرّب على المذبح"<sup>(٥١)</sup>. ففي مقدّمة أنافورا القدّاس المرقسي - وفي نصفها الأوّل بالتّحديد - يقول النّص الليتورجي: "لأن اسمك عظيم يارب في جميع الأمم ... وعلى هذه الذبيحة *θυσια* وهذا القربان". وبعد صلاة الكاهن "أحيوس" يقول: "... املاً هذه الصّعيدة *θυσια* (أي: الذبيحة) التي لك يارب بالبركة التي من قبلك بحلول روحك القدّوس عليها". ويقول أيضاً بصيغة الماضي: "قراينك هذه المكرّمة السّابق وضعها أمامك، هذا الخبز وهذه الكأس ...". وأيضاً: "أنت الذي وضعنا أمام مجدك القدّوس قراينك مما لك يا أبانا القدّوس ...".

فهذه كلها إشارات ترمي إلى طقس تقديم الحَمَل الذي حفظته كنيسة مصر طقساً سرّائياً كاملاً، فقدت أصوله الأولى من الكنائس الأخرى. ولذلك فقد ألحقت الطلّبات التّوسليّة *Litany* في ليتورجيّة القدّيس مرقس في مقدّمة الصّلاة الإفخارستيّة وقبل التّسبحة الشّارويميّة. كما نجد أن الأواشي في قدّاس القدّيس سراييون أسقف تمويس في القرن الرّابع تأتي فيه في البداية أي قبل أن تبدأ مقدّمة الأنافورا.

وإن اختلاف الكنائس في أمر هذه الأواشي هو اختلاف كامل. فكيسة روما قد ألحقت هذه الطلّبات التّوسليّة *Litany* في مقدّمة الصّلاة الإفخارستيّة ولكن بعد التّسبحة الشّارويميّة، باستثناء الطلبة من أجل المنتقلين، والتي ألحقت بنهاية القدّاس. وفي كنيسة أديسسا - الرّها - ألحقت هذه الطلّبات قبل التّقدّيس مباشرة، وهكذا لم يكن هناك اتفاق

عام بخصوصها بين مختلف الكنائس.

وعموماً فإن ما يميّز التّقليد الإسكندري عن التّقليد الأنطاكي في هذه الجزئية هو أن الأواشي في القدّاس ذي التّقليد الإسكندري تأتي في البداية، كما في القدّاس المرقسي، وقدّاس القدّيس سراييون. ولكنها في القدّاس ذي التّقليد الأنطاكي تأتي في النهاية كما في القدّاسين الباسيلي والغريغوري القبطيين.



## الفصل الخامس

### التَّسْبِيحَةُ الشَّارُوبِيَّةُ



## تمهيد

التَّسْبِحةُ الشَّارُوبِيْمِيَّةُ هي: "قُدوسٌ قُدوسٌ قُدوسٌ ربُّ الصِّبَاوُوتِ، السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مَمْلُوءَتَانِ مِنْ مَجْدِكَ الْإَقْدَسِ".

والاصطلاح اللُّيْتورجِي اللاتيني لهذه التَّسْبِحةِ الشَّارُوبِيْمِيَّةِ والذي تُعرف به في كلِّ الكنائس هو كلمة Sanctus والتي تعني في اللاتينية "قُدوسٌ".

أمَّا الجزء الأوَّل من هذه التَّسْبِحةِ "قُدوسٌ قُدوسٌ قُدوسٌ ربُّ الصِّبَاوُوتِ" فحذاء بنصِّه في سفر إشعياء النَّبِيِّ «قُدوسٌ قُدوسٌ قُدوسٌ ربُّ الجنود (الصِّبَاوُوتِ) مَجْدُهُ مَلءُ كُلِّ الْأَرْضِ» (إشعياء ٦:٣). حيثُ تغيَّرت عبارة "مَجْدُهُ مَلءُ كُلِّ الْأَرْضِ"، لتصبح "السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ مَمْلُوءَتَانِ مِنْ مَجْدِكَ"، كقول إرميا النَّبِيِّ «أَلَسْتُ أَنَا أَمَلَأُ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ» (إرميا ٢٣:٢٤). لتصبح التَّسْبِحةُ في صيغة المُخاطَبِ "مَجْدِكَ" بدلاً من صيغة الغائب "مَجْدُهُ" دون أي وصف لهذا المجد الإلهي الذي يملأ السَّمَاءَ وَالْأَرْضِ.

## كنيسة الإسكندرية هي منشأ التَّسْبِحةِ الشَّارُوبِيْمِيَّةِ

لقد نشأت هذه التَّسْبِحةُ أولاً في كنيسة مصر، إذ عرفتْها قبل غيرها من كنائس المسكونة، ومنها انتشرت في كل أرجاء العالم المسيحي، وفيما يلي شرح لهذه النُّقطة تحديداً، وكيف تمكَّن علماء اللُّيْتورجِيَّا من التوصل إلى هذه النتيجة.

إن جانباً من النَّصِّ اللُّيْتورجِي لمقدِّمة أنافورا القُدَّيسِ سِرايون

والذي يسبق التَّسْبِحة الشَّاروبِيْمِيَّة يتطابق مع نظيره من أنافورا القُدَّيس مرقس الرُّسول، مما يَتَضَحُّ معه أن ليتورجِيَّة القُدَّيس سراييون منحدرَةٌ من صلاة ليتورجِيَّة مِصرِيَّة قَدِيْمَة مُشابهة تماماً لتلك التي جاءت منها ليتورجِيَّة القُدَّيس مرقس الرُّسول.

وفيما يلي مقابلة بين التَّصْنِيع اللَّيتورجِيَّين اللَّذَيْن يسبقان التَّسْبِحة الشَّاروبِيْمِيَّة في كل من قُدَّاس سراييون والقُدَّاس المرقسي، لنرى مقدار التَّطابق بينهما.

مقدِّمة القُدَّاس المرقسي	مقدِّمة قُدَّاس سراييون
لأنك أنت هو الله الذي فوق كل رئاسة، وكل سلطان، وكل قوَّة، وكل سيادة، وكل اسم يُسمَّى ليس في هذا الدَّهر بل أيضاً في الآتي.	لأنك أنت فوق كل رئاسة و <span style="font-size: small;">سلطان وقوَّة وسيادة، وكل اسم يُسمَّى ليس فقط في هذا الدَّهر بل أيضاً في الآتي.</span>
أنت الذي يقوم أمامك أُلوف وألوف، وربوات ربوات، الملائكة ورؤساء الملائكة المقدَّسين يخدمونك.	أنت الذي يقف حولك أُلوف أُلوف، وربوات ربوات الملائكة ورؤساء الملائكة، والعروش، والرُّبوبيَّات، والرُّئاسات، والسُّلطين.
أنت الذي يقوم أمامك حيواناك الكريمان جداً ذو السِّتَّة أجنحة الكثير الأعين، السَّراقِيم والشَّيروبيم.	أنت هو الذي يقف حولك السَّاروفان المكرَّمان جداً ذو السِّتَّة أجنحة.
فبجناحين يغطون وجوههم من أجل لاهوتك الذي لا يُستطاع النَّظر	فبجناحين يغطيان الوجه، وباتنين يغطيان الرُّجَّلين،

مقدِّمة القُدَّاسِ المرقسي	مقدِّمة قُدَّاسِ سراييون
<p>إليه ولا التّفكير فيه. وباتنين يغطون أرجلهم ويطيرون بالاثنين الآخرين. لأن في كل مكان يقدِّسك كل أحد.</p>	<p>ويطيران باتنين. ويقدِّسانك.</p>
<p>لكن مع كل من يقدِّسك اقبل تقديسنا منّا نحن أيضاً يارب إذ نسبِّحك معهم قائلين:</p>	<p>اقبل أيضاً تقديسنا قائلين معهم:</p>

قدوسٌ قدوسٌ قدوسٌ رب الصِّبَاووت. السَّماء والأرض مملوءتان من مجدك المقدِّس.

وحدير بالذكر هنا أن استخدام الثلاثة تقديسات في إفخارستيّة الإسكندريّة مسبوقة بمقدِّمة لها قرينة الشُّبه جداً من إفخارستيّة سراييون، نجد آثارها الأولى في كتابات العلامة أوريجانوس المصري (١٨٥-٢٥٤م) في غضون سنة ٢٣٠م. وهي أوّل إشارة محدّدة لاستخدام هذه التّسبحة في الليتورجيا المسيحيّة عموماً.

أما اقتباس كلمات هذه التّسبحة التي بنجدها في كتابات كليمنس الروماني ، وترتليان (١٦٠-٢٢٥م)، فلا تنعكس بالضرّورة على كون التّسبحة الشّاروبيميّة المشار إليها لحناً كنسياً يُقال في داخل الليتورجيا.

فيقول كليمنس الروماني في رسالته إلى أهل كورنثوس<sup>(١)</sup>:

ليكن مجدنا وثقتنا بالرّب، ولنخضع ذواتنا لمشيئته، لأن

الكتاب يقول: ربوات ربوات وقوف حوله، وألوف ألوف  
يخدمونه، ويصرخون قائلين: قدوسٌ قدوسٌ قدوسٌ ربُّ  
الصِّبَاوُوتِ، كل الخليفة مملوءة من مجده<sup>(٣)</sup>. ونحن أيضاً إذ  
نجتمع معاً في مكان واحد باتفاق داخلي نصرخ بإصرار كما  
من فم واحد، لنصير شركاء مواعيده العظمى والإنجيدة].

ولكن هذا الكلام الذي يذكره كليمنديس الروماني لم يشر به إلى أن  
هذه التسبحة تُقال داخل الصلاة الليتورجية، لأنها حتى ذلك الوقت لم  
تكن مرداً ليتورجياً.

وكذلك أيضاً العلامة تريليان (١٦٠-٢٢٥م) في مقالته عن الصلاة  
(٣:٣)، يعقب عن هذه التسبحة الكتابية بعبارة مؤثرة فيقول:

[الذي تقف حوله الملائكة وهم ينشدون بلا انقطاع  
”قدوسٌ قدوسٌ قدوسٌ“ وبالمثل نحن أيضاً المرشّحين للطّمس  
الملائكي، إذا ما نجحنا في استحقاق هذه الخدمة، فلنبدأ ونحن  
هنا على الأرض في تعلّم هذا اللّحن قليلاً، لأننا سوف نرفعه  
هنالك إلى الله].

وكلام العلامة تريليان السابق ذكره لا يشير - حتى ذلك الوقت -  
إلى مرد ليتورجي يُقال في داخل الليتورجياً.

كما أن التسبحة الشاروبيمية تغيب في ليتورجية هيبوليتس، أي أنها  
تسبحة لم تكن تعرفها كنيسة روما حتى ذلك الوقت. كما أنها تغيب  
أيضاً في أقدم الوثائق الليتورجية.

ومن هنا يتّضح لنا بكل بساطة، ومن خلال الحقائق المختلفة السّابق الإشارة إليها، أن استخدام مقدّمة الأنافورا، والتي يعقبها التّسبحة الشّاروبيميّة مباشرة في الصّلاة الإفخارستيّة قد ظهرت أولاً في كنيسة الإسكندريّة قبل سنة ٢٣٠م، ومنها انتشرت إلى باقي كنائس مصر. ثمّ امتدت لتنتشر في كل أرجاء العالم المسيحي<sup>(٣)</sup>.

إن التّسبحة الشّاروبيميّة هي إحدى العناصر المصريّة الأصيلّة التي انتقلت إلى ليتورجيّة كنيسة أوّرشليم<sup>(٤)</sup>، إذ أشار إليها القدّيس كيرلس الأورشليمي (٣١٥-٣٨٦م) في عظته الثّالثة والعشرين.

كما أن القدّيس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧-٤٠٧م) قد ذكرها في أكثر من موضع من مؤلّفاته. كطقس استقر في كنيسة أنطاكية. ومن بواكير الوثائق السّريانيّة التي نتعرّف منها على وجود هذه التّسبحة في الكنيسة الأنطاكيّة هو الكتاب المعروف باسم "أعمال القدّيس يوحنا"، وهو كتاب من كتب الأدب المسيحي القصصي التّخيلي، ومن مدوّنات القرن الرّابع الميلادي، حيث منه نتعرّف على نص هذه التّسبحة التي استخدمت في صلاة تكريس الماء والزّيّت قبل إجراء سرّ المعموديّة. فيقول النّص: "أيها الرّبّ القدير، اسمح بأن يأتي روحك القدّوس ويحلّ على الزّيّت وعلى الماء... نعم أيها الرّبّ، قدّس هذا الماء بصوتك الذي دوى فوق الأردن." ويكمل قائلاً: "وفي تلك السّاعة توهجت نار فوق الزّيّت، ورُفرت أجنحة الملائكة فوق الزّيّت، وكان كلّ المجتمعين يصرخون رجالاً ونساءً وأطفالاً: قدّوسٌ قدّوسٌ قدّوسٌ الرّبّ القدير، السّماء والأرض مملوءتان بتسبيحه".

3- Gregory Dix, *Dom*, op. cit., p. 165.

4- Cuming, *Egyptian Elements in the Jerusalem Liturgy*, in JTS 25, (1974), p. 117-124.

ويشهد البابا أثناسيوس الرسولي (٣٢٨-٣٧٣م) أن استعمال التسبحة الشاروبيمية قد شاع في جميع الكنائس، وذلك في رسالته عن الثالوث حين يذكر أن كنائس المسيح قاطبة من الشرق إلى الغرب تعترف في تقريب الأسرار (أي في الليتورجيا) بأن السيرافيم يجتلون الأب بكل حق.

بل يرى العالم الليتورجي المدقق الأب جريجوري دكس G. Dix (١٩٠١-١٩٥٢م) أن المقدمة الإفخارستية Preface والتي تسبق التسبحة الشاروبيمية هي إسكندرية المنشأ أيضاً، وقد استعارها ليتورجية أورشليم من ليتورجية الإسكندرية<sup>(٥)</sup>. أو بتعبير أوضح استعارها قدّاس القديس يعقوب أخي الرب من قدّاس القديس مرقس الرسول.

فلقد أشار العلامة أوريجانوس (١٨٥-٢٥٤م) المصري إلى الرباط المحكم الذي يربط بين الساروفين اللذين ورد ذكرهما في الأصحاح السادس من سفر إشعياء النبي، واللذين يرد ذكرهما أيضاً في المقدمة الإفخارستية Preface وبين النص الليتورجي للتسبحة الشاروبيمية Sanctus نفسها من داخل الليتورجيا. فيشرح أن نص إشعياء (٦:٢) بقوله إن الساروفين لكل واحد منهما سثة أجنحة، باثنين يغطي وجهه (أي وجه الله)، وباتنين يغطي رجله (أي رجله الله) ويطير هو نفسه باثنين<sup>(٦)</sup>.

وهو نفس ما نجده في المقدمة الإفخارستية Preface في قدّاس سراييون، حيث يذكر النص التالي: ” أنت هو الذي يقف حولك الساروفان المكرّمان جداً ذوو السّثة أجنحة. فبجناحين يغطيان الوجه Το πρόσωπον (تو برسوبون) وباتنين يغطيان الرّجلين، ويطيران باثنين“. ولكن في زمن القديس أثناسيوس الرسولي (٣٢٨-٣٧٣م)

5- Gregory Dix, *Dom, op. cit.*, p. 197.

6- Origin, *de Principiis*, iv, 3-4.

عدّلت كنيسة الإسكندريّة صيغة Τὸ πρόσωπον (تو بروسوبون) أي "الوجه"، إلى صيغة Τὰ πρόσωπον (تا بروسوبا) أي "وجهيهما"، وهو ما نجده في ليتورجيّة القُدَّيس يعقوب الرُّسول أخي الرُّب، وهو أيضاً ما أوضحه القُدَّيس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧-٤٠٧ م) في أنطاكية في نهاية القرن الرَّابِع الميلادي.

ولكن القُدَّيس كيرلس الأورشليمي - مثل القُدَّيس سراييون - ظلَّ يحتفظ بتفسير كنيسة الإسكندريّة القديم الذي ظهر فيها في القرن الثالث الميلادي بهذا الخصوص. وهي إشارة قد عرفنا منها أن كنيسة أورشليم قد استعارت المقدِّمة الإفخارستيّة Preface والتَّسبيحة الشَّاروبيميّة Sanctus من كنيسة الإسكندريّة<sup>(٧)</sup>.

### التَّطوُّر الذي لحق بالتَّسبيحة الشَّاروبيميّة في الكنائس المختلفة

في النَّص اليوناني للقُدَّاس الباسيلي القبطي الذي أورده رنودوت E. Renaudot يرد المرد هكذا: "قدوسٌ قدوسٌ قدوسٌ ربُّ الصِّبَاووت"<sup>(٨)</sup>. بدون أي إضافات أخرى. فهذا هو المرد في صورته القديمة جداً.

أما في قُدَّاس القُدَّيس سراييون فيأتي المرد: "قدوسٌ قدوسٌ قدوسٌ ربُّ الصِّبَاووت، السَّماء والأرض مملوءتان من مجدك". بدون وصف لهذا "المجد". أما الكاهن فيلقتط كلمات المرد من الشَّعب ليضيف بقوله: "السَّماء والأرض مملوءتان من مجدك المهوب جداً...".

وهو نفس ما نجده في مخطوط دير البلايزا الذي يورد جانباً من

7- Gregory Dix, *Dom*, op. cit., p. 197.

8- PG 31, p. 1636C.

النَّصُّ الْيُونَانِي لِلْقَدَّاسِ الْمَرْقَسِيِّ، حَيْثُ يَرِدُ الْمُرْدُ بَدُونَ وَصْفِ مَجْدِ الرَّبِّ الَّذِي يَمَلَأُ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ، فَالْمُرْدُ هُوَ: "قَدُوسٌ قَدُوسٌ قَدُوسٌ رَبُّ الصَّبَاوُوتِ، السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ مَمْلُوءَتَانِ مِنْ مَجْدِكَ".

وَجَدِيرٌ بِالذِّكْرِ هُنَا أَنَّ كَلِمَةَ "الْأَقْدَسُ" فِي وَصْفِ هَذَا الْمَجْدِ لَمْ تَرِدْ فِي الطَّقْسِ الْبِيْزَنْطِيِّ كَمَا فِي قَدَّاسِ الْقَدَّيْسِ يُوْحَنَّا ذَهَبِيِّ الْفِمْ.

كَمَا يَضِيفُ الطَّقْسُ الْأَوْرَشَلِيمِي وَالطَّقْسُ الْأَنْطَاكِي وَالطَّقْسُ الْبِيْزَنْطِيُّ وَطَقْسُ رُومَا بَعْدَ التَّسْبِحةِ الشَّارُوبِيْمِيَّةِ الْعِبَارَةَ التَّالِيَةَ: "أَوْصَنَّا فِي الْأَعَالِي. مَبَارِكُ الْآتِيِّ بِاسْمِ الرَّبِّ".

وَفِي قَدَّاسِ الْقَدَّيْسِ يَعْقُوبُ أَخِي الرَّبِّ حَسَبَ التَّقْلِيدِ السَّرِيَانِيِّ الْقَدِيمِ تَأْتِي هَذِهِ التَّسْبِحةُ هَكَذَا: "قَدُوسٌ قَدُوسٌ قَدُوسٌ رَبُّ الصَّبَاوُوتِ، السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ مَمْلُوءَتَانِ مِنْ مَجْدِكَ، أَوْصَنَّا فِي الْأَعَالِي، مَبَارِكُ الَّذِي أَتَى وَالَّذِي يَأْتِي بِاسْمِ الرَّبِّ، أَوْصَنَّا فِي الْأَعَالِي".

وَهُوَ نَفْسُ الْمُرْدِ الَّذِي يَأْتِي فِي الْقَدَّاسِ الْغَرِيغُورِيِّ الْقِبْطِيِّ بِنَصِّهِ الْيُونَانِيِّ<sup>(٩)</sup>. وَهُوَ نَفْسُ مَا يَذْكُرُهُ الْمَخْطُوطُ رَقْمَ (١٥٥ ط) بِمَكْتَبَةِ دِيرِ الْقَدَّيْسِ أَنْبَا مَقَارِ الَّذِي يُوْرِدُ النَّصَّ الْيُونَانِيَّ لِلْقَدَّاسِ الْغَرِيغُورِيِّ.

وَهُوَ أَيْضاً نَفْسُ الْمُرْدِ الَّذِي يَأْتِي فِي قَدَّاسِ الرُّسُلِ الْمَعْرُوفِ بِاسْمِ قَدَّاسِ الرُّسُولِيْنَ أَدِي وَمَارِي.

أَمَّا تَفْسِيرُ هَذِهِ الْكُنَائِسِ لِدَمَجِ التَّشْيِيدِيْنَ مَعَ السَّمَائِيِّ وَالْأَرْضِيِّ، الْمَلَائِكِيِّ وَالْبَشَرِيِّ، فَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ اتَّحَدَتَا بِتَجَسُّدِ



المسيح وفدائه، وأن الملائكة والبشر معاً يؤلّفون كنيسة واحدة رأسها المسيح الإله الإنسان، وهكذا «تُخْتَو باسم يسوع كل ركلة مما في السَّماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض» (فيلبي ١٠: ٢).

إن الأصول الأولى لإضافة فعل البركة "مباركٌ..."، على الثلاثة تقديسات نجده في كتاب المراسيم الرّسوليّة ذي التّقليد السّرّياني، حيث تأتي التّسبحة الشّاروويميّة فيه هكذا: "قدوسٌ قدوسٌ قدوسٌ ربُّ الصّباؤوت، السَّماء والأرض مملوءتان من مجدك. مباركٌ أنت إلى الأباد. آمين". أما الكتاب السّابع من المراسيم الرّسوليّة فيورد إحدى صلوات البركة المقتبسة من الصّلوات اليهوديّة، وهي: "السّرافيم المكرّمون مع الشّيروبيم ذوي السّتّة أجنحة ينشدون لك تسبحة الغلبة بأصوات لا تسكت صارخين: قدوسٌ قدوسٌ قدوسٌ ربُّ الصّباؤوت، السَّماء والأرض مملوءتان من مجدك. وجوع الرّتب الأخرى، الملائكة ورؤساء الملائكة، والعروش، والرّئاسات، والأرباب، والسّلاطين، والقوّات، يصرخون بصوت عالٍ قائلين: «مباركٌ مجدُ الرّبِّ في مسكنه» (حزقيال ١٢: ٣).

ونص هذه التّسبحة هنا مطابق لما يُتلى في المجمع اليهودي في صلوات الصّباح، فهو يأتي مرتبطاً بأية حزقيال النبي «مباركٌ مجدُ الرّبِّ في مسكنه» (حزقيال ١٢: ٣ سعيّنة).

ونجد في هذا النّص الأصول الأولى لارتباط تسبحة الشّيروبيم "قدوسٌ" مع الجزء المضاف "مباركٌ" والتي تعرفها بعض الطّقوس حتى اليوم. بل ويرى العلماء أن هذا الارتباط له أصول أيضاً في كتاب سفر أخنوخ (٩: ٣٩-١٤)، وهو من مدوّنات القرن الثّاني قبل الميلاد. وقد كان شائع التّداول في الأوساط المسيحيّة في القرون الثلاثة الأولى: "في ذلك اليوم حمدتُ ومجّدتُ اسم ربّ الأرواح

ببركات وتسيحات، قائلاً: مباركٌ هو، وليكن مباركاً من الأزل وإلى الأبد ... أولئك الذين لا ينامون يباركونك وهم وقوف أمام مجدك يباركونك ويحمدون ويمجدون قائلين: قدوسٌ قدوسٌ قدوسٌ ربُّ الأرواح، هو يملأ الأرض بالأرواح (الملائكيَّة). وهنا رأت عيناى كل أولئك الذين لا ينامون، وهم وقوف أمامه يباركونه ويقولون: مباركٌ أنت ومبارك اسم الربِّ إلى أبد الدهور“.

ومما سبق ذكره يتَّضح لنا أن التَّسْبِحة الشَّاروْبِمْيَّة كانت شائعة ومعروفة في الأدب المسيحي المبكر، أمَّا كونها نصاً ليتورجياً يُقال في داخل اللِّيْتورجِيا، فأوَّل استخدام لها كان في كنيسة الإسكندريَّة، وبالتَّحديد في القدَّاس المرقسي، وقدَّاس القديس سراييون.

وهكذا يقرِّر علماء اللِّيْتورجِيا أن التَّسْبِحة المصريَّة التي لا تحتوي على الجزء المضاف ”مباركٌ الآتي ...“ هي تسبحة أصيلة تميِّز بها الإفخارستيَّة القبطيَّة. ويمكن ملاحظة ذلك في قدَّاس سراييون، وقدَّاس القديس مرقس الرُّسول، وكذلك برديَّة دير البلايزا التي عُثِر عليها في دير البلايزا بالقرب من أسيوط، ويرجع تاريخ نساختها إلى القرن السَّادس الميلادي، أما النَّص نفسه فيرجع إلى القرن الثالث أو الرَّابع على أقصى تقدير<sup>(١٠)</sup>.

### الأسبسمس الذي يسبق التَّسْبِحة الشَّاروْبِمْيَّة

أمَّا الأسبسمس الذي يسبق التَّسْبِحة الشَّاروْبِمْيَّة وهو: ”الشَّيرويم

يسجدون لك، والسِّيرافيم يمجِّدونك، صارخين قائلين“، فهو مقدّمة لم ترد مرتبطة بهذه التَّسْبِحة في أي خولاجي قبطي عربي بدءاً من مخطوط الفاتيكان رقم (١٧)، ومخطوط أكسفورد رقم (هنت ٣٦٠)، وحتى في الخولاجي المطبوع سنة ١٩٠٢م، والذي راجعه القمّص عبد المسيح صليب المسعودي على مخطوطات خولاجيات قديمة. ولم ترد كذلك في الثلاثة قَدَّاسات القبطية الباسيلي والغريغوري والكيرلسي لا في نصوصها القبطية ولا في نصوصها اليونانية<sup>(١١)</sup>.

أما ابن كير في القرن الرَّابِع عشر فنجد عنده أصل هذه المقدّمة وسبب ارتباطها بالتَّسْبِحة الأصليّة كأسيسمس واطس مختصر يسبقها مباشرة، وهو يقال في الأعياد والمناسبات فيقول: ”وإذا قال الشَّمَّاس: الجلوس فليقفوا. وإلى الشَّرْق فينظروا، يتبع ذلك بقوله: أجيئوا προσχωμεν (بروسخومين) فيقول الشَّعب قدوسٌ ἁγιος ὁ (ثلاث مرّات). وفي أيام الأعياد وأوقات الفسحة والاحتفالات يقولون Πιχεροῦννι σεοῦωυτιμοκ (أي: الشَّيرويم يسجدون لك ... الخ)“.

وأظنُّ أن ما يذكره ابن كير يعني بالضرورة أن هذه المقدّمة ”الشَّاروييم يسجدون لك والسِّيرافيم يسبحونك صارخين قائلين“ لم تكن تُقال كما نقولها اليوم بهذه السَّرعة، بل كانت ذات لحن مميّز، يستوجب أدائه فترة من الوقت.

ويلاحظ القارئ العزيز أن بينما أن هذه التَّسْبِحة الشَّاروييمية معروفة في كافة اللِّيُتورجِيَّات - حتى القبطية منها - بنصها اليوناني، نجد أن مقدّماتها السَّابِق الإشارة إليها هي باللُّغة القبطية، مما يعني أن هذه المقدّمة لم تكن أبداً مردداً واحداً مع التَّسْبِحة الشَّاروييمية.

ونلاحظ أيضاً أنه في حالة ترتيل أحد الأسبسمات الواطس التي تسبق التَّسْبِحة الشَّاروْبِمْيَّة، فإن هذه المقدِّمة المختصرة تسقط باعتبارها أسبسم آخر، بينما يعقب الأسبسم كلمات التَّسْبِحة الشَّاروْبِمْيَّة فقط، بدءاً من قدوس\* قدوس\* قدوس\* ... الخ.

إذا فهذه المقدِّمة القبطيَّة كانت بمثابة أسبسم واطس مختصر، كان يقال قبل هذه التَّسْبِحة في بعض المناسبات والأعياد، ثم ألحق فيما بعد نهائياً كمقدِّمة لها. فصار يرَدُّ هكذا في الكنائس، بينما ظلَّت الكُتُب الطَّقْسِيَّة المدققة تسجِّل هذه التَّسْبِحة بدونها<sup>(١٢)</sup>.

ويورد حولاجي سنة ١٩٠٢م ستَّة من الأسبسمات الواطس التي تُقال قبل التَّسْبِحة الشَّاروْبِمْيَّة وهي:

أسبسم واطس أوَّل: تعالوا إلى المائدة نبارك الله مع الملائكة ورؤساء الملائكة صارخين قائلين<sup>(١٣)</sup> ...

**ΔΕΥΤΕ ΙΣ ΤΗΝ ΤΡΑΠΕΖΑΝ...**

أسبسم واطس ثان: المجد لك أيها الآب، المجد لك أيها الوحيد مع الرُّوح القدس، إلهٌ واحدٌ ربٌّ واحدٌ ...

**ΔΟΞΑ ΣΙΩ ΠΑΤΕΡ. ΔΟΞΑ ΣΙΩ ΜΟΝΟΣΕΝΕΣ...**

12- Burmester, O.H.E. Khs, *The Egyptian or Coptic Church* ..., p. 65.

١٣- هذا الأسبسم يذكره ابن كبر (+ ١٣٢٤م)، كأسبسم واطس يُقال في أيام الصَّوم الكبير وكيهك، وصوم التَّلاميذ. ولذلك دعوته: "أسبسم واطس أوَّل"، وليس "أسبسم واطس سنوي"، كما يذكر حولاجي سنة ١٩٠٢م. ومن هنا يتَّضح لنا جلياً أن الأسبسمات الواطس الغزيرة التي أُضيفت في المناسبات الكنسيَّة المختلفة هي حديثة العهد، في حين تواري هذا الأسبسم القديم، ولم يعد يُقال في أي وقت.

أسبسمس واطس ثالث: الشّيرويم يسجدون له، والسّيرافيم  
يحجّدونه صارخين قائلين الثلاثة تقديسات.

**Τα χερουβιμ προσκυνον αυτον...**

أسبسمس واطس رابع: فلنسبّح مع الملائكة والطّغمامات السّمائيّة،  
الذي هو الآب والابن والرّوح القدّس ...

**Παρενωος και νιαγγελος...**

أسبسمس واطس خامس مختصر: الشّيرويم يسجدون لك،  
والسّيرافيم يحجّدونك صارخين قائلين<sup>(١٤)</sup>:

**Νιχερουβιμ σενοχωτ ιμμοκ...**

أسبسمس واطس سادس: الشّيرويم والسّيرافيم الملائكة ورؤساء  
الملائكة، العساكر والسّلاطين، والكراسي والرّبوبيّات والقوّات،  
يسبّحونه بغير فتور ...

**Νιχερουβιμ και νισεραφιμ...**

وأخيراً من المفيد أن نعرف أن الأنبا ساويرس ابن المقفع في القرن  
العاشر الميلادي (تبيّح بعد سنة ٩٨٧م) يورد نص هذه التّسبحة  
الشّاروبيميّة، ثمّ يعقب عليها، فيقول: " ... وبعد الإنجيل يقدّس  
(الكاهن) الله مع الملائكة، لأن الكاهن يقول: "أنت الذي تقف قدّامك  
الملائكة الكارويم الكثيرو الأعين، والسّاروفيم ذوو السّنة الأجنحة

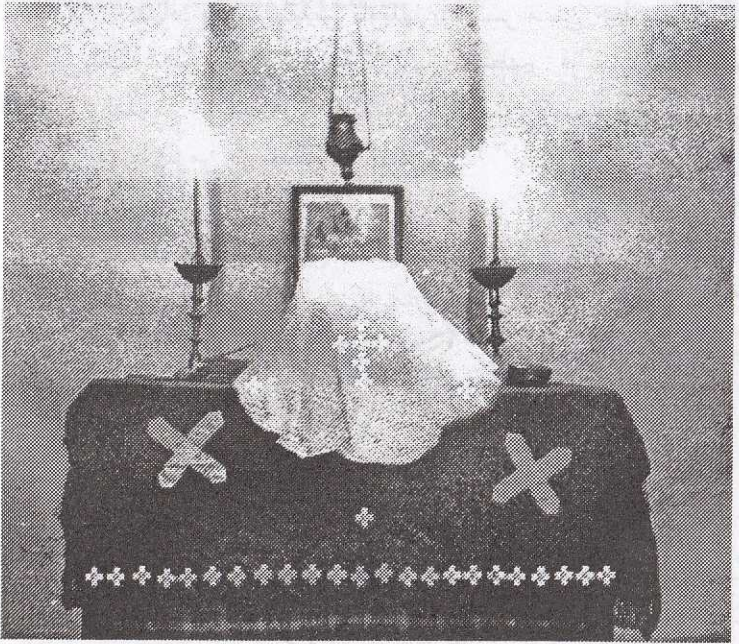
١٤- هذا هو الأسبسمس الذي ألحق بمقدّمة التّسبحة الشّاروبيميّة، ربّما  
باعتباره أقصر أسبسمس واطس مختصر. ولكن الاحتمال الأكثر أنه هو الأسبسمس  
السّنوي الوحيد الذي يذكره ابن كبر (+ ١٣٢٤م)، وعلى ذلك فهو من أقدم  
الأسبسمسات الواطس.

يَسْبِّحُونَكَ عَلَى الدَّوَامِ بِغَيْرِ سَكُوتٍ قَائِلِينَ 'يَجَاوِبُهُ كُلُّ مَنْ فِي الْكَنِيسَةِ بِصَوْتٍ وَاحِدٍ قَائِلِينَ: 'قُدُوسٌ قُدُوسٌ قُدُوسٌ رَبُّ الْقَوَاتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِمْتَلِئَتَانِ مِنْ مَجْدِكَ الْأَقْدَسِ'. هَذَا التَّقْدِيسُ يَقُولُهُ جَمِيعُ الَّذِينَ يَحْضُرُونَ الْكَنِيسَةَ، يَقَدِّسُونَ اللَّهَ الثَّلَاثَ بِهَذِهِ الثَّلَاثِ تَقْدِيسَاتٍ. وَهُوَ أَيْضًا يَقَدِّسُهُمْ مِنْ خَطَايَاهُمْ كَمَا قَالَ عَلَى لِسَانِ إِشْعِيَاءَ النَّبِيِّ «إِنَّ الَّذِي يَمَجِّدُنِي أَنَا أُمَجِّدُهُ، وَالَّذِي يَقَدِّسُنِي أَنَا أَقَدِّسُهُ». فِي هَذَا التَّقْدِيسِ يَتَقَدَّسُ الْمُؤْمِنُ مِنْ خَطَايَاهُ. وَقَوْلُنَا يَتَقَدَّسُ تَأْوِيلُهَا يَتَطَهَّرُ مِنْ خَطَايَاهُ، لِأَنَّ التَّقْدِيسَ لَفِظَةٌ بِالسَّرْيَانِيَّةِ وَالْعِبْرَانِيَّةِ تَأْوِيلُهَا التَّطَهُّيرُ. فَالتَّقْدِيسُ هُوَ التَّطَهُّيرُ، وَالْقُدُوسُ هُوَ الطَّاهِرُ. فَافْهَمْ هَذَا التَّأْوِيلَ أَيْضًا لِيَتَحَقَّقَ أَنَّ التَّقْدِيسَ يَقَدِّسُ الْمُؤْمِنَ مِنْ خَطَايَاهُ» (١٥).



١٥- الأنبا ساويرس ابن المقفع، الدر الثمين في إيضاح الدين، مرجع سابق، ص ١٢٤  
وسوف أعود إلى هذه النقطة مرة أخرى عند الحديث عن "الأواشي والمجمع والترحيم" في الفصل العاشر من هذا الكتاب.

فانما نحن في هذا السرّ ملكوت الله  
نحتفل بمسكونيات القديس الروح  
والمسيح وبنفسه في سرّ ملكوت الله  
والمسيح وبنفسه في سرّ ملكوت الله  
والمسيح وبنفسه في سرّ ملكوت الله  
والمسيح وبنفسه في سرّ ملكوت الله  
والمسيح وبنفسه في سرّ ملكوت الله  
والمسيح وبنفسه في سرّ ملكوت الله



فانما نحن في هذا السرّ ملكوت الله  
نحتفل بمسكونيات القديس الروح  
والمسيح وبنفسه في سرّ ملكوت الله  
والمسيح وبنفسه في سرّ ملكوت الله  
والمسيح وبنفسه في سرّ ملكوت الله  
والمسيح وبنفسه في سرّ ملكوت الله  
والمسيح وبنفسه في سرّ ملكوت الله  
والمسيح وبنفسه في سرّ ملكوت الله

الفصل السادس

أجيوس. قدوس



## توضيح

بعد أن ينتهي الشَّعب من ترتيل التَّسْبِيحَة الشَّاروِيْمِيَّة "قُدوسٌ قُدوسٌ قُدوسٌ ربِّ الصِّبَاؤوت ..."، يصلي الكاهن بعدها مباشرة.

### فيقول في القُدَّاسِ الباسيلي:

"قُدوسٌ قُدوسٌ قُدوسٌ بالحقيَّة أَيها الرَّبُّ إلهنا الذي جبلنا وخلقنا ووضعتنا في فردوس النِّعيم ...".

حيث يسرد رواية خلقه الإنسان وسقوطه، وتجنُّد ابن الله في آخر الأيام لخلاصه، وموت الرَّبِّ ونزوله إلى الجحيم، وقيامته من بين الأموات، وصعوده إلى السَّموات، ومجيئه الثَّاني لِيُدين الأحياء والأموات. فيرد الشَّعب: كرحمتك يارب وليس كخطايانا.

### أو يقول في القُدَّاسِ الغريغوري:

"قُدوسٌ قُدوسٌ أنت أَيها الرَّبُّ وقُدوسٌ في كل شيء. وبالأكثَر مختار هو نور جوهرِيَّتِكَ ...".

حيث يستطرد في وصف خلقه الإنسان والسَّماء والأرض وكل ما فيها، وسقوط الإنسان بأكله من شجرة معرفة الخير والشَّرِّ، ومجيء الله

الابن الكائن في كل زمان إلينا على الأرض لخلاصنا، واحتماله الآلام والذبح، وإعلان مجيئه الثاني لبيدين الأحياء والأموات، ويعطي كل واحد كأعماله.

فيرد الشعب: كرحمتك يارب وليس كخطايانا.

وهناك بعض نقاط التقاء بين ما يرد في هذا الجزء من قدّاس القديس غريغوريوس الثيولوجوس، وبين ما يرد في الكتاب الثامن من ليتورجية المراسيم الرسولية، والمدون في النصف الثاني من القرن الرابع، وأوردها فيما يلي:

ليتورجية مار غريغوريوس اللاهوتي	ليتورجية المراسيم الرسولية
أقمت السماء لي سقفاً، وثبتت الأرض لأمشي عليها. من أحلي أجمت البحر.	أقمت السماء كقبة، وبسطتها كخيمة، وثبتت الأرض على لا شيء. طوّقت العمق العظيم، وسيجته بحد عظيم.
من أحلي أظهرت طبيعة الحيوان.	ملأت عالمك وزينته بأعشاب ذات رائحة طيبة وشفافية، وحيوانات كثيرة ومتنوعة.
فتحت لي الفردوس لأتنعم، وأعطيتني علم معرفتك.	زرعت فردوساً في عدن شرقاً. وزينته بكل النباتات الصالحة للأكل، وأدخلته فيه كما إلى مسكن غاية في الترف. وعندما صنعته أعطيته ناموساً مزروعاً فيه، لكي يكون لديه وفي نفسه بذار المعرفة الإلهية.

<p>أظهرت لي شجرة الحياة ... غرس واحد نهيّتي أن أكل منه.</p>	<p>وإذ أتيتَ به إلى فردوس النعيم، أعطيتَه سلطاناً على كل شيء، مانعاً إياه فقط أن يتذوّق من شجرة واحدة.</p>
---	--

### أو يقول في القدّاس المرقسي:

”قدوسُ ربُّ الصبّاءوت، السَّماء والأرض مملوءتان من مجدك  
المقدّس أيها الربُّ إلّنا. بالحقيقة السَّماء والأرض مملوءتان من مجدك  
المقدّس من قبل ابنك الوحيد ربُّنا وإلّنا ومخلّصنا وملكنا كلُّنا يسوع  
المسيح. املاً هذه الذبيحة التي لك يارب بالبركة التي من قبلك بحلول  
روحك القدّوس عليها. وبالبركة بارك، وبالتقدّيس قدّس قرايينك هذه  
المكرّمة المبدوء بوضعها أمامك، هذا الخبز وهذه الكأس“.

أمّا مرد ”كرحمتك يارب وليس كخطايانا“ فهو لا يرد في هذا  
المكان من القدّاس المرقسي، بل يرد متأخراً، ولكنه في ذات الوقت يأتي  
عقب إعلان الكاهن عن النجى الثاني للابن الوحيد في انقضاء هذا  
الدَّهر، ليدين المسكونة بالعدل، ويعطي كل واحد كأعماله إن كان خيراً  
وإن كان شراً.

### شرح وتعقيب

الآن علينا أن نبحث في مخطوطاتنا القبطية القديمة عن هذا القسم من  
القدّاس الإلهي. فبالبحث نجد أنه سواء كان النّص القبطي أو النّص  
اليوناني للقدّاس، فإن الكاهن يبدأ بقوله مباشرة: ”قدوس“ سواء مرّة

واحدة كما في القدّاس المرقسي، أو ثلاث مرّات كما في القدّاسين الباسيلي والغريغوري القبطيين، بدون المقدّمة الحاليّة التي يقولها الكاهن "Ἄγιος" (أجيوس) "ثلاث مرّات، مصحوبة بالرّشومات.

وهنا يتّضح لنا أمرين:

الأمر الأوّل أن مخطوطات الخولاجيّات القديمة، وكتبنا الطّقسيّة القديمة أيضاً، تذكر كلها أن الكاهن يصلي "قدوس..." بعد التّسبحة الشّاروبيميّة مباشرة بدون أن يسبقها "أجيوس" ثلاث مرّات كما في قدّاسات اليوم.

الأمر الثّاني أنه لا ذكر لأيّ رشومات في هذه الجزئيّة من القدّاس، وهو نفس ما سبق أن ذكرته في الحوار اللّيتورجي الذي تبدأ به الأنافورا. فمخطوط الفاتيكان رقم (١٧)، ومخطوط أكسفورد رقم (هنت ٣٦٠) لا يذكران شيئاً عن هذه الرّشومات، وإن كان عدم ذكرهما لها - كما في خولاجيّات أخرى كثيرة - ربما يعني أنّها ممارسات تُسَلّم شفاهياً، إلا أن ابن سباع (القرن الثالث عشر) لا يذكر هو الآخر شيئاً عنها برغم تدقيق ابن سباع في شرح دقائق الممارسات الطّقسيّة في القدّاس<sup>(١)</sup>.

وفي الحقيقة إننا أمام ممارسات طقسيّة متباينة سادت في أماكن دون أماكن أخرى، ومع الوقت تغلبت واحدة من هذه الممارسات وانتشرت، بينما توارت الأخرى. كما أننا أيضاً إزاء تطوّر طقسي ليس بالطبع في مضمون الصّلوات ونصوصها اللّيتورجيّة، بل في بعض الممارسات الطّقسيّة المصاحبة لهذه النصوص اللّيتورجيّة.

فإن كان أوّل ذكر لهذه الرّشومات في هذه الجزئيّة من القدّاس الإلهي

نجدّه عند البابا غبريال الخامس (١٤٠٩ - ١٤٢٧م) في كتابه "التّرتيب الطقسي"، إلا أن طقس تميمها يجرى أثناء ترتيل الشّعب للثلاثة تقديسات في مقدّمة التّسبحة الشّاروبيميّة، وليس أثناء ترديد الكاهن "أجيوس". وهو نفس ما يذكره الخولاجي المطبوع سنة ١٩٠٢م.

وفي ذلك نقرأ ما يورده الخولاجي المذكور عمّا يقوله الكاهن ويمارسه في القدّاس المرقسي، فيقول: "... ثم يأخذ اللّفاقة التي على الكأس على يده اليميني. وعندما يقول الشّعب أجيوس، يرشم ثلاثة رشومات؛ الأوّل على نفسه، والثاني على الخدّام، والثالث على الشّعب. والكاهن الشّريك يدور بالجحمة، ثم يقول الكاهن: قدوس ربّ الصّياووت، السّماء والأرض مملوءتان من مجدك المقدّس ..."<sup>(٢)</sup>.

وهو أيضاً نفس ما نجدّه في القدّاس الغريغوري حيث يذكر نفس الخولاجي ما يلي بعد التّسبحة الشّاروبيميّة مباشرة: "وإن اختار الشّعب يقولون الأسبسمس الواطس "تعالوا إلى المائدة نبارك الله ... - ΔΕΥΤΕΙΟ - τὴν τραπεζα" أو غيره من الأسبسمسات.. وإنما يكون ذلك قبل قراءتهم Δεῖσιον السّابقة"<sup>(٣)</sup>. ويكمّل قائلاً: "ههنا يرشم الكاهن ذاته والخدّام والشّعب ويقول: قدوس قدوس أنت أيها الرّب و قدوس في كل شيء ...".

وهذا هو نفس ما يذكره البابا غبريال الخامس حين يؤكّد على أن الكاهن يرشم الثّلاث رشومات التي نحن بصددّها أثناء ترتيل الشّعب التّسبحة الشّاروبيميّة، فيقول: "وإذا انتهى إلى عند قراءتهم أجيوس

٢- كتاب الخولاجي المقدّس، طبعة سنة ١٩٠٢م، ص ٦٣٧

٣- ويعني بها هنا التّسبحة الشّاروبيميّة.

انظر: كتاب الخولاجي المقدّس، طبعة سنة ١٩٠٢م، ص ٤٨٠

أجيوس أجيوس يرشم أيضاً ٣ رشومات الأوّل على نفسه والثاني على الشّماسة الخدّام، والثالث على الشّعب“ (٤).

أمّا في القدّاس الباسيلي - والشّائع الاستخدام - فقد أضاف خولاجي سنة ١٩٠٢م تعليمات لم ترد عند البابا غبريال الخامس حين يقول: ”يضع الكاهن اللّفاقة التي على يده اليسرى على المذبح، ويأخذ اللّفاقة التي على يده اليمنى ويضعها على يده اليسرى، ويأخذ اللّفاقة التي على الكأس بيده اليمنى ويرشم بها ثلاثة رشومات، وكل رشم يقول فيه **Αγιος** (ويخضع برأسه). أوّل رشم على ذاته وهو متّجه إلى الشّرق، والثاني على الخدّام عن يمينه، والثالث على الشّعب إلى الغرب. وإن كان معه كاهن شريك يدور بالمجمرة حول المذبح دورة واحدة. ثم يقول الكاهن: قدوسٌ قدوسٌ قدوسٌ بالحقيقة أيها الرّبّ إلهنا...“ (٥).

وهنا يتّضح لنا أن خولاجي سنة ١٩٠٢م قد انتهج ممارسات طقسيّة غير التي يوردها البابا غبريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٧م) في كتابه ”الترتيب الطقسي“، ونقاط الاختلاف في الخولاجي المذكور هي:

- أن الرّشومات تكون أثناء ترديد الكاهن باليونانيّة Ἀγιος (أجيوس)، وليس أثناء ترديد الشّعب تقديسات التّسبحة الشّاروبيميّة. حيث يقول الكاهن هذه التّقديسات باليونانيّة ثم يعود فيكررها مرّة أخرى بالقبطيّة أو بالعربيّة.
- أن الرّشومات تكون بلفافة الكأس، بعد حركة اللّفاف التي أشار إليها الخولاجي المذكور.

٤- البابا غبريال الخامس، الترتيب الطقسي، مرجع سابق، ص ٧٧

٥- كتاب الخولاجي المقدّس، طبعة سنة ١٩٠٢م، ص ٣٢٤

- أن الرِّشْمَ الثَّانِي يكون عن يمين الكاهن فقط، وليس على شمامسة المذبح يمينا ويساراً.

- أن الكاهن الشَّرِيكَ يدور بالشُّورِيَّة حول المذبح كما في القُدَّاس الكيرلسي.

وربما كان هناك تسليم شفهي تناقلته الأجيال ولم يدوّن في كتبنا الطَّقْسِيَّة حتّى تم تدوينه في خولاجي سنة ١٩٠٢م على يد القمّص عبد المسيح صليب البراموسي (١٨٤٨-١٩٣٥م).

### تأمّل في الرُّشومات بلفافة الحَمَل ثم بلفافة الكأس

استقر في طقسنا الحالي أنه مع بدء الأنافورا يجري ثلاثة رشومات بلفافة الحَمَل على الشَّعْب أولاً ثم على الخدّام ثانياً، ثم على الكاهن نفسه ثالثاً. أمّا الثلاثة رشومات التي تجري بعد ذلك بلفافة الكأس فتكون على الكاهن أولاً، ثم الخدّام ثانياً، ثم الشَّعْب ثالثاً.

فرشومات الحَمَل تبدأ بالشَّعْب الذي لأجله جاء الحَمَل حامل خطيئة العالم، لكي يخلصنا، ويصير لنا "عمانويل" الذي هو "الله معنا"، لذلك يتوافق هذا الرِّشْم مع قول الكاهن للشَّعْب: "الرَّب مع جميعكم".

أما رشومات الكأس أي الدَّم فهي تبدأ بالكاهن إذ تخضّب رئيس الكهنة أولاً بدم نفسه على الصَّلِيب، فسأل دمه على الأرض تطهيراً وتقديساً لشعب ارتضى الرَّب أن يقتنيه لنفسه.

وخلال الصَّلَاة السَّابِقَة كان الحَمَل مكشوفاً حينما كانت

الرُّشومات بلفافة الحَمَل، بينما كان الكأس لازال مغطى، لأنه بعدما تحققت المصالحة بقيامة الرّب، وظهر للكنيسة في شخص مريم المجدليّة، لم تستطع أن تتعرّف عليه في البداية، وأما الآن فقد كُشف الكأس والحمل معاً، إذ أعلن الرّب نفسه لكنيسته المحبوبة.

والرُّشومات بلفافة الكأس هي رمز إلى التّقدّيس الذي صار بدم ربّنا يسوع المسيح الذي قدّم عنّا ذبيحة فائقة. فعندما يرشم الكاهن ذاته ينال قوّة التّقدّيس الدّاخلي بعلامة الصّليب ودم المسيح. وعندما يرشم الخدّام ينال الكل قوّة حياة لا تبدل، والكل حول المذبح يقول "قدوس". وعندما يلتفت إلى الغرب ويرشم الشّعب، فكل واحد يرشم ذاته أيضاً لأنه حينما تُقال قدوس، ولو في صلاة منفردة، فإن الكل يرشم ذاته، لأن التّقدّيس بواسطة صليب ربّنا هو الذي يعلن لنا الحياة الجديدة الفائقة.

وهكذا يصير الصّليب عقد القداسة بين الذين في البيعة، وعلامة خلاص لكل الذين ينالون صبغة الحميم<sup>(٦)</sup>.

وورد في خولاجي أنبا بطرس: "اعلم أيها الكاهن أنك تأخذ اللّفافة التي على الكأس لترشم بها ذاتك أولاً، موقناً بذلك أنك خادم العهد الجديد بدم ربّنا يسوع المسيح، وأنك تأخذ اللّفافة وترشم ذاتك لأنه ليس لك سلطان على هذه الكأس، وإنما سلطان هذه الكأس هو دم ربّنا يسوع المسيح وصلبيه المحيي. وبعد ذلك ترشم إخوتك الخدّام لأنهم مشاركون لك في خدمة هذا السّر، ثم الشّعب الذين من أجلهم تُقام هذه الخدمة. ويتم رشم الخدّام قبل الشّعب، وهو ضروري لأن خدّام السّر



يتقدّسون أولاً، وبعد ذلك الشعب“ (٧).

### دورة البُخور حول المذبح عند قول الكاهن: أجيوس

بينما لا يُرفع بخور في القُدَّاس الغريغوري عند قول الكاهن: ”أجيوس“، نجد أنه في القُدَّاس المرقسي - والقُدَّاس الباسيلي - يدور الكاهن الشَّريك حول المذبح بالجمرة، رمز لما اشتبه الأب في ذبيحة ابنة على الصَّليب رائحة سرور، حينما تقدَّسنا بدم ربِّنا يسوع المسيح.

وفي ذلك يقول العلامة كليمنس الإسكندري (١٥٠-٢١٥م):

[وإن كنَّا نقول (في الكنيسة) إن الرَّبَّ كرئيس كهنة أعظم يقدِّم إلى الله بخوراً ذا رائحة عطرة، فلا نتصوّر أن ذلك يعني ذبيحة وبخوراً عطراً مادياً، ولكن ينبغي أن نفهم أن ذلك يعني أن الرَّبَّ يضع ذبيحة ”الأغابي“ المقبولة كرائحة روحية عطرة على المذبح (السَّمائي)] (٨).

فدورة الكاهن الشَّريك حول المذبح بالبُخور تعلن لنا أن حياة ربِّنا يسوع المسيح الزَّكية هي التي أنبعت لنا التَّسبيح، ووهبتنا الاشتراك مع السَّمائيين في تسبيح واحد منشدين نشيد الغلبة والظَّفَر (٩).

### مضمون الصَّلوات اللَّيتورجية بعد أجيوس

إن مضمون الصَّلوات اللَّيتورجية بعد أجيوس وقبل كلمات التَّأسيس

٧- المرجع السابق، ص ٨٤، ٨٥

8- Clement of Alex., *Instruct.*, ANF., II, p. 249.

٩- معاني رشم الصَّليب، مرجع سابق، ص ٨٤

قد أخذ اتجاهين، الاتجاه الأول في كل الليتورجيات خارج مصر، والاتجاه الثاني يختص بالليتورجية المصرية فقط.

أما الاتجاه الأول فهو ما نراه في كافة الليتورجيات باستثناء الليتورجيات المصرية القديمة، ويندرج معه في ذلك الأمر، كل من القداس الباسيلي والقداس الغريغوري القبطيين. وذلك حينما يأخذ الكاهن من فم الشعب الكلمات الأولى للتسبحة الشاروبيمية "قدوس قدوس قدوس" ... "موجهاً الخطاب إلى الله الآب قائلاً: Ἄγιος (أجوس) أي: "قدوس" ..."، أو تعزيز هذا التّقدس للآب بإضافة كلمة Ἀληθῶς (ألثوس) أي "بالحقيقة"، لتصبح مقدّمة الصلاة هي: "قدوس بالحقيقة" كما في القداس الباسيلي القبطي، وكما في طقس الغال، والطقس الموزارابي. وبالمثل فإن الليتورجية البيزنطية بدأت هي الأخرى بكلمة "قدوس"، ولكن سبقتها بعبارة تستأنف ما سبق أن ذكره الخوروس الملائكي، فتقول: "مع هذه القوّات المغبّوطة أيها السيّد المحب للبشر، نهتف نحن أيضاً، ونقول: قدوس أنت وكلّي القداسة ...".

وتسرد الليتورجيات التي تتبع هذا الاتجاه الأول تاريخ الخلاص ابتداءً بالخلق، مروراً بالسُّقوط، ثم التّجسّد، ثم الآلام، ثم القيامة من بين الأموات، ثم الصُّعود إلى السّموات، ثم الجلوس عن يمين الآب، وانتهاءً بانجئ الثاني من السّموات للمجازاة. وهنا يكون مرد الشعب: "كرحمتك يارب وليس كخطايانا".

وجدير بالذكر هنا أنه طبقاً للنّص اليوناني لمخطوط باريس رقم (٢٣٥) والذي نشره العالم رونودوت E. Renaudot نجد أن القطعة التي تبدأ بـ: "قدوس قدوس قدوس" بالحقيقة أيها الرّب إلهنا ... " نجد أنها في اليونانية متّصلة مباشرة مع القطعة التّالية لها وهي "تجسّد وتأنس" دون

المرد "آمين"، ودون المرد "حقاً أوّمن" الذي يفصل هذه القطعة إلى ثلاث قطع. فيكون المعنى " ... هذا الذي من الرّوح القدّس ومن العذراء القدّيسة مريم تجسّد وتأنّس ... نزل إلى الجحيم من قبل الصّليب وقام من بين الأموات ... " .

وإن عدنا إلى مخطوط الفاتيكان رقم (١٧)، نجد أنه يؤيّد ما سبق ذكره للتوّ، إذ لا وجود للمرد "آمين" أصلاً، حيث يواصل الكاهن صلاته: " ... هذا الذي من الرّوح القدّس ومن العذراء القدّيسة مريم تجسّد وتأنّس وعلمنا طرق الخلاص، ووهب لنا الميلاد ... " وتستمر صلاة الكاهن بلا أي مرّدات للشعب، حتى إلى المرد: "كرحمتك يارب وليس كخطايانا". أي أن المرد "حقاً أوّمن - Διὸν τῆσθ" لا وجود له أيضاً، وهو الذي يفصل بين قول الكاهن: "نزل إلى الجحيم من قبل الصّليب"، وبين قوله: "وقام من بين الأموات ...". ولا يخفى أن هذا المرد الأخير يأتي بصيغة المفرد وليس بصيغة الجمع خلافاً لباقي المرّدات الأخرى، على اعتبار أن مرّدات الشعب هي مرّدات تختص بالشعب كله، وليس بواحد منهم فحسب.

وهو نفس ما يذكره مخطوط أكسفورد رقم (هنت ٣٦٠).

أمّا عبارة "وجعلنا له شعباً مجتمعا"، فهي تعني "شعباً خاصاً"، فكلمة مجتمعا περιούσιον هي كلمة لها تاريخ طويل في العهد القديم. كقول سفر التثنية: «وتكونون لي شعباً خاصاً من جميع الشعوب» (تث: ٧: ٦). هذه الخصوصية هي المعبر عنها بكلمة: περιούσιον "وجعلنا له شعباً خاصاً"، وقد وردت كثيراً بهذا المعنى في العهد القديم.

ثم تنتقل الليتورجياً إلى كلمات التأسيس، أي تقديس الخبز والخمر،

وذلك ابتداءً من قول الكاهن: ”ووضع لنا هذا السرّ العظيم الذي للتّقوى ...“ كما في القدّاس الباسيلي القبطي، أو ”أقدم لك يا سيّدي مشورات حريّتي ...“ كما في القدّاس الغريغوري.

وهذا الاتجاه الأوّل أي سرد تاريخ الخلاص، نجده بالتّالي في الطّقس البيزنطي كما في قدّاس القدّيس يوحنا ذهبي الفم، ولكن باختصار أكثر، حيث يقول الكاهن: ”... الذي (أي الابن الوحيد) لما أتى وتمّ كل التّدبير الذي من أجلنا في اللّيلة التي أُسلم فيها ...“.

كما نجد هذا الاتجاه أيضاً في ليتورجيّة الكنيسة الأنطاكيّة، والتي يمثّلها في الأصل ليتورجيّة القدّيس يعقوب أخي الرّب، حيث يرد بها سرّد لتاريخ الخلاص بأكثر إسهاب، فتقول: ”قدوس أنت، يا ملك الدّهور ومانح كل قداسة. قدوس أيضاً ابنك الوحيد ربّنا يسوع المسيح. وقدوس كذلك روحك القدّوس الذي يفحص كل شيء حتى أعماقك يا الله. قدوس أنت أيها الضّابط الكلّ القادر على كل شيء، والمخوف والصّالح، والمتحنّن على خليقته. أنت الذي جبلت الإنسان من التّراب، ومنحته فردوس التّعيم. وبعد أن تعدّى وصيّتك وسقط، لم تتخل عنه أو تتركه بسبب صلاحك، لكن أدبته كأب رحيم، ودعوته بالتّاموس وأرشدته بالأنبياء. وفي النهاية أرسلت إلى العالم ابنك الوحيد ربّنا يسوع المسيح حتى يجدّد صورتك. فترل وتجنّس من الرّوح القدّس ومن العذراء القدّيسة مريم والدة الإله. وعاش مع النّاس ودبّر كل شيء من أجل خلاص جنسنا ...“.

أمّا الاتجاه الثّاني وهو ما نراه في الطّقس القبطي الأصيل دون غيره من الطّقوس ممثلاً في ليتورجيّة القدّيس مرقس الرّسول (القدّاس الكيرلسي)، وليتورجيّة القدّيس سراييون الأسقف، وهو الانتقال المباشر

إلى كلمات التأسيس بعد التّسبحة الشّاروويمية بدون سرد لتاريخ الخلاص. ولكن الدّخول إلى كلمات التأسيس يسبقه عبارة موجزة تربط بين مضمون التّسبحة الشّاروويمية وبدء كلمات التأسيس.

ففي القدّاس المرقسي تكون هذه العبارة: "... بالحقيقة السّماء والأرض مملوءتان من مجدك المقدّس من قبل ابنك الوحيد ربّنا وإلهنا ومخلّصنا وملكنا كلنا، يسوع المسيح. املاً هذه الصّعيدة (أي الذبيحة) التي لك يارب بالبركة التي لك من قبلك بحلول روحك القدّوس عليها. وبالبركة بارك، وبالتطهير طهّر هذه القرابين المكرّمة لك، الموضوعة قدّامك، هذا الخبز وهذه الكأس".

ويبدو هذا الانتقال على أدق صورة في مخطوطة دير البلايزا، إذ بعد أن يقول الكاهن: "قدوس قدوس قدوس ربّ الصّباؤوت، السّماء والأرض مملوءتان من مجدك"، يقول مباشرة: "املاً نحن أيضاً من مجدك، وتفضّل وأرسل روحك القدّوس ...".

وهو نفس ما نجد تماماً في قدّاس القدّيس سرابيون، إذ بعد التّسبحة الشّاروويمية مباشرة يقول الكاهن: "السّماء والأرض مملوءتان من مجدك المهوب جداً. يارب القوّات املاً أيضاً هذه الذبيحة بقوّتك ومشاركتك، لأننا قدّمنا هذه الذبيحة الحيّة والتّقدمة غير الدّموية" (١٠).

وهنا نجد أن الطّقس الإسكندري ينتقل من التّسبيح بمجد الربّ الذي يملأ السّماء والأرض، إلى طلب ملء الذبيحة بالبركة، تمهيداً للدّخول إلى كلمات التأسيس مباشرة، أي تقدّيس الخبز والخمر.

إذا فكلمة πλήρωσον (بليروسون) أي "املاً" في القدّاس المرقسي "املاً هذه الذبيحة التي لك يارب بالبركة"، أو في قدّاس سرايون "املاً أيضاً هذه الذبيحة بقوّتك ومشاركتك"، هي إحدى مميزات الإفخارستية الإسكندرانية.

والبركة في المفهوم الطّقسي اللاهوتي تعني التّقدّيس. أمّا الصّعيّدة أو القربان أو الذبيحة فهي كلها مترادفات لكلمة واحدة. إذا يكون معنى: "املاً هذه الصّعيّدة بالبركة"، أو "املاً هذه الذبيحة بقوّتك"، أي "كَمَلْ تقدّيس هذه الذبيحة".

وتقدّيس الذبيحة - طبقاً للقدّاس المرقسي - يكون ببركة الآب، بفعل حلول الرّوح القدس عليها. ومن أجل ذلك يقول الكاهن: "املاً هذه الصّعيّدة التي لك يارب بالبركة التي من قبلك بحلول روحك القدّوس عليها". وهنا يرشم الكاهن على الصّينيّة والكأس معاً رشمًا واحدًا، فيحجب الشّعب: "أمين".

أمّا تقدّيس الذبيحة - طبقاً لقدّاس سرايون - فيكون بقوة الآب ومشاركته.

إن تكميل الإفخارستيا أي طلب ملء الذبيحة "املاً هذه الصّعيّدة" هو بحضور الثالوث وعمله فيها، أي بحضور الآب بالبركة، وحضور الابن ذبيحاً على المذبح، وحضور الرّوح القدس وحلوله عليها. وبذلك تصير الإفخارستيا هي استعلان ملكوت الله، أي حضور الآب والابن والرّوح القدس على القرايين الموضوعه على المذبح.

إن استدعاء الرّوح القدس لتقدّيس القرايين قبل كلمات التأسيس -

أي تقدّيس الخبز والخمر - في القدّاس المرقسي هو سمة مصرّيّة قديمة لا نجد لها نظيراً في القدّاس الباسيلي والقدّاس الغريغوري القبطيين.

والاستدعاء Epiclesis أو Invocation يعني "الدُّعاء بالاسم"، أي "الدُّعاء باسم الله على الشئ لتقدّيسه". وبحسب القدّيس إيريناؤس (١٣٠-٢٠٠م)، نعرف أن الدُّعاء بالاسم هو نفسه عمليّة تقدّيس، فيقول:

[إن الخبز الذي يتقبَّل الدُّعاء باسم الله لا يعود بعد خبزاً عادياً بل إفخارستياً]<sup>(١١)</sup>.

وليس القدّاس المرقسي وحده هو الذي يذكر هذا الاستدعاء في هذا الموضع، بل يشترك معه في ذلك قدّاس القدّيس يعقوب أخي الرّب قبل تطوّره، حيث يذكر القدّيس كيرلس الأورشليمي (٣١٥-٣٨٦م) أن الاستدعاء يأتي بعد التّسبحة الشّاروبيميّة مباشرة، فيقول:

[بعد ذلك، وبعد أن تتقدّس نفوسنا بهذه الألحان الرُّوحانيّة (وبعني التّسبحة الشّاروبيميّة) نتوسّل إلى الله أن يرسل الرُّوح القدس].

وهذا التّعبير الذي يذكره القدّيس كيرلس الأورشليمي قد وجد فيه كثير من الشّراح وعلماء اللّيتورجيا لغزاً كبيراً - كما يذكر ذلك العالم اللّيتورجي الأب جريجوري دكس (١٩٠١-١٩٥٢م) - محاولين باجتهاد إثبات أن كلام القدّيس كيرلس الأورشليمي السّابق ذكره لا يعني أنه يتحدّث عن تابع متّصل للنّص اللّيتورجي الذي يشرحه، مفترضين عبارات ليتورجيّة أغفلها في حديثه. ولكن الأب جريجوري دكس قد

استفاض في البرهان على هذه الجزئية<sup>(١٢)</sup> ليثبت أن القديس كيرلس الأورشليمي كان يعني تماماً ما يقول، وأن استدعاء الروح القدس كان يعقب التسبحة الشاروبيمية مباشرة في طقس كنيسة أورشليم في النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي.

ولم يكن القداس المرقسي وحده هو الذي أشار إلى الاستدعاء في هذا الوقت المبكر من الليتورجيا وقبل التأسيس، لأن قداس سرايون قد أشار هو الآخر إلى ذلك، بقوله: "املاً أيضاً هذه الذبيحة بقوتك ومشاركتك، لأننا قدمنا هذه الذبيحة الحية والتقدمة غير الدموية".

تعبير "الذبيحة" هو نفسه تعبير "التقدمة" في النص السابق مباشرة. وإن تعبير "الذبيحة غير الدموية" هو تعبير استخدم منذ القرن الرابع الميلادي في كتابات الآباء. وكان أول من استخدمه هو القديس كيرلس الأورشليمي (٣١٥-٣٨٦ م). وهذا التعبير في هذا الجزء من قداس سرايون يعني تقديم إفخارستي خاص للخبز والخمر اللذين تم تقدسهما فعلاً ضمن صلوات سابقة يعني مضمونها بكل تحديد تقديس قد تم على الخبز والكأس.

وإن ذكر تعبير "الذبيحة غير الدموية" في هذه اللحظة بالذات وقبل كلمات التأسيس هي خاصية تميز بعض نصوص الصلوات الليتورجية في كنيسة مصر<sup>(١٣)</sup>.

وليس هذا فحسب بل هناك تعبير "الذبيحة الحية" في هذه المرحلة من الصلاة الإفخارستية في قداس سرايون، وهو تعبير قاطع بدون أي

12- Gregory Dix, *Dom, op. cit.*, p. 197-213.

13- Gregory Dix, *Dom, op. cit.*, p. 166.



نوع من الحذر أو المواراة. ولقد اعترف الأب جريجوري دكس G. Dix (١٩٠١-١٩٥٢م) بارتباكه في شرح هذا التعبير، مع التّعبير السابق "الذبيحة غير الدّمويّة". ولما لم يسع لأن يجد فيهما ما يفيد وجود نص ليتورجي سابق قد جرى فيه تقديس فعلي لعناصر الذبيحة، قال إنه من الأسهل علينا ربط تعبير "الذبيحة الحيّة" بعبارة سابقة من نفس هذا القدّاس تقول: "نتوسّل إليك اجعلنا أناساً أحياء". ومن هنا تكون "الذبيحة الحيّة" والتّقدمة غير الدّمويّة" تشير إلى ذبيحة التّسبيح مقدّمة من داخل لحن الثلاثة تقديسات، وليس تقريباً للقرايين الإفخارستيّة والذي سيأتي ذكره فيما بعد<sup>(١٤)</sup>.

وفي الحقيقة لم يستطع العلماء الإفلات من الرّباط المحكم للنصّ الليتورجي في قدّاس سراييون بين عبارة "يارب القوّات املاً هذه الذبيحة الحيّة، والتّقدمة غير الدّمويّة"، وعبارة كلمات التّأسيس التّالية مباشرة: "إليك قدّمنا هذا الخبز مثال جسّد الابن الوحيد. هذا الخبز هو مثال الجسد المقدّس...". ولاسيّما أن تعبير "قدّمنا" يأتي هنا في صيغة الماضي معبّراً عن تقديم سابق للقرايين. أمّا ليتورجيّة هيبوليتس فقد فصلت تماماً بين ما يسبق كلمات التّأسيس، وبين ما يتبعها من حيث وصف عنصريّ الذبيحة المقدّسة.

ومن هنا نرى أن كل ليتورجيّة سراييون والمعنونة منذ بدايتها بعنوان: "صلاة التّقدمة"، هي في الأساس صلاة إفخارستيّة مرتبطة كلها كوحدة واحدة مع ما سبقها من تقديم للقرايين في طقس تقديم الحَمَل. وكأنّ سراييون يريد أن يقول: "قدّمنا..."، وذلك قبل أن تبدأ

صلاة التَّقدِّمة نفسها<sup>(١٥)</sup>.

إن هذا الاستدعاء القديم جداً، والذي احتفظت به ليتورجية القديس مرقس الرسول، وليتورجية القديس سرايون، قبل تلاوة التَّقديس على الخبز والخمر لم يكن هو الاستدعاء الأوَّل، والذي جذب انتباه علماء اللِّيُتورجيا، وأولوه بحثاً مصحوباً بالدهشة، بل قد سبقه استدعاء آخر لأقنوم الابن الكلمة، وذلك في طقس تقديم الحَمَل، حين قال الكاهن: "صلاة تقدمة الخبز والكأس للابن سرّاً"، وفيها يقول: "أيها السيِّد الرَّب يسوع المسيح ... نسأل ونطلب من صلاحك يا محب البشر، أظهر وجهك على هذا الخبز، وعلى هذه الكأس، هذين اللذين وضعناهما على هذه المائدة الكهنوتية التي لك، باركهما، قدَّسهما، طهَّرهما وانقلهما. لكي هذا الخبز يصير جسدك المقدَّس، والمزيج الذي في هذه الكأس يصير دمك الكريم ..."<sup>(١٦)</sup>.

ومن هنا يتَّضح لنا أن منطوق الاستدعاء الذي يأتي بعد التَّسبحة الشَّاروبيمية مباشرة كان على دراية تامة بالاستدعاء السَّابق له في طقس تقديم الحَمَل، ولاسيما في قول القُدَّاس المرقسي: "قراينك هذا المكرَّمة التي بُدء بوضعها أمامك ..."، إشارة إلى طقس تقديم الحَمَل. ومن ثمَّ لم يرد في هذا الاستدعاء طلب لجعل الخبز جسداً للمسيح، أو الخمر دماً له، بل فقط طلب ملء الصَّعيدة بالبركة أي تكميل الذَّبِيحة بالبركة التي من قبل الآب، وتقديسها بحلول الرُّوح القُدَّس عليها.

إذاً فالاستدعاء الأوَّل - في طقس تقديم الحَمَل - كان لأقنوم الابن، أما هذا الاستدعاء الذي يأتي هنا قبل التَّقديس على الخبز والخمر فهو

15- Cf. Gregory Dix, *Dom, op. cit.*, p. 167.

١٦- كتاب الخولاجي المقدَّس، طبعة سنة ١٩٠٢م، ص ٢٢٧

لأقنوم الرُّوح القُدّس. أما بعد التّطوُّر اللّيتورجي الذي حدث بعد القرن الرّابع الميلادي، في كافة اللّيتورجيّات فقد كان التّركيز فيه على استدعاء الرُّوح القُدّس الذي يجري بعد التّقدّيس على الخبز والخمر لتحويلهما إلى جسد المسيح ودمه الكريمين، ومع التّركيز الشّدّيد على هذا الاستدعاء هتت أمامه استدعاءات أخرى سابقة عليه، لاسيّما استدعاء اللُّوغوس كما في طقس تقديم الحَمَل، وكما في قدّاس القُدّيس سراييون بعد تقدّيس الخبز والخمر (١٧).



١٧- تقدمة القرايين في قدّاس القُدّيس سراييون هي فقط تقدم الشّمس للقرايين على المذبح.

## الفصل السابع

### كلمات التأسيس

## تمهيد

كلمات التأسيس هي الكلمات التي قالها الربّ على الخبز والكأس في ليلة العشاء الأخير، فأُسِّس بها العهد الجديد بدمه. وهي تُسمّى "كلمات التأسيس"، أو "كلمات العهد"، أو "كلمات الحد"، أي الحد الأخير لعهد قديم مضى وعهد جديد بدأ. كما أنّها تُدعى أيضاً "رواية التأسيس"، لأنها تصف ما فعله الربّ يسوع المسيح في ليلة العشاء الأخير، ولذلك فإن هذا القسم من القدّاس يُدعى "القدّاس الوصفي".

وعند السريان تُدعى "كلمات التأسيس" باسم "الكلمات الجوهرية". أما اسمها الشائع اليوم في الكنيسة القبطية فهو "الرُشومات".

## أقدم نص قبطي صعيدى لكلمات التأسيس في القدّاس الباسيلي

فيما يلي أوردُ أقدم نص قبطي صعيدى لكلمات التأسيس في القدّاس الباسيلي، كما وردت في مخطوط الدّير الأبيض بسوهاج، والذي تعود نساخته إلى القرن السابع الميلادي، والذي يقرّر العلماء أنه أقدم نص معروف حتى الآن للقدّاس الباسيلي باللغة القبطية<sup>(١)</sup>.

## النص

”ووضع لنا هذا السرّ العظيم الذي للتقوى، لأنه فيما هو راسم أن يسلم نفسه للموت عن حياة العالم، أخذ خبزاً، باركه، قدّسه، قسّمه، وأعطاه لتلاميذه القديسين ورسله قائلاً: خذوا كلوا منه كلكم. هذا هو جسدي الذي يُبذل لأجلكم، ولأجل كثيرين لمغفرة الخطايا، اصنعوا هذا للذكرى. وهكذا الكأس أيضاً بعد العشاء مزجها من خمر وماء، باركها، وقدّسها، وشكر عليها، وأعطاه أيضاً لهم قائلاً: خذوا اشربوا منها كلكم. هذا هو دمي الذي يُسفك من أجلكم ومن أجل كثيرين لمغفرة الخطايا، اصنعوا هذا للذكرى. لأن كل مرة تأكلون هذا الخبز وتشربون هذه الكأس، تبشرون بموتي إلى أن أحيى“.

## أقدم نص يوناني لكلمات التأسيس في القدّاس الباسيلي

أمّا أقدم نص لكلمات التأسيس في القدّاس الباسيلي اليوناني كما وردت في كل من مخطوط الفاتيكان رقم (٣٢٥ يونانيّات)، ومخطوط كسمارسك F. Kasmarsik Codex فهي:

## النص

الكاهن: وترك Κατέλιπε δὲ ἡμῖν لنا<sup>(٢)</sup> هذا السرّ العظيم الذي للتقوى،

٢- أورد النصّ اليوناني لمخطوط كسمارسك F. Kasmarsik Codex كلمة ”لنا - ἡμῖν“، وسقطت ترجمتها عند الأب سمير خليل السوعي.

Cf. W.F. Macomber, *op. cit.*, OCP 43 (1977), p. 323 ; Samir K., *op. cit.*, OCP 44, (1978), p. 373.

لأنه فيما هو راسم أن يسلم نفسه للموت عن حياة العالم.

الشَّعب: نؤمن<sup>(٣)</sup>.

الكاهن: أخذ خبزاً على يديه المقدّسين ἁγίων τῶν ἁλῶν بلا عيب  
τὸν ἑαυτοῦ Πατέρα يا أباه السماوات إليك يا  
والهنا، وإله الكل καὶ Θεὸν ὅλων، وشكر.

الشَّعب: آمين.

الكاهن: وبارك.

الشَّعب: آمين.

الكاهن: وقُدّس.

الشَّعب: آمين.

الكاهن: وقسّمه وأعطاه لتلاميذه القدّيسين ورسله قائلاً: خذوا كلوا، هذا  
هو جسدي، الذي لأجلكم ولأجل كثيرين يقسم ويوزّع κλώμενον καὶ  
διαδιδόμενον لمغفرة الخطايا، هذا اصنعهو لذكري.

وهكذا الكأس أيضاً بعد أن تعشوا، مزجها من الخمر والماء وشكر.

الشَّعب: آمين.

الكاهن: وبارك.

الشَّعب: آمين.

الكاهن: وقُدس.

الشَّعب: آمين.

الكاهن: وذاق، وأعطاه أيضاً لتلاميذه القدّيسين ورسله قائلاً: خذوا اشربوا  
منه كلكم، هذا دمي الذي للعهد الجديد، الذي يسفك عنكم وعن كثيرين،  
لمغفرة الخطايا، هذا اصنعهو لذكري.

لأن كل مرّة تأكلون هذا الخبز، وتشربون هذه الكأس، تبشرون بموتي،  
وتعترفون بقيامتي وصعودي καὶ ἀνάληψιν إلى أن آجيء.

٣- هذا هو مرد الشَّعب الوحيد الذي يورده مخطوط كسمارسك F. Kacmarcik

Codex في هذا الجزء من القدّاس الباسيلي.

W.F. Macomber, *op. cit.*, OCP 43 (1977), p. 323.

## أقدم نص يوناني لكلمات التأسيس في القُدَّاس الغريغوري

أمَّا أقدم نص لكلمات التأسيس في القُدَّاس الغريغوري اليوناني كما وردت في كل من مخطوط الفاتيكان رقم (٣٢٥ يونانيات)، ومخطوط كسمارسك F. Kacmarcik Codex فهي:

### النص

الكاهن: أقدم لك مشورات حرَّيتي هذه، وأكتب أعمالي بأقوالك. أنت الذي سلَّمتني شركة هذه (الخدمة) <sup>(٤)</sup> السَّريَّة التي لجسدك، بخبز وخبز. الشعب: نؤمن.

الكاهن: لأنه في اللَّيلة التي فيها أسلمت ذاتك، بسُلطانك، أخذت خبزاً في يديك المقدَّستين اللَّتين بلا دنس ولا عيب، ونظرتَ إلى فوق إلى أبيك، إنَّها وإله الكل، وشكرتَ، وباركتَ، وقَدَّستَ، وقَسَّمتَ، وأعطيتَ لتلاميذك ورسلك القديسين قائلاً: خذوا كلوا هذا هو جسدي، الذي يقسَّم ويُوزَّع لأجلكم ولأجل كثيرين لمغفرة الخطايا. هذا اصنعوه لذكري.

وهكذا بعد أن تعشوا، أخذت كأساً ومزجتها من عَمْر الكرمة ومن ماء، وشكرتَ، وباركتَ، وقَدَّستَ، وأعطيتَ لتلاميذك ورسلك القديسين قائلاً: اشربوا منها كلَّكم، هذا هو دمي الذي للعهد الجديد، الذي يُسفك لأجلكم ولأجل كثيرين لمغفرة الخطايا، هذا اصنعوه لذكري. لأنه كل مرَّة تأكلون هذا الخبز، وتشربون أيضاً هذه الكأس، تبتشرون بموتي، وتعترفون بقيامتي (وصعودي) إلى أن أجيء.

٤- الكلمات التي بين القوسين هي تصحيح العالم ماكومبر W.F. Macomber للنص اليوناني طبقاً لمخطوط كسمارسك F. Kacmarcik Codex.



## أقدم نص يوناني لكلمات التأسيس في القُدَّاسِ المرقسي

أمّا أقدم نص لكلمات التأسيس في القُدَّاسِ المرقسي اليوناني فهو ما يرد في مخطوط دير البلايزا الذي اكتُشف بالقرب من أسيوط سنة ١٩٠٧م، والذي يعود إلى القرن السادس الميلادي.

### النص

لأن ربّنا يسوع المسيح في اللَّيلة التي أُسلم فيها، أخذ خبزاً على يديه المقدّستين وشكر، وباركه، وقُدَّسه، وقسّمه وأعطاه لتلاميذه ورسله قائلاً: خذوا كلوا منه كلكم، هذا هو جسدي الذي يُبذل عنكم لمغفرة الخطايا. وهكذا أيضاً بعد العشاء أخذ الكأس، وبارك وشرب منها، وأعطاهم قائلاً: خذوا اشربوا منها كلكم، هذا هو دمي المسفوك عنكم لمغفرة الخطايا. كل مرة تأكلون من هذا الخبز، وتشربون من هذه الكأس، تبشّرون بموتي، تعترفون بقيامتي، تذكرونني.

## كلمات التأسيس في قُدَّاسِ القديس سراييون

وأوردُ هنا كلمات التأسيس من قُدَّاسِ القديس سراييون، والذي يتوافق تماماً مع التّقليد اللّيتورجي المصري، وهو التّقليد الذي تنفرد به كنيسة الإسكندرية في هذه الجزئية.

### النص

إليك قدّمنا هذا الخبز مثال جسدي الابن الوحيد. هذا الخبز هو مثال الجسد المقدّس. لأن ربّنا يسوع المسيح في اللَّيلة التي أُسلم فيها أخذ خبزاً، وكسر وأعطى لتلاميذه قائلاً: خذوا كلوا، هذا هو جسدي المكسور لأجلكم لمغفرة الخطايا.

لهذا نحن أيضاً قدّمنا الخبز صانعين مثال الموت. وتوسّل بهذه الذبيحة، صالحنا جميعاً وارحمنا يا إله الحق...<sup>(٥)</sup>.  
 وأيضاً قدّمنا الكأس مثال الدّم، لأن ربّنا يسوع المسيح أخذ كأساً بعدما تعشّوا وقال لتلاميذه: خذوا اشربوا هذا هو العهد الجديد، الذي هو دمّي المسفوك عنكم لمغفرة الخطايا.  
 ولذلك قدّمنا نحن أيضاً الكأس مقربين (إياها) على مثال الدّم.

### شرح المضمون الليتورجي لكلمات التأسيس

كل الليتورجيات الشرقيّة بأسرها - استناداً إلى ما ذكره القديس بولس الرسول في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس<sup>(٦)</sup> - تشير في مطلع كلمات التأسيس إلى أن الربّ قد أسّس سرّ الإفخارستيا في الليلة التي أسلم ذاته فيها ليتأمّ عن خطايانا، ذلك لأن اليوم الكنسي يُحسب في الشّرق من غروب الشّمس إلى غروبها. أما الليتورجيّة الغربيّة فتذكر أن الربّ قد أسّس السرّ في اليوم السّابق لآلامه، لأن الكنيسة اللاتينيّة تحسب

٥- هنا ترد في قدّاس سراييون عبارة "وكما أن هذا الخبز كان معبّراً فوق الجبال، وجُمع إلى واحد، هكذا أيضاً جمع كنيسة المقدّسة من كل أمة، ومن كل كورة، ومن كل مدينة وقرية وبيت، واجعل منها كنيسة جامعة حيّة واحدة".

ويرى العالم جرجيوري دكس G. Dix أن هذه الفقرة جاءت معترضة تسلسل كلمات التأسيس. كما أن وصف القمح الذي يُصنع منه خبز الإفخارستيا بأنه كان معبّراً على الجبال، لا يتناسب وطبيعة دلتا نهر النيل المنبسطة، مما يعني أن هذه العبارة ليست من نتاج تقليد محلي لصلوة نشأت من توميس بدلنا النيل. ولكنها في الحقيقة هي اقتباس مأخوذ من صلوات الأغابي كما وردت في الفصل التاسع من الديدانحي. وهو مؤلف سراياني الأصل. ومن ثمّ فلم تكن هذه العبارة المذكورة من صلب النّص الأصلي لليتورجيّة سراييون.

Cf. Gregory Dix, *Dom, op. cit.*, p. 167.

اليوم من نصف الليل إلى نصف الليل<sup>(٧)</sup>.

وتربط ليتورجية سراييون - ومعها كل الليتورجيات القبطيّة - العبارة الأولى لتقدم عناصر الذبيحة برواية التأسيس. أي أن كل القدّاسات تتفق في القول: "أخذ خبزاً على يديه ..."، وذلك بعد مقدّمة التأسيس التي ترد في عبارة أو وصلة مختصرة. وقد شدّد القدّاس الغريغوري عن هذه القاعدة نوعاً ما إذ ترد فيه هذه الوصلة طويلة بعض الشيء.

أمّا هذه الوصلة القصيرة في القدّاس المرقسي فهي: "لأن ربّنا يسوع المسيح في الليلة التي أسلم فيها"، والتي استطالت فيما بعد إلى: "لأن ابنك الوحيد ربّنا وإلهنا ومخلصنا وملكنا كلنا يسوع المسيح، في الليلة التي أسلم ذاته فيها ليتألّم عن خطايانا، والموت الذي قبله بذاته بإرادته وحده عنا كلنا". وهي في قدّاس سراييون: "لأن ربّنا يسوع المسيح في الليلة التي أسلم فيها". ولاحظ قارئ العزيز أن هذه الوصلة في النّص الليتورجي القديم للقدّاس المرقسي هي طبق الأصل من قدّاس سراييون.

وهذه الوصلة يقابلها في القدّاس الباسيلي: "ووضع لنا هذا السرّ العظيم الذي للتّقوى، لأنه فيما هو راسم أن يسلم نفسه للموت عن حياة العالم".

أما الميزة الفريدة التي ينفرد بها التّقليد الليتورجي الإسكندري في رواية التأسيس - والتي تنحصر أساساً في القدّاس المرقسي، وقدّاس سراييون - فهي إيراده نص كلمات التأسيس في صيغة الماضي.

فينص النّص الليتورجي لقدّاس سراييون وبكل وضوح، على أن

التَّقدِّم الفعلي للقرايين قد تمَّ أصلاً في طقس التَّقدِّمة Offertory أي في طقس تقديم الحَمَل. ولذلك جاء الوصف في صيغة الماضي، حيث وردت كلمة "قَدَمْنَا" في الزَّمن الماضي لتؤكد على تقديم للقرايين قد جرى في الماضي؛ "قَدَمْنَا نحن أيضاً الكأس مقرَّبين (إياها) على مثال الدَّم"، "قَدَمْنَا الكأس مثال الدَّم"، "قَدَمْنَا الخبز صانعين مثال الموت"، "قَدَمْنَا هذا الخبز مثال جسد الابن الوحيد". أمَّا في القدَّاس المرقسي فقد سبق رواية التَّأسيس مباشرة عبارة: "قرايينك هذه المكرَّمة المبدوء بوضعها أمامك. هذا الخبز وهذه الكأس". وهو ما لم ترد عنه أي إشارة في ليتورجية هيبوليتس.

إن العالم جريجوري دكس G. Dix (١٩٠١-١٩٥٢م) - وبمنظرة علماء الغرب لأهمية رواية التَّأسيس يرى أنها المحور الرَّئيسي لكل الصَّلَاة الإفخارستية، والمبرر لكل ما تفعله الكنيسة في الإفخارستية<sup>(٨)</sup>. في حين اتجه الشَّرق - وفي المقابل - للتَّركيز على استدعاء الرُّوح القُدُّس قرب نهاية القدَّاس ليكون هو محور الصَّلَاة الإفخارستية، وذروتها.

إن اللاهوت الغربي المدرسي يستخرج بشكل مصطنع من اللِّيْتورجيا "عناصر" مهمَّة، يركِّز عليها كل اهتمامه، ومن الصَّلوات اللِّيْتورجية لحظات بعينها هي الأكثر أهمية. ففي الإفخارستية "لحظة" استحالة القرايين، والتي تجرى في رواية التَّأسيس، وبعد ذلك المناولة. وفي المعمودية لحظة "التَّغطيس الثلاثي"، وفي الزَّواج "الصَّيغة" ... الخ. ولكن يغيب عن هذا اللاهوت أنه لا يمكن الفصل بين "أهمية" هذه اللِّحظات، والإطار اللِّيْتورجي برُمَّته، القادر وحده على كشف فحواها

الأصيل. ومن هنا نلمس الثغرات التي تشوب تفسير الأسرار<sup>(٩)</sup>.

## الطقس العملي المصاحب لكلمات التأسيس

في بداية رواية التأسيس، وعند قول الكاهن في القدّاس الباسيلي "وترك<sup>(١٠)</sup> لنا هذا السرّ العظيم..."، أو ما يناظر تلك المقدّمة في القدّاسين الآخرَين، يمارس الكاهن ممارسة طقسية نوردها كما يلي من مصادرنا الطقسية القديمة.

### الممارسة الطقسية على الخبز

يقول ابن سباع: "يقول الكاهن وترك لنا هذا السر العظيم. ووقت هذه اللفظة يومي الكاهن إلى القربان الذي في الصينية قبل تبخير يديه على الجحمة، ثم يضع يديه على الجحمة ويقلبهم ثلاث دفعوع على عدد الثالث المقدس ثم ينتقل إلى الصينية يقلع الحرقة التي تحت القربان، ويقول أخذ خبزاً على يديه الطاهرة ورفع عينيه إلى السماء وقال. عند ذلك يشيل القربان على يديه ويقول كما قال المسيح خذوا كلوا هذا هو

٩- الأب ألكسندر شيمان، الإفخارستيا سر الملكوت، تعريب سامر عبود، منشورات النور، ١٩٩٣م، ص ٢١

١٠- كلمة "وترك"، هي ترجمة حرفية للنص اليوناني *Katélipε δε ήμιν*. أما النص القبطي فيقول: *Δερχω δε ναη*. والكلمة القبطية *Χω* تحوي معان كثيرة من بينها كلمة "وضع"، وأيضاً كلمة "ترك" أي "خلف إرثاً لـ" *bcqueath*.

انظر: معوض داود عبد الثور، قاموس اللغة القبطية، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٥١٧  
وقد وردت كلمة "وترك" في مخطوط الفاتيكان رقم (١٧)، وأيضاً عند ابن سباع في كتابه: "الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة (ص ٢٤٩)". أما كلمة "وضع" فقد وردت في مخطوط أكسفورد رقم (هنست ٣٦٠)، والخولاجي المطبوع سنة ١٩٠٢م، وكل الخولاجيات من بعده.

جسدي الذي يبدل عنكم لأجل مغفرة خطاياكم، فيقول الشعب نومن  
ونعترف ونمجد ...“(١١).

وهنا الطّقس بكل بساطة - كما يذكر ابن سباع - هو أن الكاهن  
عند بدء كلمات التأسيس يوميء إلى القربان الذي في الصّينية، ثم يبخّر  
يديه ثلاث مرّات، ثم يأخذ القربانة على يديه، ويرفع اللّفاقة التي تحتها،  
ويضعها جانباً، ويقول: أخذ خبزاً على يديه ...

ولكن هذه البساطة في الممارسة الطّقسيّة قد تضخّمت نوعاً ما عند  
البابا غبريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٧م)، ثم زادت تضخماً عند القمّص  
عبد المسيح صليب البراموسي (١٨٤٨-١٩٣٥م). فإن كانت الأساسيات  
واحدة عند الجميع، إلا أن الفرعيّات المصاحبة لها قد تفاوتت بين ممارسة  
وأخرى، ومن مكان لآخر، ومن زمن لآخر.

فالبابا غبريال الخامس يجعل تبخير الكاهن ليديه على الشّورية ثلاث  
مرّات مبكراً قبل أن يقول: ”ووضع لنا هذا السرّ العظيم ...“. وعند  
قوله ذلك لا يوميء برأسه إلى القربان، بل يشير بيديه إلى الخبز والخمر  
الموضوعان أمامه. ثم حين يرفع اللّفاقة عن الصّينية بعد أن يأخذ القربانة  
على يديه، فإنه يقبّل اللّفاقة ويضعها على عينيه. ثم يشرح المرحلة الأولى  
من قسمة القربانة، وهو ما لم يشر إليه ابن سباع.

فيقول البابا غبريال الخامس في ذلك: يقدم الشّمّاس الخدم المحمّرة  
صوب الكاهن الخدم ثم يبخّر يديه على الشّورية التي فيها البخور ثلاث  
دفع لاستعداده لمسك ما هو موضوع قدامه، وحمله على يديه. وعند

قوله: ”ووضع لنا هذا السرّ العظيم الذي للتّقوى<sup>(١٢)</sup>“ يشير بيديه إلى الخبز والخمر الموضوعان أمامه. وإذا قال: ”أخذ خبزاً<sup>(١٣)</sup>“ يأخذ القربانة على يديه، ويرفع اللّفاة الحرير التي في الصّينية، ويقبّلها بفيه، ويضعها على عينيه، ويتركها على المذبح. وإذا قال: ”ونظر إلى فوق نحو السماء<sup>(١٤)</sup>“ يرفع نظره إلى فوق. وإذا قال: ”وشكر“ يرشم القربانة رشماً واحداً، ثم يقول: ”وباركه“ يرشم القربانة رشماً واحداً، ثم يقول: ”وقدّسه“ يرشم القربانة رشماً واحداً. فصارت جملة ثلاثة رشومات.

وعندما يقول: ”وقسمه“ يقسم القربانة ثلثين وثلث بلطافة من غير انفصال من بعضها. ومن غير أن يمس الإسياديقون، بل يحترز عليه غاية الاحتراز لئلا ينشق أن يخرج منه شيء. وإذا قال: ”الذي يُقسم“ يفرغ رأس القربانة من فوق قليلاً بلطافة من غير انفصال، ويضعها في الصّينية، وينظف يديه داخل الصّينية لئلا يكون التصق فيهم شيء من القربانة.

أما القمّص عبد المسيح صليب البراموسي (١٨٤٨-١٩٣٥م) في الخولا جي المطبوع سنة ١٩٠٢م فقد ذكر في مستهل كلمات التأسيس، أن الكاهن يشير بيديه إلى الخبز والخمر عند قوله: ”ووضع لنا هذا السرّ العظيم...“، ثم يبخر يديه على الجمرة بينما يقول نفس العبارة السابقة: ”ووضع لنا هذا السرّ العظيم الذي للتّقوى“، ثم يرفع يديه من فوق الجمرة بالبحور ويقول: ”لأنه فيما هو راسم أن يسلم نفسه للموت عن حياة العالم“. ثم حين يأخذ الخبز على يديه، يرفع اللّفاة التي تحته في الصّينية ويقبّلها بفيه. ثم يضيف بقوله: ”يضع الكاهن يده اليمنى

١٢- أورد البابا غريال الخامس هذه العبارة بالقبطية فقط.

١٣- نفس الحاشية السابقة.

١٤- نفس الحاشية السابقة. وكذلك كل كلمة أو عبارة ترد في هذه الفقرة

بين قوسين.

على الخبز الذي على يده اليسرى، ويرفع نظره إلى فوق ويقول: ونظره إلى فوق نحو السماء...". وعند الرُشومات يذكر أن الكاهن يرشم الخبز بإصبعه.

وحين يأتي إلى المرحلة الأولى من القسمة، يقول إنها تكون بإصبعه الإبهام اليميني وليس بالظفر، وتكون أظافره مقلّمة لتلا يتعلّق بها شيء - هنا أو عند التناول - ويجعل القسمة من فوق إلى أسفل<sup>(١٥)</sup>. ثم يلتزم بما يذكره البابا غبريال الخامس بعد ذلك بالنّص.

وهنا يتّضح لنا كيف أن الخولاجي المطبوع سنة ١٩٠٢م كان يشرح ما لم يكن مكتوباً كلّهُ في كتبنا الطّقسيّة القديمة. إلى جانب انتقائه لبعض المكتوب دون بعضه الآخر، ولكن ليس في الأساسيات.

إن الكاهن يبخّر يديه ثلاث مرّات على الشّورية بينما يردّد عبارات آلام المسيح وموته على الصّليب عن حياتنا.

ففي القدّاس الباسيلي يبخّر يديه وهو يقول: "ووضع لنا هذا السّرّ العظيم الذي للتّقوى، لأنه فيما هو راسم أن يسلم نفسه للموت عن حياة العالم".

وفي القدّاس الغريغوري يبخّر يديه وهو يقول: "لأنك في اللّيلة التي أسلمت فيها ذاتك بإرادتك وسلطانك وحدك".

وفي القدّاس الكيرلسي يبخّر يديه وهو يقول: "في اللّيلة التي أسلم ذاته فيها ليتألّم عن خطايانا، والموت الذي قبله بذاته بإرادته وحده عنّا كلّنا".



وقبل أن يبخرّ يديه على الشّورية، يرشم دُرج البُخور، ويضع يد  
بُخور واحدة في الشّورية. ويد البُخور هذه تأتي في القدّاس الباسيلي في  
وقت مبكّر قليلاً، وذلك حين يقول الكاهن: "تجسّد وتأنّس...". وفي  
حين تشير التّعليمات الطّقسيّة في القدّاسين الغريغوري والكيرلسي إلى  
رشم درج البُخور رشماً واحداً قبل وضع يد البُخور في الشّورية في هذا  
الوقت، فإن التّعليمات الطّقسيّة في القدّاس الباسيلي لا تذكر ذلك.

لقد كان ابن سباع مدقّقاً في شرح ممارسة تبخير الكاهن ليديه على  
الشّورية ثلاث مرّات، حين يذكر أنه بعد تبخيرهما ينتقل بهما إلى  
الصّينيّة، حيث القربان الموضوع فيها. أما البابا غبريال الخامس فاكتفي  
بالقول أن تبخير الكاهن ليديه هو لاستعداده لحمل القربان المقدّس، وهو  
شرح قد أضعف من قوّة هذه الممارسة الطّقسيّة في مفهومها، لأن تبخير  
الكاهن ليديه لتطهيرهما قبل حمل القربان هو التّفسير الأضعف، أمّا المعنى  
المقصود من هذه الممارسة فهو أن البُخور الذي ينقله الكاهن من  
الشّورية إلى القربان الموضوع على المذبح هو تنبيهه إلى أن الذّبيح على  
المذبح هو هو بعينه المسيح له المجد الذي أضعّد ذاته على الصّليب عن  
خلاص جنسنا، فاشتمّه أبوه الصّالح رائحة سرور ورضا عن خلاص  
جنسنا. كما أن تبخير الكاهن ليديه ثلاث مرّات على الشّورية، أو  
تقليبيهما ثلاث مرّات بحسب قول ابن سباع فهو لأن الثّالوث القدّوس قد  
اشترك في عمل الفداء الذي أمّمه الأقنوم الثّاني بتجسّده وصلبه وقيامته.

وكان القمّص عبد المسيح صليب البراموسي مدقّقاً أيضاً وهو يدوّن  
التّسليم الشّفاهي المتوارث من جيل إلى جيل حين يقول عن الكاهن:  
"ياخذ الخبز على يديه... يضع الكاهن يده اليميني على الخبز الذي على  
يده اليسرى، ويرفع نظره إلى فوق ويقول: ونظر إلى فوق...".

وهنا يتّضح أن الكاهن حين يحمل الخبز على يديه أي بكلتا يديه، فإنه يرُدّه من يده اليمنى إلى يده اليسرى، وهو تقليد ذبائحي يمتد إلى العهد القديم. وجدير بالذكر أن كل الليتورجيات القبطية، ومعظم الليتورجيات شرقاً وغرباً تذكر عبارة "أخذ خبزاً على يديه"، أي بصيغة المثني وليس بصيغة المفرد أي "اليد". وحتى ليتورجية القديس يوحنا ذهبي الفم البيزنطية تقول: "أخذ خبزاً بيديه"<sup>(١٦)</sup>. وفي النص اليوناني للقديس الغريغوري القبطي: "أخذت خبزاً في يديك - ἐν ταῖς ... σου χερσὶν".

وفي لحظة بدء كلمات التأسيس يوقد شماسة المذبح شموعاً يحملونها في أيديهم لكي يظهر للشعب أن كلمات الآلام والصليب والموت التي يقولها الكاهن في هذه اللحظات، قد أفضت في النهاية إلى إشراقه نور القيامة من بين الأموات، فأنارت الحياة<sup>(١٧)</sup>.

### الممارسة الطقسية على الكأس

يقول ابن سبأ ما نصّه: "ثم أن الكاهن يشيل الكأس على يديه ويقول: وكذلك الكأس من بعد العشاء مزجه من خمر وماء، وقال: اشربوا من هذا كلكم، هذا هو دمي (الذي) للعهد الجديد الذي يُسفك عن جميعكم لمغفرة الخطايا. وإذا لفظ بلفظة يُسفك يميل الكأس من ناحية اليمين أي علامة الإهراق، ولا يلققه كبقية الكهنة. فيقول الشعب أيضاً نؤمن ونعترف ونمجد كمثل الأول".

١٦- القديس الإيحيى لأينا الجليل في القديسين يوحنا ذهبي الفم، مرجع سابق، ص ٥٨  
١٧- وهنا أكرّر القول بأن استخدام الإضاءة الكهربائية على المذبح يُفقد نور الشموع مغزاها ومعناها الرُّوحاني. فالنور الطقسي سواء في الهيكل أو في صحن الكنيسة هو نور الشموع والقناديل.

أمّا البابا غبريال الخامس فيقول: وإذا قال ”وهكذا الكأس أيضاً<sup>(١٨)</sup>“ بمسك الكأس بإصبعه إلى أن يقول أيضاً مثل الأوّل، يرشم الكأس ثلاثة رشومات: رشم ”شكر“، رشم ”باركها“، رشم ”قدسها“، يرشم الكاهن جملة ثلاثة رشومات.

ثم بعد الرشومات بمسكه بيده إلى أن يقول: ”خذوا اشربوا منها كلّكم“ يميل الكأس مثال الصليب بلطفة من غير انزعاج. وإذا قال: ”لأن هذا هو دمي“ يشير بيديه إلى الكأس أيضاً. ثم بعد ذلك إذا قال: ”لأن كل مرة تأكلون من هذا الخبز“، يشير بيديه إلى القربانة. وإذا قال: ”وتشربون من هذه الكأس“، يشير بيديه إلى الكأس ...

أمّا الخولاجي المطبوع سنة ١٩٠٢م فيقول: يضع الكاهن يده على حافة الكأس ويقول: ”وهكذا الكأس أيضاً ...“ . بمسك الكاهن فم الكأس بيده ويقول: ”وذاق وأعطها أيضاً لتلاميذه ...“ . يجرّك الكأس مثال الصليب، أي يميلها بلطفة من غير انزعاج إلى عنده إلى الغرب أولاً، ثم إلى الشرق، والشّمال، والجنوب، وهو يقول: ”خذوا اشربوا منها كلّكم“ . ثم يشير بيديه إلى الكأس ويقول: ”لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد ...“ .

أمّا مخطوط ترتيب البيعة برقم (١١٨ طقوس). بمكتبة الدّار البطريركيّة بالقاهرة (١٩١١م) فبعد أن يذكر الثلاثة رشومات على الكأس عند قول الكاهن: وشكر، وبارك وقدّس، يقول ما يلي<sup>(١٩)</sup>: ”ثمّ بمسك الكأس ويقول **Δικνεμππ** (أي: وذاق). وعندما يقول **Χε** **βισω** (أي: خذوا اشربوا) يميل الكأس إلى الأربع جهات مثال الصليب

١٨- الكلمات أو العبارات التي بين قوسين وردت بالقبطيّة فقط.

١٩- مع تصحيح الأخطاء اللفظيّة فقط.

بخفة بمسايسة بغير إزعاج. ثم يشير بالكأس نصف دورة من اليمين إلى الشمال من غير زيادة، ثم يضعه مكانه. والحذر من أن يدور مرتين أو ثلاث خشية لثلا يدفق منه شيء...“.

لقد اختلفت الممارسات الطقسية عند بدء كلمات التأسيس على الكأس؛ فابن سباع يقول: إن الكاهن يحمل الكأس على يديه. أما البابا غريال فيقول: إن الكاهن يمسك الكأس بإصبعه. أمّا القمص عبد المسيح صليب اليراموسي فيقول: يضع الكاهن يده على حافة الكأس. في حين أننا نجد إشارة طقسية أخرى تأتي من القرن الثاني عشر، وهي التي تمارسها كل الكنائس القبطية حتى اليوم، برغم أنها الإشارة الوحيدة التي لم يجر تدوينها في كتب الطقس، وهو ما يذكره كتاب ”حكمة الآباء المصريين“، حين يقول: ”يضع الكاهن يده على حافة الكأس، ويمر بإصبعه على حافتها، لأن دم العهد كان يُرش مستديراً على غطاء الرحمة، لكنه الآن لا يُسكب، وإنما يُعطى لكي ينال منه الخطاة الحياة“<sup>(٢٠)</sup>.

أما في أثناء كلمات التأسيس على الكأس فقد اختلفت الممارسات الطقسية أيضاً؛ فابن سباع يقول إنه عند قول الكاهن: ”يسفك“ وذلك في عبارة ”يسفك عنكم وعن كثيرين“، أنه يميل الكأس ناحية اليمين علامة الإهراق، ولا يلققه بكبحة الكهنة. أمّا البابا غريال الخامس فجعل حركة ميل الكأس تكون في وقت مبكر قليلاً عمّا يذكره ابن سباع، فعند قول الكاهن: ”خذوا اشربوا منها كلكم“ يميل الكأس ليس ناحية اليمين فقط، بل في الأربعة أركان مثال الصليب. وهو ما يذكره أيضاً مخلوط ترتيب البيعة. بمكتبة الدار البطريركية بالقاهرة رقم (١١٧ طقوس)، مع اختلاف طفيف.

إذاً نحن الآن لسنا أمام ممارسة صحيحة وأخرى غير صحيحة، بل أمام أكثر من ممارسة طقسية، ليس في مضمون الصلوات أو في أساسيات الطقس، بل في نقاط فرعية دقيقة. ولكن ما يلفت النظر هو أن الممارسات الطقسية القديمة كانت بسيطة بوجه عام، لا تميل إلى التّضخيم أو التّعقيد.

إن تحريك الكأس في هذه اللحظة هو بمثابة ترديده أمام الرّب عمّاماً كما ردّد الكاهن الخبز على يديه أمام الرّب منذ قليل. وهي حركة طقسية تحتفظ بها الكنيسة القبطية حتى الآن في تقليدها الليتورجي الإفخارستي.

### التّطوّر الذي لحق بكلمات التّأسيس

تطوّرت كلمات التّأسيس بين ليتورجية وأخرى، وإنما ظل الهيكل العام، أو ظلّت البنية الأساسية واحدة في جميع الليتورجيات. فبينما يذكر القدّاس الباسيلي القبطي "... لأنه فيما هو راسم أن يسلم نفسه للموت عن حياة العالم"، يذكر قدّاس القديس يعقوب أخي الرّب، ذو التّقليد السرياني: "وفيما هو راسم أن يسلم نفسه للموت الإرادي، وهو بلا خطيئة، من أجلنا نحن الخطاة".

### أخذ خبزاً

تتفق جميع الليتورجيات شرقاً وغرباً في القول: "أخذ خبزاً"، وهي الصيغة المختصرة القديمة جداً، التي لا تذكر عبارة "على يديه"، أو "بيديه"، وبالتالي عدم ورود أي أوصاف لهذه اليد الإلهية.

ففي أقدم مخطوط قبطي صعيدى للقدّاس الباسيلي، وهو مخطوط

الدَّير الأبيض بسوهاج والذي يرجعه العلماء إلى القرن الرَّابِع الميلادي، يقول الكاهن: "أخذ خبزاً، باركه، قدَّسه، قسَّمه ...". وهذه الصَّيْغَةُ المختصرة نجد في المقابل لها صيغة أكثر اختصاراً في ليتورجية هيبوليتس في أوائل القرن الثالث الميلادي: "أخذ خبزاً وشكر ...". ونفس هذه الصَّيْغَةُ المختصرة نجدها في قدَّاس القديس سراييون: "أخذ خبزاً وكسر، وأعطى تلاميذه قائلاً خذوا كلوا ...". وأيضاً في ليتورجية عهد الرِّبِّ وهي سريانيَّة، فيها يقول الكاهن: "أخذ خبزاً وأعطى تلاميذه قائلاً: خذوا كلوا هذا هو جسدي ... (٢١)".

وأوَّل أوصاف هذه اليد الإلهية نجدها في رسالة كليمنس الرُّوماني إلى أهل كورنثوس (٤:٣٣) أواخر القرن الأوَّل الميلادي، ولكنها رسالة لا تشير إلى نص ليتورجي مقصود بعينه، فنقرأ: "فصنع الإنسان بيديه المقدَّستين الطَّاهرتين على صورته (٢٢)".

وكان أوَّل وصف لهاتين اليدين الإلهيتين هو "المقدَّستين"، وهو ما نجد في ليتورجية القدَّاس المرقسي في مخطوط دير البلايزا (القرن السادس)، وأيضاً في ليتورجية القديس يعقوب أخي الرِّبِّ السريانيَّة.

أما ليتورجية المراسيم الرُّسوليَّة، وهي ذات تقليد سرياني، ويرجح العلماء أنها تعود إلى حوالي سنة ٢٦٠م، فقد أضافت صفة أخرى لليدين، فتذكر: "أخذ خبزاً على يديه المقدَّستين اللتين بلا عيب" (٨:١٢:٣٦).

وهكذا استعارت اللِّتورجيات من بعضها البعض أوصافاً أخرى

٢١- أقدم النصوص المسيحيَّة، مرجع سابق، ص ٣٤

٢٢- الأب جورج تصور، أقدم النصوص المسيحيَّة، سلسلة النصوص اللاهوتيَّة،

الكسليك، لبنان، ١٩٧٥م، ص ٤٤

لهاتين اليدين الإلهيتين، حتى استقر في الليتورجيات القبطية ثلاثة أوصاف لهاتين اليدين، بأهما: "المقدّستين" (٢٣) اللتين بلا عيب ولا دنس، الطوباويتين، المحييتين". ولكن صفة "المحييتين" لليدين الإلهيتين لم تكن قد عُرفت في القدّاسين الباسيلي والغريغوري حتى القرن الرابع عشر الميلادي بحسب مخطوط كسمارسك F. Kacmarcik Codex الذي يورد النّص اليوناني للثلاثة قدّاسات القبطية. وكان أوّل ذكر لهذه الصّفة أي "المحييتين" قد ورد في النّص اليوناني للقدّاس المرقسي القبطي نقلاً عن النّص اليوناني لقدّاس القدّيس يعقوب أخي الرّب ذي التّقليد السّرياني. إلاّ أن وصف اليدين الإلهيتين كونهما "محييتين"، فقد ورد في خولاجي سرايون في القرن الرابع الميلادي وذلك في صلاة وضع اليد على الموعوظين فيقول: "نيسط يدنا يارب، وتوسّل أن تمد يدك الإلهية والمحيية لتبارك هذا الشعب".

وهناك أوصاف أخرى كثيرة لليدين الإلهيتين في خولاجي سرايون - ولكن خارجاً عن صلاة الإفخارستيا - حيث نقرأها في صلاة وضع اليد على العلمائين، فيقول: "لتمتد يد الابن الوحيد، اليد المحيية الطاهرة ... المنقية من الشّرور، والموطّدة والحامية لكل القدّسات".

وفيما يلي نورد وصف هاتين اليدين الإلهيتين طبقاً للنّص اليوناني للقدّاسات الثلاثة القبطية.

٢٣- تعبير "المقدّستين" هو نفسه تعبير "الطاهرتين"، فالكلمة اليونانية هي: ἁγίων والكلمة القبطية هي: ἁγιωταβ. ولكن المترجم القبطي اعتاد ترجمة صفة القدّاسة على كونها هي صفة الطهارة، وذلك في غير موضع من القدّاس الإلهي. أما قدّاس القدّيس يوحنا ذهبي الفم فيورد في صفات اليدين الإلهيتين: "المقدّستين الطاهرتين اللتين بلا عيب (أو البريتتين من العيب)".

فيأتي النَّصُّ اليوناني للقدَّاس الباسيلي القبطي بحسب مخطوط كسمارسك F. Kacmarcik Codex هكذا: "أخذ خبزاً على يديه المقدَّستين، اللتين بلا عيب، الطُّوباويتين"<sup>(٢٤)</sup>. وهو نفس النَّصُّ الذي يرد في النَّصِّ اليوناني للقدَّاس الباسيلي الذي نشره رونودوت E. Renaudot في مجموعة "الباثولوجيا جريجيا PG 31"، نقلاً عن مخطوط الفاتيكان رقم (يونانيات ٣٢٥).

أما النَّصُّ اليوناني للقدَّاس الغريغوري القبطي كما نشره كل من العالم رونودوت<sup>(٢٥)</sup> E. Renaudot والعالم ماكومبر W.F. Macomber فهو: "أخذت خبزاً في يديك المقدَّستين، اللتين بلا عيب، ولا دنس ἀχράντοις"<sup>(٢٦)</sup>.

وأما النَّصُّ اليوناني للقدَّاس الكبير لسي بحسب مخطوط كسمارسك F. Kacmarcik Codex فيقول: "أخذ خبزاً على يديه المقدَّستين، اللتين بلا دنس ἀχράντων ولا عيب، الطُّوباويتين، المحيَّتين ἁγιοποιῶν"<sup>(٢٧)</sup>.

### ونظر إلى فوق

القدَّاس الباسيلي القبطي كما ورد في مخطوط الدير الأبيض بسوهاج (القرن الرابع الميلادي)، وأيضاً قدَّاس القديس سرايون (القرن الرابع)، والقدَّاس الباسيلي في مخطوط دير البلايزا (القرن السادس)، وليتورجية التقليد الرسولي (القرن الثالث)، وليتورجية عهد الرب (القرن الخامس)،

24- Samir K., *op. cit.*, OCP 44, (1978), p. 373, 274.

25- PG 36.

٢٦- هذه الكلمة اليونانية تأتي أيضاً بمعنى "فائقتي التَّقاوة".

27- Macomber, W.F., *The Anaphora of saint Mark according to the Kacmarcik codex*, OCP 45 (1979), p. 94.



وقدّاس القدّيس يوحنا ذهبي الفم في الطّقس البيزنطي، تخلو كلها من عبارة "ونظر إلى فوق".

أمّا ليتورجيّة المراسيم الرّسوليّة (النّصف الثّاني من القرن الرّابع) فتذكر: "ونظر إلى فوق، إليك أنت إلهه وأبوه".

أما النّص اليوناني للقدّاس الباسيلي القبطي بحسب مخطوط كسمارسك F. Kacmarcik Codex فيقول: "ونظر إلى أعلا السّموات إليك يا أباه وإلهنا Θεὸν ἡμῶν وإله الكل καὶ Θεὸν ὄλων". وهو نفس النّص الذي يرد في القدّاس الغريغوري في نفس المخطوط: "ونظرت إلى فوق إلى أبيك، إلهنا وإله الكل". أما النّص اليوناني للقدّاس المرقسي فيذكر: "ونظر إلى السّماء إليك أنت أباه الذّاتي τὸν ἴδιον Πατέρα، وإلهنا وإله الكل" (٢٨).

أما النّص القبطي للقدّاسات القبطيّة فيورد: "ونظر إلى فوق نحو السّماء إليك يا الله أباه وسيّد كل أحد"، وذلك في صيغة الغائب في القدّاسين الباسيلي والكيرلسي، وفي صيغة المخاطب في القدّاس الغريغوري.

وفي الطّقس البيزنطي، حين تخلو ليتورجيّة القدّيس يوحنا ذهبي الفم من هذه العبارة، فإن ليتورجيّة القدّيس باسيليوس تشرح هذا التّظّر إلى فوق فتقول: "ورفعه إليك يا الله الآب"، وذلك نقلاً عن ليتورجيّة القدّيس يعقوب أخي الرّب السّرّيانيّة.

فإذا قال الكاهن: "ونظر إلى فوق" يرفع نظره إلى فوق (٢٩).

حين يذكر الخولاجي المطبوع سنة ١٩٠٢م - كما سبق أن ذكرت -  
 "يضع الكاهن يده اليمنى على الخبز الذي على يده اليسرى، ويرفع نظره  
 إلى فوق" (٣٠).

### وشكر، وبارك، وقدس

في الطقس القبطي عندما يرشم الكاهن القرايين هذه الرُشومات  
 الثلاثة، يجيب الشعب بعد كل رشم منها قائلاً: "أمين".

أمَّا الطقس السرياني، فلا يمارس ذلك إذ يجيب الشمامسة والمؤمنون  
 بالرد "أمين" بعد قول الكاهن: "... وشكر، وبارك، وقدس، وكسر،  
 وأعطى رسله القديسين قائلاً: خذوا كلوا منه. هذا هو جسدي الذي  
 يُبذل عنكم وعن كثيرين لمغفرة الخطايا، اصنعوا هذا لذكري".

وأيضاً لا يمارس الطقس البيزنطي هذه المرذات الثلاث، إذ  
 يكتفي بأن يجيب الجوق (الخوروس) بالرد "أمين" بعد انتهاء  
 الكاهن من قوله: "... وشكر، وبارك، وقدس، وكسر، وأعطى  
 تلاميذه الرُّسل القديسين قائلاً: خذوا كلوا هذا هو جسدي الذي  
 يُكسر من أجلكم لمغفرة الخطايا" (٣١).

وهو ما نوجه القُدَّاس الغريغوري القبطي في نصّه اليوناني بحسب  
 تحقيق العالمان رونودوت E. Renaudot و ماكومبر W.F. Macomber ،  
 وذلك ليس وفقاً للتقليد القبطي بل السرياني.

إن الطقس القبطي يتفوق في ذلك على باقي الطقوس الشَّرقيَّة، إذ

٣٠- كتاب الخولاجي المقدَّس، طبعة سنة ١٩٠٢م، ص ٣٣١  
 ٣١- القُدَّاس الإلهي لأبينا الجليل في القديسين يوحنا الذهبي الفم، مرجع سابق، ص ٥٨

يولي لمردات الشَّعب، والتحامها بصلاة الكاهن أولويّة خاصة. على عكس الطَّقس الرُّوماني الذي ظلّ لأمد طويل يستبعد عمداً اشتراك أي فرد من أفراد الشَّعب في الصَّلوات اللِّيُتورجِيَّة، حتّى أصبح الطَّقس الرُّوماني على ممر الأجيال طقساً خاصاً بالإكليروس (٣٢).

وهنا يلزم الإشارة إلى أن مردّات "أمين" على هذه الرُّشومات الثلاثة في الطَّقس القبطي هي مردّات للشَّعب وليس للشَّمامسة. فالشَّعب - في الطَّقس القبطي - هو الذي يؤمّن على صلاة الكاهن وليس الشَّمّاس. بل إن مردّات القدّاس الإلهي كلها هي مردّات للشَّعب وليس للخوروس كما في كثير من الطَّقوس الشَّرقيّة ولاسيّما الطَّقس البيزنطي، والذي أبرز دور الخوروس واضحاً على حساب المشاركة الشَّعبية.

وإن بروز دور الخوروس في الكنائس القبطية على حساب دور الشَّعب هي ظاهرة تستحق المراجعة، فعمل الخوروس في الكنيسة هو ترتيب الألحان الطويلة للمناسبات الكنسيّة المختلفة فحسب، أمّا مردّات

٣٢- الطَّقوس الشَّرقيّة، مرجع سابق، ص ٧١

ظهرت في القرن العشرين حركة عظيمة في الكنيسة الكاثوليكية تُدعى "الحركة اللِّيُتورجِيَّة - Liturgical movement" وهي حركة تتصل اتصالاً وثيقاً بالحركة المسكونية التي نشأت في الكنيسة الرُّومانية الكاثوليكية في القرن التاسع عشر، وامتدت حتّى الآن إلى حدود أرحب. والغرض منها هو إقناع المسيحيين بأن العبادة ليست أمراً يختص بخدمة المكرّسين في الكنيسة، ولكنها أمر واجب على الجميع، إكليروساً وعلمانيين على السواء. وكثيراً ما تُسيت هذه الحقيقة العظمى لما كانت الخدمات في الكنيسة الكاثوليكية الرُّومانية باللُّغة اللاتينية، فمنعت اشتراك الشَّعب اشتراكاً كاملاً فيها. وحين كانت هناك أشكال موضوعة للصَّلوات في الطوائف المسيحية الأخرى تُترك للقسيس أو الخادم ليقرأها ولا تعطى للعلمانيين فرصة الاشتراك في العبادة الجمهوريّة. وقد أثمرت هذه الحركة اللِّيُتورجِيَّة تغييرات كثيرة، حيث صارت العبادة عملاً مشتركاً من الكنيسة كلها.

انظر: نشأة الطوائف المسيحية، دار التّأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، القاهرة ١٩٧٧م.

القدّاس الإلهي فهي من نصيب الشّعب بقيادة الخوروس. وكل كتينا الطّقسيّة - حتى الحديث منها - لا ذكر فيها سوى للكاهن وشماس أو شمامسة المذبح، والشّعب. فالخوروس إذاً ليس بديلاً عن الشّعب، بل مساعداً فعلاً لإفساح المجال كاملاً لمشاركة شعبيّة كاملة. فالليتورجيا الكنسيّة في جوهرها هي اتفاق روحاني بين الكاهن وكل الجماعة بحضور المسيح له المجد وتقديس الرّوح القدّس.

لقد انقسمت الأنافورات في هذه الجزئيّة من القدّاس إلى قسمين، قسم التزم بالتقليد العبري القديم، مدرّكاً أن البركة هي مباركة الله الآب على الخبز، وليست مباركة الخبز ذاته. فلم يقل "وباركه"، بل قال "وبارك"، أي بارك الله الآب عليه.

وهذا ما نجده في كل الليتورجيات القبطيّة في نصّها اليوناني، حيث نجد المرد "أمين" يعقب قول الكاهن في القدّاسين الباسيلي والمرقسى هكذا: "شكر - εὐχαριστήσας"، و"بارك - Εὐλόγησας"، و"قدّس - Ἁγιάσας"، سواء في تقديس الخبز، أو تقديس الكأس<sup>(٣٣)</sup>.

وما يؤكّد إدراك الأنافورا القبطيّة لكون أن البركة أو أفعال التقديس موجهة إلى الله الآب وليس إلى الخبز أو الكأس، هو ما يذكره القدّاس الغريغوري القبطي في نصّه اليوناني هكذا: "وشكرت، وباركت، وقدّست - εὐχαρίστησας, ἠλόγησας, ἠγίασας" سواء على الخبز أو على الكأس<sup>(٣٤)</sup>.

أما القسم الآخر من الأنافورات فقد تحرّر من هذا الالتزام العبري

33- W.F. Macomber, *op. cit.*, OCP 45 (1979), p. 95.

34- PG 31, 1637.

القديم، فقال: "وباركه"، و"قدّسه"، أي بارك الخبز وقدّسه، أو "وباركها"، و"قدّسها"، أي بارك الكأس وقدّسها، كما في النّص القبطي للقدّاسات القبطيّة الثلاث. ولكن ظلّ فعل الشُّكر، أي في قول الكاهن: "وشكر"، محتفظاً بوضعه التّقليدي القديم، إذ لم يستطع أحد أن يقول: "وشكر الله الآب"، تاركاً المعنى ضمناً بحسب التّقليد.

وعند قول الكاهن "وشكر، وبارك، وقدّس"، يرشم الصّليب، إذ أن الصّليب يقدّم عوض الكلمات مهما كثرت. ويُظهر لنا العلاقة غير المدركة بين الآب وابنه يسوع المسيح، لأنه لما شكر الآب، قدّم حياته على الصّليب، وبذلك صارت الكلمات ممنوعة وعاجزة. وتقدّم الكنيسة القربان للآب على هذا الرّسم والمثال، لأنها تشكر الآب بصليب ابنه يسوع المسيح، ويكون الصّليب عوضاً عن الكلمات، ويصبح ختم الشُّكر والتّسبيح.

وبعض النّاس في الصّعيد يرشّون ذواتهم بعلامة الصّليب عند تلاوة الكاهن لكلمات تقديس الخبز والخمر، لأنهم بسبب التّقوى يحسبون ذواتهم واحداً مع الرّب. ولأنهم اعتمدوا لموته، ودُفِنوا معه في المعموديّة. فهم يقربون ذواتهم بعلامة الصّليب ذبيحة حيّة مقبولة<sup>(٣٥)</sup>.

إن كلمة "أمين" نفسّها عادة بـ "ليكن كذلك"، في حين أن معناها أقوى وأشدّ وقعاً. فالـ "أمين" لا تتضمّن الموافقة فحسب، بل تحمل أيضاً معنى القبول الفاعل، ليصير معناها: "أجل، إنه كذلك، وليكن كذلك". إنها عبارة تحتم كل صلاة يتلوها المترس للخدمة، وكأنها تمهرها موافقة. معبرة بذلك عن المشاركة المسئولة والتّصميميّة

لكل مؤمن ولكل الجماعة في العمل الليتورجي الواحد الأحد للكنيسة<sup>(٣٦)</sup>.

يقول القديس أغسطينوس (٣٥٤ - ٤٣٠م):

[قولوا آمين لما أتم عليه، وامهروا ذلك بإجابتكم، لأنكم تسمعون: جسد المسيح، وتجيون آمين. فلتحقق أمانيتكم هذه عضويتكم في جسد المسيح ... ولتكن الأسرار مجالاً تمارسون فيه حقيقتكم ...] <sup>(٣٧)</sup>.

### وقسمه وأعطاه لتلاميذه

تتفق ليتورجيات التقليد الرسولي هيبوليتس، وليتورجية كليمنس في الكتاب الثامن من المراسيم الرسولية، وقُدَّاس سراييون، على القول: "وأعطاه لتلاميذه". في حين تزيد بردية دير البلايزا: "ورسله". أمَّا القُدَّاس الباسيلي بحسب مخطوط الدير الأبيض بسوهاج فيقول: "تلاميذه القديسين ورسله".

في القُدَّاس الباسيلي اليوناني: "وقسمه وأعطاه لتلاميذه القديسين ورسله". وفي القُدَّاس الغريغوري اليوناني "وقسمت، وأعطيت لتلاميذك ورسلك القديسين". وفي القُدَّاس الكيرلسي اليوناني: "وقسمه وأعطاه لتلاميذه ورسله القديسين الطوباويين".

Κλάσας διέδωκε τοῖς ἁγίοις καὶ μακαρίοις αὐτοῦ μαθηταῖς καὶ ἀποστόλοις.

لقد بدأت سلسلة الصِّفات الخاصة بالتلاميذ في قُدَّاس القُدَّيس يعقوب أخي الرَّب، ذو التقليد السرياني، ومنه انتقلت إلى الطُّقوس الأخرى.

خذوا كلوا هذا هو جسدي ... خذوا اشربوا هذا هو دمي

تتفق الليتورجيات القديمة على العبارة السّابق ذكرها، وهي عبارة بسيطة كل البساطة، قبل أن تلحقها إضافات وتوضيحات، ولاسيّما تعبير "منه كلّكم"، فصارت: "خذوا كلوا منه كلّكم ... خذوا اشربوا منها كلّكم".

فليتورجيّة التقليد الرّسولي لهيبوليتس، وكذلك قدّاس سرايون، ويتفق معهما ليتورجيّة المراسيم الرّسوليّة، وليتورجيّة القدّيس يعقوب أخي الرّب في نصّها السّرياني القديم، تخلوا كلها من عبارة "منه كلّكم".

وكانت الإضافة الأولى التي لحقت هذه العبارة البسيطة السّابقة هي حرف "منه"، فصارت "خذوا كلوا منه"، وهو ما نجده في ليتورجيّة القدّيس يعقوب أخي الرّب في نصّها اليوناني.

أما مخطوط الدّير الأبيض بسوهاج الذي يورد أقدم نص قبطي صعيدي معروف للقدّاس الباسيلي حتى الآن، فقد ذكر عبارة "منه كلّكم". ويتفق معه في ذلك برديّة دير البلايزا التي تحوي أقدم نص يوناني معروف حتى اليوم للقدّاس المرقسي.

ويورد التّقليد السّرياني عبارة "منه كلّكم" في أمر الشّرب من الكأس، ولكنها لم ترد في أمر الأكل من الخبز، ويعلّل العلامة السّرياني ابن العيري (١٢٢٥-١٢٨٦م) ذلك الأمر بقوله: "لأن الخبز هو طعام الجميع، ولا يحرم أحد نفسه من أكل الخبز. أما الخمر، فكان التّذير والمندرون والمتوحّدون يمتنعون عن شرب الخمر. ولأن الخمر هو سرّ دم الفادي، لهذا ألزم تلاميذه وكل المؤمنين باسمه أن يشربوا الخمر وجوباً في

تناول القربان المقدس في الشكليات<sup>(٣٨)</sup>.

يقول القديس أفرام السرياني (٣٠٦-٣٧٣م):

[لقد دعا الخبز جسده الحي، وملاه بنفسه وبالروح ...  
خذوا كلوا بالإيمان، ولا يشك أحد أنه جسدي. وإن كل من  
يأكل منه بإيمان، يأكل فيه ناراً وروحاً. كلوا منه كلكم، كلوا  
فيه الروح القدس، لأنه جسدي بالحق]<sup>(٣٩)</sup>.

لقد ارتضى المسيح له المجد أن يكون اتحادنا به علي مستوى الأكل  
والشرب، حتى نصير - كما قال بولس الرسول - لحمًا من لحمه،  
وعظمًا من عظامه بسرًّا لا يعبر عنه. سرٌّ إن فحصناه بعقولنا لن نستطيع.  
إذًا ليس لنا إلا أن نشكر العاطي في صمت. الأمر صادر من الله "خذوا  
كلوا"، فهل لا نطيع؟

وهناك صلاة سرّية بديعة في الطقس البيزنطي يقول فيها الكاهن:  
"... وارتضى أن تناولنا بيدك العزيرة جسديك الطاهر، ودمك الكريم،  
وبواسطتنا، لكل شعبك".

وفي ذلك يقول القديس أمبروسوس (٣٣٩-٣٩٧م):

[المسيح هو بعينه الذي يعلن خلال الكاهن: "هذا هو  
جسدي"].

والرب هنا يؤكد بهذا أن الإفخارستيا ذبيحة. أما اسم الإشارة  
"هذا" أو "هذه" فهو يختص بالخبز والكأس، أي أن الإشارة هنا إلى

٣٨- راجع كتاب: "المدايات" للعلامة ابن العبري، دير مار أفرام، هولندا، ١٩٨٦م  
39- St. Ephraem the Syrus, Sermon on the Holy Week, IV, 4.



الخبز وإلى الكأس، لا إلى الجسد والدم. فالنسيح هنا ماسك بالخبز بواسطة الكاهن: ويقول: "هذا جسدي"، أي "هذا الخبز هو جسدي"، وماسك بالكأس ويقول: "هذا دمي".

ويشرح قدّاس سراييون هذا الأمر بقوله: "لهذا نحن أيضاً قدّمنا الخبز صانعين مثال الموت، ونتوسّل بهذه الذبيحة، صالحنا جميعاً وارحمنا يا إله الحق ... وأيضاً قدّمنا الكأس على مثال الدم ...".

ولقد أوضح الرّسول بولس ذلك الأمر حين قال: «إن الرّب يسوع في اللّيلة التي أُسلم فيها، أخذ خبزاً، وشكر فكسّر وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي المكسور لأجلكم. اصنعوا هذا لذكري. كذلك الكأس أيضاً بعد ما تعشوا قائلاً هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي. اصنعوا هذا كلّما شربتم لذكري» (١ كورنثوس ١١: ٢٣، ٢٤).

خبز الإفخارستيا بعد التّقدّيس عليه هو جسد إلهي للمسيح، أي جسد بالحق  $\alpha\lambda\eta\theta\epsilon\iota\alpha$  لا بالشّكل والطّعم. وخبز الإفخارستيا هي دم حقيقي للمسيح لا بالشّكل والطّعم. جسد حقيقي ودم حقيقي لا تقدر الحواس الطّبيعيّة الجسديّة أن تدركهما، وإلا ما صار السرّ سرّاً، لأنّه كيف يمكن للحواس أن تدرك اللاهوت؟، ولكن الرّوح القدّس يعلنه لمن يشاء وبالطّريقة التي يشاء، وفي الوقت الذي يشاء. ومن هو كفاء هذا؟.

يُكسر عنكم وعن كثيرين ... يُسفك عنكم وعن كثيرين

التّعبير البسيط كما ورد في بردية دير البلايزا هو: "هذا هو جسدي الذي يُبذل عنكم لمغفرة الخطايا". أو في قدّاس سراييون: "هذا هو جسدي المكسور لأجلكم لمغفرة الخطايا".

وفي كل الليتورجيات القبطية سواء في نصّها اليوناني أو القبطي جاء التعبير: "عنكم وعن كثيرين"، أو "لأجلكم ولأجل الكثيرين".

إن تعبير "عنكم وعن كثيرين - τὸ ὑπὲρ ὑμῶν καὶ πολλῶν" يعني "كل واحد"، أي الكثرة التي تشمل الجميع.

وعندما يقول الكاهن: "الخبز المكسور عنكم وعن كثيرين" يكسر الخبز دون أن يفصله. وفي ذلك يقول القديس يعقوب السروجي (٤٥١-٥٢١م):

[يكسر الكاهن الخبز على شكل صليب دون أن يفصل الأجزاء عن بعضها البعض، لأن الرب تحمّل الآلام، وهو بعينه واهب الحياة، هذا الذي لا يقدر أن يقهره الموت، إذ أن واحدة من عظامه لا تنكسر].

### يعطي لمغفرة الخطايا

بحسب نص الإنجيل للقديس يوحنا الحبيب: «الخبز الذي أعطي هو جسدي الذي أ بذله من أجل حياة العالم» (يوحنا ٦: ٥١). أما الوحيد بين البشرين الذي قال عن الدّم الكريم بحسب نطق المسيح أنه لمغفرة الخطايا فهو القديس متى البشير<sup>(٤٠)</sup>. ولم يقل ذلك عن الجسد، لأن ذبيحة الفصح اليهودية كان دمه للتكفير عن الخطايا، أمّا لحمها فللشركة. ولقد كرّرت الكنيسة عبارة "يعطي لمغفرة الخطايا" على الجسد كما على الدّم، باعتبارهما ذبيحة واحدة. وأن كل ما للدّم هو للجسد، وكل ما للجسد هو للدّم.

أمَّا الاعتراف الأخير الذي يقوله الكاهن وهو حامل الجسد المقدَّس على يديه، فيقول فيه: "يعطى عنَّا خلاصاً، وغفرانا للخطايا، وحياة أبدية لكل من يتناول منه".

### هذا اصنعوه لذكري

ينفرد القُدَّاس القبطي عن غيره من ليتورجيات الطقوس الأخرى، بأنه يذكر هذه العبارة مرّتين؛ الأولى بعد التَّقديس على الخبز، والثانية بعد التَّقديس على الكأس. وفي كل مرّة يؤمّن الشَّعب بقوله: "هذا هو بالحقيقة آمين". وذلك باعتبار أن الخبز والخمر هما عنصران متميّزان للذبيحة المقدَّسة، كل منهما يمثلها بمفرده.

فليتورجية القُدَّيس يعقوب أخي الرّب في نصها السرياني القديم، تأتي فيها عبارة "هذا اصنعوه لذكري"، أو "اصنعوا هذا لذكري" بعد تقديس الخبز والخمر معاً. إذ بعد تقديس الخبز وعند قول الكاهن: "... والمبذول لمغفرة الخطايا" يأتي مرد الشَّعب: "آمين".

ثمّ يقول الكاهن: وكذلك أخذ الكأس وشكر وبارك وقُدَّس، وأعطى رسله القُدَّيسين قائلاً: خذوا اشربوا منها كلكم، هذا هو دمّي، الذي يُسفك عنكم وعن كثيرين، ويعطى لمغفرة الخطايا والحياة الأبدية إلى أبد الأبدين<sup>(٤١)</sup>.

الشَّعب: آمين.

الكاهن: اصنعوا هذا لذكري، كل مرّة تأكلون هذا الخبز، وتشربون هذه الكأس، تبشرون بموت ابن الإنسان إلى أن يجيئ.

الشَّمَامسة: نؤمن ونعترف.

الشَّعْب: نبشر بموتك يارب، ونعترف بقيامتك.

وعبارة ”هذا اصنعه لذكري“ قد سقطت سهواً من ليتورجية كنيسة القسطنطينية المنسوبة إلى القديس يوحنا ذهبي الفم، كما أنه من الغريب أيضاً ألا ترد هذه العبارة في ليتورجية سراييون.

وهكذا الكأس أيضاً من بعد العشاء، مزجها من خمر وماء

تتفق كل من ليتورجية التقليد الرسولي، وقُدَّاس سراييون، وأقدم نص يوناني للقُدَّاس المرقسي في مخطوط دير البلايزا على عدم الإشارة إلى مزج الخمر بالماء. وهنا يتضح أن الطقس القلم لكنيسة الإسكندرية وطقس كنيسة روما أيضاً، لم يرد فيهما ذكر مزج الخمر بالماء في كلمات التأسيس.

أما ليتورجية المراسيم الرسولية، ذو التقليد السرياني، فتشير إلى ذلك بوضوح قائلة: ”وهكذا الكأس أيضاً مزجها من خمر وماء، وقُدَّس، وأعطاهم لهم قائلاً: اشربوا منها كلكم، هذا هو دمي الذي يسفك عن كثيرين لمغفرة الخطايا، اصنعوا هذا لذكري.

وهو ما نجده أيضاً في قُدَّاس القديس يعقوب أخي الرب الذي تحتفظ به الكنيسة السريانية، حيث يأتي التقدیس على الكأس هكذا: ”وهكذا بعد العشاء، أخذ الكأس ومزجها من خمر وماء. ونظر إلى فوق نحو السماء، وقدمه إليك يا الله أباه، وشكر، وبارك، وقُدَّس، وملاه بالروح القدس، وأعطاه لتلاميذه القديسين المباركين، قائلاً...“ (٤٢).

وسرعان ما انتقل الحديث عن مزج الخمر بالماء إلى كلمات التأسيس في الليتورجية القبطية، حيث نجد أن القدّاس الباسيلي في مخطوط الدّير الأبيض بسوهاج، وفي أقدم نص قبطي صعيدي له يورد ذلك: ”وهكذا الكأس أيضاً بعد العشاء مزجها من خمر وماء“.

وإن كان مزج الخمر بالماء كعمل طقسي هو قدم للغاية، إلاّ أنه لا يمكننا تحديد الزّمن الذي دخلت فيه الإشارة إلى هذا المزج في كلمات التأسيس. لاسيّما أن الكنيسة القبطية تمزج الخمر بالماء في طقس تقديم الحَمَل بدون أي كلمات مصاحبة لهذا المزج، أما الإشارة إلى ذلك المزج فتأتي متأخرة بعد ذلك بكثير، أي في كلمات التأسيس.

وبينما يمزج السّريان الخمر بالماء في إناء خارجي قبل وضع المزيج في الكأس. فإن الطقس البيزنطي فهو يمزج الخمر بالماء مرّتين، مرّة عند بداية التّقدمة أي عند تقديم الحَمَل، ومرّة أخرى في نهاية القدّاس عند قول الكاهن: ”القدّسات للقدّيسين“، حيث يتم سكب الماء الحار في الكأس بعد تقديس الماء الممزوج.

### وذاق وأعطاها أيضاً لتلاميذه

لم ترد كلمة ”وذاق“ في أي من الليتورجيات القديمة. فلم ترد في أقدم نص يوناني للقدّاس المرقسي في بردية دير البلايزا. وحتى ليتورجية القدّاس الباسيلي في أقدم نص قبطي صعيدي لها (القرن السادس السّابع للميلاد) قد دخلت هي الأخرى من هذه الكلمة، وهو ما يشير إليه مخطوط الدّير الأبيض بسوهاج. إلاّ أن كلمة ”ذاق“ هي في ذات الوقت طقس إسكندري صميم، وإن كان قد بدأ متأخراً نوعاً ما، إذ لم ترد هذه الكلمة في أي من أنافورات الطّقوس الأخرى، سوى في بعض

اللِّيْتورجِيَّات السَّرِيانيَّة الَّتِي اسْتعارَها من اللِّيْتورجِيَّات القِبْطِيَّة، مثل لِيْتورجِيَّة مار باسِيلْيوس، وليْتورجِيَّة الاثني عشر رسولاً.

أما عن الطَّقْس القِبْطِي، فقد وُجِدَت هذه الكَلِمة في النَّصِّ اليُونانِي لِلقُدَّاسِ المَرْقِسِي<sup>(٤٣)</sup>، وهو مَخْطُوط كَسْمارْسِك F. Kacmarcik Codex الَّذِي يَعود إلى القَرْنِ الرَّابِعِ عَشْرَ، وأيضاً في النَّصِّ اليُونانِي لِلقُدَّاسِ الباسِيلِي، الَّذِي نَشَره العالْم رُونودوت E. Renaudot. أما النَّصِّ اليُونانِي لِلقُدَّاسِ الغَرِيغوري القِبْطِي فيخْلُو منها. ولقد اخْتَصَّتْ أنافورا القُدَّيسِ مَرْقسِ القِبْطِيَّة بِهذه الكَلِمة، وعنها نَقَلتْ أنافورا القُدَّيسِ باسِيلْيوس، والقُدَّيسِ غَرِيغوريوسِ القِبْطِيَّانِ.

وَيمارس الكاهن القِبْطِي ما يَقولُه بِالفعلِ في نِهايةِ القُدَّاسِ الإلهيِّ وعند بَدْءِ التَّناوُلِ، حيث يذوقُ هو أَوْلأً من الكَأْسِ قَبْلَ أن يناولَ مِنْه لِبقيَّةِ الشَّمامِسةِ والشَّعبِ<sup>(٤٤)</sup>. مشيراً بِذلك إلى أن هذا هو التَّسليمُ كما فَعَلَ الرَّبُّ مع تلاميذِه في لَيْلةِ العِشاءِ الأَخِيرِ.

### خَذُوا اشْرَبُوا

تَحافظُ كافَّةُ أنافوراتِ الإسْكَندريَّةِ على اصطِلاحِ ”خَذُوا اشْرَبُوا“، مَهْمَا كانَ الحَذْفُ والإِضافةُ المِصاحِبينِ لِهذهِ العبارةِ. أمَّا قُدَّاسُ القُدَّيسِ سِرابيُونِ فَهو يَشْرَحُ لِنَا التَّقليدِ الإسْكَندريِّ القَدِيمِ في ذلكِ الأمرِ، حيث يَقولُ: ”خَذُوا اشْرَبُوا، هذا هو العَهْدُ الجَدِيدُ، الَّذِي هو دَمِي المِسْفُوكِ عِنْكم لِمَغْفرةِ الخَطايا“. أمَّا مَخْطُوطَةُ دِيرِ البِلايِزا فَتَضيفُ على النَّصِّ السَّابِقِ عبارةً ”مِنْها كُلُّكم“، فَتَقولُ: ”خَذُوا اشْرَبُوا مِنْها كُلُّكم، هذا

43- W.F. Macomber, *op. cit.*, OCP 45 (1979), p. 95.

٤٤- أنظر: كتاب الخولاجي المقدَّس، طبعة سنة ١٩٠٢م، ص ٤١٤

هو دمي المسفوك عنكم لمغفرة الخطايا“. وهكذا نهجت كل الليتورجيات القبطية في نصها اليوناني والقبطي.

أمّا عبارة ”دمي الذي للعهد الجديد“ فهي إضافة دخلت متأخراً نوعاً ما، إذ لا توجد في مخطوط دير البلايزا (القدّاس المرقسي اليوناني)، ولم توجد في مخطوط الدير الأبيض (القدّاس الباسيلي القبطي)، كما أنّها غير معروفة أيضاً في ليتورجية التقليد الرسولي لهيبوليتس. ولعل قدّاس سراييون هو التّواة الأولى التي نشأت عنها هذه العبارة، حين يقول: ”هذا هو العهد الجديد الذي هو دمي المسفوك عنكم“. ولقد نهج قدّاس سراييون في ذلك وبدقة مدهشة ما يذكره الإنجيل المقدّس بضم الرّب نفسه الذي قال: «هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي» (لوقا ٢٢: ٢٠).

وقد وردت هذه العبارة ”دمي الذي للعهد الجديد“ في كل القدّاسات القبطية في نصها اليوناني والقبطي التي جاءت بعد القرن السادس أو السّابع للميلاد.

لقد ضيق الإنجيل المقدّس كل منافذ الشكوك، حتى يؤمن الإنسان أن الرّب قد جعل من كأس الإفخارستيا دماً حقيقياً له، وهو السرّ الذي لا يمكن أن يُدرك بغير الإيمان.

هذا هو الدّم الحقيقي الذي يستطيع أن يقُدّس ويطهّر ويشفي إلى التّمام، ويغفر خطايا كل المتناولين منه، ليس كدم ذبائح العهد القديم التي كانت كتذكّار دائم لخطايا الإنسان أمام الله، هذه الذبائح التي كان فيها كل سنة ذكر خطايا، لأنّه لا يمكن أن دم ثيران وتيوس يرفع الخطايا. أمّا الرّب يسوع فبعدهما قدّم عن الخطايا ذبيحة واحدة بدم نفسه، جلس إلى

الأبد عن يمين الله. إذاً كان لابد أن يُترع الأوّل لكي يثبت الثاني<sup>(٤٥)</sup>.

فأصبح العهد الجديد بدم يسوع غفراناً دائماً لخطايانا، لكل من يتناول منه.

لأن كل مرّة تأكلون ... وتشربون ... تبشرون بموتي وتعترفون بقيامتي، وتذكروني إلى أن أجي

لقد ظلّ طقس كنيسة الإسكندرية حريصاً لا يذكر إلاّ موت الربّ، بحسب تعليم القديس بولس الرسول الذي يقول بأن التذكار هو للموت فقط، «فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الربّ إلى أن يجي» (١ كورنثوس ١١: ٢٦). ولقد استمر هذا التقليد سارياً حتى بداية زمن التّعديلات في القرن الرابع الميلادي. ونلاحظ أن ليتورجية القديس الباسيلي بحسب مخطوط الدّير الأبيض بسوهاج قد حافظت على هذا التقليد حيث يأتي النّص فيها هكذا: "لأن كل مرّة تأكلون هذا الخبز وتشربون هذه الكأس، تبشرون بموتي إلى أن أجي". وهو ما يرجح جداً تحقيق العلماء الذين ينسبون نص هذه المخطوطة إلى نص قديم لها يعود إلى القرن الرابع الميلادي.

ومنذ وقت مبكرّ زيد ذكر قيامة الربّ في أغلب اللّيتورجيات حتى القديم منها، وذلك بعد ذكر موته بحسب ما يذكر مار بولس الرسول.

وبينما يذكر النّص اليوناني لكل اللّيتورجيات القبطيّة عبارة "وتعترفون بقيامتي وصعودي إلى أن أجي"

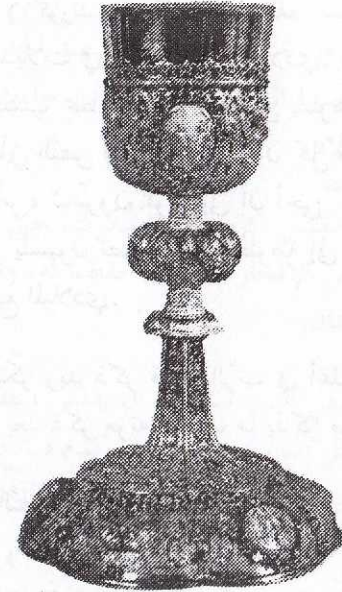
καὶ τὴν ἐμὴν ἀνάστασιν, καὶ ἀνάληψιν ὁμολογεῖτε, ἄχρις οὗ



ἄν ἔλθω.

فإن النّص القبطي لليتورجيات القبطية يضع كلمة "وتذكروني"، بدلاً من كلمة "وصعودي"، فجاء النّص هكذا: "وتعترفون بقيامتي، وتذكروني إلى أن أجيء".

وفي الفصل التّالي مباشرة وهو بعنوان "التّذكار" نتحدّث عن المفهوم اللّيتورجي للتّذكار، والعناصر اللّيتورجية له.



## الفصل الثامن

### التّذكار

### معنى الذّكرى الإفخارستيّة<sup>(١)</sup> ἀνάμνησις - Anamnesis

ينبغي أن نعرف أن الكلمة اليونانيّة ἀνάμνησις (أنامنيسيس) تفيد معنى يصعب أن يوجد في أي لغة أخرى، مثل الإنجليزيّة أو العربيّة أو غيرها، إذ أن المفردات اللّغويّة لهذه اللّغات لا تعطي المعنى الحقيقي الدّقيق لما تعنيه هذه الكلمة اليونانيّة.

ففي اللّغة الإنجليزيّة مثلاً هناك كلمات مثل: memorial أي "تذكّار" أو remembrance أي "تذكّر أو ذكرى"، والتي تفيد بالنّسبة لنا مفهوماً ذهنيّاً صرفاً، أو أمراً وقع في الماضي ولم يبق منه سوى ذكرى ذهنيّة فقط، وهو نفس المعنى الذي تعنيه الكلمة في اللّغة العربيّة. أما كلمة ἀνάμνησις (أنامنيسيس) اليونانيّة فهي على العكس من ذلك، إذ تعني: "استحضار حدث ما أمام الله كان قد وقع في الماضي، ولكن ما زال فعله أو أثره ممتداً في الزّمن الحاضر".

فمثلاً في سفر الملوك الأوّل نقرأ أن أرملة صرفة صيدا بعد أن مات ابنها تشتكي إيليا النبيّ لأنه جاء إليها ليذكّرها بخطيئتها (أمام الله) ولذلك مات ابنها فتقول له: «... هل جئت إلى لتذكير إثمي ἀνάμνησαι ἀδικίας μου (لله) ...» (١ ملوك ١٧: ١٨).

وكذلك أيضاً نقرأ في سفر العدد عن التّقدمة التي تقدّمها الزّوجة

١- انظر للمؤلف: معجم المصطلحات الكنسيّة، الجزء الأوّل، ص ٢٢٢ وما بعدها.

التي تُتهم بارتكاب خطيئة الزنا، أن تقدمتها هي «تقدمة تذكُّار تُذكرُ ذنباً  
 θυσία μνημοσύνου ἀναμνησκουσα ἁμαρτίαν» (عدد ١٥:٥).  
 فإذا كانت المرأة قد ارتكبت الخطيئة فعلاً، فإن خطيئتها سوف تُفتضح  
 من خلال تقديم الذبيحة أو التقدمة.

ولذلك فإن الإصحاحين التاسع والعاشر من رسالة العبرانيين  
 يوضِّحان أن الذبائح الخاصة بناموس العهد القديم، لم تكن قادرة على محو  
 الخطيئة، بل كانت بالحري تذكُّاراً ἀνάμνησις سنوياً لها. أو في الحقيقة  
 "استدعاء لها - recall". فنقرأ في رسالة العبرانيين عن أن تقديم الذبائح:  
 «فيها كل سنة ذكروا ἀνάμνησις خطايا» (عبرانيين ١٠:٣). لأنه لو  
 كانت هناك مغفرة للخطايا والتعدييات «لا يكون بعد قربان عن الخطيئة»  
 (عبرانيين ١٠:١٨)، أي أنه لو كان هناك غفران للخطيئة بواسطة هذه  
 الذبائح، فلم يكن من داع لتقدمها مراراً وتكراراً. ولقد أوضح فيلو  
 المؤرخ اليهودي أن الذبائح المقدَّمة عن الخطايا لم تكن غفراناً لها، بل  
 إعادة تذكُّر لها<sup>(٢)</sup>.

وعلى ذلك نخلص إلى أن مفهوم تذكُّر الخطيئة أمام الله بواسطة  
 الذبيحة يعني استمرار فعلها في الحاضر، وهذا ما تعنيه الكلمة اليونانية  
 ἀνάμνησις (أناميسيس). وهكذا يتضح لنا جلياً المعنى المقصود من قول  
 الرب: «لن أذكر ὅτι μὴ μνησθήσομαι خطاياهم وتعدياتهم فيما بعد»  
 (عبرانيين ١٠:١٧)، فتعبير «لن أذكر» يعني "لن استحضر أمامي  
 خطاياهم وتعدياتهم مرةً أخرى".

وإن انتقلنا إلى عبارة: "هذا اصنعه لذكري" كما وردت على

فم الرّب نفسه عند تأسيسه لسر الإفخارستيّا<sup>(٣)</sup>، والتي ترد بالتّالي في كافة الليتورجيات تقريباً بعد كلمات التّأسيس. أو بحسب تعبير أنافورا هيبوليتس "وعندما تصنعون هذا، اصنعوه لذكري<sup>(٤)</sup>"، نجد أن كلمة "التّذكار - recall" لا تختص بتذكار العشاء الأخير فحسب، وإنما أيضاً بتذكار موت المسيح وقيامته، وبذلك يتأكد لنا معنى التّذكار وأهميته، وهو ما يفسّر لنا أيضاً بعض ما ورد من كلمات في نص الصّلاة التي يوردها التّقليد الرّسولي في الفصل الرّابع منه، وما تتضمّنه معاني بعض كلماتها.

فسواء كان العشاء الأخير هو وليمة دينيّة خاصة ذات طقوس مقدّسة، أو كان هو عشاء الفصح اليهودي نفسه، فهذه مسألة قد تعرّضت لكثير من الدّراسات في السّنين الأخيرة، ولكن الأب والعالم المدقّق جريجوري دكس يرى أن الأمر الأكثر قبولاً هو ما أورده القدّيس يوحنا البشير في إنجيله، وهو أن العشاء الأخير كان في الحقيقة وليمة دينيّة ذات طقوس مقدّسة، ولكنه لم يكن عشاء الفصح، لأن موعد ذبح خروف الفصح كان في ذات اللّحظة التي مات فيها الرّب على الصّليب. وهذا هو علي الأقل ما كان يعتقد به هيبوليتس نفسه، وكذلك أيضاً كل آباء القرن الثّاني للميلاد.

إن التّذكار الليتورجي في السّنوات المسيحيّة الأولى كان يُعرف في كل مكان باسم "بسخة - Pascha" أو "فصح". وكان هو في واقع الأمر عيد الفصح اليهودي في شكله الهليني، بعد أن أخذ طابعه المسيحي. ولقد استمر هذا الفصح بمفهومه المسيحي الجديد يُمارَس حتى بواسطة اليهود المتشدّدين الذين تحوّلوا إلى المسيحيّة مثل القدّيس بولس الرّسول،

٣- انظر: لوقا ٢٢: ١٩

٤- التّقليد الرّسولي ١٠: ٤

وكذلك في كل المجتمعات المسيحية حتى القرن الثاني الميلادي بنفس طقسه تقريباً.

ففي كل مكان - كما في الفصح اليهودي من قبل - كان يُقام احتفال ليلي، ونُدّة ليلة واحدة، يسبقه فترة صوم استعداداً له.

ففي آسيا كان هذا الاحتفال يُمارس في نفس ليلة الفصح اليهودي (١٤ - ١٥ نيسان)، أما في الأماكن الأخرى فقد تم ترحيل الاحتفال به إلى ليلة السبت الأحد التالية لهذا اليوم مباشرة.

ويقول الدكتور برايمان Brightman : إن البصخة (الفصح) لم تكن تذكّاراً لآلام السيّد المسيح فحسب، ولا لقيامته فقط، وإنما لكلا الحدثين معاً. أي تذكّار "المسيح الذي مات بل بالحري قام أيضاً"، الذي "وضع حياته ليأخذها أيضاً"، الذي "مات من أجل خطايانا، وأقيم من أجل تبريرنا". وبالإجمال هو عيد الفداء المسيحي، كما كان عيد الفصح اليهودي هو عيد الفداء اليهودي. فالله - وبمبادرة منه - خلّص إسرائيل القديم من عبودية فرعون، واتّخذ شعباً مختاراً لنفسه، وهو نفسه الله الذي خلّص إسرائيل الجديد من عبودية الشيطان وجعل كنيسته أهلاً لأبوتّه.

وفي صلاة الأنافورا لهيبوليتس (٤: ٧، ٨) نقرأ:  
 "... الذي تمّ إرادتك، وأعدّ لك شعباً مقدّساً، وإذ بسط يديه للألم أعتق الذين قد آمنوا بك من الألم. الذي أسلم ذاته للألم طواعية، ليبيد الموت، ويحطّم قيود إبليس، ويطأ الجحيم تحت قدميه، ويقود الأبرار إلى النور، ويؤسّس النّظام، ويظهر القيامة".

ففداء المسيح قد تم بواسطة آلام المسيح مرتبطة بقيامته. وحتى القرن الرابع الميلادي لم يكن العالم المسيحي يحتفل بتذكّار آلام الرّب في يوم

الجمعة العظيمة منفصلاً عن قيامته في يوم الأحد، ليكون اليوم الأوّل يوم حزن، واليوم الآخر يوم فرح كما في طقسنا الحالي. ففكرة الاحتفال بهذه التذكارات في دورة تاريخية خلال أسبوع الآلام تعود إلى ظهور المراسيم الطقسية في القرن الرابع في كنيسة أورشليم أولاً، ومنها أخذت تنتشر تدريجياً وبتبطء إلى كافة أنحاء العالم المسيحي.

فعلى سبيل المثال لا الحصر، لم تبين كنيسة روما هذا المنهج إلا في نهاية القرن الخامس أو أوائل السّادس للميلاد. وفي التقليد الرّسولي لهيبوليتس لم ترد أي إشارة إلى يوم الجمعة العظيمة كيوم احتفال بتذكّار الآلام، وإنما هو ببساطة يوم صوم كاستعداد للفصح، بل لم يكن له صرامة صوم يوم السّبت السّابق مباشرة ليوم الفصح.

وانطلاقاً من هذا المعنى نجد أن المعمودية هي شركة سرّية في موت الرّب وقيامته معاً، وهي بحسب تعليم القديس بولس الرّسول كانت تُمنح في ليلة عيد الفصح فقط (باستثناء الحالات الخاصة)، لأن المعمّدين الجُدّد كانوا يحتفلون سنوياً بتذكّار واحد للموت والقيامة معاً، موت وقيامته المسيح، وموتهم وقيامتهم في المسيح<sup>(٥)</sup>.

إذاً كل ذكر يختص بالله هو بالضرورة اشتراك في حضوره، لأن الله حاضر في كل زمان ومكان. فعندما نذكر أمراً زمنيّاً، تكون الذكّرى له هي مجرد استرجاع لأحداث تختص به طواها الزّمن، ولم يبق على غير ذكّراها. لأن الزّمن قادر أن يطوي فيه كل ما هو زمني، لأنه خاضع له. أمّا ذكر الإلهيات أو الأمور المختصّة بالله فهو شئ يختلف تماماً، لأن الله وما يخصّه من أفعال وصفات، لا يخضع للزّمن، ولا يمكن أن يتحويه الزّمان.

5. Gregory Dix, *The Treatise on The Apostolic Tradition of St. Hippolytus of Rome*, London, 1968, p. 73, 74.

فحين نذكر الربّ في صلاتنا، فإنه يحضر بيننا كوعده. فبالأحرى إن ذكرناه في الإفخارستيا وصنعنا تذكّاره حسب وصيته لنا "اصنعوا هذا لذكري" فهو إذاً حاضر بالضرورة معنا، يقدّس ويكمل القرابين، لأن حضور الابن يعنى بالضرورة حضور الثالوث، تماماً كما فعل الربّ في ليلة عشائه الأخير مع تلاميذه.

فالربّ يريد بجسده ودمه الأقدسين الموضوعين على المذبح أن يحقّق بيننا حضوره السري الدائم في كنيسة عوض حضوره المنظور بين تلاميذه في العليّة قبل آلامه وصلبه، حتى يكون لنا بأكلنا من جسده، وشربنا من دمه المقدّس، وجود دائم في حضرته، وعبور به إلى الآب، لأنه هو فصحننا. ومن أجل هذا اشتهى المسيح - وهو يحملنا فيه - أن يأكل هذا الفصح الحقيقي مع تلاميذه قبل أن يتألّم، حتى لا يعبر وحده، ولكن يعبر كل إنسان معه إلى الآب.

فهذه هي الذكري، ذكرى حضور المسيح بيننا، وعبورنا به ومعه بجسده ودمه، بآلامه وموته وقيامته، إلى الآب.

إننا في الإفخارستيا نصنع "لا موت الربّ" الذي مات على الصليب مرّة واحدة، ولكن "ذكر موته" بحسب منطوق الليتورجيا: "ففيما نحن نصنع ذكر آلامه المقدّسة...". ولأن فعل موت الربّ كبقية أفعاله الخلاصيّة الأخرى (القيامة والصعود... الخ) هو فعل واحد ممتد أبداً عبر كل زمان، ولا يحويه الزّمن. فدم المسيح لازال يطهرّ كل خطاة الأرض حتى اليوم، وسوف يطهرّ أيضاً إلى التّمات كل المنتحيين إليه بالإيمان. إذا فتذكّار موت الربّ وقيامته هو قبول واشتراك في موته وقيامته بالأسرار التي أودعها الربّ كنيسة.

□ إذا ذكرى الصَّلْبِ في القُدَّاسِ الإلهي هي "ذكرى عينيّة"، وليست مجرد ذكرى كلاميّة أو رمزيّة أو معنويّة. أي أنّها ذكرى بعين الشيء، ولنفس الشيء. ففي القُدَّاسِ الإلهي تكون ذبيحة الصَّلْبِ نفسها حاضرة. وهذا هو معنى أن القُدَّاسِ الإلهي هو ذكرى موت المسيح.

والآن عودة إلى شرح مضمون التذكّار في الليتورجيا.

### العناصر الليتورجية للتذكّار

تنقسم الصيغة العامة للتذكّار anamnesis التي سادت كل الليتورجيات إلى ثلاثة أقسام:

(١) بادئة التذكّار: لربط حاضر الكلام بسابقه.

(٢) مضمون أو موضوع التذكّار.

(٣) تقريب القرابين.

#### (١) بادئة التذكّار

قبل بادئة التذكّار مباشرة يأتي مرد الشعب:

"أمين أمين أمين يارب مموتك يارب نبشّر، وبقيامتك المقدّسة وصعودك نعترف. (نسبّحك، نباركك، نشكرك يارب. وتضرّع إليك يا إلهنا)".

Ἀμήν, ἀμήν, ἀμήν. Τὸν θάνατόν σου Κύριε, καταγγέλλομεν. καὶ τὴν ἀγιάν σου ἀνάστασιν. καὶ ἀνάλημψιν ὁμολογοῦμεν. Σε αἰνοῦμεν σὲ εὐλογοῦμεν, σοὶ εὐχαριστοῦμεν Κύριε, καὶ δεόμεθά σου ὁ Θεὸς ἡμῶν.

وكانت أوّل صيغة بسيطة لهذا المرد قد ظهرت في بردية دير البلايزا،



وهي: "بموتك يارب نبشّر وبقيامتك نعترف. ونتضرّع إليك".

ولقد جاء هذا المرد جواباً دقيقاً على ما ورد في نهاية كلمات التأسيس في هذه البرديّة، والذي يحمل الإشارة إلى البشارة بموت الربّ والاعتراف بقيامته، مع تذكّاره. والنص هو: "كل مرة تأكلون من هذا الخبز، وتشربون من هذه الكأس، تبشّرون بموتي، تعترفون بقيامتي، تذكرونني".

بل ظلّ هذا المرد في صورته البسيطة هذه في بعض مخطوطات الخولجيات دون بعضها الآخر حتى إلى ما بعد القرن الثالث عشر الميلادي. ففي مخطوط أكسفورد رقم (هنت ٣٦٠) وهو حولاجي للثلاثة قداّسات قبطي عربي، يأتي المرد هكذا: "بموتك يارب نبشّر<sup>(٦)</sup>، وبقيامتك المقدّسة وبصعودك نعترف".

وأيضاً في قداّس القديّس يعقوب أخي الربّ يرد فيه المرد هكذا: "بموتك يارب نبشّر، وبقيامتك نعترف". وهذا هو المرد في أبسط صورة أوليّة له.

ولقد تطوّر المرد ليضيف عمل الصُعود الإلهي إلى القيامة. وإن ذكر الصُعود قد ورد أولاً في القداّس المرقسي القبطي في نصّه اليوناني، ومنه نقلت باقي الليتورجيات الأخرى.

ولم ترد كلمة "إلى السّموات" في عبارة "وصعودك إلى السّموات"، في النصّ اليوناني للمرد، وبالتالي فإن ترجمة المرد إلى العربيّة لم ترد به كلمة "إلى السّموات"، التزاماً بالترجمة الدّقيقة للنصّ اليوناني.

٦- أوردها المخطوط "نخبر".

وهو ما نجدّه في أقدم مخطوط حولاجي قبطي عربي كامل، وهو مخطوط الفاتيكان رقم (١٧)، وأيضاً مخطوط أكسفورد رقم (هنت ٣٦٠). أما الطبعات الحديثة للحولاجي فقد أضافت هذه الكلمة على المرد العربي، دون إضافتها إلى المرد اليوناني. ولكن المرد يقال اليوم بإضافة هذه الكلمة سواء قيل بالعربيّة أو اليونانيّة.

أمّا أفعال الاعتراف والتّسبيح والبركة والشُّكر التي سبقت فعل التّضرُّع، أي "نسيحك، نباركك، نشكرك يارب، وتضرُّع إليك يا إلهنا" فنجدها مرداً قائماً بذاته في الطّقس البيزنطي، ولاسيّما في قدّاس القدّيس يوحنا ذهبي الفم، حيث يرد المرد هكذا: "إياك نسيح، إياك نبارك، إياك نشكر يارب، وإليك نطلب يا إلهنا"<sup>(٧)</sup>. وقد انتقل هذا المرد بحرفيّة من الطّقس البيزنطي إلى الكنيسة القبطيّة، وألحق بنهاية مرد التّذكار: "بموتك يارب نبشر"<sup>(٨)</sup>.

ولكن هذا الانتقال لم يحدث بالسهولة التي يمكن أن نتصوّرّها. وإن مخطوط أكسفورد رقم (هنت ٣٦٠)، يوضّح لنا جلياً كيف حدث هذا الانتقال. ونحن الآن في القرن الثالث عشر الميلادي.

فيورد مخطوط أكسفورد رقم (هنت ٣٦٠) ما يلي:

يقول الشعب: "بموتك يارب نبشر ... الخ" بدون العبارة الختاميّة "نسيحك، نباركك ... الخ".

يقول الكاهن: "ففيما نحن أيضاً نصنع ذكر آلامه المقدّسة ... إلى قوله: "نقرب لك قرابينك مما لك، على كل حال، ومن أجل كل حال،

٧- القدّاس الإلهي لأبينا الجليل في القدّيسين يوحنا ذهبي الفم، مرجع سابق، ص ٥٩  
8- O.H.E. Burmester, *The Greek Kirugmata, ... op. cit.*, p. 377.

وفي كل حال“.

يقول الشَّعب (بحسب نص المخطوط): ”لك نسبِّح، لك نعترف، لك نشكر يارب، ونضرع يا إلهنا“.

يقول الشَّمَّاس: اسجدوا لله بمخافة ورعدة.

يقول الكاهن: ونسألك أيها الرَّبُّ إلهنا، نحن الخطاة ... لينزل روح قُدسك علينا وعلى هذه القرايين الموضوعه ...

فواضح هنا أنه طبقاً لمخطوط أكسفورد رقم (هنت ٣٦٠)، وبالمقارنة مع مخطوط الفاتيكان رقم (١٧)، الذي أورد مرد التذكار كاملاً: ”بموتك يارب نبشِّر ... نسبِّحك، نباركك، ...“، أن بعض الكنائس دون بعضها الآخر، ظلَّت حتى القرن الثالث عشر على أقل تقدير تمارس ما يذكره مخطوط أكسفورد رقم (هنت ٣٦٠)، حين كان مرد: ”نسبِّحك، نباركك، نشكرُك يارب، ونضرعُ إليك“ مرداً مستقلاً قائماً بذاته، إقتداءً بالطَّقس البيزنطي في ذلك الأمر، وقبل نداء الشَّمَّاس بالسُّجود ”اسجدوا لله بخوف ورعدة“. في حين أن بعضها الآخر قد ألحق هذا المرد في نهاية المرد السَّابق مباشرة ”بموتك يارب نبشِّر ...“. وظلَّت بعض مخطوطات الخولاجيَّات الأخرى حائرة بين الوضعين، حيث ألحقت هذا المرد ”نسبِّحك، نباركك ...“ بعد مرد التذكار ”بموتك يارب نبشِّر ...“، ثمَّ ذكرته مرَّةً أخرى كمرد مستقل بعد قول الكاهن: ”نقرَّب لك قرايينك مما لك على كل حال ومن أجل كل حال وفي كل حال“، كما في مخطوط خولاجي رقم (ط ١٣٤) بمكتبة دير القديس أنبا مقار.

ولكن اتفقت جميع الخولاجيَّات بلا استثناء في نصها اليوناني

والقبطي على السّواء حتّى إلى القرن الثّالث عشر والرّابع عشر للميلاد على عدم وجود مرد الشّعب الحالي الذي يعقب نداء الشّمس بالسّجود، وهو "نسبّحك، نباركك، نخدمك يارب، ونسجد لك". وهو ما سوف أشيرُ إليه مرّةً أخرى في الفصل القادم.

وجدير بالذكر هنا أن ابن سباع يورد هذا المرد هكذا: "بموتك يارب نخبر، وبقيامتك المقدّسة نبشّر، وبصعودك نعترف. لك نسبّح، لك نبارك، لك نشكر، لك نرغب أيها الرّب إلهنا"<sup>(٩)</sup>.

أما تكرار كلمة "أمين" ثلاث مرّات في بداية هذا المرد، فيبدو أنّها كانت واحدة من الممارسات المغمورة في بعض الكنائس دون بعضها الآخر، فلم ترد في أقدم خولاجيّات تحوي النّص القبطي والعربي للتّلاثة قدّاسات، وهما مخطوط الفاتيكان رقم (١٧) من القرن الثّالث عشر، ومخطوط أكسفورد رقم (هنت ٣٦٠) من القرن الثّالث عشر. ولم ترد أيضاً عند ابن سباع في كتابه: "الجوهرة النّفيسة في علوم الكنيسة". ولم ترد في مخطوطات خولاجيّات أرقام (ط ١٣٣)، و(ط ١٣٤)، و(ط ١٤٧) بمكتبة دير القدّيس أنبا مقار، ولكنها وردت في مخطوط خولاجي رقم (ط ١٣٦) بالمكتبة المذكورة. وحين ترد في الخولاجي المطبوع سنة ١٩٠٢م فهي ترد في القدّاس الباسيلي القبطي فقط دون القدّاسين الغريغوري والكيرلسي في نصّيهما القبطي<sup>(١٠)</sup>. ولكن من جهة أخرى فهي موجودة في كل القدّاسات القبطيّة في نصّها اليوناني.

□ "وتتضرّع إليك يا إلهنا" أن تتممّ فينا القصد من الإفخارستيّا. بأن نكون على مستوى هذه الشّهادة لك، وتكون حياتنا فعلاً حياة على

٩- يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، مرجع سابق، ص ٢٤٩

١٠- انظر: كتاب الخولاجي المقدّس، طبعة سنة ١٩٠٢م، ص ٤٩٦، ٦٤٤

مستوى الجسد المكسور، والدّم المسفوك، حياة باذلة بدلاً لانهائياً بفضل المسيح الموجود فينا.

والآن عودة إلى بادئة التذكار.

القدّاس الباسيلي: "ففيما نحن أيضاً نصنع ذكر آلامه المقدّسة...".  
 القدّاس الغريغوري: "فإذاً يا سيّدنا، فيما نحن نصنع ذكر نزولك على الأرض، وموتك المحيي...".  
 القدّاس المرقسي: "فالآن يا الله ضابط الكل، فيما نحن نبشّر بموت ابنك...".

وينفرد التقليد الإسكندري بذكر كلمة "فالآن"، في بادئة التذكار. في حين أن باقي التقاليد الأخرى، ولاسيما التقليد السرياني، فهي تذكر كلمة: "هَذَا"، أو "لِذَلِكَ"، أو "إِذَا".

وحين نرجع إلى قدّاس سراييون نجد أن البادئة فيه تأتي في صيغة "هَذَا". ويرى الأب كابيل B. Capelle أن هذه البادئة جاءت هنا كتقليد سرياني أو بيزنطي، ربما مترجماً عن النّص الفرنسي للقدّاس<sup>(١)</sup>.

## (٢) مضمون أو موضوع التذكار

لقد حافظت الليتورجيات القديمة على ذكر الموت الخلاصي فقط، كموضوع للتذكار، وهو ما تذكره ليتورجية سراييون: "لهذا نحن أيضاً قدّمنا الخبز صانعين مثال الموت".

ومنذ وقت مبكر زيد ذكر قيامة الرّب في أغلب الليتورجيات حتى

11- Cf. Dom B. Capelle, *L'Anaphore de Sérapion*, dans *Le Muséon*, t. 49 (1936).

القدس منها، وذلك بعد ذكر موته بحسب ما يذكر مار بولس الرّسول. فليتورجيّة التّقليد الرّسولي لهيبوليتس تذكر الموت والقيامة فقط، أمّا التّصّ فهو: "لذلك نحن نصنع ذكر موته وقيامته".

ولكن بعد دخول ذكر القيامة مبكراً جداً إلى جانب ذكر الموت، حافظت الليتورجيات القديمة على البدء بذكر الموت الخلاصي كأساس قدم للتّدكار. ففي أنافورا القدّيس يعقوب أخي الرّب السّريانيّة نقرأ: "لذلك، ونحن صانعون ذكر موته ...". وهو ما يذكره القدّاس المرقسي بقوله: "فالآن يا الله ضابط الكل، فيما نحن نبيّش بموت ابنك ...". ثمّ تأتي بعد ذلك أفعال القيامة والصّعود والجلوس عن يمين الآب والنجى الثّاني، كتطوّر للتّدكار، ولكن يظلّ فعل الموت الخلاصي هو المحور الذي تركز عليه كل أفعال الخلاص الأخرى.

وهكذا حافظ التّقليد الإسكندري على ذكر فعل الموت الخلاصي مباشرة في بداية التّدكار، مما حفظه من إضافات تسبق الموت كالنزول على الأرض، والآلام، كما هو حادث في التّقليد السّرياني المتطوّر، ومعه التّقليد البيزنطي. ومن ثمّ، نجد أن القدّاسين الباسيلي والغريغوري القبطيين لم ينهجا في ذلك نهج التّقليد الإسكندري.

أما الليتورجيات ذات التّقليد غير الإسكندري فقد أضافت ذكر الآلام قبل ذكر الموت، مثل ليتورجيّة يعقوب أخي الرّب السّريانيّة، وليتورجيّة المراسيم الرّسوليّة، وليتورجيّة كنيسة روما<sup>(١٢)</sup>.

١٢- ورد في كتاب "تراجم الباباوات" المسمّى *liber pontificalis* عن البابا اسكندر الأوّل (+ ١١٥ م) أنه أدخل على ليتورجيّة كنيسة روما ذكر آلام ربنا. ويغلب على الظن أن هذه الزيادة قد أدخلت في هذا الموضوع من الليتورجيا.

على أن إضافة ذكر القيامة كان بداية إضافة الأعمال الخلاصية الأخرى للرّب. وهذه الإضافات بدأت من ليتورجية القديس يعقوب أحي الرّب في الطّقس السرياني، ومنها أخذت جميع اللّيتورجيات الأخرى.

ففي القدّاس الكيرلسي يأتي ذكر الأفعال الخلاصية هكذا: الموت، القيامة، الصّعود، الجلوس عن يمين الآب، والمجيء الثاني للدينونة.

أمّا القدّاس الباسيلي القبطي فقد ذكر: الآلام، القيامة، الصّعود، الجلوس عن يمين الآب، المجيء الثاني للدينونة.

أمّا القدّاس الغريغوري فقد ذكر: النزول على الأرض، الموت، القبر ثلاثة أيام، القيامة، الصّعود، الجلوس عن يمين الآب، المجيء الثاني للدينونة.

ونلاحظ أن القدّاس الباسيلي القبطي قد خرج بذلك عن التقليد الإسكندري القديم، حيث يذكر الآلام، في حين يغفل ذكر الموت.

أمّا في القدّاس الكيرلسي ففي نهاية مضمون أو موضوع التذكّار يأتي مباشرة مرد الشّعب: "كرحمتك يارب وليس كخطايانا"، وذلك تعقياً على ذكر الكاهن لمجي الرّب للدينونة، ليجازي كل واحد كأعماله إن كانت خيراً أم شراً. ولاسيّما وصف المجيء الثاني بأنه المجيء المخوف. وكان إدخال الخوف والرّعدة على اللّيتورجيات القبطية قد وفد إليها من التقليد السرياني الذي تكثر فيه هذه التّعابير.

ولقد أخذت أنافورا القديس باسيليوس القبطية هذا المرد عينه، ليقال أيضاً بعد ذكر المجيء الثاني والدينونة، ولكن قبل كلمات التأسيس.

## (٣) تقريب القرايين

كل الليتورجيات تذكر تقريب القرايين بعد موضوع التّدكار.  
 ففي القدّاس الباسيلي القبطي: ”نقرب لك  $\pi\rho\sigma\phi\acute{\epsilon}\rho\omicron\mu\epsilon\nu$  σοι قرايينك من الذي لك على كل حال، ومن أجل كل حال، وفي كل حال“.  
 وفي القدّاس الغريغوري القبطي: ”نقرب لك  $\pi\rho\sigma\phi\acute{\epsilon}\rho\omicron\mu\epsilon\nu$  σοι قرايينك من الذي لك، على كل حال، ومن أجل كل حال، وفي كل حال“.  
 وفي القدّاس الكيرلسي أو المرقسي: ”أنت الذي وضعنا  $\pi\rho\sigma\theta\eta\kappa\alpha\mu\epsilon\nu$  أمام مجدك القدّوس قرايينك ممّا لك يا أبانا القدّوس“.

ومرّة أخرى نلاحظ أن التّقليد الإسكندري يذكر أن وضع القرايين قد تم فعلاً من قبل، حيث تأتي الصّيغة في الزّمن الماضي ”وضعنا أمام مجدك ... قرايينك“، إشارة إلى ما تم فعلاً في طقس تقديم الحَمَل. فالطقس الإسكندري ممثلاً في القدّاس المرقسي لا يقول بتقديم جديد للقرايين، بخلاف جميع الليتورجيات السّريانيّة والبيزنطيّة التي تقول بتقديم للقرايين في الحاضر، وهي الصّيغة التي وردت في القدّاسين الباسيلي والغريغوري القبطيين.

وفي الطّقس البيزنطي يقول الكاهن: ”التي لك ممّا لك تقدّمها لك  $\pi\rho\sigma\phi\acute{\epsilon}\rho\omicron\mu\epsilon\nu$  σοι على كل شيء، ومن جهة كل شيء“، أو بتعبير آخر: ”تقدّم لك ما هو لك من الذي لك ...“. أمّا ليتورجيّة الكنيسة الرّومانيّة فتقول: ”نرفع إلى جلالك المجيد من منحك وعطاياك“.

المفهوم اللاهوتي لتعبير: ”نقرب لك قرايينك من الذي لك“

□ حين يعود القارئ العزيز لقراءة النّص الليتورجي لتقريب القرايين



في الطّقس البيزنطي، يجد تعبير: "نقدّم (أو نقرّب) لك ما هو لك من الذي لك" أو "نقدّم لك التي لك ممّا لك". وهذا الاصطلاح من مقطعين: المقطع الأوّل: "من الذي لك" أو "ممّا لك". المقطع الثّاني: "ما هو لك" أو "التي لك".

**فالمقطع الأوّل** يشير إلى الخبز والخمر في وضعيهما البسيط قبل أن يصيرا إفاخرستياً، إذ يُحسبان - كما يقول القديس إيريناؤس (١٣٠-٢٠٠م) - أنهما "من الخليقة"، فهما "من الذي لله". وهو نفس المقطع الذي يرد في القدّاسين الباسيلي والغريغوري في الطّقس القبطي.

**والمقطع الثّاني** يشير إلى الإفاخرستياً بعد التّقدّيس - أي بعد إتمام طقس تقديم الحَمَل - أي بعد أن صار ما هو للمسيح، والمسيح هو لله الآب. فهنا - أي بعد التّأسيس - والخبز مقدّم على أنه جسد المسيح، والخمر على أنه دم المسيح، يقف الكاهن يقرب هذه القرابين أي هذه الذّبيحة للآب، باعتبارها جسد المسيح ودمه اللّذين كانا قبل التّقدّيس من خبز وخمر أي من خليقته.

إذا فتعبير "نقرّب ما هو لك من الذي لك" يقابل تماماً تعبير "نقرّب قرابينك من الذي لك" أو "نقرّب قرابينك ممّا لك". أي أن عبارة "ما هو لك" أو "التي لك" في المصطلح البيزنطي للقدّاس الباسيلي يقابلها كلمة "قرابينك" في المصطلح القبطي للقدّاس الباسيلي، ومعه القدّاس الغريغوري القبطي.

ولكن يظل المصطلح القبطي القديم في القدّاس المرقسي هو الأكثر دقّة بين هذه الأنافورات "وضعنا ... قرابينك ممّا لك" أو "وضعنا ...

قراينك من الذي لك“، وهو ما سبق أن ذكرناه.

ويقول القدّيس أنثاسيوس الرّسولي (٣٢٨-٣٧٣م):

[يقول الرّب: تقدّماتي هي عطايائي<sup>(١٣)</sup>، أي أن الذي تقدّمونه لي هو أصلاً عطيتي لكم] (الخطاب الفصحي الخامس)<sup>(١٤)</sup>.

ونقرأ في القانون رقم (٨٧) من قوانين البابا أنثاسيوس بطريرك الإسكندرية ما يلي: ”الله يطلب منّا سبباً لكيما نخلص، وأنه لا يحتاج إلى قرايين، لأن داود يقول في فضلات الملوك: أليس ممّا لك أعطيك؟. بالحقيقة إن كل الأشياء الكائنة هي له“.

إن كل الدّيانات الأخرى - بما فيها الدّيانة اليهوديّة - تقدّم لله، أو للاهوت، أو حتى للصنم، أو ليهوه، ذبائح بعيدة كل البعد عن طبيعة الله، سواء كانت ثوراً أو خروفاً أو حمامة أو يمامة. أما نحن فنقدّم لله ذبيحة إلهيّة هي ذبيحة ابنه الوحيد.

وإن كانت صلّاتنا في القدّاس الإلهي مشفوعة بذبيحة لها قيمة لاهنائيّة وغير محدودة، فأبي مقارنة إذاً بين الصلّوات التي نقدّمها في القدّاس الإلهي وأي صلاة أخرى قيلت في العهد القديم؟، لأن أي ذبيحة أخرى قدّمت كانت ذات قيمة محدودة، حتى إبراهيم الذي قدّم ابنه، لأن اسحق هو إنسان محدود. صحيح أنه كان عزيزاً جداً عنده، وصحيح أن عمله إبراهيم يُعتبر شيئاً يفوق قدرة البشر، إذ مدّ السكين ليذبح ابنه حباً في الرّب. ولكن ماذا يُحسب عمله هذا أمام ما فعله الأب السّماوي

١٣- عدد ٢:٢٨ سبينيّة.

١٤- انظر: الأب متى المسكين، الإفخارستيا عشاء الرّب، دير القدّيس أنبا مقار، الطّبعة

الثانية، ٢٠٠٠م، ص ٦٨٤، ٦٩٣.

عندما قدّم لنا ابنه ذبيحاً عن خطايا العالم كله؟.

المسيح في ذبيحة الصليب قدّم جبهه على مستوى لانهاثي. والقديس بولس الرسول يقارن بين ذبائح العهد القديم ودم المسيح، فيقول: «فكم بالحرّي يكون دم المسيح، الذي بروح أزلي قدم نفسه لله بلا عيب، يُطهّر ضمائرهم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي» (عب ٩: ١٤). فما الذي تعنيه عبارة «بروح أزلي»؟.

كل أعمال المسيح التي صنعها في الجسد لم يصنعها في الجسد فقط ولكنه صنعها في الجسد المتحد بلاهوته، لأننا نؤمن أن لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين؛ فكل أعماله التي قدّمها في الجسد لها قيمة إلهية لانهاثية. فحُب المسيح الذي قدّمه على الصليب، هو حب متصل بالحب الأزلي الموجود بين الابن والآب قبل تأسيس العالم، وهو طاقة حب لانهاثية، لا يمكن أن تتصوّرّها ولا أن تتكلّم عنها، كما قال بولس الرسول: «لا يسوغ لإنسان أن يتكلّم بها» (٢كو ١٢: ٤).

فعبارة «بروح أزلي» تعني أن أفعال المسيح الزمنية كانت متصلة بأفعاله الأزلية. وحبه الزمني الذي قدّمه على الصليب كان متصلاً بحبه الأزلي الكائن بينه وبين الآب قبل تأسيس العالم، هذا الحب هو الذي أشار إليه بقوله: «لأنك أحببتني قبل تأسيس العالم» (يو ١٧: ٢٤)، طبعاً لأنّ أنا أيضاً أحببتك قبل تأسيس العالم.

هذا الحب اللانهاثي الموجود قبل التّجسّد، وقبل تأسيس العالم، والذي له قيمة لانهاثية تفوق كل ما نستطيع أن نقوله، هو متصل تماماً بالحب الزمني الذي قدّمه المسيح على الصليب، وهو الذي أعطى ذبيحة الصليب أيضاً قيمتها اللانهاثية.

إن التّدكار الذي نصنعه لآلام الرّب، والقرايين التي تقدّمها لله من الذي له، هي القلب النّابض للقدّاس، وهي التي تأخذ كل قيمة القدّاس اللاهائيّة وتركزها وتعتمد عليها لتسند بها جميع طلباتنا التي تقدّمها لله.



## الفصل التاسع

### الاستدعاء

## تمهيد

عندما كان القدّيس باسيليوس الكبير (٣٣٠-٣٧٩م) يتحدّث عن أهميّة التّسليم السّري ومكانته الفاتحة في الكنيسة، وأنه إلى جانب التّعليم المعلن والمكتوب، هو أحد دعائم الإيمان الصّحيح، يشير إلى أن كلمات الاستدعاء في القدّاس الإلهي حتى إلى زمانه لم تكن قد دوّنت بعد كتابة، فيقول في ذلك:

[ما هو المصدر المكتوب الذي علّمنا أن نتّجه إلى الشّرق أثناء الصّلاة؟. ومَن من الآباء القدّيسين ترك لنا كتابةً كلمات استدعاء الرّوح القدّس في الإفخارستيا على الخبز والكأس؟. فكما هو معروف، فإننا لا نكتفي بما كتبه الرّسل أو ما هو مدوّن في الإنجيل. فإن خدمة القدّاس تبدأ وتنتهي بكلمات أضفناها، وهي ذات قيمة عظيمة، وتعتبر أسس الخدم. وكل ما هو مسلم إلينا في التّعليم غير المكتوب]<sup>(١)</sup>.

الاستدعاء<sup>(٢)</sup> : The Invocation - ἡ ἐπίκλησις

هو استدعاء الأقانيم الثلاثة، أو واحد منها، ليحل على القرابين ويقدّسها ويجعل منها جسد الرّب ودمه الكريمين، وكذلك أيضاً على

١- القدّيس باسيليوس الكبير، الروح القدس، ترجمة دكتور جورج حبيب بياوي.

٢- انظر للمؤلف، معجم المصطلحات الكنسيّة، الجزء الأوّل، ص ٨٣

المؤمنين الحاضرين ليؤهلهم لقبول الأسرار المقدسة المهيبة.

ففي قدّاس القُدّيس سراييون المعاصر للبابا أناسيوس الرّسولي (٢٥٦-٣٧٣م) هناك استدعاء لأقنوم الكلمة ليحل على القرايين، واستدعاء آخر للآب والابن والرّوح القُدّس ليحل على المؤمنين. ويتحدّث البابا أناسيوس الرّسولي عن حلول الابن في القرايين، ويؤكد القُدّيس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧-٤٠٧م) على عمل كل من الابن والرّوح القُدّس في القربان المقدّس. ويركّز القُدّيس كيرلس الأورشليمي (٣١٥-٣٨٦م) على استدعاء الرّوح القُدّس. أما القُدّيس غريغوريوس النّيسي (٣٣٠-٣٩٥م) فيؤكد على أهميّة كلمات التّأسيس، وهو نفس ما صار يعلم به القُدّيس ساويرس الأنطاكي (٤٦٥-٥٣٨م).

أما اللّيتورجيّات السّريانيّة والبيزنطيّة فهي تركّز على استدعاء الرّوح القُدّس بالذات، ولا يوجد في اللّيتورجيّات الأنطاكيّة سوى استدعاء واحد فقط للرّوح القُدّس.

وإن استدعاء الرّوح القُدّس على القرايين هو أيضاً لاستعلاهما، وإظهارها قدسات للقُدّيسين. وإن ليتورجيّة المراسيم الرّسوليّة وليتورجيّة الاثني عشر رسولاً، وليتورجيّة مار باسيليوس السّريانيّة في صلاة الاستدعاء يُطلب فيها كلها إلى الله الآب الأزلي أن يرسل روحه القُدّوس "ليظهر الخبز حسد المسيح، والخمر دمه" (٣).

أما استدعاء الرّوح القُدّس في القدّاس الباسيلي القبطي فيُحمل كل مفاعيل الاستدعاء، فيقول: "ليحل روحك القُدّوس علينا وعلى هذه القرايين الموضوعه ويطهرها، (وينقلها)، ويظهرها قدساً للقُدّيسين".

## العلاقة بين السُّجود وحلول الرُّوح القدّس علينا وعلى القرايين

يكون سرّ حلول الرُّوح القدّس في الأنافورات القبطيّة كلها بعد نداء الشَّمَّاس بالسُّجود كما يذكر الخولاجي المطبوع سنة ١٩٠٢م. وهذا النداء هو: "اسجدوا لله بخوف ورعدة" كما في القدّاس الباسيلي، أو "اسجدوا لله الآب ضابط الكل" كما في القدّاس الكيرلسي، أو "اسجدوا للحمل كلمة الله" كما في القدّاس الغريغوري. ولكن ما هي علاقة السُّجود بحلول الرُّوح القدّس علينا وعلى القرايين؟. هذا ما نحاول أن نشرحه في السُّطور القادمة.

بادئ ذي بدء ينبغي أن نلاحظ أن مردّات الشَّمَّاس التي تسبق استدعاء الرُّوح القدّس - بحسب النّص اليوناني في الثلاثة قَدَّاسات - هي طلب الانحناء، وليس السُّجود الكامل إلى الأرض.

كما تطوّر مرد الشَّمَّاس الذي كان: "انحنوا لله"، فصار "انحنوا لله بخوف"، ثمّ تطوّر مرّة أخرى إلى "انحنوا لله بخوف ورعدة".

ولست أعرف السبب الذي من أجله تمّت ترجمة الكلمة اليونانيّة *Κλίνατε* (كليتاتي) أي "انحنوا" إلى اللُّغة القبطيّة *οἰνωϋτ* (أو أوشت)، أي "اسجدوا". وما يزيد الأمر غموضاً هو قول الخولاجي المقدّس طبعة سنة ١٩٠٢م بعد نداء الشَّمَّاس بالسُّجود: "يسجد جميع الشعب لله ويقولون وهم مظامنون رؤوسهم..."، وهنا حدث خلط بين السُّجود وإحناء الرأس. ويتكرّر نفس الأمر مرّة أخرى في قول الخولاجي المذكور: "يقول الكاهن أوشيّة حلول الرُّوح القدّس سرّاً، وهو ساجد وباسط يديه". وهنا أيضاً لا يستقيم المعنى حين يجمع بين السُّجود وبسط اليدين. أمّا التّعليمات الطّقسيّة بحسب النّص اليوناني،



فهى: "يقول الكاهن سرّاً وهو منحني".

ثم أن المرء الذي صار تابعاً لنداء الشَّمَّاس: "اسجدوا لله بخوف ورعدة" وهو: "نسبِّحك، نباركك، نخدمك، ونسجد لك"، غير موجود في النَّص اليوناني للقَدَّاسات القِبْطِيَّة، ولا في النَّص القِبْطِي أيضاً في الخولاجيَّات القديمة، فهو غير موجود في أقدم خولاجي قِبْطِي عربي كامل للقَدَّاس الباسيلي وهو مخطوط الفاتيكان رقم (١٧)، وأيضاً غير موجود في مخطوط أكسفورد رقم (هنت ٣٦٠)، وغير موجود عند ابن سباع في كتابه "الجوهرة النّفيسة في علوم الكنيسة"، ولم يشر إليه أبو البركات ابن كبر (+ ١٣٢٤م). وغير موجود في مخطوطات الخولاجيَّات أرقام (ط ١٣٣) و(ط ١٣٤) و(ط ١٣٦) و(ط ١٤٧) كعينة من حوالي ٣٠ مخطوط خولاجي موجودة في مكتبة دير القَدَّيس أنبا مقار، يعود زمن نساختها أحدثها زمناً إلى القرن التّاسع عشر الميلادي.

وحتى حين ورد هذا المرء في الطّبّعات الحديثة للخولاجي، لم يرد فيها سوى في القَدَّاس الباسيلي فقط<sup>(٤)</sup>.

لأنه إن كان المطلوب هو السُّجود، فلماذا دخل التّسبيح هنا؟. ولكن يبقى السؤال قائماً: من أين جاء مرء الشّعب هذا؟. وهذا ما سيرد شرحه في السُّطور التّالية.

ذكرتُ قبلاً أن مرء التّدكار "بموتك يارب نبشّر..."، ترد في لهيته عبارة "نسبِّحك، نباركك، نشكرك يارب، وتضرّع إليك".

٤- لقد أضاف كتاب "الثلاثة قَدَّاسات متقابلة مع الضَّبْط والشرّح" (ص ١٦٥) هذا المرء في الثلاثة قَدَّاسات، مما أثار سلباً على أصالة القَدَّاس الكيرلسي، في هذا الموضوع بالذات.

وهي تأثير بيزنطي أُضيف على هذا المرد في كافة الليتورجيات القبطيّة، لأنه مأخوذ من أنافورا القدّاس الباسيلي البيزنطي، وأنافورا القدّيس يوحنا ذهبي الفم بحسب الطّقس البيزنطي، كمرد مستقل قائم بذاته، بعد صلاة يقولها الكاهن هي: "التي لك مما لك نقدّمها لك على كل شيء، ومن جهة كل شيء".

وما يؤكّد ذلك الأمر هو مخطوطات الخولاجيات القديمة التي بين أيدينا، والتي من قراءتها يمكننا أن نتبّع بسهولة التّطور الليتورجي الذي حدث حتى استقر هذا المرد بوضعه الحالي، والذي لم يكن كذلك قبل القرن الثالث عشر أو الرابع عشر بأي حال من الأحوال.

الآن سنقرأ ما يورده مخطوط الفاتيكان رقم (١٧) في هذه الجزئية من القدّاس الإلهي: فبعد أن يورد المخطوط مرد التّذكار: "بموتك يارب نبشّر ... نسبحك، نباركك ...".

يقول الكاهن: ... نقرّب لك قرابينك من الذي لك، على كل حال، ومن أجل كل حال، وفي كل حال.

يقول الشّمّاس: اسجدوا لله بخوف ورعدة.

يقول الكاهن: ونسألك أيها المسيح<sup>(٥)</sup> إلهنا، نحن الخطاة غير المستحقين عبيدك، نسجد لك بمسرة صلاحك، ليحل روح قدسك علينا وعلى هذه القرابين الموضوعة ...

واضح هنا أن مرد الشّمّاس "اسجدوا ..."، في نصّه القبطي والذي كان "انحنوا ..." في نصه اليوناني، يعقبه مباشرة صلاة

٥- "المسيح" في التّصنيف القبطي والعربي كما يذكر المخطوط، ولكنها في الخولاجيات المطبوعة ترد "الرّب".

استدعاء الروح القدس بدون مرد الشعب: "نسبحك، نباركك، نخدمك يارب، ونسجد لك" (٦).

أما مخطوط أكسفورد رقم (هنت ٣٦٠) فيذكر ما سبق ذكره في الفصل السابق مباشرة، نعيده هنا مرة أخرى:

يقول الشعب: "بموتك يارب نبشر ... " بدون العبارة الختامية "نسبحك، نباركك ...".

يقول الكاهن: "ففيما نحن أيضاً نصنع ذكر آلامه المقدسة ... " إلى قوله: "نقرب لك قرايينك مما لك، على كل حال، ومن أجل كل حال، وفي كل حال".

يقول الشعب (بحسب نص المخطوط): "لك نسبح، لك نعترف، لك نشكر يارب، ونضرع يا إلهنا".

يقول الشمّاس: اسجدوا لله بمخافة ورعدة.

يقول الكاهن: ونسألك أيها الرب إلهنا، نحن الخطاة ... ليترل روح قدسك علينا وعلى هذه القرايين الموضوععة ...

فبمقارنة المخطوطين السابقين، يتضح لنا بكل جلاء أن المراد البيزنطي "نسبحك، نباركك، نشكرك يارب، ونتضرع إليك" كان قد دخل في بعض الكنائس القبطية دون بعضها الآخر كمرد مستقل بذاته، وسابق مباشرة على مرد الشمّاس "اسجدوا لله بخوف ورعدة"، ثم انتقل إلى ما بعد مرد الشمّاس بعد أن جرى تعديله ليوائم واقع الحال هنا بعد نداء الشمّاس بالسُّجود. فصار: "نسبحك، نباركك، نخدمك (بدلاً من نشكرك) يارب، ونسجد لك (بدلاً من نتضرع إليك) (٧)". ومن ثم فقد

٦- في هذا السياق لا ينبغي أن نفعل قول الكاهن: "نسجد لك بمسرة صلاحك ...".

٧- ولكن ظهر هنا التعارض واضحاً بين نداء الشمّاس بالسُّجود، وبين مرد

انتقل مرد الشَّعب الذي كان يسبق نداء الشَّمَّاس بالسُّجود، ليكون لاحقاً له، مع تعديل في كلماته لتوافق النداء بالسُّجود، على الأقل في جزئية من المرد، وهنا ظهر الخلل.

ومع كل ذلك فإن مخطوطات الخولاجيات في نصّها اليوناني أو القبطي على السَّواء، ظلت تخلو من هذا المرد حتى إلى ما بعد القرن الثالث عشر الميلادي، بل إلى القرن التاسع عشر في بعض الخولاجيات<sup>(٨)</sup>.

إذا ما يلزم توضيحه أنه حتى القرن الرَّابِع عشر<sup>(٩)</sup>، بل والسَّابع عشر<sup>(١٠)</sup>، وطبقاً للنص اليوناني للقدَّاسات القبطية، لم تكن هناك ثمة علاقة بين حلول الرُّوح القدُّس علينا وعلى القرابين في هذه اللَّحظة المقدَّسة من القدَّاس، وبين كوننا في حالة سُجود كامل إلى الأرض، لأن إحناء الرأس لله كان هو الأصل اللِّيْتورجي في هذا الوقت عينه. أمّا من جهة النص القبطي للقدَّاسات القبطية فهي تتفق كلها، وبدءاً من القرن الثالث عشر على وجود مرد الشَّمَّاس: "أسجدوا لله بخوف ورعدة"، بدون أي ذكر للسُّجود نفسه أو مرد الشَّعب المصاحب له. فضلاً عن أن البابا غبريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٧م) في كتابه "الترتيب الطَّقسي" - وهو المصدر الرَّئيسي لخولاجي سنة ١٩٠٢م - لم يذكر شيئاً عن هذا السُّجود، حيث يذكر فيما يختص باستدعاء الرُّوح القدُّس على الجسد المقدَّس ما يلي: "تكون يدا الكاهن مبسوطتين أمام الجسد الطاهر،

الشَّعب بالتَّسبيح.

٨- تظل دراستنا دراسة أكاديميَّة بحتة لا تهدف أن تمس طقس الكنيسة الحالي بأي تغيير أو تعديل مهما كان طفيفاً، ولو بكلمة واحدة أو بحرف واحد منه.

٩- وهو تاريخ مخطوط كسمارسك F. Kacmarcik Codex .

١٠- وهو تاريخ مخطوط الفاتيكان رقم (٣٢٥) الذي نشره رونودوت E.

Renaudot في مجموعة الـ PG .

خاضعاً برأسه للمسيح وكذلك الشعب أيضاً". وفيما يختص باستدعاء الروح القدس على الكأس يقول: "تكون يدا الكاهن مبسوطتين خاضعاً للرب هو والشعب أيضاً". مما يظهر معه أن عادة السجود في هذه اللحظات كانت واحدة من الممارسات التي جرت في بعض أماكن دون غيرها حتى هذا الوقت، ولكنها هي الممارسة التي سادت فيما بعد.

ومع كل ذلك لا ينبغي أن نغفل قول الكاهن في مخطوط الدبير الأبيض الذي حفظ لنا النص القبطي الصعيدي للقداس الباسيلي، والذي يعود إلى القرن السابع الميلادي: "نسجد لك بمسرة صلاحك، لكي يأتي روحك القدوس علينا وعلى هذه القرايين الموضوعه ...".

ويشير مار أفرام السرياني (٣٠٦-٣٧٣م) في ميمره عن الكهنوت إلى أن الكاهن المقرّب يخاطب الآب الأزلي ليرسل روحه القدوس على القربان، ويثو راعياً على ركبته<sup>(١١)</sup>. ولازال الكاهن المقرّب عند الموارنة يركع بركبتيه عند تلاوة صلاة استدعاء الروح القدس. غير أنه قد أبطل مع مرور الزمان الرُكوع أثناء الليتورجية في كنيسة القسطنطينية والكنيسة الأنطاكية. بل إن شارحي الليتورجيات قد فسّروا إبطال الرُكوع على أنه دالاً على السقوط الذي لا يجب أن يستعمل في ذبيحة القداس، وهي عين ذبيحة الصليب التي كانت سبب قيامتنا من السقطة<sup>(١٢)</sup>.

وإن عادة الرُكوع في القداس الإلهي هي عادة قديمة احتفظت بها كنيسة الإسكندرية وكنيسة روما خلافاً لسائر الكنائس.

وينبغي أن نلاحظ أن حلول الروح القدس في صلاة السجدة في

١١- البطريرك إغناطيوس أفرام الثاني، مرجع سابق، ص ١٩٣، ٢٨٨

١٢- البطريرك إغناطيوس أفرام الثاني، مرجع سابق، ص ١٩٣

الطقس القبطي، وفي يوم العنصرة، يكون بعد نداء الشمّاس:  
**ΚΛΥΝΑΜΕΝ ΣΟΝΟΥ** أي "نحنى ركبنا"<sup>(١٣)</sup>. ولقد تُرجم هذا المرد إلى  
 اللُّغة العربيّة: "اسجدوا".

وبرغم كل ذلك ففي عموم الكنائس القبطيّة لا زال الشَّعب يحني  
 رأسه في لحظة استدعاء الرُّوح القُدَّس علينا وعلى القرايين، بينما يركع  
 الكاهن أمام المذبح باسطاً يديه، بحسب التَّسليم الصَّحيح من جيل إلى جيل،  
 برغم نداء الشمّاس بالسُّجود في النَّص القبطي للمرد، وبرغم ترتيب  
 الشَّعب قائلين: "نسجد لك".

### طقس استدعاء الرُّوح القُدَّس

الآن أودُّ أن أشرح طقس استدعاء الرُّوح القُدَّس بحسب ما يذكره  
 القُدَّاس المرقسي أولاً، إقتداء بالخولاجي المطبوع سنة ١٩٠٢م، حيث  
 سأوردُ ذلك الطُّقس في المتن، وأقارنه بما يورده مخطوط كسمارسك F.  
 Kacmarcik Codex للنص اليوناني للقُدَّاس المرقسي، وذلك في الهامش. ثمَّ  
 أطبِّقُ ذلك الشُّرح على القُدَّاسين الباسيلي والغريغوري القبطيين.

يقول الشمّاس: "انحنوا<sup>(١٤)</sup> لله بخوف".

١٣- مخطوط رقم (٢٠٢ طقس)، مكتبة دير القُدَّيس أنبا مقار، القرن الرابع عشر.

شرحتُ بالتفصيل ذلك الأمر في حديثي عن طقس صلاة السُّجدة.

١٤- هذا المرد ورد في الخولاجي المطبوع سنة ١٩٠٢م، باليونانيّة ولكن بحروف  
 قبطيّة هكذا: **ΚΛΙΝΑΤΕ ΘΕΩ ΜΕΤΑ ΦΟΒΟΥ** وهو في اليونانيّة **Κλίνατε Θεῷ μετὰ φόβου**  
 أي "انحنوا لله بخوف". ولكنه تُرجم في العربيّة إلى "اسجدوا لله  
 بخوف". فالنص يفيد الانحناء وليس السُّجود.

انظر: كتاب الخولاجي المقدَّس، طبعة سنة ١٩٠٢م، ص ٦٤٧

يقول الكاهن سرّاً: "نسال ونطلب من صلاحك يا محب البشر، لا تخزنا بالخزي الأبدي، ولا تطرحنا نحن عبيدك، ولا تصرفنا عن وجهك، ولا تقل لنا إنني لست أعرفكم. بل أعط ماء لرووسنا، وينابيع دموع لأعيننا، لكي نبكي ثمّاراً وليلاً أمامك على زلاتنا. لأننا نحن شعبك وخراف قطيعك. تجاوز عن آثامنا، واصفح عن زلاتنا التي صنعناها بمشيئتنا، والتي صنعناها بغير مشيئتنا، التي صنعناها بعلم، والتي صنعناها بغير علم، الخفية والظاهرة، التي سبق بإظهارها، والتي نسيناها، هذه التي يعرفها اسمك القدوس. اسمع يارب طلبة شعبك، والتفت إلى تهتد عبيدك. ومن أجل خطاياي خاصة ونجاسات قلبي، لا تحرم شعبك حلول روحك القدوس" (١٥).

ولكن هذا المرد لم يرد في النص اليوناني للقدّاس المرقسي بحسب مخطوط كسمارسك F. Kacmarcik Codex.

Cf. W.F. Macomber, *op. cit.*, OCP 45 (1979), p. 95.

وما يثبت صحّة عدم وجوده في هذا المكان بالذات هو أن الكاهن بينما يكون يصلي الصلوة السريّة المذكورة في المتن، يرثل الشعب مرد "ارحمنا يا الله الآب ضابط الكل"، وذلك ثلاث مرّات. ولا يستقيم ترتيل المرد والشعب في حالة سجود. ثمّ أن مرد الشمس الذي يعقب ترتيل الشعب ومن بعده الكاهن لهذا المرد المذكور، هو "اسجدوا لله الآب ضابط الكل". وهنا يكون طلب الشمس بالسجود مرّتين متتاليتين لا يفصل بينهما سوى مرد واحد للشعب!

١٥- في نص مقابل لهذا النص المذكور، وفي ليتورجيّة القديس يعقوب أخي الربّ نقراً: "إننا نرفع إليك أيها الآب هذه الذبيحة المخوفة غير الدّمويّة، راغبين إليك ألاّ نعاملنا حسب خطايانا، وحسب معاصينا، بل حسب وفور رأفتك الفائقة الوصف. امح الصلّ المقضي به علينا، وأسبع علينا النعم السّماويّة التي أعدتها لمحبيك ... ولا تردّل شعبك أيها الربّ العظوف لسبب آثامي".

ولقد اقتبست ليتورجيّة مار مرقس الرسول من التقليد السرياني نفس روح صلاة الثّمّرع هذه بكلّ سماتها السريانيّة التي تحمل البكاء والتهتد والدموع، وذلك في زمن من المرجّح أن يكون هو القرن السّادس الميلادي وهو زمن وجود القديس ساويرس الأنطاكي (٤٦٥-٥٣٨م) في مصر.

الطقس القبطي، وفي يوم العنصرة، يكون بعد نداء الشَّمَّاس: **ΚΛΙΝΑΜΕΝ ΣΟΝΟΥ** أي "نحنى ركبنا" (١٣). ولقد تُرجم هذا المراد إلى اللُّغة العربيَّة: "أسجدوا".

وبرغم كل ذلك ففي عموم الكنائس القبطيَّة لا زال الشَّعب يحني رأسه في لحظة استدعاء الرُّوح القدّس علينا وعلى القرايين، بينما يركع الكاهن أمام المذبح باسطاً يديه، بحسب التَّسليم الصَّحيح من جيل إلى جيل، برغم نداء الشَّمَّاس بالسُّجود في النَّص القبطي للمرد، وبرغم ترتيب الشَّعب قائلين: "نسجد لك".

### طقس استدعاء الرُّوح القدّس

الآن أودُّ أن أشرح طقس استدعاء الرُّوح القدّس بحسب ما يذكره القدّاس المرقسي أولاً، إقتداء بالخولاجي المطبوع سنة ١٩٠٢م، حيث سأوردُ ذلك الطُّقس في المتن، وأقارنه بما يورده مخطوط كسمارسك F. Kacmarcik Codex للنَّص اليوناني للقدّاس المرقسي، وذلك في الهامش. ثمَّ أطبِّق ذلك الشَّرْح على القدّاسين الباسيلي والغريغوري القبطيين.

يقول الشَّمَّاس: "انحنوا (١٤) لله بخوف".

١٣- مخطوط رقم (٢٠٢ طقس)، بمكتبة دير القدّيس أنبا مقار، القرن الرابع عشر.

شرحتُ بالتَّفصيل ذلك الأمر في حديثي عن طقس صلاة السَّجدة.

١٤- هذا المراد ورد في الخولاجي المطبوع سنة ١٩٠٢م، باليونانيَّة ولكن بحروف قبطيَّة هكذا: **ΚΛΙΝΑΤΕ ΘΕΩ ΜΕΤΑ ΦΟΒΟΥ** وهو في اليونانيَّة **Κλίνατε Θεῷ μετὰ φόβου**

وولكنه تُرجم في العربيَّة إلى "أسجدوا لله بخوف". فالتَّص يفيد الانحناء وليس السُّجود.

انظر: كتاب الخولاجي المقدّس، طبعة سنة ١٩٠٢م، ص ٦٤٧



يقول الكاهن سرًا: "نسأل ونطلب من صلاحك يا محب البشر، لا تخزنا بالخزي الأبدي، ولا تطرحنا نحن عبيدك، ولا تصرفنا عن وجهك، ولا تقل لنا إنني لست أعرفكم. بل أعط ماءً لرؤوسنا، وينابيع دموع لأعيننا، لكي نبكي نهاراً وليلاً أمامك على زلاتنا. لأننا نحن شعبك وخراف قطيعك. تجاوز عن آثامنا، واصفح عن زلاتنا التي صنعناها بمشيئتنا، والتي صنعناها بغير مشيئتنا، التي صنعناها بعلم، والتي صنعناها بغير علم، الخفية والظاهرة، التي سبق بإظهارها، والتي نسيناها، هذه التي يعرفها اسمك القدوس. اسمع يارب طلبة شعبك، والتفت إلى تنهّد عبيدك. ومن أجل خطاياي خاصة ونجاسات قلبي، لا تحرم شعبك حلول روحك القدوس" (١٥).

ولكن هذا المرد لم يرد في النص اليوناني للقدّاس المرقسي بحسب مخطوط كسمارسك F. Kacmarcik Codex.

Cf. W.F. Macomber, *op. cit.*, OCP 45 (1979), p. 95.

وما ثبت صحّة عدم وجوده في هذا المكان بالذات هو أن الكاهن بينما يكون يصلي الصلوة السريّة المذكورة في المتن، يرثل الشعب مرد "ارحمنا يا الله الأب ضابط الكل"، وذلك ثلاث مرّات. ولا يستقيم ترتيل المرد والشعب في حالة سجود. ثم أن مرد الشمّاس الذي يعقب ترتيل الشعب ومن بعده الكاهن لهذا المرد المذكور، هو "اسجدوا لله الأب ضابط الكل". وهنا يكون طلب الشمّاس بالسُّجود مرّتين متتاليتين لا يفصل بينهما سوى مرد واحد للشعب!

١٥- في نص مقابل لهذا النص المذكور، وفي ليتورجية القدّيس يعقوب أحي الربّ نقرأ: "إننا نرفع إليك أيها الأب هذه الذبيحة المخوفة غير الدمويّة، راغبين إليك ألا تعاملنا حسب خطايانا، وحسب معاصينا، بل حسب وفور رأفتك الفائقة الوصف. امح الصكّ المتقضي به علينا، وأسبغ علينا النعم السماويّة التي أعدتها لحبيك ... ولا ترذل شعبك أيها الربّ العطوف لسبب آثامي".

ولقد اقتبست ليتورجية مار مرقس الرسول من التقليد السرياني نفس روح صلاة التضرّع هذه بكل سماتها السريانيّة التي تحمل البكاء والتنهّد والدموع، وذلك في زمن من المرجّح أن يكون هو القرن السادس الميلادي وهو زمن وجود القدّيس ساويرس الأنطاكي (٤٦٥-٥٢٨م) في مصر.

يقول الشَّعب ثلاث مرّات: ارحمنا يا الله الآب ضابط الكل<sup>(١٦)</sup>.  
يقول الكاهن ثلاث مرّات: لأن شعبك وبيعتك يطلبون إليك،  
قائلين<sup>(١٧)</sup>: ارحمنا يا الله الآب ضابط الكل.

يقول الشَّمّاس: "اسجدوا لله الآب ضابط الكل"<sup>(١٨)</sup>.

يقول الكاهن سرّاً: "وأرسل إلى أسفل من علوك المقدّس، ومن  
مسكنك المستعد... البارقليط روحك القدّوس... علينا نحن عبيدك  
وعلى هذه القرايين التي لك المكرّمة السّابق وضعها أمامك"<sup>(١٩)</sup>. على هذا

أما الأصول اللّيُتورجِيَّة القديمة في لّيُتورجِيَّة كنيسة الإسكندريَّة لهذه الطَّلبة التّوسِّلِيَّة بدون السّمات السّريانيَّة السّابق ذكرها، فنجدها في قدّاس القدّيس سرايون باختصار شديد، وفي توسّلٍ يحمل كل سمات لاهوت كنيسة الإسكندريَّة، فنقرأ:  
"هَذَا نَحْنُ أَيْضاً قَدَمْنَا الْخِزْيَ صَانِعِينَ مِثَالَ الْمَوْتِ. وَتَوَسَّلْ بِهَذِهِ الذَّبِيحَةِ، صَالِحِنَا جَمِيعاً، وَارْحَمْنَا يَا إِلَهَ الْحَقِّ".

١٦- هذا المرء هو أحد التّأثيرات السّريانيَّة على اللّيُتورجِيَّة القبطيَّة، حيث يأتي كاستجابة تآثريَّة عاطفيَّة نفسانيَّة من جراء ذكر الدّينونة، والتّشديد على محاسبة كل واحد كنحو أعماله، وهي إحدى خصائص التّسك السّرياني المبني على فكرة "الدّينونة المخيفة". أمّا الرّوح القبطيَّة فترى في اللّيُتورجِيَّا عموماً وفي الإفخارستيَّا خصوصاً أن سمات الفرح والتّسبيح والشّكر والانعتاق من الدّينونة المزمعة، تأتي سابقة على طلب الرّحمة والغفران.

١٧- عبارة: "لأن شعبك... قائلين" لم ترد في مخطوط كسمارسك F. Kacmarcik Codex. وبعدها يذكر المخطوط: يقول الشَّعب: "يارب ارحم" ثلاث مرّات. (Cf. W.F. Macomber, *op. cit.*, OCP 45 (1979), p. 96)

١٨- هذا المرء ورد في مخطوط كسمارسك F. Kacmarcik Codex هكذا: "يقول الشَّمّاس: انحنوا لله - Κλίνατε Θεῷ".

ويؤيده في ذلك النّص اليوناني للقدّاسين الباسيلي والغريغوري كما أوردهما العالم رنودوت E. Renaudot حيث يأتي المرء فيهما هكذا: "انحنوا لله بخوف - Κλίνατε Θεῷ μετὰ φόβου". (Cf. PG 31, 1637D).

١٩- في قدّاس القدّيس يعقوب أخي الرّب نقرأ: "ارحمنا يا الله الآب ضابط الكل، وأرسل علينا وعلى هذه القرايين الموضوعه هنا روحك القدّوس، الرّب المحيي، الجليس

الخبز وعلى هذه الكأس، لكي يتطهراً وينتقلاً<sup>(٢٠)</sup>“.

يقول الشمّاس: نصت<sup>(٢١)</sup>.

يقول الشَّعب: آمين.

يقول الكاهن: وهذا الخبز يجعله جسداً مقدساً للمسيح<sup>(٢٢)</sup>.

يقول الشَّعب: آمين<sup>(٢٣)</sup>.

يقول الكاهن: وهذه الكأس أيضاً دماً كريماً للعهد الجديد الذي له<sup>(٢٤)</sup>.

معك يا الله الآب، ومع ابنك الذي يملك معك، والمساوي والأزلي، المتكلم في الثاموس والأنبياء، وفي العهد الجديد، الذي نزل في هيئة حمامة على ربنا يسوع المسيح في نهر الأردن، والذي حل على رسلك القديسين في هيئة ألسنة نار“.

٢٠- يذكر مخطوط كسمارسك F. Kacmarcik Codex ما يلي:

ἐπὶ τὸν ἄρτον τοῦτον καὶ ἐπὶ τὸ ποτήριον τοῦτο, ἵνα αὐτὰ εὐλογῆσῃ ὡς παντοδύναμος Θεός.

”على هذا الخبز وعلى هذه الكأس، لكي كإله كلي القدرة، يتبارك، ويتقدّساً، ويتكّملاً“.

Cf. W.F. Macomber, *op. cit.*, OCP 45 (1979), p. 96.

ولاحظ هنا دقة التعبير في قوله ”ويتكّملاً“، كما في النّص اليوناني، وليس ”وينتقلاً“ كما في النّص القبطي، ذلك لأنه قد سبق أن قيلت صلاة استدعاء أولى في طقس تقديم الحَمَل، قال فيها الكاهن على القرايين ”باركهما، قدّسهما، طهّرهما، وانقلهما“. فهنا لا يكون نقل للقرايين بل تكميل لها.

٢١- هذا المرء يرد في النّص اليوناني للقُدّاس المرقسي Προσχωµεν ”نصت“ بدون كلمة ”آمين“ التي هي من نصيب الشَّعب وليس الشمّاس.

Cf. W.F. Macomber, *op. cit.*, OCP 45 (1979), p. 96.

وهو نفس ما نجد في القُدّاسين الباسيلي والغريغوري في نصيهما اليوناني بحسب ما يذكره العالم رونودوت E. Renaudot .

٢٢- يقول الكاهن ذلك وهو يرشم على الجسد ثلاثة رشومات.

٢٣- هذا المرء لا يرد في النّص اليوناني، حيث يكمل الكاهن كلامه على الكأس مباشرة: ”وهذه الكأس...“.

٢٤- يقول الكاهن ذلك وهو يرشم على الكأس ثلاثة رشومات.

يقول الشَّعب: آمين<sup>(٢٥)</sup>.

يقول الكاهن: ربُّنا وإلهنا ومخلِّصنا وملكننا كلُّنا يسوع المسيح<sup>(٢٦)</sup>.

يقول الشَّعب: آمين.

يقول الكاهن: لكي يكونا لنا جميعاً نحن الآخذين منهما<sup>(٢٧)</sup>، إيماناً بغير فحص، ومحبة بغير رياء، وصبراً كاملاً، ورجاء ثابتاً، وإيماناً وحراسة، وعافية وفرحاً، وتجديداً للنفس والجسد والرُّوح، ومجدداً لاسمك القدوس، ومشاركة وسعادة الحياة الأبدية وعدم الفساد، وغفراناً للخطايا.

يقول الشَّعب: كما كان كذلك يكون إلى أجيال الأجيال، وإلى

سائر دهر الدهور، آمين<sup>(٢٨)</sup>.

(إلى هنا نص المخطوط)

وهكذا يكمل استدعاء الرُّوح القدّس في القدّاس المرقسي.

٢٥- وهذا المرد أيضاً لا يرد في النّص اليوناني، حيث يواصل الكاهن كلامه: "...  
للعهد الجديد الذي لربُّنا وإلهنا ومخلصنا ...". والنّص اليوناني هو:

... τῆς καινῆς διαθήκης αὐτοῦ, τοῦ Κυρίου δὲ καὶ Θεοῦ καὶ σωτήρος ..

Cf. W.F. Macomber, *op. cit.*, OCP 45 (1979), p. 97.

٢٦- بحسب القدّاس الكيرلسي، يقولها الكاهن مرّة واحدة، وبصوت مسموع وليس سرّاً كما في القدّاسين الباسيلي والغريغوري القبطيين.

٢٧- هنا فقط بحسب النّص اليوناني يرد مرد الشَّعب: "يارب ارحم". حيث يكمل الكاهن باقي الصّلاة بدون هذا المرد. أمّا النّص القبطي فقد أورد المرد "يارب ارحم" بعد كل طلبية من طلبات هذه الصّلاة.

انظر: كتاب الخولاجي المقدّس، طبعة سنة ١٩٠٢م، ص ٦٥٤

Cf. also. W.F. Macomber, *op. cit.*, OCP 45 (1979), p. 97.

٢٨- لم يرد هذا المرد في النّص اليوناني.

Cf. W.F. Macomber, *op. cit.*, OCP 45 (1979), p. 97.

وهذا ما نجده أيضاً في القدّاس الغريغوري، ولكن بصلاة سرّية ذات منطوق آخر، ولكن لنفس الهدف. وفيما يلي نورد النّص اليوناني لهذه الصّلاة السّريّة كما أورده العالم رونودوت E. Renaudot، و مترجماً إلى اللّغة العربيّة.

Ὁ διάκονος λέγει·

Κλίνατε Θεῷ μετὰ φόβου.

Ὁ ἱερεὺς λέγει ἐν ἑαυτῷ κλίνας·

Αὐτὸς οὖν, Δέσποτα, τῇ σῆι φωνῇ τὰ προκείμενα μεταποιήσον· αὐτὸς παρῶν, τὴν μυστικὴν ταύτην λειτουργίαν κατάρτισον· αὐτὸς ἡμῖν τῆς σῆς λατρείας τὴν μνήμην διάσωσον. Αὐτὸς τὸ Πνευμά σου τὸ πανάγιον κατάπεμσον, ἵνα ἐπιφοιτήσαν τῇ ἀγία καὶ ἀγαθῇ καὶ ἐνδόξῳ αὐτοῦ παρουσίᾳ ἀγίασῃ καὶ μεταποιήσῃ τὰ προκείμενα, τίμια καὶ ἅγια δῶρα ταῦτα, εἰς αὐτὸ τὸ σῶμα καὶ τὸ αἷμα τῆς ἡμετέρας ἀπολυτρώσεως.

يقول الشمّاس:

انحنوا لله بخوف.

يقول الكاهن سرّاً وهو منحن:

فأنت بنفسك يا سيّدنا حوّل بصوتك هذه (القرايين) الموضوعه، أنت الحاضر (معنا)، أكمل هذه الخدمه السّريّة، استرجع لنا بنفسك ذكر خدمتك. أرسل لنا أنت روحك كليّ القداسة، لكي إذ يحل بحضوره المقدّس والصّالح والممجّد، يقدّس هذه القرايين المكرّمة المقدّسة الموضوعه ويحوّلها إلى ذات حسد ودم فدائنا.

أمّا القدّاس الباسيلي في نصّه اليوناني فهو كما يلي:

Ὁ διάκονος λέγει·

Κλίνατε Θεῷ μετὰ φόβου.

Ὁ ἱερεὺς λέγει ἐν ἑαυτῷ·

يقول الشمّاس:

انحنوا لله بخوف.

يقول الكاهن سرّاً:

Καὶ δεόμεθα καὶ παρακαλουμέν  
σε, φιλάνθρωπε, ἀγαθὲ Κύριε, ἡμεῖς  
οἱ ἁμαρτωλοὶ καὶ ἀνάξιοι δούλοί σου,  
καὶ προσκυνούμεν σε εὐδοκίᾳ τῆς σῆς  
ἀγαθότητος, ἐλθεῖν τὸ Πνεῦμά σου τὸ  
ἅγιον ἐφ' ἡμᾶς τοὺς δούλους σου, καὶ  
ἐπὶ τὰ προκειμένα σου δῶρα ταῦτα,  
καὶ ἀγιάσαι καὶ ἀναδείξαι Ἁγία  
ἀγίων.

Ὁ διάκονος λέγει·

Προσχωμεν.

Ὁ λαὸς λέγει·

Ἀμήν.

Ὁ ἱερεὺς ἐκφωνήσει·

Καὶ ποιήσῃ τὸν μὲν ἄρτον τοῦτον  
γίνεσθαι εἰς τὸ ἅγιον σῶμα αὐτοῦ τοῦ  
Κυρίου δὲ καὶ Θεοῦ καὶ Σωτῆρος  
ἡμῶν Ἰησοῦ Χριστοῦ, εἰς ἄφεσιν  
ἁμαρτιῶν, καὶ εἰς ζωὴν τὴν αἰώνιον  
τοῖς ἐξ αὐτοῦ μεταλαμβάνουσιν.

Ὁ λαὸς λέγει·

Ἀμήν.

ونسأل ونطلب منك  
أيها الرب محب البشر  
الصالح، نحن عبيدك الخطاة  
غير المستحقين ونسجد لك  
بمسرة صلاحك، أن يحل  
روحك القدوس علينا نحن  
عبيدك وعلى قرابينك هذه  
الموضوعة ويقدّسها ويظهرها  
قدسات للقدّيسين.

يقول الشمّاس:

ننصت (٢٩).

يقول الشعب:

آمين.

يصرخ الكاهن:

وهذا الخبز يجعله أن  
يصير جسداً مقدّساً  
لربنا وإلهنا ومخلصنا  
يسوع المسيح، لمغفرة  
الخطايا، وحياة أبدية لمن  
يتناولون منه.

يقول الشعب:

آمين.

٢٩- لاحظ دائماً أن مرد الشمّاس هو "نصت" فقط، وليس "نصت آمين".  
لأن المراد "آمين" هو من نصيب الشعب.

Ὁ ἱερεὺς λέγει:

Τὸ δὲ ποτήριον τοῦτο, τὸ τίμιον αἷμα τὸ τῆς καινῆς διαθήκης αὐτοῦ τοῦ Κυρίου δὲ καὶ Θεοῦ καὶ Σωτῆρος ἡμῶν Ἰησοῦ Χριστοῦ, εἰς ἄφεσιν ἁμαρτιῶν, καὶ εἰς ζωὴν τὴν αἰώνιον τοῖς ἐξ αὐτοῦ μεταλαμβάνουσιν.

Ὁ λαὸς λέγει:

Ἀμήν. Κύριε, ἐλέησον, 3γ.

يقول الكاهن:

وهذه الكأس دماً  
كربما لعهد الجديد  
لربنا وإهنا ومخلصنا  
يسوع المسيح، لمغفرة  
الخطايا، وحياة أبدية لمن  
يتناولون منه.

يقول الشعب:

آمين، يارب ارحم ٣

فحين يطلب الكاهن في صلاة سرية حلول الروح القدس علينا وعلى القرايين، ويقول: "... ليحل روح القدس علينا<sup>(٣٠)</sup>"، يشير بيديه إلى ذاته، ثم يكمل "وعلى هذه القرايين<sup>(٣١)</sup> الموضوعه"، فيشير إلى القرايين. ثم يكمل قائلاً: "ويطهرها [وينقلها] ويظهرها قدساً لقدسيك".

وإنه من الغريب حقاً أن يرد النص الليتورجي السابق في حولاجي سنة ١٩٠٢م حاوياً كلمة "وينقلها - οτοε ητερονοοθβογ"، لأنه قد سبق أن قال الكاهن ذلك في طقس تقديم الحمل، أمّا هنا فهو يطلب إظهار القدسات قدساً للقديسين. فهذه العبارة الأخيرة في الفقرة السابقة مباشرة يوردها النص اليوناني هكذا: "ويقدّسها ويظهرها قدسات للقديسين - καὶ ἀγιάσαι καὶ ἀναδειξαι Ἁγία ἀγίων."

وليس النص اليوناني فحسب هو الذي يذكر ذلك، بل إن أقدم مخطوطات الخولاجيات القبطي العربي لا تورده هذه الكلمة. فمخطوط

٣٠- يقول النص اليوناني "... علينا نحن عبيدك σου τούτους δουλους σου".

٣١- النص اليوناني يقول: "قرايينك ταύτα σου δωρα" .

خولاجي الفاتيكان رقم (١٧)، ومخطوط خولاجي أكسفورد رقم (هنت ٣٦٠)، وهما من القرن الثالث عشر يذكرا: "... ويظّهرها  
 ويظهرها<sup>(٣٢)</sup> قدساً لقدسيك - ΟΤΟΣ ΗΝΤΕΥΤΟΤΒΩΟΥ ΟΤΟΣ  
 " ΗΝΤΕΥΤΟΤΒΩΟΥ (ΕΒΟΛ) ΕΤΟΥΤΑΒ ΗΝΤΕ ΝΗΘΟΥΤΑΒ ΗΝΤΑΚ

ويؤكد ابن سباع على ما سبق ذكره للتّو، فيقول: "ثمّ يقول  
 الكاهن صلاة سرّاً، وهي نسألك نحن عبيدك غير المستحقين، ونسجد  
 لك، ونطلب منك، لكي يحلّ روح قدسك على شعبك، وعلى هذه  
 القرايين، وتظّهرها، وتجعلها قدساً لقدسيك"<sup>(٣٣)</sup>.

أما الأصل القديم الذي يعزز ما سبق ذكره فهو مخطوط الدّير  
 الأبيض، الذي حفظ لنا النّص القبطي الصّعدي للقدّاس الباسيلي، والذي  
 يعود إلى القرن السّابع الميلادي، حيث يقول: "وتتضرّع إليك يا إلهنا  
 نحن الخطاة وغير المستحقين والمساكين، ونسجد لك بمسرة صلاحك.  
 لكي يأتي روحك القدّوس علينا وعلى هذه القرايين الموضوعه لكي  
 يقدّسها ويظهرها قدسات للقدّسين".

إذاً يتفق كل من النّص اليوناني للقدّاسات القبطيّة، ومخطوطات  
 الخولاجيّات القبطي عربي حتى إلى ما بعد القرن الثالث عشر على عدم  
 وجود كلمة "وينقلها".

لذلك كان النّص اللّيتورجي الذي يقوله الكاهن جهاراً، وبعد النّص  
 السّابق ذكره، والذي قاله سرّاً هو: "وهذا الخبز يجعله جسداً مقدّساً ...  
 وهذه الكأس (يجعلها) دماً كريماً ...". فكلّمة "يجعله" عن الخبز، أو

٣٢- جاءت الكلّمة في خولاجي الفاتيكان "وتظهرها".

٣٣- يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، مرجع سابق، ص ٢٥٠.



”جعلها“ عن الكأس ذا مغزي لاهوتي دقيق التّعبير<sup>(٣٤)</sup>.

ثم أن النَّصَّ اليوناني للقدّاس الياسيلي يقول: ”وهذا الخبز يجعله أن يصير جسداً مقدّساً لرّبنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح، لمغفرة الخطايا، وحياة أبدية لمن يتناولون منه“، فيرد الشّعب: ”آمين“.

أمّا عند استدعاء الرّوح القدّس على الكأس، فيقول الكاهن: ”وهذه الكأس دماً كريماً لعهدة الجديد لرّبنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح، لمغفرة الخطايا، وحياة أبدية لمن يتناولون منه“. فيرد الشّعب: ”آمين“، ثمّ ”يارب ارحم“ ثلاث مرّات.

وهذا هو عين ما نقرأه في خولاجي الفاتيكان رقم (١٧)، وخولاجي أكسفورد رقم (هنت ٣٦٠)، حيث يرد النَّصُّ هكذا: ”وهذا الخبز يجعله جسداً مقدّساً له. ربّنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح، يعطى غفراناً للخطايا، وحياة أبدية لمن ينال منه“. يقول الشّعب: ”آمين“.

وعن الكأس يقول خولاجي الفاتيكان: ”وهذه الكأس أيضاً الدّم الكريم الذي لعهدة الجديد. ربّنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح، يعطى عن غفران الخطايا، وحياة أبدية لمن ينال منه“. فيقول الشّعب: ”آمين“.

وهذا هو نفس ما يذكره الخولاجي المطبوع سنة ١٩٠٢ م. ولكن الخولاجي المذكور قد قسّم ما يقوله الكاهن إلى قسمين، قسّم يُقال جهراً وهو ”وهذا الخبز يجعله جسداً مقدّساً له“، وقسّم صار يُقال سراً وهو: ”ربّنا وإلهنا...“. ومن ثمّ فقد سقط مرد ”آمين“ الذي يأتي في نهاية هذا القسم الثّاني الذي صار يُقال سراً، في حين أُضيف مرد عقب القسم

خولاجي الفاتيكان رقم (١٧)، ومخطوط خولاجي أكسفورد رقم (هنت ٣٦٠)، وهما من القرن الثالث عشر يذكران: "... ويظهرها ويظهرها<sup>(٣٢)</sup> قدساً لقدسيك - ΟΤΟΣ ἸΝΤΕΨΤΟΥΒΩΟΥ ΟΤΟΣ  
 " ἸΝΤΕΨΟΥΤΟΥΒΩΟΥ (ΕΒΩΛ) ΕΨΟΥΤΑΒ ἸΝΤΕ ΝΗΘΟΥΤΑΒ ἸΝΤΑΚ

ويؤكد ابن سبّاع على ما سبق ذكره للتّو، فيقول: "ثمّ يقول الكاهن صلاة سرّاً، وهي نسألك نحن عبيدك غير المستحقين، ونسجد لك، ونطلب منك، لكي يحلّ روح قدسك على شعبك، وعلى هذه القرابين، وتظهرها، وتجعلها قدساً لقدسيك"<sup>(٣٣)</sup>.

أما الأصل القديم الذي يعزز ما سبق ذكره فهو مخطوط الدّير الأبيض، الذي حفظ لنا النّص القبطي الصّعيدى للقدّاس الباسيلي، والذي يعود إلى القرن السّابع الميلادي، حيث يقول: "وتضرّع إليك يا إلهنا نحن الخطاة وغير المستحقين والمساكين، ونسجد لك بمسرة صلاحك. لكي يأتي روحك القدّوس علينا وعلى هذه القرابين الموضوعّة لكي يقدّسها ويظهرها قدسات للقدّسين".

إذاً يتفق كل من النّص اليوناني للقدّاسات القبطيّة، ومخطوطات الخولاجيّات القبطي عربي حتى إلى ما بعد القرن الثالث عشر على عدم وجود كلمة "وينقلها".

لذلك كان النّص اللّيتورجي الذي يقوله الكاهن جهاراً، وبعد النّص السّابق ذكره، والذي قاله سرّاً هو: "وهذا الخبز يجعله جسداً مقدّساً ... وهذه الكأس (يجعلها) دماً كريماً ...". فكلمة "يجعله" عن الخبز، أو

٣٢- جاءت الكلمة في خولاجي الفاتيكان "وتظهرها".

٣٣- يوحنا بن أبي زكريا بن سبّاع، مرجع سابق، ص ٢٥٠

”يجعلها“ عن الكأس ذا مغزي لاهوتي دقيق التعبير<sup>(٣٤)</sup>.

ثم أن النص اليوناني للقدّاس الباسيلي يقول: ”وهذا الخبز يجعله أن يصير جسداً مقدّساً لرّبنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح، لمغفرة الخطايا، وحياة أبدية لمن يتناولون منه“، فيرد الشعب: ”آمين“.

أمّا عند استدعاء الرّوح القدّس على الكأس، فيقول الكاهن: ”وهذه الكأس دماً كريماً لعهد الجديد لرّبنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح، لمغفرة الخطايا، وحياة أبدية لمن يتناولون منه“. فيرد الشعب: ”آمين“، ثمّ ”يارب ارحم“ ثلاث مرّات.

وهذا هو عين ما نقرأه في خولاجي الفاتيكان رقم (١٧)، وخولاجي أكسفورد رقم (هنت ٣٦٠)، حيث يرد النص هكذا: ”وهذا الخبز يجعله جسداً مقدّساً له. ربّنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح، يعطى غفراناً للخطايا، وحياة أبدية لمن ينال منه“. يقول الشعب: ”آمين“.

وعن الكأس يقول خولاجي الفاتيكان: ”وهذه الكأس أيضاً الدّم الكريم الذي لعده الجديد. ربّنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح، يعطى عن غفران الخطايا، وحياة أبدية لمن ينال منه“. فيقول الشعب: ”آمين“.

وهذا هو نفس ما يذكره الخولاجي المطبوع سنة ١٩٠٢م. ولكن الخولاجي المذكور قد قسم ما يقوله الكاهن إلى قسمين، قسم يُقال جهراً وهو ”وهذا الخبز يجعله جسداً مقدّساً له“، وقسم صار يُقال سراً وهو: ”ربّنا وإلهنا...“. ومن ثمّ فقد سقط مرد ”آمين“ الذي يأتي في نهاية هذا القسم الثّاني الذي صار يُقال سراً، في حين أضيف مرد عقب القسم

الأوّل الذي يقال جهرًا على الخبز، وهو المرد: "أؤمن -  $\text{†} \text{N} \alpha \epsilon \text{†}$ ".  
ومرد: "وأيضاً أؤمن -  $\text{†} \text{K} \epsilon \text{ } \Pi \alpha \lambda \iota \nu \text{ } \text{†} \text{N} \alpha \epsilon \text{†}$ ".

وفي الحقيقة فهذا المردّان الأخيران لم يردا سوى في مخطوطات الخولاجيّات التي تعود إلى ما بعد القرن السّابع عشر، أو نحو ذلك، وهما يردان بصيغة المفرد وليس بصيغة الجمع كما في باقي مردّات القُدَّاس، مما يوضّح أن إضافتهما كانت نتيجة إحدى الممارسات الطّقسيّة غير المحبّوكة في جهة من الجهات، ولكنها وجدت طريقها إلى السّذُوع والانتشار. ولعل من أضاف المرد: "نسبّحك، نباركك، نخدمك يارب، ونسجد لك"، هو الذي أضاف هذين المردين ليُقالا في أثناء السُّجود. ولكن تظل كتبنا الطّقسيّة القديمة بنصوصها اليونانيّة والقبطيّة على السّواء، وحتى كتاب "التّرتيب الطّقسي" للبابا غريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٧م)، شاهدة على عدم أصالة هذا الإضافات التي طالّت بعض نصوص قُدَّاساتنا القبطيّة.

ولقد ظلّ القُدَّاس الكيرلسي محتفظاً بمرد السّعب: "آمين" فقط في هذه الجزئيّة من القُدَّاس. فيذكر ما نصّه:

يصرخ الكاهن وهو يرشم على الجسد ثلاثة رشومات ويقول: "وهذا الخبز يجعله جسداً مقدّساً للمسيح"، يقول السّعب: "آمين".

هنا يرشم الكاهن ثلاثة رشومات على الكأس وهو يقول: "وهذه الكأس أيضاً دماً كريماً للعهد الجديد الذي له"، يقول السّعب: "آمين".  
يقول الكاهن: "رُبنا وإلهنا ومخلّصنا، وملكنا كلنا، يسوع المسيح".

يقول السّعب: "آمين".

فيقول الكاهن: لكي يكون لنا نحن المتناولين منهما إيماناً بغير فحص. ومحبة بغير مراياة. وصبراً كاملاً. ورجاء ثابتاً. وإيماناً وحراسة.

وعافية وفرحاً. وتجديداً للنفْس والجسد والروح. ومجدداً لاسمك القدوس. ومشاركة سعادة الحياة الأبدية، وعدم الفساد. وغفراناً للخطايا.

وهنا يأتي مباشرة في القدّاس الكيرلسي مرد: "كما كان، كذلك يكون، من جيل إلى جيل...". حيث أن الأواشي قد سبق تلاوتها في بداية الأنافورا، طبقاً للتقليد الإسكندري القديم.

وفي السطور القادمة سنتبع ترتيب القدّاس الباسيلي حتى نصل إلى ما يوازيه في القدّاس الكيرلسي ابتداءً من هذا المرد السابق ذكره مباشرة.

فبعد الاستدعاء الأخير للروح القدس في معظم الطقوس الشرقيّة، توجد صلوات توسّل من أجل الأحياء والأموات، وصلوات تضرعية باستثناء ليتورجية القديس مرقس الإسكندرية، والتي تضع هذه الصلوات في القسم الأوّل من الأنافورا. أما الليتورجية الكلدانية فتدخلها قبل استدعاء الروح القدس، أو قرب ذكر الربّ في أنافورا الرُّسل.

وقبل أن نسترسل، علينا الآن أن نحصر الاستدعاءات التي ترد في الليتورجيات القبطية.

### الاستدعاءات في الليتورجيات القبطية

في الطقوس القبطية وفي الثلاثة قدّاسات، هناك الاستدعاء الأوّل في طقس تقديم الحمل. ثم ثلاثة استدعاءات بعده في القدّاس المرقسي وهي كلها للروح القدس. أمّا الليتورجيتان القبطيتان الأخريتان (القدّاسان الباسيلي والغريغوري) فنشتملان على استدعاء آخر بعد هذا الاستدعاء الأوّل، وهو يأتي بعد كلمات التأسيس، وهو للروح القدس أيضاً.

### الاستدعاء الأوّل

يقول الكاهن: "أيها السيّد الرّب يسوع المسيح، الشّريك الذّي، وكلمة الآب ... أظهر وجهك على هذا الخبز، وعلى هذه الكأس ...، باركهما، قدّسهما، طهّرهما، وانقلهما (ορθοξον) (٣٥)، لكي يصير (ἵπτερωπι) (٣٦) هذا الخبز جسدك المقدّس، والمزيج الذي في هذه الكأس يصير دمك الكريم ...".

### الاستدعاء الثّاني

وهو خاص بأنافورا القديّس مرقس الرّسول، ويأتي قبل كلمات التّأسيس، ونصّه: "أملأ هذه الصّعيدة التي لك يارب بالبركة التي من قبلك بجلول روحك القدّوس عليها. وبالبركة بارك، وبالتّقدّيس قدّس، قرابينك هذه المكرّمة السّابق وضعها أمامك، هذا الخبز وهذه الكأس".

### الاستدعاء الثّالث

وهو يأتي بصيغ مختلفة في الأنافورات القبطيّة ويأتي بعد كلمات التّأسيس والتّدكار.

أمّا نصه في أنافورا القديّس مرقس الرّسول فهو: "أرسل إلى أسفل من علوك المقدّس ... روحك القدّوس ... علينا وعلى هذه القرابين التي لك، المكرّمة السّابق وضعها أمامك، على هذا الخبز، وعلى هذه الكأس،

٣٥- هي صيغة الأمر من الفعل ορθοξον ومن بين معانيه الكثيرة: ينقل - يسكب - يحوّل - يغيّر - يبدّل - يقلب - يتجاوز ... الخ.  
٣٦- الفعل ἵπτερωπι يعني: يكون - يصير - يحدث - يصيح.

لكي يتطهرا وينتقلا<sup>(٣٧)</sup>“.

ونصه في القدّاس الباسيلي: ”ونسألك أيها الرّب إلهنا نحن عبيدك الخطاة غير المستحقين ... ليحلّ روحك القدّوس علينا وعلى هذه القرايين الموضوعة، ويطهّرها (وينقلها) ΠΝΕΥΜΑΤΟΣ ἁΓΙΟΥ<sup>(٣٨)</sup>، ويظهرها قدساً لقدسيك“.

فهذا الاستدعاء الثالث بطلب حلول الرّوح القدّس علينا وعلى هذه القرايين، من المؤكّد أنه ابتداء من القرن الرّابع الميلادي قد صار موجوداً بصيغ مختلفة في كل اللّيتورجيّات. وقد اتخذ بمرور الزّمان أهميّة كبرى، ليثبت بوضوح دور الرّوح القدّس في انتقال القرايين المقدّسة إلى جسد المسيح ودمه الأقدسين. ونستطيع أن نتابع من النّصوص التي وصلتنا تطوّر هذا التّوضيح والمعنى الدّقيق لتدخّل الرّوح القدّس. حيث نلاحظ أنه في اللّيتورجيّات القديمة والتي لا تتعدى نصوصها حدود القرن الرّابع تقريباً، أن تدخّل الرّوح القدّس وحلوله على القرايين علينا، قد أخذ عدّة صيغ مختلفة خلّت من التّركيز الشّديد على موضوع ”تحوّل القرايين“ المقدّسة إلى جسد الرّب ودمه.

ففي أنافورا هيبوليتس يقول: ”أرسل روحك القدّوس على تقدمة الكنيسة المقدّسة لكي تجمع في الوحدة كل الذين يتناولون. وأن تملأ النفوس بالرّوح القدّس لتثبيت الإيمان في الحق“.

٣٧- سبق أن ذكرت أن النّص اليوناني للقدّاس المرقسي يقول: ”... لكي يباركا، ويتقدّسا، ويتكمّلا“.

Cf. W.F. Macomber, *op. cit.*, OCP 45 (1979), p. 96.

فلا وجود هنا لكلمة ”ينتقلا“.

٣٨- هو نفس الفعل ὀσιωτεβ.

أما استدعاء الرُّوح القدس في أنافورا الرُّسُل الكلدانيّة فتقول: "ليأت روحك القدُّوس على تقدمة عبيدك هذه، ليباركها، ويقدِّسها، لكي تكون لنا يارب كفارة لهفواتنا، وغفراناً لخطايانا في رجاء قيامة الأموات، وبمجيتك العظيم، والحياة الجديدة في ملكوت السَّموات، مع كل من هم مقبولون لديك".

ونفس هذا التَّموج نجدّه في أنافورا القُدِّيس باسيليوس القديمة جداً، والتي يحتمل أن هذه الصَّلَاة وهي طلب حلول الرُّوح القُدُّوس على القرايين لكي تنال القرايين كامل معناها<sup>(٣٩)</sup>.

فيقول مخطوط الدَّير الأبيض بسوهاج: "ونتضرّع إليك يا إلهنا نحن الخطاة وغير المستحقِّين والمساكين، ونسجد لك بمسرةٍ صلاحك. لكي يأتي روحك القدُّوس علينا وعلى هذه القرايين الموضوعه لكي يقدِّسها ويظهرها قُدسات للقُدِّيسين".

وفي ليتورجيّة كليمنديس "كتاب عهد الرّب"، يقول النّص: "الأسقف: امنحنا وحدة الرّأي بالرُّوح القُدُّوس، واشف نفوسنا بواسطة هذا القُربان، لكي نحيا بك إلى دهر الدُّهور". فيقول الشَّعب: آمين.

ولكن في مقابل ذلك نجد أن الاستدعاء في قدّاس سراييون هو لأقنوم الابن، وليس لأقنوم الرُّوح القُدُّوس. فيقول: "يا إله الحق<sup>(٤٠)</sup>، فليأت كلمتك القدُّوس على هذا الخبز، لكي يصير الخبز جسداً للكلمة. وعلى هذه الكأس، لكي يصير الكأس دم الحق. واجعله دواء الحياة، لكي يتناول منه كل المشتركين شفاءً لكل

٣٩- الطقوس الشَّرقيّة، مرجع سابق، ص ١١٥، ١١٦

٤٠- مزمور ٦: ٣٠



مرض، ونوالاً للقوة لكل نحو وفضيلة، وليس للدينونة<sup>(٤١)</sup>، ولا للآزدراء، ولا للخزي يا إله الحق<sup>(٤٢)</sup>“.

ومن المعروف أن أقدم استدعاء في ليتورجية القُدَّاس الإلهي هو لأقنوم اللوغوس (أقنوم الابن). وقد بدأ استدعاء الرُّوح القدس، الأقنوم الثالث، في كنيسة مصر حوالي سنة ٤٠٠م<sup>(٤٣)</sup>.

### الاستدعاء الرَّابِع

وهو يعقب الاستدعاء الثالث مباشرة، وهو لطلب حلول الرُّوح القُدَّس، ليجعل الخبز جسد المسيح، والخمر دمًا له. وهذا الاستدعاء يتبدئ بقول الشَّمَّاس: ”ننصت“. ثم يقول الكاهن جهراً: ”وهذا الخبز يجعله (ἡτεράει)<sup>(٤٤)</sup> جسداً مقدساً له ... وهذه الكأس أيضاً

٤١- كولوسي ١: ١١-٣٤

٤٢- مزبور ٣٠: ٦

43- Gregory Dix, Dom, *The Treatise on The Apostolic Tradition of St. Hippolytus of Rome*, op. cit., p. LIX.

٤٤- النَّصَّ اليوناني - وهو الأصل الذي دُوِّنَ به القُدَّاس - لعبارة ”وهذا الخبز يجعله جسداً مقدساً له“ هو: Καί ποιήσει τὸν μὲν ἄρτον τοῦτον γίνεσθαι εἰς τὸ ἅγιον σῶμα ἡο γίνομαι. كما أن الفعل الأساسي هنا هو γίνεσθαι ... ποιήσει وأصل الفعل هو ἡτεράει وأصله هو ἡτε. وكلا الفعلين اليوناني والقبطي يعنيان: ”يجعل ويصير“، ولكن أي منهما لا يفيد معنى ”التَّحوُّل“.

ونفس هذا الفعل القبطي ἡτε يتكرَّر في مرد عيد عرس قانا الجليل حين نقول: ”بارك المياه فصيرها خمرًا - ἡτεράει τὸν ἕρπον ἡτεράει τὸν ἕρπον“. ولكننا لو عدنا إلى رواية الإنجيل المقدَّس عن معجزة تحويل الماء إلى خمر في عرس قانا الجليل نقرأ في الترجمة العربية البيروتية: «... فلما ذاق رئيس المتكأ الماء المتحوَّل خمرًا...» (يوحنا ٢: ٩)، فنجد أن كلمة ”التَّحوُّل“ ترد في النَّصَّ اليوناني γεγενημένον وأصل الفعل هو γίνομαι أي: ”يجعل أو يصير“. ولقد جاءت ترجمة هذه الكلمة

دماً كريماً للعهد الجديد الذي له“. ويجيب الشعب: ”أمين“.

ولقد ركّزت الليتورجيات السريانيّة والبيزنطيّة على هذا الاستدعاء الرَّابع، فصار في هذه الكنائس محوراً أساسياً تدور حوله كل الليتورجيا. ولقد انتقل هذا الأمر - بلا أيّ داع - في العصور المتأخرة إلى الكنيسة القبطيّة، التي تحمل ليتورجيتها ثلاثة استدعاءات أخرى كاملة، لا تقل أهميّة عن هذا الاستدعاء الرَّابع.

وعن هذا الاستدعاء يقول البابا غبريال الخامس (١٤٠٩ - ١٤٢٧م) في كتابه: ”التّرتيب الكنسي“ ما يلي: ”وإذا صرخ الكاهن بعد هذا السرّ العظيم، وقال: (وهذا الخبز)<sup>(٥)</sup> يرشم الكاهن في هذه الكلمة ثلاثة رشومات على القربانة خاصة قبل أن يقول: (يجعله جسداً مقدّساً له). فإنه من حين يقول (يجعله) كامل جسد المسيح الذي أخذه من مريم العذراء وأعطاه لتلاميذه الأطهار وقَبِلَ به الآلام المحيية، وكفن وقبر وقام من بين الأموات، وصعد به إلى أعالي السّموات، ويأتي به أيضاً لإدانة الأحياء والأموات. وإذا قال: ”رُبنا وإلهنا ومخلصنا“ إلى آخرها، تكون يدي الكاهن مبسطين أمام الجسد الطاهر، خاضعاً برأسه للمسيح وكذلك الشعب أيضاً. وإذا قال: ”وهذه الكأس أيضاً“ يرشم أيضاً في هذه اللفظة على الكأس ثلاثة رشومات قبل أن يقول ”دماً كريماً للعهد الجديد الذي له“. فإنه من حين يقول ”دماً كريماً“ صار الخمر الموضوع

اليونانيّة γεγεννημένον في كافة التّرجمات الإنجليزيّة والفرنسيّة للكتاب المقدّس بمعنى ”يصبح أو يصير - having become - now become - devenue“.

Cf. also, William F. Arndt & Wilber Gingrich, *A Greek - English Lexicon of the New Testament and other Early Christian Literature*, London, 1957, p. 158.

٤٥ - كل ما يرد في هذه الفقرة بين قوسين ( ) قد ورد في الكتاب المذكور بالقبطيّة فقط.

أمامه دم المسيح المسفوك على عود الصليب الذي أعطاه لتلاميذه الأَطهار، وقال هذا هو دمي المسفوك على عود الصليب عن خلاص آدم وذريته. خذوه مغفرة لخطاياكم. وإذا قال بعد ذلك أيضاً "ربنا وإهنا ومخلصنا يسوع المسيح" إلى آخرها تكون يدا الكاهن مبسطتين خاضعاً للرب هو والشعب أيضاً. فمن هنا ما صار للكاهن سلطان أن يرشم رشمًا واحداً، ولا يلتفت لا لرئيس ولا لمرؤوس. فإن المسيح قدماه ذبيحاً. فيصير الأمر له، والطلب إليه أولاً وأخيراً. بل تصير الرشومات من ها هنا منه وإليه. وبهذه الرشومات الستة المذكورة يكمل على الخبز والخمر ١٨ رشمًا، وكذلك على الشعب والخدام. والكاهن كما تقدّم ١٨، الجملة ٣٦ رشمًا، فاعتمد ذلك من غير زيادة ولا نقص. وما عدا ذلك ليس له قاعدة وجاهل من فاعله" (٤٦).

ويكرّر البابا غبريال الخامس ما سبق أن قاله للتوّ، فيقول أيضاً: "إن المسيح صار بين يدي الكاهن ذبيحاً. فمن ها هنا فما صار للكاهن سلطان أن يبارك. فإن الكبير إذا كان حاضراً فلا يجوز لأحد أن يبارك، كما أن البطريرك أو الأسقف إذا كان حاضراً، لا يجوز لأحد أن يبارك. وإذا وصل إلى هذا، صار الخبز جسداً و صار الخمر دماً، فصار لا يجوز لأحد أن يبارك" (٤٧).

٤٦ - البابا غبريال الخامس، الترتيب الطقسي، مرجع سابق، ص ٧٩، ٨٠.

٤٧ - نفس المرجع، ص ٨٠، ٨١.

وإنه من المدهش حقاً أن كتاب "سرّ الثالوث في خدمة الكهنوت" لوأحد من معلّمي البيعة في القرون الوسطى يذكر نفس هذه الفقرة تماماً بنصّها، مما يتّضح معه أن البابا غبريال الخامس ينقل من مصدر قديم، كما نقل منه أيضاً الكتاب المذكور بنفس منطوق الكلمات كما في المتن.

انظر: كتاب سرّ الثالوث في خدمة الكهنوت، لمعلّمي البيعة، ناشره جرجس فيلوثاؤس

عوض، مرجع سابق، ص ٢٤، ٢٥.

ومن قول معلّم البيعة في القرون الوسطى: "... وبعدها لا يجوز للكاهن أن يصلّب، لكن يدور نحو الشعب ويصلّب يديه على بعضهما بعضاً، ويبارك عليهم، ويقف مجانباً إلى ناحية الشمال ووجهه إلى ناحية اليمين، ولا يرشم. فإن من حين قوله: هذا الخبز وهذه الكأس، فصار الحكم للحسد ... " (٤٨).

وتشهد مواعظ القدّيس كيرلس الأورشليمي (٣١٥-٣٨٦م) على التّركيز الشّديد على هذا الاستدعاء الأخير، وكذلك ليتورجيّة المراسيم الرّسوليّة، وعلى وجه الخصوص أنافورا القدّيس يعقوب أخي الرّب في أقدم صورها. وفي كل هذه يُطلب بوضوح أن يُرسل الله الآب الرّوح القدس لكي يجعل من الخبز حسد المسيح، ومن الخمر دمه. وهذا التّحديد قد دخل شيئاً فشيئاً في كافة اللّيتورجيّات الشّرقيّة، حيث نجد تعبيره الأكمل في أنافورا القدّيس يوحنا ذهبي الفم البيزنطيّة: "نقدّم لك هذه العبادة النّاطقة وغير الدّمويّة، ونطلب ونتضرّع ونسأل أن ترسل روحك

وحدير بالذّكر أنه يعقب هذه الفقرة التي في المتن فقرات أخرى مطوّلة - لم أدونها في المتن - وُحِدَتْ بنصّها في كل من كتابي "التّرتيب الطّقسي"، و"سرّ الثّالوث في خدمة الكهنوت". مما يعني أن هذين الكتابين ينقلان من مصدر أقدم منهما.

وبرغم ذلك، وبرغم أن خولاجي سنة ١٩٠٢م أعاد تدوين ما ذكره البابا غريغال الخامس، إلا أن البعض لا زال حتى اليوم يطلب الحل من الكاهن الخدم قبل التّناول مباشرة، فإن كان لا يجوز لأحد أن يبارك في هذا الوقت بالذات، فهل يحق له أن يحال؟! إنه من الغريب على الطّقس القبطي أن يحدث هذا، لأن اللّيتورجيّة القبطيّة هي الوحيدة بين كافة اللّيتورجيّات الشّرقيّة والغربيّة التي تحوي تحليلاً يقوله الكاهن الخدم قرب نهاية القدّاس، وبعد الصّلاة الرّبّيّة، وقبل قوله: "القدّسات للقدّسين"، وهو تحليل لجميع الحاضرين المزمعين التّقدّم للتّناول من الأسرار المقدّسة، وهو تحليل ذو منطوق ليتورجيّ حاذق، يدرك تماماً معنى وجود المسيح على المذبح.

٤٨ - كتاب سرّ الثّالوث في خدمة الكهنوت، لمعلّمي البيعة، ناشره جرجس فيلوثاؤس

القدّوس علينا وعلى هذه القرايين الموضوعة، واجعل من هذا الخبز جسّد مسيحك المكرّم<sup>(٤٩)</sup>، وأما ما في هذه الكأس، فدم مسيحك المكرّم<sup>(٥٠)</sup>. باركهما يا سيّد. كليهما، محوّلًا إياهما بروحك القدّوس<sup>(٥١)</sup>.”

وتظهر حرارة هذا التّوسّل من ركوع وسجود الخدّام. وفي عصر قريب أدخلت بعض كنائس الطّقس البيزنطي - ربما تحت تأثير روح مقاومة اللاتين - طروباريّة من خدمة يوم العنصرة إلى صلاة استدعاء الرّوح القدّوس التّقليديّة<sup>(٥٢)</sup>.

أما الكنيسة الغربيّة، فحين علّمت أن الاستحالة تحدث عند نطق الكاهن بكلمات التّأسيس: ”خذوا كلوا هذا هو جسدي، خذوا اشربوا هذا هو دمي“، فمن ثمّ لم يعد معنى لاستدعاء الرّوح القدّوس ليحل على القرايين، فكان أن حذفّت كنيسة روما صلاة استدعاء الرّوح القدّوس من قدّاسها اللاتيني منذ القرن الرّابع.

ولم تعد صلاة الاستدعاء هذه مرّة أخرى إلى اللّيترجيّة الرّومانيّة إلاّ في سنة ١٩٦٨م بعد الجمع الفاتيكاني الثّاني، وذلك قبل كلمات التّأسيس، ونصّها هو:

”أنت حقاً قدّوس، أنت ينبوع القداسة، فنطلب إليك يارب، قدّس هذه القرايين بجلول روحك القدّوس عليها، لتصير لنا جسّد

٤٩- هنا يقول الشّمّاس: ”أمين“. وهذا هو الفرق الواضح والكبير بين التّقليد القبطي والتّقليد البيزنطي. وهو أنه في التّقليد القبطي يكون المرد ”أمين“ هو من نصيب الشّعب وليس الشّمّاس كما في الطّقس البيزنطي.

٥٠- يقول الشّمّاس: ”أمين“.

٥١- يقول الشّمّاس: ”أمين. أمين. أمين.“.

٥٢- الطّقوس الشّرقيّة، مرجع سابق، ص ١١٧

ودم يسوع ربّنا“.

### حول مفهوم الاستحالة الجوهرية<sup>(٥٣)</sup> Transubstantiation

”الاستحالة الجوهرية“ مصطلح لاتيني يختص باللاهوت الإفخارستي الغربي، وقد تقنّن في القرن الثالث عشر الميلادي، وهو التّعليم الذي يحاول الولوج إلى قلب السّر نفسه، وشرح كيفية حضور المسيح في سر الإفخارستيا بأسلوب فلسفي!. أما مضمونه فهو أن عنصري الذبيحة، أي الخبز والخمر ”يتحوّل جوهرهما“ إلى جسد المسيح ودمه الأقدسين، ولا يبقى منهما سوى العرّض فقط. أو بتعبير آخر، أن الخبز والخمر بعد التّقدّيس لا يصيران موجودين بعد، بل عرّضهما فقط.

وهو اللاهوت المبني على فلسفة أرسطو (٣٨٤-٣٢٢ ق.م) الفيلسوف اليوناني، القائلة أن لكل مادة جوهر essence - substantia الذي هو حقيقة المادة، وعرّض forma - accident أي مظهر هذه المادة وصفاتها المدركة بالحواس.

ولقد تغلغل هذا التّعليم الغربي إلى اللاهوت الأرثوذكسي، وأصبح شرح ما يحدث في السّر المقدّس بتعبيرات عن الجوهر والعرّض عقبة في سبيل قبول مبدأ أن حضور المسيح في الأسرار لا يُقبل بغير الإيمان<sup>(٥٤)</sup>.

بدأ هذا الموضوع يشغل الفكر الغربي منذ القرنين الثّامن والتّاسع والعاشر

٥٣- انظر للمؤلف: معجم المصطلحات الكنسيّة، الجزء الأوّل، ص ٧٨ وما بعدها.

٥٤- انظر مثلاً: المطران سويرس زكا عيواص، والأب الرّبان اسحق ساكا، الأسرار السّبعة بحسب معتقد وطقس الكنيسة السّريانيّة الأرثوذكسيّة، طبعة أولى، بغداد، ١٩٧٠م، ص ٩٢، ٩٥.

للميلاد، مع ظهور "اللاهوت المدرسي" (٥٥)، وانتشر كثيراً منذ القرن الثاني عشر، وتحدّد كعقيدة كاثوليكية في مجمع لاتيران Lateran سنة ١٢١٥م، وبلغ ذروته على يد توما الأكويني (١٢٢٥ - ١٢٧٤م). وفي مجمع ترنت Trent (١٥٤٥ - ١٥٦٣م) أُعيد التأكيد على هذه العقيدة لكن بقدر أقل قدرأ في التعبيرات الفلسفية.

لقد كان بحث وقت وكيفية حضور المسيح في سر الإفخارستيا، واستحالة القرابين إلى جسد الربّ ودمه، هو أحد أهم الفلسفات اللاهوتية التي تعرّض لها السرّ في الغرب.

فهن وقت حدوث الاستحالة الجوهرية علّمت الكنيسة الغربية منذ القرن الرابع أنها تحدّث لحظة نطق الكاهن بكلمات التأسيس: "خذوا كلوا هذا هو جسدي، خذوا اشربوا هذا هو دمي".

ولم تقف الكنيسة اليونانية صامته أمام هذا التعلّم، بل علّمت في المقابل أن التّقدّيس يتحقّق فقط بحلول الرّوح القدس وحده (٥٦). ولم يمنع الانقسام الخلقيدوني في ذلك الوقت من دخول هذا التعلّم إلى بعض الكنائس الأرثوذكسية الأخرى في الشّرق عن طريق الكنيسة اليونانية.

---

٥٥- اللاهوت المدرسي: هو اللاهوت الذي يعتمد على المنطق والفلسفة في إثبات العقيدة، بعيداً عن التحامه بالبتورجيا. ولا نستطيع أن نغفل تأثير هذا اللاهوت المدرسي على الكنيسة الأرثوذكسية في الشّرق بدءاً من القرن الثاني عشر حتى منتصف القرن العشرين تقريباً. بل لازال هذا التعلّم الغربي يتردّد في تعاليم بعض معلمي الكنيسة الأرثوذكسية حتى اليوم.

٥٦- يؤكّد القديس يوحنا الدمشقي (٦٧٥ - ٧٤٩م) قائلاً: [إن التّقدّيس لا يتحقّق بالرشومات أو برواية التأسيس، أي كلمات الربّ "خذوا كلوا هذا هو جسدي... خذوا اشربوا هذا هو دمي..."]، بل بحلول الرّوح القدس وحده].

أما التّعليم الغربي عن كَيْفِيَّةِ حدوث هذه الاستحالة الجوهرية Transubstantiation ، فقد قابله تعليم مضاد لتعليم "الاستحالة الجوهرية"، عُرِفَ باسم Consubstantiation وهو التّعليم المنسوب أصلاً إلى مارتن لوثر<sup>(٥٧)</sup> Marten Luther (١٤٨٣ - ١٥٤٦م) مؤسس المذهب البروتستنتي، والذي يقول: إن جسد المسيح ودمه موجودان جنباً إلى جنب في وحدة co exist in union مع الخبز والخمر. فجوهر الخبز والخمر لا يتحوّلان، بل يُضاف إليهما جوهر جسد المسيح ودمه. وقد شبّه لوثر ذلك الأمر بالحديد الذي يوضع في الثّار، فيبقى جوهر الحديد على ما هو عليه، ولكن يُضاف إليه جوهر الثّار. فلم يرفض لوثر "الحضور الحقيقي" للمسيح في سرّ الإفخارستيا<sup>(٥٨)</sup>، ولكنه رفض مفهوم أو عقيدة "التّحول الجوهري". ولقد حرمت الكنيسة الكاثوليكية تعليم لوثر في المجمع التريدينتيني (١٥٤٥ - ١٥٦٣م)، وهو المجمع الذي تبنّى هذه العقيدة.

وفي الشّرق، وفي القرن الخامس عشر، تبنّت الكنيسة البيزنطية تعبير μετασώσις لتشير به إلى تعليم مطابق إلى حد كبير للتّعليم الغربي عن الاستحالة الجوهرية، وأعطته صيغة قانونية مناسبة في القرن السابع عشر في مجمع أورشليم الذي عُقد سنة ١٦٧٢م<sup>(٥٩)</sup>.

وفي سنة ١٦٧٣م أعلنت الكنيسة الأنجليكانية من جانبها رفضها

57- ODCC., (2nd edition), p. 340.

٥٨ - لم تلتزم كل الكنائس البروتستنتية بتعليم لوثر عن حضور المسيح في سرّ الإفخارستيا، فبعض منها يتكلم عن نوع من الحضور الرّوحي، وما الإفخارستيا سوى ذكرى موت المسيح وقيامته، ومن خلال هذه الذكرى يصير المسيح حاضراً في الاحتفال الإفخارستي بمجمله، الذي تدعوه تلك الكنائس "عشاء الرّب".

انظر: الأب سليم بسترس، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر، الجزء الثالث، منشورات المكتبة البولسية، ١٩٨٨م، ص ١٧٧

59- ODCC., (2nd edition), p. 384.



الكامل لتعليم "الاستحالة الجوهرية"، قائلة ليس هناك أي استحالة في سر العشاء الرباني، أو لعنصري الذبيحة، أي الخبز والخمر أثناء أو بعد التقدّيس (٦٠).

وجدير بالذكر أنه لم تخلُ كتابات الآباء (٦١) من الحديث عن التحوّل الذي يجري للخبز والخمر في سر الإفخارستيا، ولكن ليس مفهوم "الاستحالة الجوهرية" كما في اللاهوت الغربي. فعلى سبيل المثال يقول القديس كيرلس الكبير (٤١٢-٤٤٤م) في شرحه لإنجيل القديس متى: [ ... لكي تعرف أنه بفضل قدرة الله الضابط الكل الفاتحة كل وصف، قد تحوّلت μεταποιεῖσθαι القرابين بالحقيقة إلى جسد المسيح ودمه (٦٢). ]

فبحسب فكر آباء الكنيسة، نحن نتناول جسد المسيح الحقيقي في صورة الخبز، ونتناول دم المسيح الكريم في صورة الخمر. فحضور المسيح في الأسرار ليس حضوراً مادياً، ولا حضوراً روحياً، بل هو حضور سري وحقيقي في آن معاً.

ولقد حافظ اللاهوت الأرثوذكسي على تعليم الآباء الذي يؤكد على الحضور الحقيقي للمسيح في سر الإفخارستيا، وتحوّل الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه، دون محاولة تفسير هذا التحوّل بلغة الفلسفة، إذ يرفض اللاهوت الأرثوذكسي مفهوم تحوّل جوهر الخبز والخمر في

60- Ibid., p. 384.

٦١- مثل القديس كيرلس الأورشليمي (٣١٥-٣٨٦م)، والقديس غريغوريوس النيسى (٣٣٠-٣٩٥م)، والقديس أمبروسيوس (٣٣٩-٣٩٧م)، والقديس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧-٤٠٧م)، وآخرون.

أما التّعليم الغربي عن كَيْفِيَّة حدوث هذه الاستحالة الجوهريّة Transubstantiation ، فقد قابله تعليم مضاد لتعليم "الاستحالة الجوهريّة"، عُرِف باسم Consubstantiation وهو التّعليم المنسوب أصلاً إلى مارتن لوثر<sup>(٥٧)</sup> Marten Luther (١٤٨٣ - ١٥٤٦م) مؤسس المذهب البروتستنتي، والذي يقول: إن جسد المسيح ودمه موجودان جنباً إلى جنب في وحدة co exist in union مع الخبز والخمر. فجوهر الخبز والخمر لا يتحوّلان، بل يُضاف إليهما جوهر جسد المسيح ودمه. وقد شبّه لوثر ذلك الأمر بالحديد الذي يوضع في النّار، فيبقى جوهر الحديد على ما هو عليه، ولكن يُضاف إليه جوهر النّار. فلم يرفض لوثر "الحضور الحقيقي" للمسيح في سرّ الإفخارستيا<sup>(٥٨)</sup>، ولكنه رفض مفهوم أو عقيدة "التّحول الجوهري". ولقد حرمت الكنيسة الكاثوليكيّة تعليم لوثر في الجمع التّريدينتي (١٥٤٥ - ١٥٦٣م)، وهو الجمع الذي تبنّى هذه العقيدة.

وفي الشّرق، وفي القرن الخامس عشر، تبنّت الكنيسة البيزنطيّة تعبير μετασώσις لتشير به إلى تعليم مطابق إلى حد كبير للتّعليم الغربي عن الاستحالة الجوهريّة، وأعطته صيغة قانونيّة مناسبة في القرن السّابع عشر في مجمع أورشليم الذي عُقد سنة ١٦٧٢م<sup>(٥٩)</sup>.

وفي سنة ١٦٧٣م أعلنت الكنيسة الأنجليكانيّة من جانبها رفضها

57- ODCC., (2nd edition), p. 340.

٥٨ - لم تلتزم كل الكنائس البروتستنتيّة بتعليم لوثر عن حضور المسيح في سرّ الإفخارستيا، فبعض منها يتكلم عن نوع من الحضور الرّوحي، وما الإفخارستيا سوى ذكرى موت المسيح وقيامته، ومن خلال هذه الذكرى يصير المسيح حاضراً في الاحتفال الإفخارستي بمجمله، الذي تدعوه تلك الكنائس "عشاء الرّب".

انظر: الأب سليم بسترس، اللاهوت المسيحي والإنسان المعاصر، الجزء الثالث، منشورات المكتبة البولسية، ١٩٨٨م، ص ١٧٧

59- ODCC., (2nd edition), p. 384.

الكامل لتعليم "الاستحالة الجوهرية"، قائلة ليس هناك أي استحالة في سر العشاء الرباني، أو لعنصري الذبيحة، أي الخبز والخمر أثناء أو بعد التّقدّيس<sup>(٦٠)</sup>.

وجدير بالذكر أنه لم تخلُ كتابات الآباء<sup>(٦١)</sup> من الحديث عن التّحوّل الذي يجري للخبز والخمر في سر الإفخارستيا، ولكن ليس بمفهوم "الاستحالة الجوهرية" كما في اللاهوت الغربي. فعلى سبيل المثال يقول القديس كيرلس الكبير (٤١٢-٤٤٤م) في شرحه لإنجيل القديس متى: [ ... لكي تعرف أنه بفضل قدرة الله الضّابط الكل الفاتحة كل وصف، قد تحوّلت μεταποιεῖσθαι القرابين بالحقيقة إلى جسد المسيح ودمه<sup>(٦٢)</sup> ].

فبحسب فكر آباء الكنيسة، نحن نتناول جسد المسيح الحقيقي في صورة الخبز، ونتناول دم المسيح الكريم في صورة الخمر. فحضور المسيح في الأسرار ليس حضوراً مادياً، ولا حضوراً روحياً، بل هو حضور سري وحقيقي في آن معاً.

ولقد حافظ اللاهوت الأرثوذكسي على تعليم الآباء الذي يؤكّد على الحضور الحقيقي للمسيح في سر الإفخارستيا، وتحوّل الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه، دون محاولة تفسير هذا التّحوّل بلغة الفلسفة، إذ يرفض اللاهوت الأرثوذكسي مفهوم تحوّل جوهر الخبز والخمر في

60- *Ibid.*, p. 384.

٦١- مثل القديس كيرلس الأورشليمي (٣١٥-٣٨٦م)، والقديس غريغوريوس النّيسي (٣٣٠-٣٩٥م)، والقديس أمبروسوس (٣٣٩-٣٩٧م)، والقديس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧-٤٠٧م)، وآخرون.

الإفخارستيا Transubstantiation وهو التعلّم الكاثوليكي، ويرفض أيضاً مفهوم وجود الجوهرين معاً Consubstantiation، أي جوهر الخبز والخمر من جهة، وجوهر جسد المسيح ودمه من جهة أخرى، وهو التعلّم اللوثرى، فجسد المسيح لا يكون مكان جوهر الخبز، كما يقول الكاثوليك، ولا معه، ولا فيه، كما يقول لوثر، بل بحسب اللاهوت الأرثوذكسي "هو" هذا الخبز بعد تقدّسه.

فألرب حين أخذ خبزاً، شكر وبارك وكسّر وأعطى التلاميذ قائلاً: «خذوا كلوا هذا هو جسدي»، وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً: «خذوا اشربوا ... هذا هو دمي» (متى ٢٦: ٢٦، ٢٧). «الخبز الذي أنا أعطى هو جسدي الذي أبدله من أجل حياة العالم» (يوحنا ٦: ٥١).

وبحسب القدّيس إيريناؤس (١٣٠ - ٢٠٠ م) إن الخبز الإفخارستي، باستدعاء الرّوح القدّس، لا يحجب حضوراً آخر، بل يوحد الطّعام السّماوي وطعام الأرض، إذ يجعلهما الشّيء نفسه<sup>(٦٣)</sup>، وهذا هو السرّ.

ويقول إيدوكيموف Evdokimov في كتابه "الأرثوذكسية":  
 "إن خطأ العقيدة يقوم على الاهتمام بالموضوع وليس بالشخص، بالخبز وليس بالإنسان. يجب ألاّ نحلّل المعجزة على غرار التحليل الكيميائي، تبعاً لحواسنا، بل يجب بالبحري أن نتهم حواسنا بأنّها لا ترى المعجزة الحقيقيّة، الحقيقة السّماوية، هناك شبهة مع معجزة تجلّي المخلّص على جبل تابور. فليس المسيح هو الذي تغيّر، بل أعين الرّسل التي تفتح زهاء لحظة ... الشّرقيّون ينظرون بعين الإيمان

ويرون لأوّل وهلة الجسد والدّم، ولا شئ سوى ذلك<sup>(٦٤)</sup>..

والآن، ومع تقدّم العلوم وظهور النظريّات العلميّة الحديثة عن تركيب المادة، اتّهدمت نظريّة أرسطو عن الجوهر والعرض، وبالتّالي التّعليم عن "الاستحالة الجوهريّة - Transubstantiation"، فجميع المحاولات لشرح ما يحدث في الإفخارستيا بتعابير عن الجوهر والعرض، باءت بالفشل. والليّتورجيات الشّرفيّة لا زالت حتى اليوم نقية تنظر بعين الإيمان إلى عمانوئيل الكائن على المذبح، جسداً حقيقياً، ودماً حقيقياً، دون تفلسف أن تحليل عقلائي.

وأخيراً عاد اللاهوتيّون البروتستنت إلى تدارك القصور في تعليم الـ Consubstantiation، بعد أن ظلّوا يدافعون عنه مئات السنين.

وصار كثيرٌ من اللاهوتيّين الأرثوذكس في العصر الحديث يتفادون تعليم "الاستحالة الجوهريّة"، وبالتّالي المصطلح اليوناني μετουσίωσις بسبب ارتباطه الوثيق باللاهوت المدرسي اللاتيني<sup>(٦٥)</sup>.

وهكذا عادت الكنيسة الجامعة في هذا الشّأن إلى تعليم الآباء، فالخبز والخمر بكلمات التّقدّيس واستدعاء الرّوح القدس ينتقلان ليصيروا جسد المسيح ودمه الأقدسين، وهذا هو التّعبير الدّقيق في نص صلوات الليّتورجيا القبطيّة. ومن جهة أخرى لا يمكننا أن نقصر تقدّيس عنصرَي الذّبيحة في القداس الإلهي على لحظة واحدة دون غيرها، أو على منطوق بعينه دون غيره.

## أسئلة يلزم التَّعرُّف على إجاباتها

- هل يتم تقدّيس القرايين أثناء كلمات التأسيس، أم أثناء حلول أو استدعاء الرُّوح القُدّس؟.
- هل يقوم أقنوم الابن بدور إيجابيّ في سرّ الإفخارستيا؟، أم تستحيل القرايين المقدّسة بواسطة الرُّوح القُدّس فقط؟.
- هل يحل الرُّوح القُدّس على القرايين وحدها، أم علينا نحن أيضاً، لكي يهبنا الاستحقاق للتناول؟.

لقد كان قدّاس ما قبل نيقيّة يتكوّن من صلاة واحدة على الخبز والخمر. وقد أشرتُ إلى جانب من هذه الصلّاة في الفصول السّابقة. وبتلك الصلّاة كان الخبز والخمر ينتقلان إلى جسد المسيح ودمه الأقدسين. ولم يقم في كنيسة ما قبل نيقيّة أي جدال عن اللّحظة التي تتم فيها استحالة القرايين، وذلك لأن القُدّاس الإلهي كان يحوي صلاة واحدة. وهذه الصلّاة في كنيسة روما كانت قصيرة جداً، وفي الكنائس الأخرى كانت هناك نصوص لصلوات أخرى أطول نوعاً. وكان لكل أسقف فيما قبل نيقيّة الحرّيّة في صياغة صلاة الإفخارستيا. ولكن بعد دخول صلوات ليتورجيّة أخرى قبل وبعد هذه الصلّاة الإفخارستيّة الأوليّة البسيطة، ظهرت محاولات لاستنباط لحظة بعينها تنتقل فيها العناصر إلى جسد المسيح ودمه الكريمين، من خلال كتابات الآباء التي لم تكن تتحرّز للحظة بذاتها دون أخرى.

فلقد تحدّث بعض آباء الكنيسة عن أهميّة كلمات التأسيس "هذا هو جسدي ... هذا هو دمي" في تقدّيس الإفخارستيا، كما عند القديس أمبروسيوس (٣٣٩-٣٩٧م) أسقف ميلان، الذي قال إن التقدّيس يتحقّق

بكلمات الرب يسوع<sup>(٦٦)</sup>، وكذلك القديس غريغوريوس النيسي (٣٣٥-٣٩٥م) في آسيا الصغرى<sup>(٦٧)</sup>. وهي تقاليد تعود بالتأكيد إلى القرن الثالث على أقل تقدير. ولكن كلامهم لم يكن يعني تحديد لحظة بعينها بقدر ما كان شرح وتوضيح لأهمية كلمات التأسيس في تقديس الأسرار إلى جانب عمل الروح القدس في تقديس الأسرار. فالقديس يوحنا ذهبي الفم يتكلم تارة عن أن الذي يحول القرايين إلى جسد المسيح ودمه، ليس إنسانا بل المسيح نفسه الذي صلب عنا<sup>(٦٨)</sup>، يتكلم تارة أخرى عن تقديس الأسرار الذي يتم بواسطة الروح القدس، فيقول:

[عندما يقف الكاهن أمام المائدة، رافعاً يديه إلى السماء، مستدعياً الروح القدس لينزل ويلمس العناصر، يصير هدوءاً عظيم، وصمتاً كاملاً، حين يمنح الروح نعمته عندما يتزل، حين ترون الحمل تقدس واكتمل]<sup>(٦٩)</sup>.

وهكذا لا يمكن فصل عمل المسيح في سر الإفخارستيا عن عمل روحه القدس فيه، لأنه إن كان الابن قد تجسد، فقد كان ذلك بواسطة الروح القدس.

أما في الأصل فقد كانت عقيدة حلول "الكلمة" في الخبز والخمر لتقديسهما ولصيورهما جسد ودم المسيح الكلمة، هي التقليد الكنسي الشائع قبل نيقية<sup>(٧٠)</sup>. ففي مصر وعند القديس سريانيون، يكون التقديس باستدعاء أقنوم الابن على الخبز والخمر. ويقول القديس

66- de Mysteryis, ix. 52.

67- Oratio Catechetica, 37.

68- de Prod. Judae, i.6.

69- Cf. Gregory Dix, Dom, *op. cit.*, p. 381.

70- Gregory Dix, Dom, *op. cit.*, p. 276.

## أسئلة يلزم التعرف على إجاباتها

- هل يتم تقديس القرايين أثناء كلمات التأسيس، أم أثناء حلول أو استدعاء الرُّوح القُدَّس؟.
- هل يقوم أقنوم الابن بدور إيجابي في سرّ الإفخارستيا؟، أم تستحيل القرايين المقدَّسة بواسطة الرُّوح القُدَّس فقط؟.
- هل يحل الرُّوح القُدَّس على القرايين وحدها، أم علينا نحن أيضاً، لكي يهبنا الاستحقاق للتناول؟.

لقد كان قُدَّاس ما قبل نيقية يتكوّن من صلاة واحدة على الخبز والخمر. وقد أشرتُ إلى جانب من هذه الصلّاة في الفصول السّابقة. وبتلك الصلّاة كان الخبز والخمر ينتقلان إلى جسد المسيح ودمه الأقدسين. ولم يبق في كنيسة ما قبل نيقية أي جدال عن اللّحظة التي تتم فيها استحالة القرايين، وذلك لأن القُدَّاس الإلهي كان يحوي صلاة واحدة. وهذه الصلّاة في كنيسة روما كانت قصيرة جداً، وفي الكنائس الأخرى كانت هناك نصوص لصلوات أخرى أطول نوعاً. وكان لكل أسقف فيما قبل نيقية الحرّية في صياغة صلاة الإفخارستيا. ولكن بعد دخول صلوات ليتورجية أخرى قبل وبعد هذه الصلّاة الإفخارستية الأولى البسيطة، ظهرت محاولات لاستنباط لحظة بعينها تنتقل فيها العناصر إلى جسد المسيح ودمه الكريمين، من خلال كتابات الآباء التي لم تكن تتّحيز للّحظة بذاتها دون أخرى.

فلقد تحدّث بعض آباء الكنيسة عن أهميّة كلمات التأسيس "هذا هو جسدي ... هذا هو دمي" في تقديس الإفخارستيا، كما عند القُدَّس أمبروسيو (٣٣٩-٣٩٧م) أسقف ميلان، الذي قال إن التّقديس يتحقّق



بكلمات الرب يسوع<sup>(٦٦)</sup>، وكذلك القديس غريغوريوس النيسي (٣٣٥-٣٩٥م) في آسيا الصغرى<sup>(٦٧)</sup>. وهي تقاليد تعود بالتأكيد إلى القرن الثالث على أقل تقدير. ولكن كلامهم لم يكن يعني تحديد لحظة بعينها بقدر ما كان شرح وتوضيح لأهمية كلمات التأسيس في تقديس الأسرار إلى جانب عمل الروح القدس في تقديس الأسرار. فالقديس يوحنا ذهبي الفم يتكلم تارة عن أن الذي يحوّل القرابين إلى جسد المسيح ودمه، ليس إنسانا بل المسيح نفسه الذي صُلب عنا<sup>(٦٨)</sup>، يتكلم تارة أخرى عن تقديس الأسرار الذي يتم بواسطة الروح القدس، فيقول:

[عندما يقف الكاهن أمام المائدة، رافعاً يديه إلى السماء،  
مستدعياً الروح القدس لينزل ويلبس العناصر، يصير هدوءاً  
عظيم، وصمتٌ كامل، حين يمنح الروح نعمته عندما يترل،  
حين ترون الحمل تقديسًا واكتملًا]<sup>(٦٩)</sup>.

وهكذا لا يمكن فصل عمل المسيح في سرّ الإفخارستيا عن عمل روحه القدوس فيه، لأنه إن كان الابن قد تجسّد، فقد كان ذلك بواسطة الروح القدس.

أمّا في الأصل فقد كانت عقيدة حلول "الكلمة" في الخبز والخمر لتقديسهما ولصيرورهما جسد ودم المسيح الكلمة، هي التقليد الكنسي الشائع قبل نيقية<sup>(٧٠)</sup>. ففي مصر وعند القديس سرياقون، يكون التقديس باستدعاء أقنوم الابن على الخبز والخمر. ويقول القديس

66- de Mysteriis, ix. 52.

67- Oratio Catechetica, 37.

68- de Prod. Judae, i.6.

69- Cf. Gregory Dix, Dom, *op. cit.*, p. 381.

70- Gregory Dix, Dom, *op. cit.*, p. 276.

أثناسيوس الرسولي:

[حينما تُرفع الصَّلوات العظيمة والتَّضرُّعات المقدَّسة،  
ينزل الكَلِمة على الخبز والخمر فيصيران جسده ودمه].

ولم يكن ذلك في مصر وحدها، إذ وُجد أيضاً استدعاء أقنوم الابن لتقدّيس الأسرار في كل من سوريا وكبادوكيا، وفي الطَّقس الغالي في الغرب، وذلك قبل القرن الرَّابِع الميلادي<sup>(٧١)</sup>.

ومنذ حوالي سنة ٣٣٠ بدأ الكلام عن نزول الرُّوح القدُّس على الأسرار<sup>(٧٢)</sup>. أمَّا التَّركيز على استدعاء الرُّوح القدُّس، الأقنوم الثالث من أقانيم الثَّالوث القدُّوس، لتقدّيس الأسرار، فقد ظهر بوضوح في كتابات القدِّيس كيرلس الأورشليمي (٣١٥-٣٨٦م) أولاً<sup>(٧٣)</sup>.

أمَّا يوسابيوس القيصري (٢٦٠-٣٤٠م)، والمعاصر للقدِّيس كيرلس الأورشليمي (٣١٥-٣٨٦م)، فلم يشر في كل كتاباته، ولو مرَّةً واحدة، إلى أن تقدّيس الأسرار يكون باستدعاء الرُّوح القدُّس، الأقنوم الثالث من الثَّالوث. وفي الحقيقة قد اقترب مرَّةً واحدة من ذلك الأمر في شرحه ليوحنا (٦:٦٣) «الرُّوح هو الذي يحيي، أمَّا الجسد فلا يفيد شيئاً»، كإشارة إلى الإفخارستيا.

وأيضاً أفرآت (بواكير القرن الرَّابِع) وهو أوَّل آباء الكنيسة السِّريانيَّة، وهو أسقف من شرق سوريا، فليس عنده أي تعليم عن أن تقدّيس الأسرار يكون بحلول الرُّوح القدُّس، بل هو عمل الابن.

71- Ibid., p. 279.

72- Ibid., p. 279.

73- Ibid., p. 277.

أما القديس أفرآم السرياني (٣٠٦-٣٧٣م) أكبر شعراء السريان، فيقول:  
[إنه المسيح الذي يدعو الخبز جسده، ويملاؤه بنفسه وبالروح].

وعلى ذلك نجد أن القديس كيرلس الأورشليمي هو الوحيد بين معاصريه من السريان الذي يتكلم بوضوح عن عمل الروح القدس في القديس الأسرار. ويُظن أنه كان متأثراً بليتورجية كنيسة أورشليم التي كان يصلي بها. ففي هذه الليتورجية - كما شرحها هو - يقع الفعل الإفخارستي الأساسي على فقرة واحدة، وهي الاستدعاء، ثم على تقريب القرابين الذي يتبع هذا الاستدعاء مباشرة.

وهكذا كان قدّاس كنيسة أورشليم، وهو قدّاس القديس يعقوب أحسى الرب السرياني التقليد هو المصدر الذي انتشر بواسطته التركيز على اقْدوم الروح القدس في تقديس الأسرار<sup>(٧٤)</sup>.

وهكذا انتقل تأثير طقس كنيسة أورشليم إلى باقي الكنائس الشرقيّة الأخرى في أواخر القرن الرابع الميلادي، وأوائل الخامس الميلادي. أمّا الصيغة الليتورجية للاستدعاء، كما ذكرها القديس كيرلس الأورشليمي فقد انتشرت انتشاراً واسعاً وخصوصاً في الشرق<sup>(٧٥)</sup>.

ومما سبق ذكره يتضح لنا أن عقيدة حلول الروح القدس على الخبز والخمر لنقلهما إلى جسد ودم المسيح، لم تكن قد دخلت في طقس الإفخارستيا في مصر، في زمن البابا أنثاسيوس الرسولي (٣٢٨-٣٧٣م)، بمعناها كحلول للتحوّل. ولكنها دخلت إلى كنيسة مصر في زمن البابا التالي له مباشرة وهو البابا بطرس الثاني (٣٧٣-٣٧٨م)، وذلك تدعيماً

74- Ibid., p. 279, 280.

75- Ibid., p. 381.

أثناسيوس الرسولي:

[حينما تُرفع الصَّلوات العظيمة والتَّضَرُّعات المقدَّسة،  
ينزل الكَلِمة على الخبز والخمر فيصيران جسده ودمه].

ولم يكن ذلك في مصر وحدها، إذ وُجد أيضاً استدعاء أقنوم الابن لتقدّيس الأسرار في كل من سوريا وكبادوكيا، وفي الطَّقس الغالي في الغرب، وذلك قبل القرن الرَّابِع الميلادي<sup>(٧١)</sup>.

ومنذ حوالي سنة ٣٣٠م بدأ الكلام عن نزول الرُّوح القُدَّس على الأسرار<sup>(٧٢)</sup>. أمَّا التَّرَكيز على استدعاء الرُّوح القُدَّس، الأَقنوم الثَّالث من أقانيم الثَّالوث القدُّوس، لتقدّيس الأسرار، فقد ظهر بوضوح في كتابات القُدَّيس كيرلس الأورشليمي (٣١٥-٣٨٦م) أولاً<sup>(٧٣)</sup>.

أمَّا يوسابيوس القيصري (٢٦٠-٣٤٠م)، والمعاصر للقُدَّيس كيرلس الأورشليمي (٣١٥-٣٨٦م)، فلم يشر في كل كتاباته، ولو لمرة واحدة، إلى أن تقدّيس الأسرار يكون باستدعاء الرُّوح القُدَّس، الأَقنوم الثَّالث من الثَّالوث. وفي الحقيقة قد اقترب مرّة واحدة من ذلك الأمر في شرحه ليوحنا (٦:٦٣) «الرُّوح هو الذي يُحيي، أمَّا الجسد فلا يفيد شيئاً»، كإشارة إلى الإفخارستيا.

وأيضاً أفرات (بواكير القرن الرَّابِع) وهو أوَّل آباء الكنيسة السِّريانيَّة، وهو أسقف من شرق سوريا، فليس عنده أي تعليم عن أن تقدّيس الأسرار يكون بحلول الرُّوح القُدَّس، بل هو عمل الابن.

71- Ibid., p. 279.

72- Ibid., p. 279.

73- Ibid., p. 277.

أما القديس أفرام السرياني (٣٠٦-٣٧٣م) أكبر شعراء السريان، فيقول:  
 [إنه المسيح الذي يدعو الخبز جسده، ويملاؤه بنفسه وبالروح].

وعلى ذلك نجد أن القديس كيرلس الأورشليمي هو الوحيد بين معاصريه من السريان الذي يتكلم بوضوح عن عمل الروح القدس في تقديس الأسرار. ويُظن أنه كان متأثراً بليتورجية كنيسة أورشليم التي كان يصلي بها. ففي هذه الليتورجية - كما شرحها هو - يقع الفعل الإفخارستي الأساسي على فقرة واحدة، وهي الاستدعاء، ثم على تقريب القربان الذي يتبع هذا الاستدعاء مباشرة.

وهكذا كان قدّاس كنيسة أورشليم، وهو قدّاس القديس يعقوب أصح الرب السرياني التقليد هو المصدر الذي انتشر بواسطته التركيز على اقنوم الروح القدس في تقديس الأسرار<sup>(٧٤)</sup>.

وهكذا انتقل تأثير طقس كنيسة أورشليم إلى باقي الكنائس الشرقيّة الأخرى في أواخر القرن الرابع الميلادي، وأوائل الخامس الميلادي. أمّا الصيغة الليتورجية للاستدعاء، كما ذكرها القديس كيرلس الأورشليمي فقد انتشرت انتشاراً واسعاً وخصوصاً في الشرق<sup>(٧٥)</sup>.

ومما سبق ذكره يتضح لنا أن عقيدة حلول الروح القدس على الخبز والخمر لنقلهما إلى جسد ودم المسيح، لم تكن قد دخلت في طقس الإفخارستيا في مصر، في زمن البابا أناستاسيوس الرسولي (٣٢٨-٣٧٣م)، معناها كحلول للتحوّل. ولكنها دخلت إلى كنيسة مصر في زمن البابا الثاني له مباشرة وهو البابا بطرس الثاني (٣٧٣-٣٧٨م)، وذلك تدعيماً

74- *Ibid.*, p. 279, 280.

75- *Ibid.*, p. 381.

للاهوت الرُّوح القُدَّس الذي كان قد بدأت المنازعة اللاهوتية عليه في ذلك الوقت.

ولقد تبلورت عقيدة التَّقديس بواسطة حلول الرُّوح القُدَّس لتصير قانوناً إفخارستياً في مصر على لسان البابا ثاؤفيلس البطريرك الـ ٢٣ (٣٨٤ - ٤١٢ م).

ومع ذلك ينفرد القُدَّس إيريناؤس (١٣٠ - ٢٠٠ م) بنص إفخارستي فريد في القرن الثاني الميلادي، وذي قيمة عالية في تاريخ الاستدعاء. فيقول:

[وعندما نستكمل تقديم الصَّعيدة، نستدعي الرُّوح القُدَّس لكي يُظهر (يعلم) هذه الذبيحة، الخبز جسداً للمسيح، والكأس دماً للمسيح، حتى لكي يحصل المتناولون منها على مغفرة الخطايا، والحياة الأبدية].

وهنا يبدو واضحاً جداً أن عمل الرُّوح القُدَّس في الإفخارستياً - بحسب القُدَّس إيريناؤس - هو إظهار أو إعلان سرّ الجسد والدم الذي حدث وكمل بالتَّقديس.

وعلى ذلك يرى بعض علماء الليتورجيا أن عبارة "ونطلب إليك، أن تُرسل روحك القدوس على قرايين كنيستك المقدسة، مانحاً الوحدة لجميع الذين يشتركون في قدساتك، ليتمثلوا بالرُّوح القُدَّس، لتثبيت إيمانهم في الحق"، والتي وردت في ليتورجيا التقليد الرسولي هيبوليتس، والذي دُوّن قبل سنة ٢٣٥ م، هي عبارة أضيفت في القرن الرابع، ولكنها على أي حال لا تعتبر استدعاءً للرُّوح القُدَّس لكي تنتقل عناصر الخبز والخمر إلى جسد ودم المسيح، بقدر ما هي تصرُّع إلى الرُّوح القُدَّس لكي

بمعل الشعب واحداً في الرب، بتناولهم من القرايين المقدسة.

وما علم به القديس كيرلس الأورشليمي (٣١٥-٣٨٦م)، والقديس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧-٤٠٧م) في القرن الرابع الميلادي، تبناه بعد ذلك القديس يوحنا الدمشقي (٦٧٥-٧٤٩م) في القرن الثامن<sup>(٧٦)</sup>، ولكنه فصل فصلاً نهائياً بين كلمات التأسيس، وبين استدعاء الروح القدس، قائلاً إن تقديس القرايين لا يكون بهذه الأولى، بل بالثانية فقط علي وجه التوحيد، وذلك رداً على تعليم الكنيسة الغربية التي ركزت جداً على لحظة كلمات التأسيس، وغيّبت أهمية استدعاء الروح القدس على القرايين.

وأما عن حلول الروح القدس على الحاضرين في الكنيسة لصلوات القداس الإلهي، فإن الاستدعاءات التي تُصلى تقرر ذلك. ومن أبداع الاستدعاءات للروح القدس علينا وعلى القرايين هو ما يرد في القداس الكيرلسي الذي يقول:

”أرحمنا يا الله ضابط الكل، وأرسل إلى أسفل من علوك المقدس، ومن السماء مكان سكناك المهيباً، ومن حضنك غير المحدود، ومن عرش ملكوت مجدك، الباراكليت روح القدس الكائن بالأقنوم غير المنقسم، ولا متغير، الرب المحيي الناطق في التاموس والأنبياء والرسل، الموجود في كل مكان، والمالي كل مكان، ولا يحويه مكان. الذي بإرادته وسلطانه، وليس كالخادم، وإنما بحسب مسرتك، يصنع تقديساً للذين يرتاح فيهم. البسيط في طبعه، والمتعدّد الأنواع في عمله، ينبوع النعم الإلهية، الواحد معك بالجوهر، والنبثق منك، شريك عرش ملكوت مجدك مع الابن الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا وملكننا كلنا يسوع المسيح. أرسله علينا نحن خدامك، وعلى هذه القرايين الكريمة الموضوعه أمامك، على هذا الخبز، وعلى هذه الكأس، لكي يتقدّسا، (ويتنقلا). ولكي هذا الخبز يجعله جسداً مقدساً للمسيح، وهذه الكأس أيضاً دماً كريماً

للعهد الجديد الذي له“.

فالروح القدس يحل علينا لكي يقدّسنا لنصير أهلاً للتناول من الأسرار الإلهية، فننحد بالرّب اتحاد الكرمة بالأغصان. فكل من يتناول من جسد الرّب ودمه الكريمين، يُربط بهما عبر الزّمن والحياة اليوميّة برباط الرّوح القدّس الذي يهبنا قوّة القيامة، ويوحّدنا بجسد المسيح، لنحيا دوماً فيه، ومعه، معلناً حقيقة ملكوت الله داخلنا.

يقول الكاهن في قدّاس القدّيس باسيليوس قبل التناول مباشرة وهو خاضع برأسه أمام الله: ”نسأل ونطلب من صلاحك يا محب البشر، كي تطهّرنا كلنا وتوحّدنا فيك، بواسطة اشتراكنا في أسرار الإلهيّة كي نصير مملوئين من روحك القدّوس“.

وفي ليتورجيّة هيبوليتس: ”نطلب إليك، أن تُرسل روحك القدّوس على قرايين كنيستك المقدّسة، مانحاً الوحدة لجميع الذين يشتركون في قدساتك، ليمتلئوا بالرّوح القدّوس، لتثبيت إيمانهم في الحق“.

وفي الطّقس البيزنطي نقرأ عن طقس استدعاء الرّوح القدس هكذا: ”أيضاً نقدّم لك هذه العبادة النّاطقة وغير الدّمويّة ونطلب ونتضرّع ونسأل، فأرسل روحك القدّوس علينا وعلى هذه القرايين الموضوعّة. واصنع أما هذا الخبز فجسد مسيحك المكرّم، وأما في هذه الكأس فدم مسيحك المكرّم. محوّلًا إياهما بروحك القدّوس. لكي يكونا للمتناولين لانتباه النّفس ومغفرة الخطايا وشركة روحك القدّوس وملء ملكوت السّموات والدّالة لديك لا لمحاكمة ولا لإدانة“.

ولا يزال في القدّاس اللاتيني حتى اليوم يصلي هذه الصّلاة التّالية في داخل قدّاس عيد القيامة، وهي: ”أسكب فينا يارب روح محبّتك، حتى



أنا نحن الذين ملائهم بأسرارك الفصحية، نكون بحسب محبتك فكراً واحداً". وذلك كقول بولس الرسول: «لأننا سقينا روحاً واحداً» (١ كورنثوس ١٢: ١٣) كشعب إسرائيل في القدم الذين «أكلوا جميعاً طعاماً روحياً واحداً، وشرّبوا شرباً روحياً واحداً» (١ كورنثوس ١٠: ٣، ٤).

وإنه من البديع هنا أن أورد ما يذكره الأبا ساويرس ابن المقفع أسقف الأشونين في القرن العاشر (تنيح بعد سنة ٩٨٧م) عن هذا الموضوع فيقول: "... فافهم هذه الفضيلة العظيمة يا حبيب التي تحصل لجميع الحضور في الكنيسة، أن الروح القدس يحل عليهم قبل ما يحل على هذه القرايين، فهو يحل على الشعب قبل القرايين. وكما تقدس القربان الأرضي الفاني فتجعله سمائياً باقياً، كذلك تقدس جميع الحاضرين بين يديه بجلوله عليهم من خطاياهم المهلكة، وتجعلهم مستحقين الحياة الدائمة المؤبدة. لأن معنى الروح القدس هو معنى روح الطهر كما فسرت لك. فهو يظهر كل من يحل عليه من خطاياها الكثيرة، ولو كانت بعدد رمال البحر، فلا يعسر عليه تطهيره منها، تقرب أو لم يتقرب، كما يظهر كل من يحل عليه في المعمودية من جميع الخطايا. وبعد ذلك يحل الروح القدس على القرايين المقدسة.

يقول الكاهن: 'يارب يا صادق في مواعيدك كما قدّست هذه القرايين بجلول روح قدسك عليها، كذلك قدّسنا نحن أيضاً من خطايانا الخفيات والظواهرات، وأبعد عنا كل فكر لا يرضي صلاحك. وطهّر بالكمال نفوسنا وأجسادنا وأرواحنا ونياتنا وقلوبنا لكي بقلب طاهر ونفس مضيئة وشفيتين نقبتين نستجري بدالة بغير خوف أن نسميك أبانا كما علمنا ابنك الوحيد ربنا يسوع المسيح وقال: إذا صليتم فقولوا

هكذا. يقول جميع الشّعَب: أبانا الذي في السّموات ... الخ“ (٧٧).

وفي الختام يقول الأب ألكسندر شيمان: لقد حُجِّم الرّمز من كونه مفهوماً يشرح حقيقة ما يحدث إلى مفهوم يرمز مجازاً إلى ما يحدث. فمنذ نشأة الكنيسة يعترف الإيمان المسيحي ويتمسك بحقيقة استحالة الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه. وأي خلط بين هذه الحقيقة وأي لون من ألوان الطّابع الرّمزي كانت تعتبر تهديداً للحدث الحقيقي والفعلي في الإفخارستيا، أي تهديداً لحقيقة الجسد والدم على المائدة. ومن هنا تقلص السرّ إلى ”صيغة تقدّيس“ ضمنت باقتضاها حقيقة حدوث تحوّل في الزّمان والمكان. ومن هنا أيضاً كانت التّحديدات التي خاضت أكثر فأكثر في تفاصيل كيفة الاستحالة، وفعاليتها، وزمنها. فتم التّشديد على التّذكير بأن القرايين قبل التّقدّيس لم تكن سوى الخبز في الصّينية والخمر في الكأس، في حين أنه بعد التّقدّيس لم يبق سوى جسد المسيح ودمه. ومن هنا أيضاً محاولات تفسير ”حقيقة“ هذه الاستحالة باللجوء إلى مقولات أرسطو حول ”الجوهر“ و”العرض“، وتحديدتها على أنّها استحالة في الجوهر. وقد أدى كل ذلك في نهاية المطاف إلى قطع كل صلة فعلية بين القدّاس الإلهي نفسه، سواء كان ذلك بتعدّد أجزائه أم في وحدته ككل، وبين تحوّل مواد الخبز والخمر، وتالياً إلى استبعاده عملياً من محاولات تفسير الأسرار.

لم يكن الرّمز مرادفاً لـ ”التّصوير“. فالرّمز بحسب المفهوم القديم هو إعلان بل حضور لشيءٍ آخر، يبرز الطّبيعة الأخرى لما يُرمز إليه على أنّها حقيقة لا يمكن في الظروف الرّاهنة أن تكشف نفسها إلا من خلال الرّمز. مما يعني أنه لا يمكن الفصل بين الرّمز الأصيل والإيمان.

فالإيمان هو بالضبط الدليل على حقيقة وجود الأشياء غير المنظورة، وهو أبعد ما يكون عن الاختبار العلمي الذي يحتاج إلى إثبات. وإن كان الرمز يفترض وجود إيمان، فالإيمان بدوره يتطلب رمزاً. فطبيعة الرمز تقتضي تجاوز التّضاد بين ما هو حقيقي وما هو "رمزي"، بإظهار الحقيقة أنها بمثابة إكمال للرمز، وإظهار الرمز كمالاً لتلك الحقيقة. واستناداً إلى ما سبق يكون السؤال: إلى أي شيء ترمز الإفخارستيا؟ وأي حقيقة روحانية يكشفها لنا سر الأسرار؟، ومن هنا علينا أن نعرف بالإفخارستيا كسر الملكوت<sup>(٧٨)</sup>.

ماذا يعني عملياً وواقعياً بالنسبة إلى الشّركة مع الله وخلصنا وحياتنا الروحية، هذا التّمييز بين الجوهر Substance والعرض Accident الذي يستند إلى تعليم أرسطو، والذي من خلاله يجيب اللاهوت الغربي المدرسي عن كيفية حدوث استحالة الخبز والخمر في الجوهر إلى جسد المسيح ودمه؟.

فهل أن جوهر جسد المسيح يحل محل جوهر الخبز، في حين أن عرض هذا الخبز يحل محل عرض جسد المسيح؟. إن شرحاً مثل هذا لا يفيد بشيء للمؤمن الذي يعترف كل يوم أحد بأن "هذا هو جسدك الطاهر نفسه..."، و"هذا هو دمك الكريم عينه...". أما بالنسبة إلى العقل، فهو ليس سوى محاولة تفسير غير مفهومة. أما اللاهوت الأرثوذكسي فبقى أسير طريقة التعاطي الغربية نفسها في معنى الاستحالة وأهميتها، لأنه اعتقد أن الإجابة تكمن في حل الإشكالية التي أوجدها الغرب نفسه. وكانت النتيجة أن حلت "صيغة تكريس" و"لحظة"

هكذا. يقول جميع الشَّعب: أبانا الذي في السَّموات ... الخ“ (٧٧).

وفي الختام يقول الأب ألكسندر شيمان: لقد حُجِّم الرَّمز من كونه مفهوماً يشرح حقيقة ما يحدث إلى مفهوم يرمز مجازاً إلى ما يحدث. فمنذ نشأة الكنيسة يعترف الإيمان المسيحي ويتمسك بحقيقة استحالة الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه. وأي خلط بين هذه الحقيقة وأي لون من ألوان الطابع الرَّمزي كانت تعتبر تهديداً للحدث الحقيقي والفعلي في الإفخارستيا، أي تهديداً لحقيقة الجسد والدم على المائدة. ومن هنا تقلص السرُّ إلى ”صيغة تقديس“ ضمنت باقتضاها حقيقة حدوث تحوُّل في الزَّمان والمكان. ومن هنا أيضاً كانت التَّحديدات التي خاضت أكثر فأكثر في تفاصيل كيفة الاستحالة، وفعاليتها، وزمنها. فتم التَّشديد على التَّذكير بأن القرايين قبل التَّقديس لم تكن سوى الخبز في الصَّينيَّة والخمر في الكأس، في حين أنه بعد التَّقديس لم يبق سوى جسد المسيح ودمه. ومن هنا أيضاً محاولات تفسير ”حقيقة“ هذه الاستحالة باللجوء إلى مقولات أرسطو حول ”الجوهر“ و”العَرَض“، وتحديدتها على أنها استحالة في الجوهر. وقد أدى كل ذلك في نهاية المطاف إلى قطع كل صلة فعلية بين القدّاس الإلهي نفسه، سواء كان ذلك بتعدُّد أجزائه أم في وحدته ككل، وبين تحوُّل مواد الخبز والخمر، وتالياً إلى استبعاده عملياً من محاولات تفسير الأسرار.

لم يكن الرَّمز مرادفاً لـ ”التَّصوير“. فالرَّمز بحسب المفهوم القديم هو إعلان بل حضور لشيءٍ آخر، يبرز الطَّبيعة الأخرى لما يرمز إليه على أنها حقيقة لا يمكن في الظروف الرَّاهنة أن تكشف نفسها إلا من خلال الرَّمز. مما يعني أنه لا يمكن الفصل بين الرَّمز الأصيل والإيمان.

فالإيمان هو بالضبط الدليل على حقيقة وجود الأشياء غير المنظورة، وهو أبعد ما يكون عن الاختبار العلمي الذي يحتاج إلى إثبات. وإن كان الرمز يفترض وجود إيمان، فالإيمان بدوره يتطلب رمزاً. فطبيعة الرمز تقتضي تجاوز التّضاد بين ما هو حقيقي وما هو "رمزي"، بإظهار الحقيقة أنها بمثابة إكمال للرّمز، وإظهار الرّمز كمالاً لتلك الحقيقة. واستناداً إلى ما سبق يكون السؤال: إلى أي شيء ترمز الإفخارستيا؟ وأي حقيقة روحانيّة يكشفها لنا سر الأسرار؟، ومن هنا علينا أن نعرف بالإفخارستيا كسر الملكوت (٧٨).

ماذا يعني عملياً وواقعياً بالنّسبة إلى الشّركة مع الله وخالصنا وحياتنا الرّوحيّة، هذا التّمييز بين الجوهر Substance والعرض Accident الذي يستند إلى تعليم أرسطو، والذي من خلاله يجيب اللاهوت الغربي المدرسي عن كيفية حدوث استحالة الخبز والخمر في الجوهر إلى جسد المسيح ودمه؟.

فهل أن جوهر جسد المسيح يحل محل جوهر الخبز، في حين أن عرض هذا الخبز يحل محل عرض جسد المسيح؟. إن شرحاً مثل هذا لا يفيد بشيء للمؤمن الذي يعترف كل يوم أحد بأن "هذا هو جسدك الطاهر نفسه..."، و"هذا هو دمك الكريم عينه...". أما بالنّسبة إلى العقل، فهو ليس سوى محاولة تفسير غير مفهومة. أما اللاهوت الأرثوذكسي فبقى أسير طريقة التّعاطي الغريبيّة نفسها في معنى الاستحالة وأهميّتها، لأنه اعتقد أن الإجابة تكمن في حل الإشكاليّة التي أوجدها الغرب نفسه. وكانت النتيجة أن حلّت "صبيغة تكريس" و"لحظة"

جديدتان محل صيغة ولحظة آخرين<sup>(٧٩)</sup> من دون أن يُظهر هذا التّبديل طبيعة الكلام الجوهرى أو عمق معناه الحقيقى فى القدّاس الإلهى<sup>(٨٠)</sup>.

لا نبغى مما سبق ذكره عدم طرح أسئلة، فليس هناك سؤال أهم من معرفة ما يجرى فى الإفخارستيا. ولكن علينا أن نحرّر تساؤلنا من طرحه بطريقة خاطئة، لأن الخطأ الفادح يكمن فى أننا لسنا نحاول فقط أن نفسّر الأرضيات بالسّمائيات، بل نبغى تفسير السّمائيات والأمر السّيّ تفوق الطّبيعة. بمنطق عالمى ووفق مقولات بشرية مغلوطة وناقصة<sup>(٨١)</sup>.



<sup>٧٩</sup> - يقول اللاهوت الغربى إن الاستحالة تتم فى اللحظة التى ينطق فيها الكاهن صيغة التأسيس: "هذا هو جسدي ... هذا هو دمي"، فى حين يرد اللاهوت الشرقى أن استحالة القرابين لا تتحقق بفعل "كلام التأسيس"، بل فى الكلام الجوهرى الذى يُستدعى فيه الرّوح القدس ليحل على القرابين.

<sup>٨٠</sup> - الأب ألكسندر شيمان، مرجع سابق، ص ٢٤٤

<sup>٨١</sup> - انظر: الأب ألكسندر شيمان، مرجع سابق، ص ٢٤٥

## الفصل العاشر

# الأواشي والمجمع والترحيم

## تمهيد

العادة الجارية الآن في الكنائس القبطيّة هي ما يذكره خولاجي سنة ١٩٠٢م الذي يقول: "يأخذ الكاهن لفافة على يده اليميني، ولفافة أخرى على يده اليسرى، ويقيهما بيديه كما كان قبل الرّشومات"<sup>(١)</sup>. ولم ترد هذه التّعليمات الطّقسيّة عند البابا غبريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٧م)، الذي لم يكن يعرف هذه الممارسة<sup>(٢)</sup>.

وإن عادة وضع اللّفافتين على اليدين أثناء صلاة الكاهن على المذبح كانت إحدى الممارسات التي عُرفت في بعض كنائس الصّعيد فقط. وفي ذلك يقول كتاب "حكمة الآباء المصريين" للقسّ سمعان بن كليل في القرن الثّاني عشر: "... لأنه على جرى عادة كهنة الصّعيد، يغطّون أيديهم، لأن النّعمة الإلهيّة سترت عري آدم، وجعلت الكاهن يقف شفيحاً أمام الرّب"<sup>(٣)</sup>. ولكنها هي الممارسة التي سادت بعد ذلك، وجرى تدوينها في كتاب الخولاجي المطبوع سنة ١٩٠٢م.

وهذا ما جعل بعض الخولاجيّات تقول: "وبعض الكهنة يستحسن أن يضع لفافتين على يديه بعد استدعاء الرّوح القدّس".

وقد سبق أن شرحتُ في الفصل الرّابع من هذا الباب ما يعنيه وضع اللّفافة على يدي الكاهن عند البابا غبريال الخامس، والذي أوضح في

١- كتاب الخولاجي المقدّس، طبعة سنة ١٩٠٢م، ص ٣٤٣

٢- سبق أن أشرتُ إلى ذلك الأمر في الفصل الرّابع من هذا الباب.

٣- معاني رشم الصليب، مرجع سابق، ص ٩٠



كتابه "الترتيب الطقسي" أنه بعد أن حمل الكاهن القرايين المقدسة على يديه، واستحالت باستدعاء الروح القدس إلى الجسد والدم الأقدسين، لا يلتفت ناحية الشعب بيدين مكشوفتين، بل يغطيها بلفافة، "إجلالاً وتعليماً لما لمس"<sup>(٤)</sup>. وهذا هو السبب في وضع اللفافتين على اليدين، بحسب ما يذكر البابا غريغال الخامس. وهنا يلزم تدارك أنه لم يقل بأن الكاهن يضع هاتين اللفافتين على يديه دوماً بينما هو يصلي، واقفاً أمام المذبح متجه شرقاً.

وإذا عرفنا ذلك نستطيع أن نفهم التعليمات الطقسية التي ترد في القداس الكيرلسي، بعد الاستدعاء الثاني فيه، والذي نصه: "املاً هذه الصاعدة التي لك يارب بالبركة التي من قبلك بحلول روح القدس القديوس عليها..."<sup>(٥)</sup>، حين يذكر الخولاجي في موضع لاحق ما يلي: "ههنا يأخذ الكاهن اللفافة على يده، ويلتفت إلى الشعب، ويشير إليهم بيده. ثم يلتفت إلى الشرق ويصرخ ويقول: لأن شعبك وبيعتك يطلبون إليك قائلين: ارحمنا يا الله الأب ضابط الكل"<sup>(٦)</sup>. والكاهن هنا يضع لفاقة على يده اليميني فحسب، قبل أن يشير بها ناحية الشعب تماماً كما ذكر البابا غريغال الخامس في شرحه لطقس القداس الباسيلي.

إذا فقد سادت في الكنيسة ممارستان حتى إلى ما بعد القرن الخامس عشر على أقل تقدير، الأولى حين يصلي الكاهن واضعاً لفاقتين على يديه باستثناء بعض مواضع من القداس، كما عند الرثومات والقسمة. والثانية هي عدم وضعهما على اليدين أثناء الصلاة على المذبح، ولكن يضع الكاهن لفاقة على يده التي يستدير بها ناحية الشعب، إن كان ذلك

٤- البابا غريغال الخامس، الترتيب الطقسي، مرجع سابق، ص ٨٢

٥- انظر الفصل السابق مباشرة.

٦- كتاب الخولاجي المقدس، طبعة سنة ١٩٠٢م، ص ٦٤٩

بعد صلاة استدعاء الرُّوح القُدّس.

ومن أجل ذلك لا يشير ابن سباع إلى عادة وضع الكاهن لفافتين على يديه أثناء الصَّلَاة أمام المذبح، وهو الذي يسرد دقائق القدّاس الإلهي، وكل حرّكاته الطَّقْسِيَّة حركة حركة مهما كانت صغيرة وبسيطة<sup>(٧)</sup>.

### بين الطَّهارة والتَّقديس في مقدِّمة الأواشي

يبدأ الكاهن بالصَّلَاة قائلاً:

”اجعلنا مستحقين كلِّنا يا سيِّدنا أن نتناول من قُدساتك طهارة لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا، لكي نكون جسداً واحداً وروحاً واحداً، ونجد نصيباً وميراثاً مع جميع القُدّيسين الذين أرضوك منذ البدء“<sup>(٨)</sup>.

والتَّأكيد هنا هو على عبارة ”أن نتناول“ وليس أن نأخذ، لأنَّها في الأصل اليوناني μεταλαμβάνω (ميتالامبانو) فهي الاصطلاح اللِّيْتورجي اليوناني للتَّناول من الأسرار المقدَّسة.

وأشيرُ هنا إلى أن كلمة ”طهارة“ في عبارة ”طهارة لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا“، هي ترجمة للكلمة القبطيَّة εοψτοβο. أمَّا في النِّص اليوناني فجاءت εἰς ἁγιασμὸν أي ”تقديساً“<sup>(٩)</sup>.

وفي مخطوط الدَّير الأبيض بسوهاج، والذي تعود نساخته إلى القرن

٧- انظر مثلاً: يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، مرجع سابق، ص ١٨٧، ١٨٩، ١٩١... الخ  
٨- يقابل هذا النِّص في الطَّقْس البيزنطي، وفي قدّاس القُدّيس باسيليوس: ”وأما نحن المشتركون في الحُبز الواحد والكأس الواحدة، فاجعلنا جميعاً متَّحدين بعضنا ببعض في شركة روح قدس واحد...“.

السابع الميلادي، جاءت هذه الكلمة في القبطية الصَّعيدية  $\epsilon\tau\omicron\tau\alpha\delta\beta$  و تُرجمت إلى اللاتينية بواسطة علماء الليتورجيات إلى  $\epsilon\tau\omicron\theta\theta\theta$  sanctificationem وإلى اليونانية  $\epsilon\iota\varsigma\ \acute{\alpha}\gamma\iota\alpha\sigma\mu\omicron\nu$  أي "تقديساً" (١٠).

والفعل  $\tau\omicron\tau\upsilon\theta\omicron$  في القبطية يعني: "يظَهِّر - يقُدِّس - ينقِّي - يظَلِّف"، وهو يأتي كفعل متعدي أو لازم (١١). وجاء هذا الفعل في رسالة العبرانيين «لأن المقدَّس والمقدَّسين  $\eta\eta\epsilon\tau\tau\omicron\tau\upsilon\theta\omicron\ \acute{\iota}\mu\omega\omega\tau$  جميعهم من واحد» (عبرانيين ١١: ٢).

وجاءت هذه الكلمة القبطية غير مرَّة في القدَّاس مثل قول الكاهن: "وَجَعَلْنَا لَهُ شَعْبًا مَجْتَمَعًا، وَصَيَّرْنَا أَطْهَارًا  $\alpha\chi\theta\epsilon\rho\epsilon\eta\psi\omega\pi\iota\ \epsilon\pi\omicron\tau\alpha\beta$  بروحك القدوس". حيث تأتي هذه الكلمة في النِّص اليوناني للقدَّاس  $\eta\eta\gamma\iota\alpha\sigma\epsilon\nu\ \eta\mu\acute{\iota}\nu\alpha\varsigma$  أي "وقدَّسنا"، فتكون العبارة "وجعلنا شعباً مجتمعا، وقدَّسنا (أو وصيِّرنا قدِّيسين) بروحك القدوس".

ولأن الكلمة القبطية تحتمل نفس المعنى في اليونانية، أي معنى القداسة إلى جانب معنى الطهارة أيضاً، فقد كان المترجم من اليونانية إلى القبطية مصيباً في ترجمته، أمَّا المترجم من القبطية إلى العربية فاختار فعل "التَّطهير" بدلاً من فعل "التَّقدِّس". ولا يخفى أنه تناولنا من الأسرار المقدَّسة يجعلنا الرُّب - نحن غير المستحقين - قدِّسين وأطهاراً، لأن "القدِّسات للقدِّسين". وهو ما نقرأه في ليتورجية القدِّيس يعقوب الرُّسول أخي الرُّب التي تُعدَّد النِّعم التي ينالها الإنسان الذي يتقدَّم للتناول من جسد الرُّب ودمه، فنقول: "... حتى يصير لجميع المتناولين لمغفرة الخطايا، وللحياة الأبدية، ولتقدِّس النَّفس

بعد صلاة استدعاء الرُّوح القُدَّس.

ومن أجل ذلك لا يشير ابن سباع إلى عادة وضع الكاهن لفافتين على يديه أثناء الصَّلَاة أمام المذبح، وهو الذي يسرد دقائق القُدَّاس الإلهي، وكل حركاته الطَّقْسِيَّة حركة حركة مهما كانت صغيرة وبسيطة<sup>(٧)</sup>.

### بين الطَّهارة والتَّقديس في مقدِّمة الأواشي

يبدأ الكاهن بالصَّلَاة قائلاً:

”اجعلنا مستحقين كلِّنا يا سيِّدنا أن نتناول من قُدساتك طهارة لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا، لكي نكون جسداً واحداً وروحاً واحداً، ونجد نصيباً وميراثاً مع جميع القُدَّيسين الذين أرضوك منذ البدء“<sup>(٨)</sup>.

والتَّأكيد هنا هو على عبارة ”أن نتناول“ وليس أن نأخذ، لأنها في الأصل اليوناني μεταλαμβάνω (ميتالامبانو) فهي الاصطلاح الليتورجي اليوناني للتَّناول من الأسرار المقدَّسة.

وأشيرُ هنا إلى أن كلمة ”طهارة“ في عبارة ”طهارة لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا“، هي ترجمة للكلمة القبطيَّة εοπτωβο. أمَّا في النَّص اليوناني فجاءت εἰς ἁγιασμόν أي ”تقديساً“<sup>(٩)</sup>.

وفي مخطوط الدَّير الأبيض بسوهاج، والذي تعود نساخته إلى القرن

٧- انظر مثلاً: يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، مرجع سابق، ص ١٨٧، ١٨٩، ١٩١ ... الخ

٨- يقابل هذا النَّص في الطَّقْس البيزنطي، وفي قُدَّاس القُدَّيس باسيليوس: ”وأما نحن المشتركين في الخبز الواحد والكأس الواحدة، فاجعلنا جميعاً متَّحدين بعضنا ببعض في شركة روح قدس واحد ...“.

السَّابع الميلادي، جاءت هذه الكلمة في القبطية الصَّعيدية εστουααβ ad ετββο وتُرجمت إلى اللاتينية بواسطة علماء الليتورجيات إلى sanctificationem وإلى اليونانية εἰς ἁγιασμόν أي "تقديساً" (١٠).

والفعل τούβο في القبطية يعني: "يطهِّر - يقُدِّس - ينقِّي - ينظِّف"، وهو يأتي كفعل متعدي أو لازم (١١). وجاء هذا الفعل في رسالة العبرانيين «لأنَّ المقدَّس والمقدَّسين نَهَتَ τούβο ἡμῶν جميعهم من واحد» (عبرانيين ١: ٢).

وجاءت هذه الكلمة القبطية غير مرَّة في القدَّاس مثل قول الكاهن: "... وجعلنا له شعباً مجتمعاً، وصيرنا أطهاراً ἀφῆρενῶπι εστοαβ بروحك القدوس". حيث تأتي هذه الكلمة في النص اليوناني للقدَّاس ἡγίασεν ἡμᾶς أي "وقدَّسنا"، فتكون العبارة "وجعلنا شعباً مجتمعاً، وقدَّسنا (أو وصيرنا قدِّيسين) بروحك القدوس".

ولأنَّ الكلمة القبطية تحتمل نفس المعنى في اليونانية، أي معنى القداسة إلى جانب معنى الطهارة أيضاً، فقد كان المترجم من اليونانية إلى القبطية مصيباً في ترجمته، أمَّا المترجم من القبطية إلى العربية فاختار فعل "التطهير" بدلاً من فعل "التقدِّيس". ولا يخفى أنه بتناولنا من الأسرار المقدَّسة يجعلنا الرَّبُّ - نحن غير المستحقين - قدِّسين وأطهاراً، لأنَّ "القدَّسات للقدِّسين". وهو ما نقرأه في ليتورجية القدِّيس يعقوب الرِّسول أخي الرَّبِّ التي تُعدَّد النَّعم التي ينالها الإنسان الذي يتقدَّم للتناول من جسد الرَّبِّ ودمه، فتقول: "... حتى يصير لجميع المتناولين لمغفرة الخطايا، وللحياة الأبدية، ولتقدِّس النَّفس

والجسد، ولكي يثمروا بالأعمال الصالحة، ولثبات كنيسة المقدّسة التي أسّستها على صخرة الإيمان، حتّى لا تقوى عليها أبواب الجحيم، أو تيارات الهراطقة، أو عثرات الذين يرتكبون الآثام إلى انقضاء الدهر“.

لذلك نجد تعبير ”جميع الأطهار“ يتكرّر كثيراً في رسائل القدّيس أنبا أنطونيوس، بينما يُقصد به ”جميع القدّيسين“. إذاً كلّما وجدنا الكلمة القبطيّة **τοῦτο** فلا بد أن نرجعها إلى الأصل اليوناني الذي تُرجمت عنه هذه الكلمة، فهي في نص القدّاس مترجمة من **εἰς ἁγιασμόν** أي من كلمة **ἅγιος** (أجّيوس) أي ”قدّيس“ أو ”قدّوس“، وليس من كلمة **καθαρός** (كاتاروس) أي ”طاهر“.

□ نلاحظ في الطلبة السّابقة أننا نطلب من أجل أمرين نحصل عليهما بالتناول: ”تقدّيساً لنفوسنا وأجسادنا وأرواحنا“ و”لكي نكون جسداً واحداً وروحاً واحداً“. هذا يعني أننا نتناول من أجل غايتين: القداسة والوحدانيّة. فمن أين أتت الكنيسة بهذا المفهوم؟ ولماذا نرى الكاهن بعد تقدّيس القرايين مباشرة، يطلب هذين الأمرين: القداسة والوحدة، قبل أن يطلب أي شيء آخر؟.

هذا هو نفس ما فعله الرّب بعدما أسّس سرّ التناول، إذ بدأ يصلي قائلاً: «قدّسهم في حقك». كما قال أيضاً: «ليكون الجميع واحداً... ليكونوا واحداً فينا» (يو ١٧: ١٧-٢١). وهذا يؤكّد لنا أن غاية تقديم القدّاس هي ما أعلنه الكاهن منذ البداية بقوله: ”سلاماً وبنياً للواحدة الوحيدة...“.

والذي عمله المسيح يوم خميس العهد هو نفسه بالضبط ما يعمل في كل قدّاس.

وهناك نص أبائي جميل جداً للقدّيس يوحنا ذهبي الفم يقول فيه:

[لا تفتكروا أن ما نعمله شيء وما عمله المسيح شيء آخر، أبداً. إن ما نعمله في القدّاس هو نفس ما عمله المسيح يوم خميس العهد. المسيح موجود في وسطنا، هو وتلاميذه الرُّسل. وهذا الاجتماع هو نفسه اجتماع يوم الخميس الكبير. المسيح هو الذي يوزّع جسده بنفسه علينا. لا تظنوا أنني أنا الكاهن أوزّع الجسد على المؤمنين، أبداً. فأنا بمجرد أن أمد يدي، فالمسيح نفسه هو الذي يقسم ويوزّع، وهو نفسه الذي يدخل جسده في كل واحد منكم].

وهناك صلاة جميلة في القدّاس الغريغوري تسمى صلاة الحجاب، محفوظة لنا في نصّها اليوناني، يقول الكاهن في ختامها: "لأنك أنت المقدّس والمقدّس، المقدّم والمقدّم، القابل والمقبول، المعطي والمؤزّع، ولك نرسل إلى فوق المجد مع أبيك والروح القدس".

### أولاً: الأواشي

لا تتفق ليتورجية مع أخرى في عدد هذه الأواشي ونوعيتها. ففي بردية ستراسبورج التي تحوي جانباً من القدّاس المرقسي، نجد أن الجزء الخاص بالأواشي مفقود من هذه البردية، ولم يبق منها سوى أواشي سلام الكنيسة، والملك، والزروع.

أمّا مخطوط الدّير الأبيض بسوهاج الذي يحوي أقدم نص قبطي صعيدي للقدّاس الباسيلي، فيورد أقدم قائمة مكتملة عن أواشي القدّاس الباسيلي، وهي أواشي: (١) الكنيسة (٢) البابا البطريرك وأسقف

والجسد، ولكي يثمروا بالأعمال الصالحة، ولثبات كنيستك المقدسة التي أسستها على صخرة الإيمان، حتى لا تقوى عليها أبواب الجحيم، أو تيارات الهراطقة، أو عنترات الذين يرتكبون الآثام إلى انقضاء الدهر“.

لذلك نجد تعبير ”جميع الأطهار“ يتكرّر كثيراً في رسائل القُدَّيس أنبا أنطونيوس، بينما يُقصد به ”جميع القُدَّيسين“. إذاً كلّمنا وجدنا الكلمة القبطيّة **τοῦτο** فلا بد أن نرجعها إلى الأصل اليوناني الذي تُرجمت عنه هذه الكلمة، فهي في نص القُدَّاس مترجمة من **εἰς ἁγιασμόν** أي من كلمة **ἅγιος** (أجيوس) أي ”قُدَّيس“ أو ”قُدُّوس“، وليس من كلمة **καθαρός** (كاتاروس) أي ”طاهر“.

□ نلاحظ في الطلّبة السّابقة أننا نطلب من أجل أمرين نحصل عليهما بالتناول: ”تقدّيساً لنفوسنا وأجسادنا وأرواحنا“ و”لكي نكون جسداً واحداً وروحاً واحداً“. هذا يعني أننا نتناول من أجل غايتين: القداسة والوحدانيّة. فمن أين أتت الكنيسة بهذا المفهوم؟. ولماذا نرى الكاهن بعد تقدّيس القرايين مباشرة، يطلب هذين الأمرين: القداسة والوحدة، قبل أن يطلب أي شيء آخر؟.

هذا هو نفس ما فعله الرّب بعدما أسّس سرّ التناول، إذ بدأ يصلي قائلاً: «قُدِّسهم في حَقِّك». كما قال أيضاً: «ليكون الجميع واحداً... ليكونوا واحداً فينا» (يو ١٧: ١٧-٢١). وهذا يؤكّد لنا أن غاية تقديم القُدَّاس هي ما أعلنه الكاهن منذ البداية بقوله: ”سلاماً وبنيناً للواحدة الوحيدة...“.

والذي عمله المسيح يوم خميس العهد هو نفسه بالضبط ما يعمله في كل قُدَّاس.

وهناك نص آباي جميل جداً للقُدَّيس يوحنا ذهبي الفم يقول فيه:



[لا تفكروا أن ما نعمله شيء وما عمله المسيح شيء آخر، أبداً. إن ما نعمله في القُدَّاس هو نفس ما عمله المسيح يوم خميس العهد. المسيح موجود في وسطنا، هو وتلاميذه الرُّسُل. وهذا الاجتماع هو نفسه اجتماع يوم الخميس الكبير. المسيح هو الذي يوزَّع جسده بنفسه علينا. لا تظنوا أنني أنا الكاهن أوزَّع الجسد على المؤمنين، أبداً. فأنا بمجرد أن أمد يدي، فالمسيح نفسه هو الذي يقسم ويوزَّع، وهو نفسه الذي يُدخل جسده في كل واحد منكم].

وهناك صلاة جميلة في القُدَّاس الغريغوري تسمى صلاة الحجاب، محفوظة لنا في نصّها اليوناني، يقول الكاهن في ختامها: "لأنك أنت المقدَّس والمقدَّس، المقدَّم والمقدَّم، القابل والمقبول، المعطي والموزَّع، ولك نرسل إلى فوق المجد مع أبيك والرُّوح القدس".

### أولاً: الأواشي

لا تتَّفَق ليتورجِيَّة مع أخرى في عدد هذه الأواشي ونوعيتها. ففي بردِيَّة ستراسبورج التي تحوي جانباً من القُدَّاس المرقسي، نجد أن الجزء الخاص بالأواشي مفقود من هذه البرديَّة، ولم يبق منها سوى أواشي سلام الكنيسة، والملك، والزُّروع.

أمَّا مخطوط الدَّير الأبيض بسوهاج الذي يحوي أقدم نص قبطني صعيدي للقُدَّاس الباسيلي، فيورد أقدم قائمة مكتملة عن أواشي القُدَّاس الباسيلي، وهي أواشي: (١) الكنيسة (٢) البابا البطريرك وأسقف

الإيبارشيّة (٣) القسوس<sup>(١٢)</sup> والشّمَامسة (٤) الذين في البتوليّة والطّهارة<sup>(١٣)</sup> (٥) خلاص الموضع (٦) ثمار الأرض (٧) القرابين.

وبعد ذلك بحوالي خمسة قرون نقرأ عن هذه الأواشي في مخطوط الفاتيكان رقم (١٧)، والذي يعود إلى القرن الثالث عشر، وهو أقدم مخطوط خولاجي قبطي عربي كامل. نجد أن الأواشي فيه هي كما نقرأها في الخولاجي المطبوع سنة ١٩٠٢م باستثناء ما يلي:

• في أوشيّة الكنيسة، يتفق نص مخطوط الفاتيكان رقم (١٧)، مع نص مخطوط الدّير الأبيض بسوهاج<sup>(١٤)</sup>:  
ففي مخطوط الدّير الأبيض بسوهاج: "أذكر يارب كنيسةك  
الواحدة المقدّسة الجامعة الرّسوليّة".

وفي مخطوط الفاتيكان رقم (١٧): "أذكر يارب واحداً<sup>(١٥)</sup>  
المقدّسة الجامعة الرّسوليّة البيعة".

وفي ممارسة أخرى نقرأ: "أذكر يارب سلامة بيعتك الواحدة  
الوحيدة الجامعة الرّسوليّة". حيث التّحديد هنا هو بطلب سلام الكنيسة،  
وليس أي شيء آخر، وهو ما نقرأه عند ابن سباع، وعند ابن كبر.

□ إن وحدانيّة الكنيسة ليست أهم صفات الكنيسة فحسب، بل هي  
جوهر وكيان الكنيسة. فكما نقول: إن «الله محبّة»، هكذا يمكننا أن  
نقول: إن الكنيسة هي وحدة في المحبّة، أي وحدة في الله.

١٢- لم يرد في هذا المخطوط "القمامسة" قبل ذكر القسوس.

١٣- هنا يذكر المخطوط: "أذكر يارب أن ترحمهم جميعاً"، وهو ما نقوله اليوم:  
"أذكر يارب أن ترحمنا كلنا معاً".

١٤- النّص القبطي لكليهما واحد، مع اختلاف بسيط في التّرجمة العربيّة.

١٥- بالتّحديد "الواحدة الوحيدة"  $\text{TEKOTI} \text{I} \text{M} \text{A} \text{V} \text{A} \text{T} \text{C}$

بدون وحدة لا تكون الكنيسة كنيسة. إنها كنيسة لأنها هي جسد المسيح، وجسد المسيح هو اتحاد جميع الأعضاء ببعضهم البعض. وبحسب شهادة "الديداخي أي تعليم الرُّسل" - أقدم وثيقة مسيحية بعد كُتِب العهد الجديد - لا يُسمح لأي اثنين متخاصمين أن يحضرا اجتماع الكنيسة قبل أن يتم الصُّلح بينهما لثلاث تنجّس الذبيحة<sup>(١٦)</sup>.

أي ثلاث تصير ذبيحتنا غير مقبولة لدى الله، بل ومرفوضة، فتصير «بنونة علينا، أي ثلاث تصبح الذبيحة المقدّمة أصلاً لإرضاء الله وتمجيده، ذبيحة لإغضاب الله».

وقد أخذت الديداخي هذا الكلام من قول الرّب في الإنجيل: «إذا قدّمت قربانك قدّام المذبح، وتذكّرت أن لأخيك شيئاً عليك، فاترك هناك قربانك قدّام المذبح، واذهب أولاً اصطّلع مع أخيك، وحينئذ تعال وقدّم قربانك» (مت ٢٣-٢٤).

فلأن المسيح الواحد يحل في جميع أعضاء الكنيسة بالإفخارستيا، لذلك فالإفخارستيا هي سر وحدة الكنيسة. المسيح نفسه عبّر عن هذا في صلواته بعدما أسّس هذا السرّ العظيم. فبعدهما ورّع جسده على الاثني عشر قال: «أنا فيهم وأنت فيّ ليكونوا مكملين إلى واحد». واضح جداً أن قوله: «أنا فيهم» بعد أن أعطاهم جسده، جاء نتيجة طبيعية مباشرة لحلول جسده في كل واحد منهم. وكنتيحة مباشرة أيضاً أنهم يكونون «مكملين إلى واحد». عبارة لها صدى لآية من أجمل ما يمكن في سفر أعمال الرُّسل: «كنيسة الله التي اقتناها بدمه» (أع ٢٠: ٢٨).

١٦- وهنا تكون مسئولية المصالحة واقعة على الكاهن أو كبير الكهنة في كل كنيسة، كما تعلم الدسقولية.

ومن شغف الكنيسة بهذه العبارة كرّرتها في القدّاس في أوشية السّلامّة: "هذه التي اقتنيتها بالدمّ الكريم الذي لمسيحك".

فكلما قيلت أوشية سلام الكنيسة، افهم أن سلام الكنيسة يُعبّر عنه أو به عن وحدة الكنيسة، وعن تآلف وتوافق أعضاء الجسد الواحد.

• في أوشية البابا، يذكر مخطوط الدّير الأبيض لقبه: "عبدك رئيس الأساقفة". وفي مخطوط الفاتيكان رقم (١٧) يلقب: "أبانا المكرّم الطوبواوي، رئيس الأساقفة، أنبا فلان". وعند ابن سباع: "الطوبواوي رئيس كهنتك، أنبا فلان". وفي الخولا جي المنطوع "أبانا الطوبواوي المكرّم رئيس الأساقفة، بطيركنا أنبا فلان".

وإن تلقيب البطريرك بلقب "عبدك"، وهو اللقب الذي ورد قبل ذكر اسم البابا بنيامين الأوّل (٦٢٣ - ٦٦٢م) هو ما ينفرد به هذا المخطوط، إذ لا نعثر على هذا اللقب في أي ليتورجية أخرى. وهذه البساطة المتناهية في تسمية البطريرك "عبدك فلان"، دليل إضافي على قدّم تاريخ هذا النّص اللّيتورجي، وأنه يحتوي على عبارات ترجع بالفعل إلى بداية القرن الرّابع الميلادي.

أما لقب البطريرك باسم "رئيس الأساقفة" فقد صار لقباً متداولاً منذ عصر القدّيس كيرلس الكبير (٤١٢ - ٤٤٤م)<sup>(١٧)</sup>. وحتى القرن الثالث عشر الميلادي لم يكن لقب "بطريرك" قد دخل في اللّيتورجية القبطية، في نصها القبطي، كما يشهد بذلك مخطوط الفاتيكان رقم (١٧)، ومخطوط أكسفورد رقم (هنت ٣٦٠)، وابن سباع أيضاً، في حين كان معروفاً في النّص اليوناني لها باسم "بطريرك المدينة العظمى الإسكندرية -

“ πατριάρχου τῆς μεγαλοπόλεως Ἀλεξανδρείας

وما يُتَعَجَّب له هو عدم ذكر البطريرك بلقب “البابا”، في النِّصِّ القبطي للأوشية، مع أنه اللقب القديم له منذ زمن البابا هيراكلاس الثالث عشر (٢٣٠ - ٢٤٦م)، أي منذ القرن الثالث الميلادي، وذلك قبل أن يصبح هو لقب أسقف كرسي روما في القرن الحادي عشر، منذ زمن البابا غريغوريوس السَّابع (١٠٧٣+م).

أما عن ألقاب البابا البطريرك في النِّصِّ اليوناني للقُدَّاس الباسيلي، فهي: “رئيس الأساقفة أبانا القُدَّيس الأنا (فلان) بابا πάπα وبتريرك المدينة العظمى الإسكندرية”. ثمَّ تصلِّي الكنيسة من أجله قائلة: “أنعم به على كنائسك المقدَّسة في سلام، (وامنحه) خلاصاً وكرامة وصحةً وطول أيام، مفصلاً كلمة الحق باستقامة، راعياً رعيتك في سلام”.

وفي مخطوط رقم (١٥٥ط) بمكتبة دير القُدَّيس أنبا مقار، وهو مخطوط حولاجي يوناني عربي للقُدَّاس الباسيلي يرد أيضاً ذكر هذا اللقب، أي “البابا”.

وهو نفس ما نجده في مرد الشَّمَّاس الذي يُقال باليونانية، حيث يقول الشَّمَّاس: “صلُّوا من أجل رئيس كهنتنا، البابا πάπα أنبا (فلان) بابا πάπα وبتريرك ورئيس أساقفة المدينة العظمى الإسكندرية”. حيث يتكرَّر لقب “البابا” مرَّتين في المرء اليوناني.

إذا: أي نص يوناني للأوشية يرد فيه لقب “البابا”، وأي نص قبطي لها يغيب فيه هذا اللقب!

أما عن الأسقف، فتتَّفَق كل المخطوطات والحولاحيَّات في النِّصِّ

ومن شغف الكنيسة بهذه العبارة كرّرتها في القدّاس في أوشيّة السّلام: "هذه التي اقتنيتها بالدمّ الكريم الذي لمسيحك".

فكلما قيلت أوشيّة سلام الكنيسة، افهم أن سلام الكنيسة يُعبّر عنه أو به عن وحدة الكنيسة، وعن تآلف وتوافق أعضاء الجسد الواحد.

♦ في أوشيّة البابا، يذكر مخطوط الدّير الأبيض لقبه: "عبدك رئيس الأساقفة". وفي مخطوط الفاتيكان رقم (١٧) يلقّب: "أبانا المكرّم الطُّوباوي، رئيس الأساقفة، أنبا فلان". وعند ابن سباع: "الطُّوباوي رئيس كهنتك، أنبا فلان". وفي الخولاجي المطبوع "أبانا الطُّوباوي المكرّم رئيس الأساقفة، بطيريكنا أنبا فلان".

وإن تلقيب البطريرك بلقب "عبدك"، وهو اللّقب الذي ورد قبل ذكر اسم البابا بنيامين الأوّل (٦٢٣ - ٦٦٢م) هو ما ينفرد به هذا المخطوط، إذ لا نعرثر على هذا اللّقب في أي ليتورجية أخرى. وهذه البساطة المتناهية في تسمية البطريرك "عبدك فلان"، دليل إضافي على قدّم تاريخ هذا النّص اللّيتورجي، وأنه يحتوي على عبارات ترجع بالفعل إلى بداية القرن الرّابع الميلادي.

أما لقب البطريرك باسم "رئيس الأساقفة" فقد صار لقباً متداولاً منذ عصر القدّيس كيرلس الكبير (٤١٢ - ٤٤٤م)<sup>(١٧)</sup>. وحتى القرن الثالث عشر الميلادي لم يكن لقب "بطيريك" قد دخل في اللّيتورجية القبطيّة، في نصها القبطي، كما يشهد بذلك مخطوط الفاتيكان رقم (١٧)، ومخطوط أكسفورد رقم (هنت ٣٦٠)، وابن سباع أيضاً، في حين كان معروفاً في النّص اليوناني لها باسم "بطيريك المدينة العظمى الإسكندريّة -

“ πατριάρχου τῆς μεγαλοπόλεως Ἀλεξανδρείας

وما يُتَعَجَّب له هو عدم ذكر البطريرك بلقب “البابا”، في النِّصِّ القبطي للأوشية، مع أنه اللَّقب القديم له منذ زمن البابا هيراكلاس الثالث عشر (٢٣٠ - ٢٤٦م)، أي منذ القرن الثالث الميلادي، وذلك قبل أن يصبح هو لقب أسقف كرسي روما في القرن الحادي عشر، منذ زمن البابا غريغوريوس السَّابع (١٠٧٣م+).

أما عن ألقاب البابا البطريرك في النِّصِّ اليوناني للقُدَّاس الباسيلي، فهي: “رئيس الأساقفة أبانا القُدَّيس الأنبا (فلان) بابا πάπα وبتريرك المدينة العظمى الإسكندرية”. ثمَّ تصلِّي الكنيسة من أجله قائلة: “أنعم به على كنائسك المقدَّسة في سلام، (وامنحه) خلاصاً وكرامة وصحَّة وطول أيام، مفضلاً كلمة الحق باستقامة، راعياً رعيتك في سلام”.

وفي مخطوط رقم (١٥٥ط) بمكتبة دير القُدَّيس أنبا مقار، وهو مخطوط حولاجي يوناني عربي للقُدَّاس الباسيلي يرد أيضاً ذكر هذا اللَّقب، أي “البابا”.

وهو نفس ما نجده في مرد الشَّمَّاس الذي يُقال باليونانية، حيث يقول الشَّمَّاس: “صلُّوا من أجل رئيس كهنتنا، البابا πάπα أنبا (فلان) بابا πάπα وبتريرك ورئيس أساقفة المدينة العظمى الإسكندرية”. حيث يتكرَّر لقب “البابا” مرَّتين في المرء اليوناني.

إذاً: أي نص يوناني للأوشية يرد فيه لقب “البابا”، وأي نص قبطي لها يغيب فيه هذا اللَّقب!

أما عن الأسقف، فتتَّفَق كل المخطوطات والخولاجيات في النِّصِّ

القبطي للقدّاس على القول: "وشريكه في الخدمة"، أمّا إضافة كلمة "الرّسوليّة"، لتصبح: "شريكه في الخدمة الرّسوليّة" فلم ترد في أي نص قبطي لهذه الأوشية.

وينفرد مخطوط الدّير الأبيض بسوهاج بذكر لقب "القدّيس" لأسقف الإيباشيّة، حيث يقول النّص: "وشريكه في الخدمة كولوثوس الأسقف القدّيس". أمّا عن شخصيّة الأسقف "كولوثوس" فلا نعرف شيئاً عنه، إذ لم يحتفظ لنا التّاريخ بأسماء الأساقفة المعاصرين للبابا بنيامين الأوّل (٦٢٣ - ٦٦٢ م).

أمّا من جهة النّص اليوناني، فيرد ذكر الأساقفة عموماً - إن ورد ذكرهم، وبدون أي ألقاب - مع القسوس والشّممامسة وكل الخدّام. وليس أسقف الإيباشيّة على وجه التّحديد.

وهذا هو السّبب الذي من أجله نجد معظم المخطوطات والخولاجيّات تذكر "والذين يفصلون معهما **μετα** كلمة الحق باستقامة ..."، ونادراً ما تذكر المخطوطات كلمة "معهما **μετ**"، أي البابا البطريرك وأسقف الإيباشيّة.

وإن لقب "شريك في الخدمة" هو لقب قدم، إذ نجده لقباً متداولاً بكثرة في أوائل القرن الرّابع الميلادي، وذلك عندما كان يرسل أحد الأساقفة رسالة إلى أسقف آخر. وهو ما نقرأه في كتابات البابا ألكسندروس (٣١٢ - ٣٢٨ م)، والقدّيس أثناسيوس الرّسولي (٣٢٨ - ٣٧٣ م)، ويوسابيوس القيصري (٢٦٠ - ٣٤٠ م). كما يقابلنا بكثرة في القرن الخامس الميلادي، في زمن مجمع أفسس سنة ٤٣١ م مثلاً.



أما عن أوشية القسوس، فالنص اليوناني للقدّاسات القبطية لا يرد فيه ذكر "القمامصة"، بل تبدأ الأوشية بالقسوس مباشرة. وليس النص اليوناني فحسب، بل والنص القبطي للقدّاسات أيضاً وحتى إلى ما بعد القرن الثالث عشر، حيث لا يرد ذكر "القمامصة"<sup>(١٨)</sup>، بل "القسوس" فقط. ويرتبط ذكر القسوس بذكر الشّمامسة دائماً.

ويجمل ابن كير (+ ١٣٢٤م) الحديث عن الأواشي قائلاً: "... ثمّ بعد ذلك، يوغز إلى الشّعب بالسّجود، وإذا رفعوا رؤوسهم تُقال الأواشي التي تُذكر وهي: السّلامة، والبابا، والآباء والقسوس والشّمامسة وسبع طغعات الكنيسة، وخلاص العالم والمدينة والكور والقرى وكل دير، والثمار والأشجار والكروم، ومن أجل القربان المقدّس والصّعيدة ..."<sup>(١٩)</sup>.

### الأواشي في القدّاس الغريغوري

يصلّي الكاهن في القدّاس الغريغوري أواشي أخرى يقول عنها ابن كير (+ ١٣٢٤م): "وفي قدّاس غريغوريوس أواشي زائدة عن قدّاس باسيليوس، وهي تقال قبل الأوشية التي من أجل العالم وعدّها أربع. من أجل الملك، القصور والعساكر، القربان المقدّس، المسيّين. ثمّ يقال اسجدوا لله بخوف  $\kappa\lambda\iota\eta\alpha \Theta\epsilon\omicron\upsilon\varsigma$ <sup>(٢٠)</sup> وإذا رفعوا رؤوسهم يقولون جميعاً بلسان واحد: ارحمنا يارب يا ضابط الكل. وبعدها صلاة الثمار وخلاص العالم والترحيم. هذا التّرتيب في قدّاس غريغوريوس خاصة ويقال فيه أيضاً بعد ذلك: اسجدوا للحمل كلمة الله. ويقال أيضاً: حل واغفر.

١٨- لم يرد ذكرهم في مخطوط الفاتيكان رقم (١٧)، ومخطوط أكسفورد رقم (هت ٣٦٠)، ولا عند ابن سباع، ولا عند ابن كير (+ ١٣٢٤م).

١٩- كتاب مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة، لأي البركات المعروف بابن كير، الجزء الثاني (مخطوط)، مرجع سابق، الباب ١٧.

٢٠- التّرجمة الحرفية هنا هي: "أخنوا لله".

القبطي للقدّاس على القول: "وشريكه في الخدمة"، أمّا إضافة كلمة "الرّسوليّة"، لتصبح: "شريكه في الخدمة الرّسوليّة" فلم ترد في أي نص قبطي لهذه الأوشية.

وينفرد مخطوط الدّير الأبيض بسوهاج بذكر لقب "القدّيس" لأسقف الإيبارشية، حيث يقول النّص: "وشريكه في الخدمة كولوثوس الأسقف القدّيس". أمّا عن شخصيّة الأسقف "كولوثوس" فلا نعرف شيئاً عنه، إذ لم يحتفظ لنا التّاريخ بأسماء الأساقفة المعاصرين للبابا بنيامين الأوّل (٦٢٣-٦٦٢م).

أمّا من جهة النّص اليوناني، فيرد ذكر الأساقفة عموماً - إن ورد ذكرهم، وبدون أي ألقاب - مع القسوس والشّمامسة وكل الخدّام. وليس أسقف الإيبارشية على وجه التّحديد.

وهذا هو السّبب الذي من أجله نجد معظم المخطوطات والخولاجيات تذكر "والذين يفصلون معه  $\nu\epsilon\mu\alpha\epsilon\gamma$  كلمة الحق باستقامة ..."، ونادراً ما تذكر المخطوطات كلمة "معهما  $\nu\epsilon\mu\omega\omega\gamma$ "، أي البابا البطريرك وأسقف الإيبارشية.

وإن لقب "شريك في الخدمة" هو لقب قدم، إذ نجده لقباً متداولاً بكثرة في أوائل القرن الرّابع الميلادي، وذلك عندما كان يرسل أحد الأساقفة رسالة إلى أسقف آخر. وهو ما نقرأه في كتابات البابا ألكسندروس (٣١٢-٣٢٨م)، والقدّيس أناسيوس الرّسولي (٣٢٨-٣٧٣م)، ويوسابيوس القيصري (٢٦٠-٣٤٠م). كما يقابلنا بكثرة في القرن الخامس الميلادي، في زمن مجمع أفسس سنة ٤٣١ مثلاً.

أما عن أوشية القسوس، فالنص اليوناني للقدّاسات القبطية لا يرد فيه ذكر "القمامصة"، بل تبدأ الأوشية بالقسوس مباشرة. وليس النصّ اليوناني فحسب، بل والنصّ القبطي للقدّاسات أيضاً وحتى إلى ما بعد القرن الثالث عشر، حيث لا يرد ذكر "القمامصة" (١٨)، بل "القسوس" فقط. ويرتبط ذكر القسوس بذكر الشمامسة دائماً.

ويجمل ابن كير (+ ١٣٢٤م) الحديث عن الأواشي قائلاً: "... ثمّ بعد ذلك، يوعز إلى الشعب بالسُّجود، وإذا رفعوا رؤوسهم تُقال الأواشي التي تُذكر وهي: السّلامة، والبابا، والآباء والقسوس والشمامسة وسبع طغمت الكنيسة، وخلاص العالم والمدينة والكور والقرى وكل دير، والثمار والأشجار والكروم، ومن أجل القربان المقدّس والصّعيذة..." (١٩).

### الأواشي في القدّاس الغريغوري

يصلّي الكاهن في القدّاس الغريغوري أواشي أخرى يقول عنها ابن كير (+ ١٣٢٤م): "وفي قدّاس غريغوريوس أواشي زائدة عن قدّاس باسيليوس، وهي تقال قبل الأوشية التي من أجل العالم وعدّها أربع. من أجل الملك، القصور والعساكر، القربان المقدّس، المسيّين. ثمّ يقال اسجدوا لله بخوف  $\kappa\lambda\iota\eta\alpha \Theta\epsilon\omicron\upsilon$  (٢٠) وإذا رفعوا رؤوسهم يقولون جميعاً بلسان واحد: ارحمنا يارب يا ضابط الكل. وبعدها صلاة الثمار وخلاص العالم والترحيم. هذا الترتيب في قدّاس غريغوريوس خاصة ويقال فيه أيضاً بعد ذلك: اسجدوا للحمل كلمة الله. ويُقال أيضاً: حل واغفر.

١٨- لم يرد ذكرهم في مخطوط الفاتيكان رقم (١٧)، ومخطوط أكسفورد رقم (هنت ٣٦٠)، ولا عند ابن سباع، ولا عند ابن كير (+ ١٣٢٤م).

١٩- كتاب مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة، لأبي البركات المعروف بابن كير، الجزء الثاني (مخطوط)، مرجع سابق، الباب ١٧.

٢٠- التّرجمة الحرفية هنا هي: "انحنوا لله".

وبعدها: كما كان ...“ (٢١).

فهي في الحقيقة أواشي تغطي كل فئات الكنيسة بكل دقائق تفصيلاتها، حيث تصلي الكنيسة من أجل الرّئيس، والحدّام، والمسيّبين، والرّعاة والرّعيّة، والكهنة، والرّهبان والرّاهبات، والعذارى والمتزوّجين، والأغنياء والفقراء، والشيوخ والشبان، والمؤمنين، وحتى من أجل الهراطقة.

### الأواشي في القُدَّاس الكبير لسي

يصلّي الكاهن الأواشي قبل الرّشومات، أي قبل كلمات التّأسيس، وقبل حلول الرّوح القُدّس، بحسب التّقليد الإسكندري القديم. ويتخلّل المجمع الأواشي، باعتباره أوشيّة من أجل آباء الكنيسة وقديسيها وأبيائها كما سبق أن ذكرتُ.

ومن المعروف أنه حتى زمن البابا أناسيوس الرّسولي (٣٢٨-٣٧٣م) كانت الأواشي تقال كلها بدون مرد الشّمّاس، وفي نهايتها كلها يرد الشّعب بالمرد ”أمين“. ويذكر العالم ابن كير (+ ١٣٢٤م) أن القُدّيس كيرلس الكبير أكمل قدّاس القُدّيس مرقس الرّسول بإيروسات الشّمّاس وأوشيّة البطريرك، كي يعطي لكل أوشيّة صلاحها الخاصة الكاملة بين الكاهن والشّمّاس ومرد الشّعب.

ومرد الشّعب لكل أوشيّة هو ”يارب ارحم“، وهو مرد تعرفه جميع الكنائس الشّرقية الأخرى. وهو من بين المرّدات السّحيقة في القَدَم مثل مرد ”أمين“، وقد أشارت إليه السّائحة الأسبانية إيجيريا عند زيارتها

٢١- مخطوط رقم (٢٠٣ عربي) بالمكنبة الأهلية بباريس، وهو كتاب ”مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة“ لأبي البركات ابن كير (صورة طبق الأصل من الجزء الثاني منه)، مرجع سابق، الباب ١٧

لكنائس أورشليم في القرن الرابع الميلادي.

ويعقب القس سمعان بن كليل، في القرن الثاني عشر، على هذا المرء "يارب ارحم" بقوله: "جوهر الأمانة هو كبيراليسون يارب ارحم. ولا يجوز طلبه سواها في القدّاسات، لأن رحمة الله مخلصنا قد ظهرت ودعتنا إلى أن ننكر الفجور والإثم، ونعيش بالتّقوى والتعقل والعفاف (٢٢)..."  
تحقق إذاً أنك ترشم ذاتك كلما ذكرت الرحمة الإلهية... لأن الرحمة أعلنت من قبل الآب والابن والروح القدس (٢٣).

### موقع الأواشي في الليتورجيات المختلفة ومضمونها

أمّا عن موقع الأواشي في الطقوس الشرقيّة، فإن الطقوس الإسكندري كما يصفه القدّاس المرقسي، تأتي فيه الأواشي في مقدّمة الصّلاة الإفخارستية. وتتفق كنيسة روما في ذلك مع كنيسة الإسكندرية. أما الفرق بينهما فهو أن الأواشي في الطقوس الإسكندري تقطع مقدّمة نشيد التسبحة الشارويميّة إلى شطرين، كما سبق أن ذكرت. أمّا ليتورجية الكنيسة الرومانية فتأتي فيها الأواشي بعد التسبحة الشارويميّة أي المعروفة باسم القدّيس الثلاثي. ولقد أوضح يعقوب الرهاوي (٦٣٣-٧٠٨م) مشيراً في تعليقه على الليتورجية السريانية، بأن موقع الأواشي (أي التذكارات) في استعمال كنيسة الإسكندرية يختلف عن موضعها في الليتورجية السريانية (٢٤).

ففي الليتورجيات السريانية - ومعها ليتورجية عهد الرّب،

٢٢- تيطس ١١: ٢-١٢

٢٣- معاني رشم الصليب، مرجع سابق، ص ٤٢، ٤٣

٢٤- البطريك إغناطيوس أفرام الثاني، مرجع سابق، ص ٢٩٢

وليتورجِيَّة المراسيم الرُّسولِيَّة - وكذلك ليتورجِيَّة كنيسة القسطنطينِيَّة، وأيضاً ليتورجِيَّة باسيليوس وجرغوريوس الإسكندرِيَّين، تأتي الأواشي بعد كلمات التَّأسيس، وبعد استدعاء الرُّوح القُدَّس.

أمَّا في ليتورجِيَّة أدي وماري للسُّريان المشاركة، والليتورجِيَّين المعنوتين عندهما باسم تاؤدوروس ونسطور، وكذلك في ليتورجِيَّة مار بطرس للسُّريان الموارنة، تأتي الأواشي (أو التَّذَكَرات) بعد كلمات التَّأسيس مباشرة، دون أن تصلها بها رابطة لفظية أو معنوية. أمَّا استدعاء الرُّوح القُدَّس فيأتي بعد الأواشي، وقبل ختام الصلاة الإفخارستِيَّة.

وفي كل الكنائس يرافق الأواشي نداءات للشَّمَّاس باستثناء ليتورجِيَّة الكنيسة الرُّومانية التي سقطت فيها تنبيهات الشَّمَّاس وإعلاناته منذ عهد بعيد<sup>(٢٥)</sup>.

أما مضمون التَّذَكَرات في القُدَّاس الإلهي فهي ثلاثة أصناف: الصَّنْف الأوَّل تذَكَرات الأحياء والتي نسميها في الكنيسة القبطية الأواشي. والصَّنْف الثاني تذَكَرات القُدِّيسين والتي نسميها في الكنيسة القبطية المجمع. والصَّنْف الثالث تذَكَرات المنتقلين والتي نسميها في الكنيسة القبطية التَّرحيم.

وقد أشار القُدِّيس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧-٤٠٧م) إلى هذه الأنواع من التَّذَكَرات. وكذلك وصفها القُدِّيس كيرلس الأورشليمي (٣١٥-٣٨٦م) في العظة رقم (٢٣) في شرح الليتورجِيَّة، فيقول:

[إننا نصلي من أجل سلام الكنائس ... ومن أجل سلامة العالم ... ومن أجل الملوك والجنود ... ومن أجل المرضى

والمُتضايقين. ثمَّ نذكر الذين رقدوا الآباء والأبنياء والرُّسُل  
والشُّهداء، لكي يقبل الله طلبتنا بصلواتهم. ثمَّ من أجل الآباء  
الأساقفة. ثمَّ من أجل سائر المنتقلين].

وقد جاء هذا الوصف مطابقاً لما ورد في ليتورجيَّة القُدِّيس يعقوب  
أخي الرَّبِّ مع اختلاف طفيف لا يُعتد به.

وتختلف ليتورجيَّتا كنيسة القسطنطينيَّة عن سائر اللِّيُتورجيَّات  
الأخرى، في أن تذكارات القُدِّيسين والمنتقلين (أي المجمع والتَّرحيم)  
فيها تتقدَّم على تذكارات الأحياء (أي الأواشي). وكذلك ليتورجيَّة  
مار بطرس للسَّريان الموارنة.

وفي ليتورجيَّة الكنيسة الرُّومانيَّة يُقدَّم ذكر الأحياء (الأواشي) على  
ذكر المنتقلين (التَّرحيم). ويعقب ذكر الأحياء ذكر القُدِّيسين (أي المجمع)  
وفي مقدِّمتهم مريم العذراء ثمَّ الرُّسُل القُدِّيسين<sup>(٢٦)</sup>، ثمَّ أحبار كنيسة روما  
الأقدمين، ويلحق بهم أسماء شهداء، من بينهم القُدِّيس كيريانوس الشَّهيد<sup>(٢٧)</sup>.

### جانب من صلوات الأواشي في الطَّقس البيزنطي

أيضاً نطلب منك يا رب أن تذكر كنيستك المقدَّسة الجامعة الرُّسوليَّة  
المتدَّة من أطراف المسكونة إلى أطرافها، التي اقتنتها بدم مسيحك  
الكريم. خوَّها المسالمة، وثبَّت هذا البيت المقدَّس إلى انقضاء الدَّهر.

اذكر يا رب الذين قدَّموا لك هذه القرابين والذين من أجلهم والذين

٢٦- وقد أهمل هنا ذكر يوحنا المعمدان والقُدِّيس إسطفانوس، وجُعلا في مقدِّمة  
القُدِّيسين الذين ترد أسماءهم بعد كلمات التَّقديس.

٢٧- البطريرك إغناطيوس أفرام الثاني، مرجع سابق، ص ٢٩٦، ٢٩٧

بواسطتهم قدّمت، والأسباب التي قدّموها من أجلها.

اذكر يارب الذين يثمرون والذين يعملون في كنائسك المقدّسة، والذين يفتقدون المساكين وكافئهم بمواهبك الغنيّة السّماويّة. وهبهم السّماويّات عوض الأرضيّات، والأبدّيّات عوض الوقتيّات، والباقيات عوض الفانيات.

اذكر يارب الذين في البراري والجبال والمغاير وشقوق الأرض.

اذكر يارب العائشين في البتوليّة والورع والتّسك والسّيّرة النقيّة ...“.

وبعد صلاة لحكام البلاد يتابع الكاهن قائلاً:

”اذكر يارب الشّعب الواقف حولنا والمتخلّفين عنّا لأسباب مستصوبة، وارحمهم وإيانا بحسب كثرة رحمتك. املاً خزائنهم من كل الخيرات، واحفظ زيجاتهم في سلام ووثام. ربّ الأطفال وأنهم. هذب الأموات. شدّد الشيوخ. عزّ صغيري النّفس. اجمع المتفرّقين. ردّ الضّالّين وضمّمهم إلى كنيسةك المقدّسة الجامعة الرّسوليّة. اعتق المعذّبين من الأرواح النّجسة. رافق المسافرين في البحر، وسر مع السّائرين في البر. اعتن بالأرامل. أعضد اليتامى. أنقذ الأسرى. اشف المرضى. واذكر يا الله الذين في المحاكم والمناجم والمنافي العبوديّة المرّة، وفي كل حزن وشدّة وضيق. اذكر يا الله جميع المفتقرين إلى تحنّتك العظيم. والذين يحبّوننا والذين يبغضوننا والذين أوصونا نحن غير المستحقين أن نصلي من أجلهم. اذكر أيها الرّبّ إلهنا شعبك كله، وأسبغ على الجميع رحمتك الغنيّة، مانحاً إياهم كل ما يطلبونه للخلاص. أما الذين لم نذكرهم نحن لنسياننا أو لجهلنا إياهم أو لكثرة الأسماء، فاذكرهم أنت يا الله العالم بسن كل واحد واسمه والعارف كل واحد من خوف أمه. لأنك أنت يا رب



عونٌ للذين لا عون لهم، ورجاءٌ للبائسين. ومنقذ المكابدين أهوال الشتاء، وميناء المسافرين في البحر وطبيب المرضى. كن أنت الكل لكل أيها العالم بكل واحد وبغيته، وبكل بيت وحاجته.

نج يارب هذه المدينة وكل المدن والقرى من الجوع والوباء والزلازل والغرق والحريق والسيف ومن غارات القبائل الغريبة ومن الحروب الأهلية“.

ثم هذه الصلاة للأسقف:

”... اذكرني يارب بحسب كثرة رأفتك أنا أيضاً غير المستحق، واغفر لي كل خطيئة طوعية، وغير طوعية، ولا تمنع بسبب خطاياي نعمة وروح القدس على هذه القرايين الموضوعه“.

## ثانياً: المجمع

إن المجمع الذي يأتي في آخر الأواشي أو في منتصفها كما في القدّاس الكيرلسي، هو في الحقيقة أوشية تقدّمها الكنيسة من أجل هؤلاء القدّيسين الذين كملوا في الإيمان.

## المفهوم الليتورجي واللاهوتي لصلاة المجمع

حيث تجتمع الكنيسة بأعضائها، وبرئاسة الأسقف، وتلتف حول المذبح حيث المسيح حاضر بجسده ودمه الأقدس، وبتقدّيس الرّوح القدس، تستطيع الكنيسة - والحال هذه - أن تطلب من أجل جميع الشهداء والقدّيسين، وبالأكثر من أجل العذراء القدّيسة كل حين والدة الإله، التي هي عضو حي في جسد الكنيسة، وأم الله في آن معاً.

هذه الجوقة المقدّسة التي تشفع فينا كل حين، وتصلّي من أجل

ضعفنا كل حين أمام العرش الإلهي لا تغفل الكنيسة عن الطلبة من أجلها. فليس عضو واحد من أعضاء الكنيسة، سواء الذين سبقوا إلى المجد، أو الذين يجاهدون لبلوغ المجد، في غنى عن صلاة الكنيسة لأجله كل حين.

فإن اجتمعت الكنيسة كلها في سرّ الإفخارستيا بحضور المسيح، فهي قادرة أن تطلب من أجل كل عضو فيها، فهذا هو ما تصلي به الكنيسة حين تقول: "أولئك الذين أخذت نفوسهم نيحهم في فردوس النعيم، في كورة الأحياء إلى الأبد، في أورشليم السمائية". أو كما في الترحيم الذي يُقال سرّاً بعد الجمع أو في أوشية الرّاقدين في رفع بخور عشية حيث يقول: "اذكر يارب كل الذين رقدوا وتنيحوا في الكهنوت، والذين في كل طعمة العلمانيين. تفضّل يارب نيح نفوسهم أجمعين في أحضان آبائنا القديسين، إبراهيم واسحق ويعقوب. علّمهم في موضع خضرة على ماء الرّاحة في فردوس النعيم، الموضع الذي هرب منه الحزن والكآبة والتنهد في نور قديسيك".

والترحيم الذي يُقال في القُدَّاس المرقسي باللحن الطويل  $\sigma\tau\omicron\varsigma$   $\eta\alpha\iota$  "هؤلاء وكل أحد ..."، يحدّد الطلبة من أجل الذين رقدوا وتنيحوا في إيمان المسيح. وفي لحن  $\epsilon\pi\iota\chi\epsilon\tau\epsilon\varsigma$  الذي يُقال بعد الجمع، يقول فيه الشّماسة: "... ومن أجل الرّاقدين ونياحتهم، وآبائنا القديسين. القديس مرقس الرّسول الإنجيلي رئيس الأساقفة والشّهيد"، ثم يسرد الشّماسة أسماء بطاركة الكنيسة ابتداء من إنيانوس البطريرك، وحتى إلى آخر بطريرك رقد في الإيمان.

إذا فطلبة الكنيسة هنا هي من أجل القديسين الرّاقدين في الإيمان بالمسيح، وإن العذراء القديسة المطوّبة ذات الشّفاعات هي أوّل هؤلاء

القديسين. ومن أجل ذلك يتدئ المجمع بقول الكاهن: "تفضّل يارب أن تذكر جميع القديسين الذين أرضوك منذ البدء، آباءنا الأطهار رؤساء الآباء والأنبياء والرسل والمبشرين والإنجيليين والشهداء والمعترفين، وكل أرواح الصديقين الذين كملوا في الإيمان. وبالأكثر القديسة المملوءة مجداً، العذراء كل حين، والدة الإله القديسة الطاهرة مريم، التي ولدت لنا الله الكلمة بالحقيقة ...".

وفي نهاية المجمع تعود الكنيسة بعد أن كانت تطلب لأجل هؤلاء القديسين تسأل أيضاً الرّحمة بسؤالهم وطلباتهم. وهذا يتّضح لنا بأكثر جلاء في نهاية مجمع القديس الكيرلسي حين يقول الكاهن: "إننا لسنا أهلاً أن نشفع في طوباوية أولئك، إذ هم قيام أمام منبر ابنك الوحيد، ليكونوا عوضاً عنا، يشفعون في مسكنتنا وضعفنا. كن غافراً لآثامنا لأجل طلباتهم المقدسة، ولأجل اسمك القدوس المبارك الذي دُعي علينا".

ويقول القديس باسيلوس الكبير (٣٣٠-٣٧٩م):

[أيتها الجوقة المقدسة، أيتها الزمرة الطاهرة، أيها الخراس العموميين للجنس البشري، والشفعاء المشاركون في همومنا، المساعدون في الصلوات والشفعاء فينا، الذين لهم دالة عظيمة جداً].

فصلاة الكنيسة من أجل القديسين وطلبتها صلواتهم لأجلها هو تعبير عميق عن معنى الكنيسة، ومفهوم الشفاعة فيها، في تلاحم أعضائها المنتقلين والباقيين، الذين كملوا في الإيمان، والذين لم يكملوا بعد. فإذا التأمت الكنيسة كلها حول المذبح بحضور المسيح، فهي تصلي من أجل القديسين بتوسّط الذبيحة الإلهية، والقديسون يصلون من أجل الكنيسة كجماعة قديسين. كقول الكاهن في أوشية الآباء الكبيرة: "وصلواتهم

التي يصنعونها عنا وعن كل شعبك، وصلواتنا نحن أيضاً عليهم“ (٢٨). فهو يذكر هذه العبارة الأخيرة بعد أن يذكر البابا البطريرك وجميع الأساقفة الأرثوذكسيين والقمامصة والقسوس والشمامسة. ثم يقول: ”وكل امتلاء كنيستك الواحدة الوحيدة المقدّسة الجامعة الرّسوليّة“.

وفي الطّقس البيزنطي نجد هذا المعنى أيضاً. ففي قدّاس القديس يوحنا ذهبي الفم يقول: ”... نقرّب لك هذه العبادة النّاطقة من أجل المتّنين، بإيمان: الأجداد والآباء، ورؤساء الآباء، والأنبياء، والرّسل والكارزين، والمبشرين، والشّهداء، والمعترفين، والنّسك، وكل روح صدّيق توفي بإيمان. وخاصة من أجل الكليّة القدّاسة الطّاهرة الفاتحة البركات المجيدة، سيّدتنا والدة الإله الدّائمة البتوليّة مريم. ومن أجل القديس يوحنا النّبي السّابق والصّابغ، والقديسين المجيدين الرّسل الكلي مديحهم. والقديس (فلان) الذي نقيم تذكاره الآن. وجميع قديسيك، الذين بطلبهم افتقدنا يا الله، واذكر جميع الرّاقدين على رجاء قيامة الحياة الأبدية...“.

وفي قدّاس القديس باسيليوس البيزنطي يقول: ”... ولا تجعل الاشتراك في جسد مسيحك ودمه المقدّسين لأحد منا لدينونة ولا لإدانة، بل لأن نجد رحمة ونعمة مع جميع القديسين الذين أرضوك منذ الدّهر، الأجداد والآباء ورؤساء الآباء والأنبياء والرّسل والكارزين والمبشرين والشّهداء والمعترفين والمعلّمين وكل روح صدّيق توفي على الإيمان. وخصوصاً من أجل الكليّة القدّاسة الطّاهرة النقيّة الفاتحة البركات المجيدة سيّدتنا والدة الإله الدّائمة البتوليّة مريم، مع القديس يوحنا النّبي السّابق والصّابغ، والقديسين المشرفين الرّسل الكلي مديحهم، والقديس (فلان) الذي نقيم تذكاره اليوم، وجميع قديسيك الذين بطلبهم افتقدنا يا الله“.

واذكر جميع الذين سبق رقادهم على رجاء القيامة والحياة الأبدية، وأرحهم حيث يُفتقد نور وجهك“.

وفي ليتورجية المراسيم الرسولية (٨: ١٢: ٤٣، ٤٤):  
 ”نقرب لك أيضاً (القربان) من أجل كل القديسين الذين  
 ارضوك منذ البدء، البطارقة، والأنبياء، والأبرار، والرُّسل، والشُّهداء،  
 والمعترفين، والأساقفة، والقسوس، والشمامسة، والإيبودياكونين،  
 والأغنسطسين، والمرتلين، والعذارى، والأرامل، والعلمانيين، وكل الذين  
 تعرف أنت أسماءهم.

نقرب لك أيضاً<sup>(٢٩)</sup> من أجل كل هذا الشعب، لكي تُظهره مملكة  
 كهنوتية، وأمة مقدسة<sup>(٣٠)</sup>، لمدح مسيحك. من أجل الذين في البتولية  
 والطهارة، ومن أجل أرامل الكنيسة. من أجل الذين في زيجات مكرمة،  
 والحوامل، ومن أجل أطفال شعبك، لكي لا ترفض أحداً منا“.

هنا يتضح أن الإفخارستيا المرفوعة على المذبح هي ليست لأجل  
 الحاضرين الصلاة فقط، ولا لأجل الأحياء أيضاً الذين أعاقهم حدث قاهر  
 عن الحضور، بل من أجل كل امتلاء الكنيسة المقدسة، أي أعضاء  
 الكنيسة الذين في السماء والذين على الأرض معاً. فكل جماعة تلتئم  
 حول المذبح لتقيم الإفخارستيا برئاسة أسقفها حسب وصية الرب، هي  
 الكنيسة كلها، بكل أعضائها بحضرة المسيح وملائكته المقدسين.

إنه من الطبيعي أن يصلّي الأسقف من أجل الشعب، بل هذا هو  
 عمله الأساسي والأصيل. أمّا اقتدار الكنيسة وقوتها، فهو في صلاة

الشَّعب كله من أجل الأسقف. فطلبة الأسقف من أجل شعب الكنيسة تقتدر كثيراً إن صلّي الشعب من أجل أسقفه. فالسلام بملأ الكنيسة ليس فقط حينما يعطيه الأسقف لشعبه قائلاً: "سلام لجميعكم"، بل أيضاً عندما يعطيه الشعب لأسقفه قائلاً: "ولروحك أيضاً". فمن داخل الإفخارستيا يمكن للأعضاء أن تصلّي من أجل الرأس.

وفي العظة الثانية للقدّيس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧-٤٠٧م) عن "غموض النبوءات - Obscurité des prophéties"، يقول:

[إن كان أحد بين الجمع يسأل أي واحد منكم الصلّاة من أجل سلام الأسقف، فسيعترف معتبراً أن الأمر يتعدّى قدراته. ولكن عندما يجتمع (في سرّ الشُّكر) نسمع الشَّماس يطلب: "صلّوا من أجل الأسقف ليعطيه الرّب حياة مديدة، ومعونة، مفصلاً كلمة الحق". فإنكم لا ترفضون هذا الطلب، بل على العكس ترفعون للحال صلاة مدركين قوّة اجتماعكم معاً. والعارفون يدركون ماذا أريد أن أقول. ففي الحقيقة إن صلاة الموعوظين ليست لها هذه الفاعليّة، لأنهم لم يبلغوا بعد هذه الجرأة. ولكن أنتم الذين وُهب لكم أن ترفعوا صلاة من أجل كل العالم؛ من أجل الكنيسة المنتشرة من أقصاء الأرض إلى أقصائها، ومن أجل الأساقفة المكرّمين، فإنكم تطيعون بحماس، فتختبرون إذا مدى اقتدار الصلّاة التي ترفعونها معاً كجماعة في الكنيسة] (٣١).

فحين تجتمع الكنيسة، فهي تصلّي من أجل البابا البطريرك، وهذا ما نراه مبدعاً في لحن *пѣснь вар* حين يقول رئيس الشَّماسة مخاطباً

البابا البطريرك: "نعمة ربنا يسوع المسيح تكون مع روحك الطاهرة يا سيدي الأب المكرّم رئيس الكهنة ...". وهي نفس الطلبة التي يطلبها الأسقف من أجل الشعب: "محبّة الله الأب، ونعمة الابن الوحيد، ... تكون مع جميعكم". هذه هي الكنيسة في صلاحها من أجل أعضائها وبعضهم البعض.

ففي الكنيسة وحوّل المذبح في سرّ الإفخارستيا، يصير للشعب معاً قوّة الصلّاة من أجل الأسقف، ويصير للأسقف مع الشعب بحضور المسيح قوّة الصلّاة من أجل القديسين.

والكنيسة تصلّي من أجل القديسين المنتقلين لارتقائهم في الجحَد، ولكي ينالوا خيرات مواعيد الله، هذه التي أعدّها لحبي اسمه القدّوس، وليستحقوا ملكوت السّموات. وهم بدورهم يصلّون لأجلنا لكي يكون لنا نصيباً وميراثاً معهم.

وفي ليتورجيّة القدّيس سراييون في القرن الرّابع الميلادي، يظهر لنا بكل وضوح السّبب الذي لأجله تصلّي الكنيسة من أجل القديسين، فنقول الليتورجيّة: "تنوّل أيضاً من أجل كلّ الذين رقدوا، الذين نذكرهم هو<sup>(٣٢)</sup>: قدّس هذه النفوس، لأنك تعرف الكل. قدّس كل النفوس التي رقدت في الربّ<sup>(٣٣)</sup>، احسبهم مع كل قوّاتك المقدّسة، وأعطهم موضعاً ومسكناً<sup>(٣٤)</sup> في ملكوتك".

ويشير القدّيس كيرلس الأورشليمي (٣١٥-٣٨٦م) إلى مجمع

٣٢- هنا تُذكر الأسماء.

٣٣- رؤيا ١٤: ١٣

٣٤- يوحنا ١٤: ٢٠

الشَّعب كله من أجل الأسقف. فطلبة الأسقف من أجل شعب الكنيسة تقتدر كثيراً إن صلّى الشعب من أجل أسقفه. فالسلام بملاً الكنيسة ليس فقط حينما يعطيه الأسقف لشعبه قائلاً: "سلام لجميعكم"، بل أيضاً عندما يعطيه الشعب لأسقفه قائلاً: "ولروحك أيضاً". فمن داخل الإفخارستيا يمكن للأعضاء أن تصلّي من أجل الرأس.

وفي العظة الثانية للقدّيس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧-٤٠٧م) عن "غموض النبوءات - Obscurité des prophéties"، يقول:

[إن كان أحد بين الجمع يسأل أي واحد منكم الصلّاة من أجل سلام الأسقف، فسيعتذر معتبراً أن الأمر يتعدّى قدراته. ولكن عندما نجتمع (في سرّ الشُّكر) نسمع الشَّماس يطلب: "صلّوا من أجل الأسقف ليعطيه الرّب حياة مديدة، ومعوّنة، مفصلاً كلمة الحق". فإنكم لا ترفضون هذا الطلب، بل على العكس ترفعون للحال صلاة مدركين قوّة اجتماعكم معاً. والعارفون يدركون ماذا أريد أن أقول. ففي الحقيقة إن صلاة الموعوّظين ليست لها هذه الفاعليّة، لأنهم لم يبلغوا بعد هذه الجرأة. ولكن أنتم الذين وهب لكم أن ترفعوا صلاة من أجل كل العالم؛ من أجل الكنيسة المنتشرة من أقصاء الأرض إلى أقصائها، ومن أجل الأساقفة المكرّمين، فإنكم تطيعون بحماس، فتختبرون إذا مدى اقتدار الصلّاة التي ترفعونها معاً كجماعة في الكنيسة] (٣١).

فحين تجتمع الكنيسة، فهي تصلّي من أجل البابا البطريرك، وهذا ما نراه مبدعاً في لحن *пѣснь сар* حين يقول رئيس الشَّماسة مخاطباً



البابا البطريرك: "نعمة ربنا يسوع المسيح تكون مع روحك الطاهرة يا سيدي الأب المكرّم رئيس الكهنة ...". وهي نفس الطلبة التي يطلبها الأسقف من أجل الشعب: "محبّة الله الأب، ونعمة الابن الوحيد، ... تكون مع جميعكم". هذه هي الكنيسة في صلاحها من أجل أعضائها وبعضهم البعض.

ففي الكنيسة وحول المذبح في سرّ الإفخارستيا، يصير للشعب معاً قوّة الصلّاة من أجل الأسقف، ويصير للأسقف مع الشعب بحضور المسيح قوّة الصلّاة من أجل القديسين.

والكنيسة تصلي من أجل القديسين المتقلين لارتقائهم في المجد، ولكي ينالوا خيرات مواعيد الله، هذه التي أعدها نجحي اسمه القدّوس، وليستحقوا ملكوت السموات. وهم بدورهم يصلّون لأجلنا لكي يكون لنا نصيباً وميراثاً معهم.

وفي ليتورجيّة القديس سراييون في القرن الرابع الميلادي، يظهر لنا بكل وضوح السبب الذي لأجله تصلي الكنيسة من أجل القديسين، فنقول الليتورجيّة: "توسّل أيضاً من أجل كل الذين رقدوا، الذين نذكرهم هو (٣٢): قدّس هذه النفوس، لأنك تعرف الكل. قدّس كل النفوس التي رقدت في الرّب (٣٣)، احسبهم مع كل قوّاتك المقدّسة، واعطهم موضعاً ومسكناً (٣٤) في ملكوتك".

ويشير القديس كيرلس الأورشليمي (٣١٥-٣٨٦م) إلى مجمع

٣٢- هنا تُذكر الأسماء.

٣٣- رؤيا ١٤: ١٣

٣٤- يوحنا ١٤: ٢٠

القُدَّيسين الذي يرد في ليتورجِيَّة كنيِسة أُورشلِيم، ويؤكِّد في عِظاته على هذين الجانبين اللذين سبق لنا ذكرهما، وهما أن الكنيِسة في ذكرها للقُدَّيسين، تصلِّي من أجلهم، وتطلب صلواتهم لأجلها، فيقول:

[وبعد ذلك نذكر أيضاً الذين رقدوا، أولاً البطارقة والأنبياء والرُّسل والشُّهداء، لكيما يقبل الله طلباتنا بصلواتهم وشفاعتهم. ثم نصلِّي من أجل الآباء القُدَّيسين والأساقفة الذين رقدوا، وعموماً لأجل جميع الذين رقدوا قبلنا. ونحن مؤمنون بأن هنالك فائدة عظيمة للأنفس التي لأجلها نرفع هذه التوسلات، بينما تُقام الذبيحة المقدَّسة والمهوبة] (٣٥).

إن الحياة الأبديَّة هي نمو لانهائي في المجد، إلى حد ملء قامة المسيح كقول الرُّسول بولس. وهل لملء قامة المسيح حدٌّ ونهاية؟ فالقُدَّيسون ينمون في السَّماء من مجد إلى مجد، ومن عمق إلى عمق، ومن رؤية إلى رؤية، إلى أبد الأبد. فالرَّب حينما يعطي نعمته بروحه القُدُّوس، يعطيها على قدر استطاعتنا وقبولنا، لا على قدر غنى الرُّوح نفسه الذي لا يُحد. مثل ما رواه الرَّاهب سلوان حينما قال:

[أعرف رجلاً افتقده الرَّب بنعمته. لو سأله الرَّب: هل تريد أن أعطيك أكثر؟، لأجابه في ضعفه البشري: يارب أنت ترى أنني ساموت إن أعطيتني أكثر. لأن قوَّة الإنسان محدودة ولا يقدر أن يتَّسع لملء النِّعمة].

وفي الحقيقة كان الأب سلوان يقول ذلك عن نفسه. إذا فالذي يحب القُدَّيسين لا يجب فقط صلاتهم لأجله، ولكنه يسعد أيضاً بصلاة الكنيِسة لأجلهم، وصلاته هو أيضاً لأجلهم في الكنيِسة، كطفل صغير

يطلب لإخوته وأخواته من الآب السماوي نعمة أوفر، وغنى أكثر. غنى الروح الذي لا يُستقصى. الروح القدس الحاضر في الكنيسة والحي في أسرارها المقدسة، وفي قلوب المؤمنين، والذي فيه يتحد الجميع، فهو واسطة شركتنا مع القديسين القريبين منا جداً، والذين يصغون إلينا، ويذكروننا كما نذكرهم، ويصلون ويشفعون من أجلنا. فما أبدع الكنيسة.

### التطور الليتورجي لصلاة المجمع

مجمع القديس الإلهي هو من الأجزاء التي تطورت كثيراً ولا زالت تتطور مع مر السنين.

أما المجمع في صيغته المختصرة جداً، والتي جاءتنا في مخطوط الدبر الأبيض بسوهاج بالقبطة الصعيدية، فهي تبدأ بنفس العبارة التي نصلّي بها حتى اليوم في القديس الباسيلي.

فمقدمة المجمع بالقبطة الصعيدية هي:

Επί δι προεις ουεσαρνεπε ητε πεκμονογενης ηουηρε

وهي المقدمة التي ترجمها العالم دوريس Dorisse ، والأب عمانوئيل لان Emmanouel Iann إلى اليونانية بنفس المعنى:

Επειδη, Δέσποτα, πρόσταγμα έστι τοδ μονογενοδς σου Υιου<sup>(36)</sup>

أي: "لأن هذا (أو حيث أن هذا) هو أمر ابنك الوحيد ...".

أما نص المجمع بحسب مخطوط الدبر الأبيض بسوهاج، والذي جرت نساخته في القرن السابع الميلادي فهو:

"وحيث أن هذا يارب هو أمر ابنك الوحيد أن نشترك في تذكارة

قَدِّيسِكَ، تَفَضَّلْ يارب أن تذكر آباءنا الذين أرضوك منذ الدَّهر.  
 رؤساء الآباء والأنبياء والرُّسل والشُّهداء والمعترفين والمبشِّرين  
 والإنجيليين وكل صديق أكمل حياته في الإيمان.  
 وبالأكثر القديسة المملوءة مجداً، العذراء كل حين، مريم التي ولدت  
 الله، التي بصلواتها ارحمنا جميعاً وخلصنا من أجل اسمك القُدُّوس الذي  
 دُعِيَ عَلَيْنَا“.

وواضح أن المجمع يُختم بنفس العبارة التي نُختم بها المجمع المطوَّل  
 الذي نعرفه اليوم، وهي: ”من أجل اسمك ... علينا“.

•• ΕΤΒΕΠΕΚΡΑΝ ΕΤΟΥΤΑΔΒ ΗΤΑΥΤΑΤΟΥ ΕΣΩΝ<sup>(37)</sup>

والمجمع في صيغته المختصرة هذه، هو وثيقة ليتورجية بالغة الأهمية،  
 وإن كانت قد وصلتنا منسوخة في القرن السَّابع الميلادي، إلا أنها ترقى  
 بلا جدال إلى ما قبل ذلك بقرون أخرى على الأقل. وحين يأتي المجمع  
 بهذه الصُّورة الأولى والشَّاملة في آن معاً، بنفس بدايته ونفس نهايته التي  
 نعرفها في الكنيسة حتى اليوم، يتأكد لدينا أن اسم العذراء القديسة مريم  
 هو الاسم الوحيد بين القديسين الذي ظل يُذكر علانية، بينما يضم المجمع  
 كل امتلاء الكنيسة الواحدة، ولكن بدون ذكر لأسماء دون غيرها، ومن  
 هنا كان - على صغره - شاملاً لكل أعضاء الكنيسة بلا تفريق أو  
 انتقاء. بل صار شاملاً لكل صديق أكمل حياته في الإيمان.

وهو يعطينا فكرة أيضاً عن أن إضافة أسماء القديسين والبطارقة إلى  
 جانب اسم العذراء القديسة مريم، كان على مراحل متتابعة، ربما  
 تستغرق المرحلة الواحدة بضعة قرون.

E. Renaudot فالنص اليوناني للقدّاس الباسيلي الذي نشره رونودوت عن مخطوط يعود إلى القرن السابع عشر، هو في الحقيقة مرحلة متطورة تالية لنص المجمع في مخطوط الذير الأبيض.

أمّا النصّ فهو:

”لأن هذا يا رب أمر ابنك الوحيد أن نشترك في تذكّار قدّيسيك. تفضّل يا رب أن تذكر الذين أرضوك منذ الدّهر أباءنا القدّيسين البطارقة والرّسل والأنبياء والمبشّرين والإنجيليين والشّهداء والمعترفين. وكلّ روح بارّة تكمّلت في إيمان المسيح.

وبالأكثر كليّة القداسة المملوءة مجدّاً فائقة النقاوة المباركة جداً سيّدتنا والدة الإله مريم دائمة البتويّة.

والقدّيس يوحنا المعمدان الممجّد والنبي السابق والشّهد. والقدّيس إسطفانوس أوّل الشّمّامسة وأوّل الشّهداء. والقدّيس المكرّم أبانا مرقس الرّسول والإنجيلي. وأبانا في القدّيسين صانع العجائب باسيليوس. والقدّيس (فلان) الذي تكمّل تذكّاره في هذا اليوم.

وكلّ مصاف قدّيسيك. هؤلاء الذين بصلواتهم وشفاعتهم ارحمنا نحن أيضاً وحلّصنا من أجل اسمك القدّوس الذي دُعي علينا“.

وهنا نلاحظ نفس البداية ونفس النهاية للمجمع، مع إضافة يوحنا المعمدان، والقدّيس إسطفانوس، ومار مرقس الكاروز، والقدّيس باسيليوس صاحب القدّاس الذي نصّلي به. ثمّ قدّيس اليوم.

ولا يخفى علينا ذكر المجمع لعبارة: ”وكلّ روح صدّيق تكمّلت في إيمان المسيح“، والتي توازي ”وكلّ صدّيق أكمل حياته في الإيمان“، كما في مخطوط الذير الأبيض، والتي توازي ما نقوله اليوم: ”وكلّ أرواح

الصديّقين الذين كملوا في الإيمان“. فيا لسحابة القديّسين والقديّسات، والصديّقين والصديّقات، الذين ينضمّون كل يوم إلى جمع القديّسين. من يستطيع أن يحصي عددهم، وعددهن؟.

ولقد كانت المرحلة التّالية للتطوّر الذي طال الجمع هو ذكر البطريرك القديّس ساويرس الأنطاكي (٤٦٥-٥٣٨م) بعد مار مرقس الإنجيلي مباشرة. وكل الشّواهد تشير إلى رهبان دير القديّس أنبا مقار الذين أضافوا اسم هذا البطريرك الأنطاكي بعد القديّس مرقس الرّسول مباشرة، وقبل بطاركة كرسي الإسكندريّة!، وكان ذلك بعد القرن السّابع الميلادي أو في غضونّه.

وما يرجّح هذا الأمر هو أن مخطوط الفاتيكان رقم (١٧)، وهو أقدم مخطوط حولاجي قبطي عربي متكامل، ويعود إلى القرن الثالث عشر، يذكر القديّس ساويرس الأنطاكي، ويضيف من بعده، القديّس كيرلس، والقديّس باسيليوس<sup>(٣٨)</sup>، والقديّس غريغوريوس<sup>(٣٩)</sup>. والأنبا أنطونيوس، والثلاثة مقارات القديّسين. وينتهي الجمع بقوله: ”هؤلاء الذين بطلباهم ودعاهم، ارحمنا كلنا معاً وأنقذنا من أجل اسمك القدّوس الذي دعي علينا“. ولا تخفى العلاقة التي كانت تربط بين دير القديّس أنبا مقار، وبين القديّس ساويرس الأنطاكي<sup>(٤٠)</sup>، وهو ما يفسّر لنا التّأثير السّرياني

٣٨- ورد اسمه من قبل، في مخطوط الدّير الأبيض بسوهاج.  
٣٩- ينبغي أن نلاحظ أن ترتيب ”القديّس كيرلس والقديّس باسيليوس والقديّس غريغوريوس“، هو نفس الترتيب الذي نقلوه هؤلاء الثلاثة في تحليل الخدّام، في القُدَّاسُ الإلهي. الأوّل قبطي، والثاني سرياني، والثالث كبادوكي.  
٤٠- وقد القديّس ساويرس الأنطاكي إلى مصر هارباً من مقاوميه، وذلك في حربيّة البابا تيموتاوس الثالث (٥١٨-٥٣٦م). وتأثر الأقباط بشخصيّة ودفاعه عن الإيمان الأرثوذكسي. وكان دير القديّس أنبا مقار في ذلك الوقت - ولقرون كثيرة تالية - هو مركز الحياة الفكرية الكنسية في الوجه البحري، بعد اندثار مدرسة

على الليتورجية القبطية، والذي لا زال أثره واضحاً حتى اليوم.

أما مخطوط أكسفورد رقم (هنت ٣٦٠)، فبعد أن يذكر أنبا أنطونيوس مقتنياً نفس ترتيب مخطوط الفاتيكان رقم (١٧)، كما سبق أن ذكرتُ للتو، يذكر (بخطفه): ”وابونا ابا بولا والابا التلت مقارات واينا الاب يوحنا وابانا الاب بيشوي واباينا الروم واينا الاب موسى والتسعة واربعين شهيد واينا الاب يحنس كما<sup>(٤١)</sup> وكل مصاف قديسيك ...“.

ويذكر ابن سباع نص المجمع في زمانه، أي في القرن الثالث عشر أو الرابع عشر، حيث نجد أنه أكثر النصوص الليتورجية إضافة لأسماء القديسين على المجمع في هذا الوقت. فبعد أن يذكر مقدمة المجمع حتى إلى القديس مرقس الإنجيلي، كما نعرفها اليوم يقول ما نصُّه (بخطفه): ”وابونا ساويرس وديسقوروس ويوحنا فم الذهب، والقديس كيرلس والقديس باسيليوس والقديس اغريغوريوس. واينا البار العظيم انطونيوس، وابونا ابو مقار وابو يحنس وابو بشيه واينا الروم مكسيموس ودوماديوس والتسعة واربعين شهيد وانيا موسى ويوحنا كما وابونا بنجوم وابونا شنوده راس المتوحدين وكافة مصاف قديسيك ...“<sup>(٤٢)</sup>.

فهل إلى هذا الحد قد طوي ذكر البابا أناسيوس الرسولي في كنيسة الإسكندرية في العصور الوسطى؟! ما أعجب التاريخ.

ولقد استطال مجمع القدّاس بإضافة أسماء قديسين كثيرين، حتى أصبح من غير الطبيعي ترديد كل هذه الأسماء التي يوردها خولاجي سنة

الإسكندرية اللاهوتية.

٤١- يقصد طبعاً أنبا يحنس كما.

٤٢- يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، مرجع سابق، ص ٢٥٤

١٩٠٢م في كل مرّة تُقام فيها الذبيحة المقدّسة. ولا زال كثير من الآباء الكهنة يبهون المجمع عند قولهم: ”وأبانا أنبا بيشوي البار الرّجل الكامل حبيب مخلصنا الصّالح“، بينما يضيف البعض الآخر بدءاً من القول: ”وأبانا أنبا بولا الطموهي وحرقيال تلميذه“، وحتى إلى القول: ”وأبانا أنبا شنوده رئيس المتوحّدين، وأنبا ويصا تلميذه“. ونادراً إن لم يكن نادراً جداً أن يضيف الكاهن بالقول: ”وأبانا أنبا نوفر، وأبانا أنبا كاراس ... وأبانا الصّدّيق العظيم أنبا برسوما العريان“. وهذا الجزء الأخير من المجمع يحوي ٤٠ من القدّيسين والآباء السوّاح، بخلاف شهداء مدينة إسنا، أولاد أنبا أمونيوس الأسقف، وأيضاً أولاد الآباء السوّاح لبّاس الصّليب.

واضح هنا أن المجمع قد تشكّل بالصورة التي هو عليها الآن مع مرور السنين، بل كانت هناك إضافات لأسماء قدّيسين تختلف بين كنيسة وأخرى من الكنائس القبطيّة، ولم يكن ذلك يسبّب أي حساسيّة أو خروج عن الطّقس. وذكر القدّيسين في المجمع لا يتبع ترتيب بعينه، حيث يرد فيه أسماء قدّيسين من فلسطين، وكبادوكيا، وبيزنطة، وروما، وأرمينيا، والحبشة. أمّا ما يشد الانتباه فعلاً، فهو خلوه من ذكر أي شهيدات أو قدّسات على مدى الزّمن، وهن كثيرات كثيرات. ولعل العذراء القدّيسة مريم هي نائبة عن بنات جنسها، بل عنّا كلنا.

ويكفي الكاهن في نهاية المجمع بذكر عبارة: ”وكل مصاف قدّيسيك“. فبا لكثرة القدّيسين، لا نستطيع أن نحصي عددهم، لأنهم كثيرون مثل السّنابل كقول الكتّاب. وتقول الدّيداحي من مدوّنات نهاية القرن الأوّل الميلادي: ”اجتهد كل يوم في طلب لقاء القدّيسين لترتاح بكلماتهم“.

وفي نهاية المجمع يقول الشّمّاس: ”القارئون فليقولوا أسماء آبائنا البطارقة الذين رقدوا ...“. وكانت تلاوة أسماء البطارقة قاصرة على



كاتدرائية البطريك فقط في موضع كرسيه. وحتى هذا توقّف وبطل الآن ولم يعد له وجود. إلا أن مرد الشمّاس السّابق ذكره لا زال يُقال حتى اليوم، ولعله نصفه الثّاني هو الذي أبقى عليه من الرّوال، وذلك حين يقول الشمّاس: "الرّب يَنْبِئ نفوسهم أجمعين، ويغفر لنا خطايانا". غير أن عادة تلاوة المنشور بأسماء جميع البطاركة الذين خدموا كرسي الإسكندرية فهي عادة يبدو أنّها بدأت أولاً في أورشليم، وكان أوّل من ذكرها هو القديس كيرلس الأورشليمي (٣١٥-٣٨٦م).

وهذا ما نقرأه بوضوح عند القس أبو البركات ابن كير (+ ١٣٢٤م) فس الكنيسة البطريكية في القرن الرابع عشر، حيث يتكلّم عن لحن εὐχαια والذي يُقال بعد المجمع مباشرة، حيث يقول ابن كير: "ثمّ يشير (الكاهن) إلى الشمّامة بذكر أسماء البطاركة والآباء فيبتدئوا أولاً بذكر السيّد العذراء والقديس يوحنا المعمدان، واسطفانوس رئيس الشمّامة، والبطريك الجالس على الكرسي المرقصي. وإن كان الكرسي خالياً من بطريك فيذكر اسم المتّيح إلى أن يجلس غيره، فيضاف اسم المتّيح إلى آخر أسماء الآباء وآخرهم يذكر اسم القديس ساويرس بطريك أنطاكية" (٤٣).

أمّا مقدّمة هذا اللّحن المذكور والذي يقوله الشمّاس بعد المجمع فهي: "بصلوات وشفاعات ذات كل قداسة المحجّدة الطّاهرة المباركة، سيّدتنا والدة الإله الدّائمة البتولية مريم. والقديس النبي السّابق المعمدان الشهيد يوحنا، والقديس إسطفانوس رئيس الشمّامة وأوّل الشّهداء، والقديسين الرّسل المحجّدين والأنبياء والحسنى الطّفر الشّهداء، وكل مصاف القديسين. أنبا (فلان) السيّد رئيس أساقفة المدينة العظمى

٤٣- مخطوط رقم (٢٠٣ عربي) بالملكة الأهلّة بباريس، وهو كتاب "مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة" لأبي البركات ابن كير (صورة طبق الأصل من الجزء الثّاني منه)، مرجع سابق، الباب ١٧

الإسكندرِيَّة، وأساقفتنا الأرثوذكسيين المشكورين. ومن أجل الرّاقدين ونياحتهم، وآبائنا القدّيسين، القدّيس مرقس الرّسول الإنجيلي رئيس الأساقفة والشّهيد. إنيانوس. ميلْيوس. كردونوس. إيريموس. يسطس ... الخ“ (٤٤).

### ثالثاً: التّرحيم

يورد مخطوط الدّير الأبيض بسوهاج نص صلاة التّرحيم هكذا: ”وبالمثل اذكر يارب كل الذين في الكهنوت الذين تنيّحوا، وكل الذين من رتبة العلمانيّين، ونيّحهم في حضن إبراهيم واسحق ويعقوب في موضع خضرة على ماء الرّاحة حيث هرب الحزن والكآبة والتّنهّد“.

وهذا هو بعينه نص التّرحيم الذي يُقال سرّاً في القدّاس الباسيلي حتى اليوم ولكن في صورته الأوّليّة البسيطة جداً. ولكن الملاحظة الجديرة بالاهتمام هنا هي أن نص هذا التّرحيم يرد تابعاً مباشرة لنهاية الجمع، فبعد عبارة ”... من أجل اسمك القدّوس الذي دُعي علينا“، يقول الكاهن مباشرة: ”وبالمثل اذكر يارب ...“، ومن أجل ذلك يرد التّنبية الطّقسي في المخطوط بعد نص صلاة التّرحيم: ”فلتقولوا الأسماء“.

واضح هنا أنه لما انتقلت صلاة التّرحيم هذه، لتُقال سرّاً انتقل المراد الذي يقوله الشّمّاس ”القارئون فليقولوا أسماء آبائنا البطارقة الذين رقدوا ...“ ليُقال مباشرة بعد الجمع.

وبالبحث في هذه الجزئيّة وجدتُ أن مخطوط أكسفورد رقم (هنت ٣٦٠) قد أجاب على هذا التّساؤل، إذ يرد فيه عبارة ”واذكر أيضاً“

يارب ...“، ملتحمة مباشرة بنهاية المجمع، فيقول: ”... من أجل اسمك القدوس الذي دُعِيَ علينا. واذكر أيضاً يارب كل الذين رقدوا وتنيحوا ...“ وهو ما يعزِّز قول الكاهن في عبارة ”واذكر أيضاً“.

وعلى ذلك نجد أن مخطوط الدَّير الأبيض الذي يعود إلى القرن السَّابع الميلادي يتَّفَق مع مخطوط أكسفورد رقم (هنت ٣٦٠) الذي يعود إلى القرن الثالث عشر الميلادي. في حين أن مخطوط الفاتيكان رقم (١٧) يورد هذا الجزء من القدَّاس هكذا (بنصّه): ”يقول الكاهن سرا: اذكر ايضاً يارب كل الذين رقدوا وتنيحوا في الكهنوت، وكل الذين هم في رتبة العلمانيين، تفضل<sup>(٤٥)</sup> نبح نفوسهم كلهم في حضن ابائنا القديسين ابراهيم واسحق ويعقوب. عليهم في موضع الخضره على ماء الراحه في فردوس النعيم. الموضع الذي تباعد منه الم القلب والكابه والتنهذ في نور قديسيك“.

وبعد ذلك مباشرة يقول مخطوط الفاتيكان رقم (١٧): ”يقول الكاهن هذا الترحيم: واوليك يارب نيحهم في ذلك الموضع ...“.

وهنا لا يشير خولاجي الفاتيكان رقم (١٧) إلى أي ذكر لأسماء تُقال في الترَّحيم. كما أنه يذكر عبارة ”يقول الكاهن سرا“، وهو نفس ما يذكره البابا غبريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٧م)<sup>(٤٦)</sup>. فهل كانت هناك ممارسات، الأولى تقول الترَّحيم جهراً، والثانية تقوله سرا، وقد سادت هذه الممارسة الثانية؟ إن مخطوط الدَّير الأبيض بسوهاج يكشف لنا أن ترديد الترَّحيم جهراً كان هو الطَّقس الأقدم.

وهنا يلزم أن أشير إلى القانون رقم (١٤) من قوانين البابا غبريال بن

٤٥- يضيف الخولاجي المطبوع سنة ١٩٠٢م كلمة ”يارب“.

٤٦- البابا غبريال الخامس، الترتيب الطقسي، مرجع سابق، ص ٨٢

تريك (١١٣١ - ١١٤٥ م) الذي يقول: "نمّة قوم يجدّفون على قوانين الله ونواميسه، ويصنعون التّراخيم على الذين رقدوا في يوم الأحد الذي هو يوم الفرح بقيامة سيّدنا يسوع المسيح طلباً للمجد الفارغ. والقوانين تمنع من ذلك وتحذّر منه. ومن اعتمد ذلك فيما بعد فهو محطّئ وليس في حل ولا ربح، بل في خسارة ودينونة".

وربما كان التّنبيه الطّقسي الذي يقول بأن التّرحيم الوارد في القدّاس الباسيلي يُقال سرّاً، سبباً في ضياع لحن التّرحيم الباسيلي، في حين قد حُفظ لنا لحن التّرحيم الوارد في القدّاس الكيرلسي، وهو من واحد من لحنين فقط بقيتا لنا من كل ألحان القدّاس الكيرلسي، فتورد الخولاجيّات المطبوعة نص كلمات التّرحيم الموجود في القدّاس الكيرلسي ليُقال في هذا المكان من القدّاس الباسيلي.

وفي الحقيقة فإن الجزء الذي حُذف فعلاً من التّرحيم الباسيلي هو قول الكاهن: "أذكر أيضاً يارب كل الذين رقدوا وتنيّحوا في الكهنوت، الذين في كل طغمة العلمانيين"، ليحل محله التّرحيم الكيرلسي: "وهؤلاء وكل أحد يارب، الذين ذكرنا أسماءهم<sup>(٤٧)</sup>، والذين لم نذكرهم. الذين في فكر كل واحد منا، والذين ليسوا فينا<sup>(٤٨)</sup>، الذين رقدوا وتنيّحوا في إيمان المسيح". ثمّ يكمل الكاهن بقوله من القدّاس الباسيلي مرّة أخرى: "نفصل يارب نبيّ نفوسهم أجمعين في حضن آبائنا القدّيسين ...".

وإن ما يذكره البابا غبريال الخامس (١٤٠٩ - ١٤٢٧ م) في كتابه "التّرتيب الطّقسي"<sup>(٤٩)</sup>، بعد أن يقول الكاهن التّرحيم الباسيلي سرّاً،

٤٧- تعبير "هؤلاء ... الذين ذكرنا أسماءهم" يشير إلى كل قديسي الجمع.

٤٨- أي الذين ليسوا في فكرنا.

٤٩- البابا غبريال الخامس، التّرتيب الطّقسي، مرجع سابق، ص ٨٢

وهو ما ينقله بالنص خولاجي سنة ١٩٠٢م<sup>(٥٠)</sup>، لا يمارسه أحد من الكهنة اليوم على حد علمي. فيقول البابا غريغال الخامس: "فإذا فرغ (الكاهن) من قراءة هذا السر، يلف يده اليمين، ويشير بها إلى الغرب للشعب، ويقف مجانياً، ويده اليسرى مبسوطة على الصنيئة طالباً للمسيح، ويتلو قراءة البركة<sup>(٥١)</sup> إلى آخرها".

أما عبارة "فلتقولوا الأسماء"، والتي وردت في مخطوط الدبر الأبيض بسوهاج، التي وردت بعد الترحيم مباشرة فهي نداء للشماس ليقول الأسماء المدونة على اللوحين المعدنين لذلك، أي لוחي "الدبتبخا".

و"الدبتبخا - Diptychs" اصطلاح كنسي، وهو تعريب للكلمة اليونانية δῖπτυχον (دبتبخون)، أي منشور من صفحتين مطويتين للإعلان two leaved folder<sup>(٥٢)</sup>.

فالدبتبخا هي لوحان يكتب على أحدهما أسماء الأحياء وعلى الآخر أسماء المنتقلين من المسيحيين الذين تُرفع الصلوات والقرايين من أجلهم على المذبح المقدس في خدمة القُداس الإلهي. أمّا أسماء الأحياء فهم غالباً الذين قدّموا القرايين، أو الذين طلبوا ذكر أسمائهم لاحتياج يختص بهم. وكان ذكر هؤلاء الأحياء، ومعهم الأموات، في أوشية تختص بهم بعد المقدّمة مباشرة، كما هو ورا د حتى اليوم في القُداس المرقسي في الخولاجيات التي بين أيدينا. ولقد عُرِفَت "الدبتبخا" في الليتورجيات الشرقيّة والغربيّة، قبل أن يضعف هذا الطقس ويبدأ في التلاشي رويداً

٥٠- كتاب الخولاجي المقدس، طبعة سنة ١٩٠٢م، ص ٣٦٦

٥١- هذه البركة بدايتها: "الله يتراءف علينا، ويباركنا، ويظهر وجهه علينا ويرحمنا. يارب خلص شعبك ...".

رويداً حيث اندثر في كلا الشَّرْقِ والغرب على حد سواء<sup>(٥٣)</sup>.

والعادة الجارية في بعض الكنائس غير القبطية منذ زمن ليس ببعيد أن يوضع على المائدة لوح فيه أسماء الموتى الذين يُطلب ذكركم. فيرثمه الكاهن في وقت التَّرحيم بإشارة الضَّليب بإمامه، بعد أن يضعه على الجسد المقدَّس<sup>(٥٤)</sup>.

ويعتبر ذكر الرَّاقدين في الكنيسة في داخل ذبيحة الإفخارستيا دليلاً يكشف عن عقيدة الكنيسة الرَّاسخة من جهة "شركة القديسين"، ووحدة أعضاء الكنيسة، الباقين والمنتقلين.

فحين يقول الشَّمَّاس بصوت جهوري أسماء الأحياء والمنتقلين، يشترك الشَّعب معه في الصَّلَاة من أجلهم. اسمع مثلاً ما يقوله الشَّمَّاس موجهاً ندائه للشَّعب: "اطلبوا عنَّا وعن كل المسيحيين الذين قالوا لنا: اذكرونا في بيت الرَّبِّ". فرفع القلب بالصَّلَاة والطلبية لأجل الذين سألوها الصَّلَاة من أجلهم هو المعنى الصَّحيح لذكركم في الكنيسة في سرِّ الإفخارستيا، وليس بوضع أوراق على المذبح فحسب، إلا إذا كان

٥٣- منذ بداية السبعينيات من القرن العشرين انتشرت بين الكنائس عادة ذكر الأحياء والأموات تحت شكل جديد، حيث يضع المؤمنون - عن طريق الشَّمَّاس أو غيره - أوراقاً على المذبح، مكتوب فيها أسماء من يريدون ذكركم. فصرت ترى على المذبح أكواماً من هذه الورقات من كل حجم وشكل ونوع، ويتعذر على الكاهن أن يقرأها كلها لكثرتها ولرداءة الخط المكتوب، إن كان وضعها على المذبح أصلاً هو لهذا الغرض. ولكن يبدو أن هذه العادة تطورت إلى أن صارت شبه "طوطم"، إذ يكتفي الشخص بوضع ورقة على المذبح فحسب، دون طلب أي صلاة من أجل الأسماء المذكورة فيها. وتطور الأمر حالياً، إذ أصبح يوضع على المذبح أرقام جلوس الطلبة في أوقات الامتحانات، أو دوسيهات قضايا تنتظر الأحكام ... الخ !!.

الكاهن سيذكر ما بها من أسماء في الموضع الطقسي لهذا التذكار.

ولدينا بعض أقوال للعلامة أوريجانوس (١٨٥-٢٥٤م) تشير بوضوح إلى ذكر الأموات في صلاة داخل الكنيسة، فيقول:

[... وإهم يصنعون تذكاراً بخشوع للقديسين الذين رقدوا في الإيمان، لكي ينالوا عزاءً وسروراً طالين أن يكون لهم معهم أيضاً كمالاً في الإيمان].

وبعد مجمع نيقية سنة ٣٢٥م بدأ دخول أسماء الأحياء والأموات، كل شخص باسمه الخاص، وخصوصاً مقدّمي القرابين، كما هو مذكور في البردية التي اكتشفت في نواحي طيبة في صعيد مصر، والتي تعود إلى القرن السابع الميلادي، والتي قام العلامة كرام W.E. Crum بدراستها ونشرها، والتي يوجد فيها "الذبيخا".

وتشير الدسقولية العربية في الفصل الرابع والثلاثين<sup>(٥٥)</sup> إلى عادة ذكر المنتيحين في القدّاس الإلهي، وأن يتم تقديم القرابين عنهم. ولقد تحدّثت الدسقولية السريانية عن إقامة القدّاس الإلهي من أجل الذين يرقدون، وقبل نقلهم إلى المدافن.

فتقول الدسقولية العربية في الفصل رقم (٣٤: ١، ٢): "اجتمعوا بلا كسل إلى المدافن ذات البيع، لتقرأوا في الكُتب المقدّسة، وترثّلوا على الذين رقدوا من الشهداء وكل القديسين الذين كانوا من ابتداء العالم، وإخوتكم الذين رقدوا في الرب. وقدّاس الإفخارستيا الذي للجدس المقدّس والدم الكريم الملكي، أصدوده عنكم في كنائسكم والمدافن".

٥٥- وذلك طبقاً لمخطوط الفاتيكان (Borg. Arabo 22). انظر: دكتور وليم سليمان قلادة، مرجع سابق، ص ٤٣٣

وتقول الدسقولية السريانية: "أكملوا بدون ضجّة خدمتكم وصلاتكم لله، قدموا الإفخارستيا المقبولة - صورة الجسد الملكي الذي للمسيح في اجتماعاتكم، وفي مدافنكم عند خروج الذين يموتون. (عند الدفن، قدموا) الخبز الذي بدون عيب، المصنوع من التّار، والمقدّس بالتضرعات. صلّوا وقدموا (الذبيحة) بدون أي تردّد لأجل الذين يرقدون".

وتكمّل الدسقولية الإثيوبية لتقول: "وأقيموا لأجلهم الإفخارستيا".

ولقد سبق أن أشرتُ إلى أن خولاجي القدّيس سراييون في القرن الرّابع الميلادي، وهو بحسب رأي العلماء يحوي نصوص صلوات ليثورجية كانت تصلي بها كنيسة مصر قبل زمن سراييون، إلا أن القدّيس سراييون هو الذي جمعها، ودوّنها في الخولاجي المذكور باسمه. وفي هذا الخولاجي صلاة من أجل الميت والمنقول للدفن، تحوي مقاطع طبق الأصل من أوشية الرّاقدين التي تصليها الكنيسة القبطية حتى اليوم.

فتحت عنوان: "صلاة من أجل الميت والمنقول للدفن"، يقول: "... نتوسّل إليك من أجل رقاد ونياح عبدك هذا (أو عبدتك هذه) نبيح نفسه وروحه في مراعيك، في مواضع الرّاحة مع إبراهيم واسحق ويعقوب، وجميع قدّيسيك. أما الجسد فأقمه في اليوم الذي رسمته كمواعيديك غير الكاذبة، لكي تعطه أيضاً ميراثاً كاستحقاقه في مراعيك المقدّسة. لا تذكر زلاته وخطاياها، واجعل أن يكون خروجه سلامياً ومباركاً...".

ولقد ورد في أنافورا القدّيس يعقوب أخي الرّب السريانية ما يلي: "اذكر جميع الذين رحلوا عنّا على الإيمان المستقيم، ونبيح أجسادهم وأنفسهم وأرواحهم، ونجهم من الشّجب الأبدي. لتردّهم



إلى المكان الذي يفتقده نور وجهك، ماحياً زلاتهم، وغير محاكم إياهم، لأنه ليس من برئ أمامك سوى ابنك الوحيد“.

ولنا شهادة عزيزة من التاريخ عن إقامة قَدَّاس إلهي في ذكرى انتقال القديس باخوميوس، حيث يخبرنا القديس تادرس تلميذه، وأحد خلفائه المباشرين عن ذلك الأمر، في حديث له إلى الرهبان، يقول فيه:

[أصغوا يا إخواني وتفطنوا جيداً فيما أقوله لكم: إن هذا الإنسان الذي نحتفل بعمل قَدَّاس لذكرى انتقاله اليوم هو حقاً بعد الله أبونا كلنا. فقد سرَّ الله به ليخلص بواسطته نفوساً عديدة. ونحن أيضاً قد أنعم الله علينا بخلاصنا بفضل صلواته المقدسة] (٥٦).

ويقول الأب يوحنا من كرونستادت: ”صلِّ للرَّب من أجل راحة نفوس أجدادك وآبائك وإخوتك الرَّاحلين. صلِّ عنهم صباحاً ومساءً وعند الغروب حتى يعيش فيك تذكُّار الموت، ولا ينطفئ منك الرَّجاء في الحياة العتيدة التي بعد الموت. بل تتَّضع روحك كل يوم بتذكُّر وقتية حياتك“.

ويقول أيضاً: ”نحن نصلي من أجل الآخرين وهم أحياء. فلماذا نقطع عن الصلاة من أجلهم بعد موتهم؟ هل لأنهم صاروا غير موجودين، فنقطع عن الصلاة من أجلهم؟. صلاة الإيمان والحب من أجل الرَّاحلين لها قيمتها في عيني الرَّب“.

إن الكاهن عند ذكر المنتقلين يضع يد بخور في الشَّورية، تقدمة وصعيدة زكية عنهم، فنذكرهم كمن نال رائحة الحياة أي ربنا يسوع

56- Vie copte de Saint Pachôme, cite dans l'esprit du monachisme Pachômien, Bellefontaine, 1973, p. VII.

المسيح، وهذا هو سرّ وضع البُخور أثناء التّرحيم. لكي نتشجّع بحياة عدم الفساد التي لربّنا يسوع المسيح، ونطلب الرّحمة بثقة وتقوى قلوبنا، فلا نرهب الموت بل تكون لنا شجاعة الحياة الجديدة.

وفي شرح قلتم لسبب وضع البُخور أثناء التّرحيم، أنه إشارة إلى بشارة القيامة وعدم الفساد التي نالها المتنيحون في أحضان القديسين. ومن أجل ذلك لا يكون لنا نوح، ولا هم، ولا أحزان، بل اشتياقات روحية لذلك الموضع السّمائي<sup>(٥٧)</sup>.

### المرد الذي يقال بعد التّرحيم

أمّا المرد الذي يُقال بعد التّرحيم فهو محفوظ حتى اليوم في الكنيسة القبطية بنصه اليوناني، ويُقال في القدّاسين الباسيلي والغريغوري<sup>(٥٨)</sup> وهو:

Δόξα σοι Κύριε, Κύριε ἐλέησον, Κύριε ἐλέησον, Κύριε  
εὐλόγησον, Κύριε ἀνάπαυσον, Ἀμήν.

أي: "أُجد لك يارب. يارب ارحم. يارب ارحم. يارب باركنا. يارب نِيحهم آمين".

ولقد أضيف على المرد السّابق ذكره إن قيل بالعربية عبارة "يارب

٥٧- معاني رشم الصليب، مرجع سابق، ص ٩١، ٩٢

٥٨- أدخل كتاب "القدّاسات الثلاثة متقابلة مع الضبط والشرح" هذا المرد ليُقال أيضاً في القدّاس الكيرلسي، بعد إعادة ترتيب بعض أجزائه ليتماشى مع ترتيب القدّاس الباسيلي. فصار القدّاس الكيرلسي بذلك مرتباً ترتيباً رابعاً: التّرتيب الأوّل، الخولاحي المطبوع سنة ١٩٠٢م. التّرتيب الثّاني: ترتيب البابا مكاريوس الثّالث (١٩٤٢-١٩٤٥م) البطريرك الـ ١١٤ من بطاركة الكنيسة القبطية. التّرتيب الثّالث: ترتيب المتنيح الأنبا ديسقوروس أسقف المنوفية السّابق سنة ١٩٦٨م. التّرتيب الرّابع: ترتيب القس كيرلس كيرلس سنة ١٩٧٩م!

لك المجد“ بعد عبارة: ”المجد لك يارب“، دون سند من أصل يوناني لهذه الإضافة. إلا أن هذا المرد لم يرد في النّص اليوناني للقدّاسات القبطيّة طبّقاً لمخطوط كسمارسك F. Kacmarcik Codex والذي حقّقه العالم ماكومير W.F. Macomber<sup>(٥٩)</sup>. وكذلك لم يرد في النّص اليوناني للقدّاس الباسيلي الذي حقّقه العالم رونودوت E. Renaudot<sup>(٦٠)</sup>.

أمّا الإضافة القبطيّة التي تسبق هذا المرد اليوناني وهي:  $\epsilon\rho\epsilon$   $\rho\omega\tau\iota\sigma\mu\omicron\upsilon\tau\epsilon\theta\omicron\tau\alpha\upsilon\beta$  أي ”بركتهم المقدّسة تكون معنا أمين“، فيتّضح منها أنّها إضافة حديثة نوعاً على المرد، تُختَم بكلمة ”أمين“، قبل أن يبدأ المرد اليوناني ليُختَم بنفس الكلمة. ولم يرد ذكر هذه الإضافة القبطيّة في نحولاجي سنة ١٩٠٢م ولا في مخطوطات الخولاجيّات الأخرى. ونظراً لتباين استخدامها من عدمه في الكنائس، فقد أوصى المجمع المقدّس للكنيسة القبطيّة في سنة ١٩٩٥م بتوحيد استخدامها في كل الكنائس<sup>(٦١)</sup>.

أولئك يارب الذين أخذت نفوسهم نيّحهم ...

تأتي هذه الصّلاة، أو هذا التّرحيم في مخطوط الدّير الأبيض بسوهاج في صيغته المختصرة والبسيطة جداً، وهي: ”أولئك نيّحهم عندك. أمّا نحن الغرباء هنا احفظنا في إيمانك“.

وهي صلاة تحصّ المنتقلين والأحياء على السّواء؛ للمنتقلين تطلب النّياح، وللأحياء تطلب الحفظ في الإيمان.

59- W.F. Macomber, *op. cit.*, OCP 45 (1979), p. 325.

60- PG 31, 1641D

٦١- القرارات المجمعية في عهد صاحب الغبطة والقداسة، البابا شنودة الثالث، مرجع

أما عن الجزء الخاص بالمنتقلين، فنجد أن تعبير "نِيحهم عندك" قد جاء في القبطية الصعيديّة في مخطوط الدّير الأبيض بسوهاج هكذا:  $\text{NETIMAT THTON NAT SATHK}$  وقد ترجمها العلماء إلى اليونانيّة هكذا:  $\text{Ἐκείνους μὲν ἀνάπαυσον πρὸς σέ}$ .<sup>(٦٢)</sup>

وقد تطوّر هذا الجزء الأوّل من الصلّاة، وكانت البداية حين استبدلت كلمة "عندك" إلى تعبير "في ذلك الموضع". وفي مخطوط الفاتيكان رقم (١٧)، والذي يعود إلى القرن الثاني عشر نقرأ تطوّراً آخر، حيث يقول: "أولئك يارب نِيحهم في ذلك الموضع"، حيث ظهرت كلمة "يارب". ولكن هذا التّطوّر لم يكن عامّاً في كل الكنائس آنذ، لأن ابن سباع في القرن الثالث عشر يورد هذا النّص اللّيتورجي بدون كلمة "يارب"، حيث يذكر: "الذين أخذت نفوسهم نِيحهم في ذلك الموضع"<sup>(٦٣)</sup>. وهو النّص الذي نقوله اليوم هكذا: "أولئك يارب الذين أخذت نفوسهم نِيحهم في فردوس النّعيم في كورة الأحياء إلى الأبد، في أورشليم السّمائيّة، في ذلك الموضع"<sup>(٦٤)</sup>.

فلقد تطوّر تعبير "في ذلك الموضع"، وهو الأقدم، ليسبقه تعبير: "في فردوس النّعيم في كورة الأحياء إلى الأبد، في أورشليم السّمائيّة". ومن أجل هذا يذكر القمّص عبد المسيح صليب البراموسي (١٨٤٨-١٩٣٥م) في حولاجي سنة ١٩٠٢م: "أنه في كثير من النّسخ القديمة تُركت عبارة: "في فردوس النّعيم ... أورشليم

62- Bibliothèque du Muséon, *op. cit.*, p. 28, 29.

٦٣- يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، مرجع سابق، ص ٢٥٥

٦٤- هناك فرق بين فردوس النّعيم، وبين كورة الأحياء إلى الأبد أورشليم السّمائيّة. فالأولى موضع انتظار، أما الثانية فهي مقر الأبرار إلى الأبد. والنص هنا بصيغته الحاليّة يخلط بين الموضعين.

السَّمائِيَّةَ“، ولكن توجد هذه التَّكْملة في نُسخ أكثر من التي لم توجد فيها، ولذلك لم تتركها“<sup>(٦٥)</sup>.

أما النَّص اليوناني لهذا الجزء الأوَّل من الصَّلَاة كما ورد في مخطوط القرن السَّابع عشر الذي نشره رونودوت E. Renaudot فهو: ”أولئك يا رب الذين أخذت نفوسهم نيحهم وأهلهم لملكوت السَّموات“، وهذا النَّص باليونانية كما ورد في المخطوط هو:

Εκείνους μὲν, Κύριε, τὰς ψυχὰς ἐκεῖ λαβὼν ἀνάπαυσον καὶ βασιλείας οὐρανῶν καταξίωσον·

ولا يفوت القارئ هنا دقَّة التعبير الذي يورده النَّص اليوناني لهذه الصَّلَاة، والذي افتقر إليه النَّص القبطي الذي لم يفرِّق بين فردوس النَّعيم، وبين أورشليم السَّمائِيَّة، أي ملكوت السَّموات.

أما الجزء الثَّاني من هذه الصَّلَاة والخاص بالأحياء وهو: ”أما نحن الغرباء هنا، احفظنا في إيمانك“، كما يذكر مخطوط الذَّير الأبيض في القرن السَّابع، فقد صار: ”ونحن أيضاً الغرباء في هذا الموضع، احفظنا في إيمانك، وانعم علينا بسلامك إلى التَّمام“<sup>(٦٦)</sup>، كما يذكر مخطوط الفاتيكان رقم (١٧) منذ القرن الثَّاني عشر الميلادي. ولكن هذا التَّعبير اللِّيْتورجي لم يكن تعبيراً شائعاً في كل الكنائس آنئذ، لأن ابن سباع يورده في صيغة أكثر قدماً فيقول: ”ونحن الغرباء في هذا

٦٥- كتاب الخولاجي المقدَّس، طبعة سنة ١٩٠٢م، ص ٣٨١ حاشية رقم ١  
٦٦- النَّص الحرفي بحسب التَّرجمة العربيَّة للمخطوط هو: ”أحرسنا في أمانتك، وانعم علينا بسلامتك إلى التَّمام“.

الموضع، احفظنا في الإيمان بك إلى المنتهى بدوام<sup>(٦٧)</sup>“.

وهذا يعطينا فكرة عن كيفية تطوّر النّص اللّيتورجي مع الاحتفاظ دائماً بالأصل الذي نبع منه. ولقد قرّر العلماء الذين درسوا النّص القبطي الصّعدي لمخطوط الذي الأبيض بسوهاج أنه نص ليتورجي قديم، لم يعتمد على أي نصوص أخرى. وبمقارنتهم مخطوط الدّير الأبيض مع أقدم النّصوص الإفخارستية أكّدوا على أن هذا النّص لا يمثّل فقط شهادة مباشرة لشكل ليتورجية القدّيس باسيليوس المصريّة في زمن البابا بنيامين في النّصف الأوّل من القرن السّابع، بل أيضاً أنّها تعود بنا إلى زمن أسبق من ذلك بكثير، أي نحو النّصف الأوّل من القرن الرّابع الميلادي.

وعند قول الكاهن ”أولئك يارب ...“ فهو يقول ذلك ويدها مبسوطتين<sup>(٦٨)</sup>. وهو نفس ما يذكره الخولاجي المطبوع سنة ١٩٠٢م، حيث يذكر: ”يقول الكاهن هذا ويدها مبسوطتان إلى العلو“<sup>(٦٩)</sup>. وهنا لا ذكر لوجود لقاقتين على اليدين عند البابا غبريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٧م)، وبالتالي عند خولاجي سنة ١٩٠٢م.

مرد: كما كان، هكذا يكون ...

هذا المرء كما يذكر مخطوط الفاتيكان رقم (١٧)، هو: ”كما كان هكذا يكون من جيل إلى جيل، وإلى دهر الدّهور أمين“.

٦٧- لاحظ أنه يترجم نصاً قبطياً إلى العربيّة، ويعني: ”... احفظنا في إيمانك إلى التمام“. مما يعني أن تعبير ”وأنعم علينا بسلامك“، جاء متأخراً.  
٦٨- البابا غبريال الخامس، الترتيب الطقسي، مرجع سابق، ص ٨٢  
٦٩- كتاب الخولاجي المقدّس، طبعة سنة ١٩٠٢م، ص ٣٨٠

وهو مرد لا زال يحتفظ حتى اليوم بكلماته اليونانية:

Ὡσπερ ἦν καὶ ἔσται ἐστὶν ἀπο γενεᾶς εἰς γενεάν καὶ πάντας τοὺς αἰῶνας τῶν αἰώνων. Ἀμήν.

وهذا المرد - بحسب النص القبطي للقُدَّاس - والذي يعقب قول الكاهن "أولئك يارب الذين أخذت نفوسهم نيحهم ..."، صار كأنه يعني أنه من جيل إلى جيل سينتقل مؤمنون، ومن ثم نطلب النِّياح لهم، أما الأحياء فنطلب حفظهم في الإيمان، ولكن هذا المفهوم لا يتوافق مع قول المرد: "... وإلى دهر الدُّهور أمين"، لأنه لا بد أن هيئة هذا العالم تزول.

وإذا أردنا أن نفهم المعنى المقصود من المرد، فيلزم أن نربطه بقول الكاهن: "لكي وبهذا كما أيضاً في كل شيء يتمجد ويتبارك ويرتفع اسمك العظيم ...". فهنا يكون المرد مرداً تسييحياً، يختص بالآب، الممجد والمبارك، والقُدَّوس، إلى آباد الدُّهور، مع المسيح والرُّوح القُدَّس.

فكل مخطوطات الخولاجيات القديمة في نصّها القبطي، وحتى أيضاً الخولاجي المطبوع سنة ١٩٠٢م تشير إلى هذا الموضع الأصلي القديم للمرد، قبل ترحيله فيما بعد ليكون سابقاً على قول الكاهن: "واهدنا إلى ملكوتك"، وقد كان في الأصل لاحقاً لهذه الطلبة ومؤمناً عليها. فيقول النص القبطي للقُدَّاس الباسيلي<sup>(٧٠)</sup>: "أولئك يارب الذين أخذت نفوسهم نيحهم ... ونحن أيضاً الغرباء في هذا المكان احفظنا في إيمانك، وانعم علينا بسلامك إلى التمام. واهدنا إلى ملكوتك".

وواضح هنا أن تعبير "واهدنا إلى ملكوتك"، سابق على مرد "كما كان هكذا يكون ...". حيث يكمل الكاهن بعد المرد بقوله: "لكي

٧٠- مع تباين النص الليتورجي بين المخطوطات كتطور طبيعي مع الزمن.

وهذا كما أيضاً في كل شيء يتمجد ويتبارك ويرتفع اسمك العظيم...“ .  
وهكذا يتفق القدّاس الباسيلي مع نظيره الكيرلسي في أن الكاهن يقول  
بعد هذا المرد مباشرة: ”لكي وهذا...“ . فهي إذا حائمة تسيحية تختص  
بتسيح الآب وتمجيد، ولكن يظل مرد الشعب هنا سابقاً على قول  
الكاهن، وفي ذات الوقت متوافقاً معه. ولذلك إذا راجعنا النص اليوناني  
للقدّاس الباسيلي نجد مدركاً لمفهوم هذا المرد كمرد تسيحي يختص  
بتسيح الآب، فيقول:

Ἐκείνους μὲν, Κύριε, τὰς ψυχὰς  
ἐκεῖ λαβὼν ἀνάπαυσον καὶ  
βασιλείας οὐρανῶν καταξίωσον·  
ἡμᾶς δὲ τοὺς ἐνταῦθα παροικοῦντας  
διατήρησον ἐν πίστει σου, καὶ  
ὁδήγησον ἡμᾶς ἐν τῇ βασιλείᾳ σου,  
χαριζόμενος ἡμῖν τὴν σὴν εἰρήνην  
διὰ παντὸς, ἵνα σου καὶ ἐν τούτῳ,  
καθὼς καὶ ἐν παντί, δοξασθῇ καὶ  
ὑψωθῇ καὶ ὑμνηθῇ καὶ εὐλογηθῇ  
καὶ ἁγιασθῇ τὸ πανάγιον καὶ  
ἐντιμον καὶ εὐλογημένον ὄνομα, σὺν  
Χριστῷ Ἰησοῦ καὶ ἁγίῳ Πνεύματι.

أولئك يا رب الذين  
أخذت نفوسهم نيحهم  
وأهلهم للملكوت  
السموات. وأما نحن  
الغرباء في هذا المكان  
احفظنا في إيمانك، واهدنا  
إلى ملكوتك، وأنعم لنا  
بسلامتك في كل حين،  
لكي بهذا كما في كل  
شيء يتمجد ويرتفع  
ويسبح ويتبارك ويتقدس  
اسمك كلّي القداسة  
المكرّم والمبارك مع المسيح  
يسوع والروح القدس.

وهنا يأتي مرد الشعب: ”كما كان هكذا يكون...“ .

ونفس هذا الشيء عينه نجده في القدّاس الغريغوري في نصّه اليوناني



كما يورده العالم رونودوت E. Renaudot وهو كما يلي:

Σὺ γὰρ εἶ ὁ Θεὸς ἡμῶν, ἐλεήμων, ὁ  
 μὴ βουλόμενος τὸν θάνατον τοῦ  
 ἁμαρτωλοῦ, ὡς τοῦ ἐπιστρέψαι καὶ  
 ζῆν αὐτόν. Ὁ Θεός, ἐπίσκεπον ἡμᾶς  
 ἐν τῷ σωτηρίῳ σου· ποίησον μεθ' ἡμῶν  
 κατὰ τὴν ἐπιείκειάν σου, ὁ ποιῶν  
 ὑπὲρ ἐκ περισσοῦ ὧν αἰτούμεθα, ἣ  
 νοοῦμεν· ἵνα σου καὶ ἐν τούτῳ καθὼς  
 καὶ ἐν παντὶ δοξασθῆ καὶ ὑψωθῆ καὶ  
 ὑμνηθῆ, καὶ εὐλογηθῆ καὶ ἀγιασθῆ τὸ  
 πανάγιον καὶ ἔντιμον, καὶ  
 εὐλογημένον σου ὄνομα, ἅμα τῷ  
 ἀχράντῳ σου Πατρὶ καὶ ἀγίῳ  
 Πνεύματι.

لأنك أنت إلهنا الرَّحِيم  
 الذي لا يشاء موت  
 الخاطيء مثل ما يرجع  
 ويحيى. افتقدنا يا الله  
 بخلاصك، واصنع معنا  
 حسب دعتك، يا من  
 تصنع أكثر مما نطلب أو  
 نفهم<sup>(٧١)</sup>، لكي بهذا أيضاً  
 كما في كل شيء يتمجد  
 ويرتفع ويُسبَّح ويتبارك  
 ويتقدَّس اسمك كلِّي  
 القداسة الكريم المبارك مع  
 أبيك فائق التقاوة والروح  
 القدس.

وهنا يأتي المرد: "كما كان ...".

ولعلنا الآن قد عرفنا سبب وجود تعبير "واهدنا إلى ملكوتك"<sup>(٧٢)</sup> للاحقاً مباشرة لصلاة: "أولئك يارب ..."، في النص القبطي للقداس

٧١- هنا يأتي مرد: "كما كان هكذا يكون ..." في النص القبطي للقداس الغريغوري.

٧٢- عبارة "واهدنا إلى ملكوتك" تأتي في اليونانية

Καὶ ὁδήγησον ἡμᾶς ἐν τῇ Βασιλείᾳ σου.

وهي تعني كما في القبطية تماماً: قدنا أو أرشدنا في طريق ملكوتك. أي أن الله الأب هو قائد مسيرتنا في الطريق إليه. أما الطريق نفسه فهو يسوع المسيح له المجد، الذي قال: «أنا هو الطريق». فالمسيح هو طريقنا إلى الأب.



وهو  $\epsilon\tau$  في حالتنا هذه - محل أدوات التعريف إذا كان الاسم المراد تعريفه نعتاً مشتقاً من فعل أو ما يُسمى الصيغة الوصفية للفعل.

### تمجيد الآب بابنه في ختام الصلاة الإفخارستية

في جميع الليتورجيات شرقاً وغرباً، تُختتم الصلاة الإفخارستية - وقبل أن تبدأ صلوات القسمة - بتمجيد الآب بابنه أو مع ابنه وروحه القدس. وهذا ما نجد في الليتورجية القبطية: "لكي وبهذا كما أيضاً في كل شيء يتمجد ويتبارك ويرتفع اسمك العظيم، القدس في كل شيء، الكريم والمبارك، مع يسوع المسيح ابنك الحبيب، والروح القدس".

وهذا هو ما نجد في مخطوط الدبر الأبيض بسوهاج، حيث نجد أنه قبل صلاة القسمة، يرد النص التالي: "وامنحنا سلامك كل حين، بيسوع المسيح والروح القدس. الآب في الابن، والابن في الآب، مع الروح القدس في كنيسة المقدسة الواحدة الجامعة الرسولية".

وفي ليتورجية هيبوليتس في كتاب "التقليد الرسولي" نجد أيضاً صيغة التمجيد هذه: "لنسبحك وتمجدك بفتاك يسوع المسيح، الذي به لك المنجد والكرامة مع الروح القدس في الكنيسة المقدسة، الآن وإلى آبد الدهور. آمين".

وفي كنيسة القسطنطينية يكون تمجيد وتسيح الآب والابن والروح القدس. وفي ليتورجية المراسيم الرسولية نقرأ عن التسيح والإكرام والحمد والسجود للآب والابن والروح القدس. وفي ليتورجية عهد ربنا: "فليكن اسم الرب مباركاً، مبارك الآتي باسم الرب. مبارك اسم مجده".

وفي كل الليتورجيات أيضاً، وبعد تمجيد الآب والابن والروح

القُدَّاس يعطي الكاهن السَّلَام للشَّعب. ففي اللَّيتورجِيَّة القبطِيَّة، وليتورجِيَّة أورشليم، يُخاطب الكاهن الشَّعب بقوله: "السَّلَام للكل"، أو "السَّلَام لجميعكم". وفي اللَّيتورجِيَّة السَّرِيانيَّة يقول الكاهن: "فلتكن مراحم الله العظيم، ومخلَّصنا يسوع المسيح مع جميعكم"، أو "... مع جميعنا" كما في ليتورجِيَّة القسطنطينيَّة. وفي ليتورجِيَّة المراسيم الرُّسوليَّة، يقول الكاهن: "سَلَام الله مع جميعكم". أمَّا اللَّيتورجِيَّة الرُّومانيَّة فترجئ هذه التَّحِيَّة إلى حين<sup>(٧٧)</sup>. هنا يتَّضح لنا أن قول الكاهن: "السَّلَام للكل"، يعني أنه يبدأ بعدها صلاة جديدة. فقبلها تكون الصَّلَاة الإفخارستيَّة قد اكتملت، وبعدها تبدأ صلاة جديدة، هي مقدِّمة صلاة القسمة.

### ممارسة طقسِيَّة جديدة بالاهتمام

بعد انتهاء الكاهن من قوله: "لكي وهذا كما أيضاً في كل شيء ..."، يقول: "السَّلَام للكل - Eirήνη πᾶσιν"، بدون أن يرشم الشَّعب، بل يخضع مطامناً رأسه للذَّبيحة بينما ينتحي جانباً قليلاً إلى الجهة البحريَّة من المذبح، لتتكشف الأسرار أمام المصلين. لأن رئيس الكهنة ربَّنَا يسوع المسيح هو الذي يرشم الشَّعب. وبخضوع الكاهن برأسه أمام الذَّبيحة يعني أنه هو الخادم الواقف في حضرة الملك العظيم، وأنه هو الذي يخبر بالسَّلَام من عند إله السَّلَام، ربَّنَا يسوع المسيح<sup>(٧٨)</sup>.

أمَّا مخطوط الدَّير الأبيض بسوهاج كأقدم نص قبطي صعيدي للقُدَّاس الباسيلي، يرقى بحسب رأي العلماء إلى القرن الرَّابِع الميلادي، ففيه لا يمنح الكاهن سلاماً للشَّعب، بل يطلبه من الآب مباشرة له

٧٧- البطريرك إغناطيوس أفرام الثَّاني، مرجع سابق، ص ٣٠٦

٧٨- معاني رشم الصليب، مرجع سابق، ص ٩٢

وللشَّعب أيضاً في اسم يسوع المسيح والرُّوح القُدُّس، حيث يقول النَّص: ”واهدنا إلى ملكوتك، وامنحنا سلامك كل حين، بيسوع المسيح والرُّوح القُدُّس“.

وعند هذا الحد من القُدَّاس، تكون قد اكتملت الصَّلَاة الإِفخارستِيَّة، حيث يعقبها مباشرة صلاة القسمة. ولكن قبل أن تبدأ مقدِّمة صلاة القسمة يورد النَّص اليوناني للقُدَّاس الباسيلي تنبيهاً للشَّماس يقول فيه: ”انزلوا أيها الشَّماسمة - Κατέλθετε, οἱ διάκονοι“. أي انزلوا من الهيكل، حيث أنه بحسب الطَّقس القديم، لا يبقى في الهيكل سوى الكاهن الخدم ومعه الشَّماس المقدَّس، بحسب تعبير القرن السَّادس الميلادي<sup>(٧٩)</sup>.

وهو نفس ما يذكره ابن كير (+ ١٣٢٤م)، فبعد أن يذكر مرد: ”كما كان ...“، يقول: ”... ثم البركة على الجسد والدَّم، ويقسم الجسد المقدَّس، ويترنل الشَّماسمة من الهيكل. وبعد ذلك يسلم القس على الشَّعب ويردون عليه، ويُقال أبانا ...“. أي أن الشَّماسمة يترنون من الهيكل قبل مقدِّمة صلاة القسمة وهي: ”وأيضاً فلنشكر الله ضابط الكل ...“.





## الفصل الحادي عشر

### القسمه

## تهيد

صلاة القسمة Eὐχὴ τῆς κλάσεως هي صلاة توزيع النّصيب والميراث، فالمسيح في صلاة القسمة يُعطي نصيباً وميراثاً لكل المتناولين منه، ولكنه في ذات الوقت لا ينقسم.

والقسمة هي صلاة "كسر الخبز"، وهي بذلك إحدى الممارسات الطّقسيّة الأساسيّة في خدمة الإفخارستيا، لأن المسيح له المجد بعد أن بارك على الخبز في ليلة العشاء الأخير، كسّره وقسّمه وأعطاه لتلاميذه، قائلاً: «خذوا كلوا هذا هو جسدي». وعلى ذلك فالقسمة والتناول ظلّتا ممارستين متلاحقتين، ومُتصلتين دائماً. ولهذا السّبب حرص التّقليد القبطي على أن يحتفظ بالقسمة قرب نهاية القدّاس، وبعد حلول الرّوح القدس، وقبل التناول بقليل، إلّا أنه قد مارس هذه القسمة ممارسة جزئيّة عند تلاوة كلام التّأسيس، أي عند قول الكاهن: "وقسّمه"، أي الخبز، حين تم شق القربانة شقاً غير منفصل إلى الثلث والتّثلثين.

ويطلعنا كتاب "التّقليد الرّسولي" على الالتحام الوثيق بين القسمة والتناول من الأسرار المقدّسة، فيقول: "وإذا قسّم الأسقف الخبز، فليعط جزءاً منه لكل واحد، ويقول: الخبز السّمائي، جسد المسيح يسوع. والذي يتناول يجب ويقول: آمين" (التّقليد الرّسولي ٥: ٢٣، ٦).

وتحتل القسمة مكانة بارزة في الطّقس القبطي، بصلاة خاصة، وممارسة طقسيّة ذبائحيّة كاملة، فصارت للقسمة مكانة كبيرة ومهيبة داخل الأنافورا القبطيّة بعد التّقدّيس، دوناً عن باقي الطّقوس الشّرقيّة



الأخرى، باستثناء الطقس السرياني إلى حد ما. ولكن برغم ذلك لم تسجّل لنا المصادر القبطية القديمة شيئاً عن طقس القسمه. وإن ما وصل إلينا من المصادر العربية عنه، قد يكون ترتيباً قديماً ضاع أصله القبطي، ووصلتنا الترجمة العربية عنه فقط. فالإشارات أو النصوص الطقسية الخاصة بالكاهن والشماس قد تُرجمت إلى اللغة العربية ابتداءً من القرن الثاني عشر الميلادي، ثم أهمل النساخ الأصل القبطي للتعليمات والإرشادات الطقسية فضاع، ولم يبق لدينا إلا الترجمة العربية فقط.

وهناك ليتورجيات قديمة فقد فيها طقس القسمه هائياً، بسبب أن القسمه كانت تجري فيها في صمت وبدون صلاة مصاحبة. وهناك ليتورجيات أخرى احتفظت بجملة واحدة في نهاية الليتورجيا مصاحبة للقسمه، فظهر طقس القسمه في صورة ضعيفة. وهناك ليتورجيات أخرى أجرت طقس القسمه كاملاً في البداية عند تقديم الحمل والمسمى "التقدمة - prothesis"، ولما سقط طقس التقدمة توارى معه طقس القسمه، مثل الطقس البيزنطي، والطقس الأرمني.

### مقدمة القسمه

وهي المقدمة التي ترد في القداسين الباسيلي والكيرلسي، ويُرجّح أنها تختص بالقداس الكيرلسي أصلاً، وقد استعارها القداس الباسيلي منه، حيث يقول الكاهن: "وأيضاً فلنشكر الله الآب ضابط الكل، أبا ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، لأنه جعلنا أهلاً الآن أن نقف في هذا الموضع المقدس، ونرفع أيدينا إلى فوق، ونخدم اسمه القدوس. هو أيضاً فلنسأله أن يجعلنا مستحقين لشركة وتناول<sup>(١)</sup> أسراره الإلهية غير الماتية،

١- الكلمة القبطية  $\text{†μεταληψις}$  الواردة في الترجمة القبطية مأخوذة عن

الجسد المقدّس، والدّم الكريم، اللذين لمسيحه الضّابط الكلّ الرّب إلهنا“.

وهذه المقدّمة غير معروفة في القدّاس الباسيلي القبطي الصّعيدي في مخطوط الدّير الأبيض بسوهاج، حيث تبدأ القسمة مباشرة بعد صيغة اعتراف بسيطة كل البساطة: ”الآب في الابن، والابن في الآب مع الرّوح القدّس، في كنيسةك المقدّسة الواحدة الجامعة الرّسوليّة“.

أمّا في القدّاس الغريغوري فيقول الكاهن في هذه المقدّمة: ”يا سيّدنا ومخلّصنا محب البشر الصّالح، محيي أنفسنا. يا الله الذي أسلم ذاته عنّا خلاصاً من أجل خطايانا. الذي بكثرة رحمته حلّ عداوة البشر. أيها الإله الوحيد الذي في حضن أبيه، يارب بارك“.

ولما وُضعت صلوات أخرى كثيرة للقسمة لتناسب الموسم الكنسي، لم تتغيّر هذه الصّلاة الأولى من مكائها، بل أُضيف إليها الجديد، واحتسبت هي كمقدّمة للقسمة ثابتة وغير متغيّرة.

### السُّجود الذي اعترض مقدّمة القسمة

مقدّمة القسمة التي سبق ذكرها، والتي بدايتها: ”وأيضاً فلنشكر الله

---

الكلمة اليونانيّة μεταλημψις وهي بمعنى ”أخذ“ أو ”تناول“ أو ”قبول“، ولكنها لا تحمل معنى ”إصعاد“ أو ”صعود“.

وكلمة ”إصعاد“ أو ”صعود“ لا تفيد المعنى هنا، لأن الكلمة التي تسبقها هي ”شركة“، أي ”اشترك في الأكل“. فالمعنى الليتورجي هنا هو أن الشّركة هي الاجتماع للاتحاد بجسد المسيح ودمه الأقدسين بالتناول منهما. لذلك لا يمكن فصل الشّركة عن التناول في الإفخارستيا.

انظر: الأب متى المسكين، الإفخارستيا عشاء الرّب، مرجع سابق، ص ٧٣٢

الآب ضابط الكل ...“، يأتي ختامها هكذا: ”يجعلنا مستحقين لشركة وتناول أسراره الإلهية غير المائتة، الجسد المقدس<sup>(٢)</sup> والدم الكريم<sup>(٣)</sup> اللذين لمسيحه الضابط الكل الرب إلهنا“. فيقول الشماس: ”صلوا“، فيقول الشعب: ”يارب ارحم“.

وهذا هو تسلسل الصلاة بدون أي اعتراض لها بسجود. فلا ذكر لهذا السجود في مخطوط الفاتيكان رقم (١٧)، ولا في مخطوط أكسفورد رقم (هنت ٣٦٠)، ولا عند البابا غبريال الخامس (١٤٠٩ - ١٤٢٧م)، في القرن الخامس عشر، ولا ذكر له أيضاً في النص اليوناني للقديس الباسيلي كما ذكره رونودوت E. Renaudot في القرن السابع عشر. ولا في مخطوطات الخولاجيات بمكتبة دير القديس أنبا مقار<sup>(٤)</sup>.

وهذا الترتيب السابق ذكره يتوافق مع سياق النص الليتورجي في اللغة العربية التي تقول: ”اللذين“ وليس ”اللذان“. كما أن عبارة ”لمسيحه الضابط الكل الرب إلهنا“، أي ”المسيح الضابط الكل الرب إلهنا“، فالحديث هنا عن المسيح الضابط الكل، أي الابن، وليس

٢- عند قول الكاهن: ”الجسد المقدس“، يأخذ الجسد الطاهر ويضعه على يده اليسرى، ويضع إصبعه عليه.

٣- عند قول الكاهن: ”والدم الكريم“، يرفع إصبعه من على الجسد، ويمده إلى الكأس، ويغمس سبابة إصبعه في الدم الكريم من غير أن يتل ظفر إصبعه. ثم إذا بل سبابة إصبعه في الدم يرفعها من الدم، ثم يعود يرشم بها في الدم مثال الصليب. ويضع يده من الكأس بعد تصفيتها لئلا ينقط منها شيء ويحترز على ذلك، ويرشم بالدم الذي بإصبعه على الجسد الطاهر رثما فوق الذي قسمه أولاً، ويرشم أيضاً ظهر الجسد من أسفل. فإن الرثومات بعدما شرح أولاً تكون منه وإليه.

انظر: البابا غبريال الخامس، الترتيب الطقسي، مرجع سابق، ص ٨٢، ٨٣.

٤- مخطوطات أرقام (ط ١٣٣، ١٣٤، ١٣٦، ١٤٧).

الآب<sup>(٥)</sup>. ونلاحظ أن الكاهن بينما يوجّه الخطاب إلى الله الآب، يأتي المرد "نسجد لجسدك المقدّس ..." موجّهاً الخطاب إلى الابن، مما يعني أن المرد قد أُضيف لاحقاً على النصّ الليتورجي.

أما خولاجي سنة ١٩٠٢م فيشير إلى أن الكاهن بعد أن يقول: "الجسد المقدّس والدمّ الكريم"، يقول الشَّعب هذا المرد حسب بعض النُّسخ الحديثة فقط دون البقيّة كلها، فإنه لا يوجد فيها<sup>(٦)</sup>. ثمّ يورد المرد: "نسجد لجسدك المقدّس ودمك الكريم"<sup>(٦)</sup>.

إذاً فحتى أوائل القرن العشرين - وبرغم دخول عادة السُّجود في هذا المكان من القدّاس، والتي أشار إليها الخولاجي المذكور - ظلّ المرد المصاحب للسُّجود مختصاً بكل من الجسد والدمّ معاً.

وفي الحقيقة فإنه بدخول هذا المرد المصاحب للسُّجود تحوّل امتداد صلاة مقدّمة القسمة من صلاة تضرُّع لأن يجعلنا الله أهلاً للتناول من الجسد المقدّس والدمّ الكريم، إلى أسلوب اعتراف بالجسد والدمّ مصحوباً بسجود.

إن البداية البسيطة التي تطوّرت رويداً رويداً حتى تحوّلت إلى سجود قطع تسلسل النصّ الليتورجي نجدها في مخطوط الفاتيكان رقم (١٧)، منذ القرن الثاني عشر الميلادي، حيث يورد المخطوط أنه بعد قول الكاهن: "... غير الماتّة"، يقول الشَّعب: "آمين"، ثمّ يكمل الكاهن: "الجسد المقدّس والدمّ الكريم اللذان ...". فهذا المرد الذي لم يتعدّ قول الشَّعب "آمين" بدون أي سجود مصاحب، هو السبب في فصل تسلسل الصلّاة، ومن ثمّ فقد انعزل تعبير "الجسد المقدّس والدمّ الكريم"،

٥- أيقونات البانوكراتور في الفن الكنسي تصوّر المسيح الابن.

٦- كتاب الخولاجي المقدّس، طبعة سنة ١٩٠٢م، ص ٣٨٥

عمًا سبقه. ورويداً ورويداً دخل طقس السُّجود ليحل محل المرد "أمين"، وذلك في بعض الخولاجيات الحديثة جداً، والنادرة جداً، إذ ظلت مخطوطات خولاجيات مكتبة دير القديس أنبا مقار خالية منه. فالمخطوط رقم (ط ١٣٦) لم يشر لا إلى المرد "أمين"، ولا إلى السُّجود بطبيعة الحال. أما المخطوطات أرقام (ط ١٣٣، ١٣٤، ١٤٧) فقد ذكرت المرد "أمين" فحسب.

وبرغم أن خولاجي سنة ١٩٠٢م أشار مجرد إشارة إلى سجدود في هذا المكان من القديس الباسيلي لا تسنده مخطوطات الخولاجيات، قديمها وحديثها، فإنه لم يشر إليه في القديسين الغريغوري والكيرلسي القبطيين.

### صلوات القسمه

تعتبر القسمه حالياً هي المكان الوحيد في القديس الذي يقبل أنواع صلوات قسَم متعدّدة، أُدخلت على الليتورجياً على مر العصور، حتى مؤلفين غير أقباط، طالما كان النص الليتورجي متفق مع الإيمان، مثل القسمه السريانية التي بدايتها: "هكذا تألم كلمة الله بالجسد ..."<sup>(٧)</sup>.

وهناك صلوات قسَم قديمة مثل صلاة القسمه ذات التقليد الأنطاكي والتي بدايتها: "اللهم والد النور، ورئيس الحياة، واهب المعرفة، مانح النعمة، خالق النفوس، صانع الجمال، واهب الروح القدس، كثر الحكمة، صانع الخيرات، معلم القديسة، ضابط العالم بإرادتك، وقابل الصلوات

٧- هي القسمه التي ألفها مار يعقوب الصلبي مطران أمد الأنطاكي، وعاش في القرن الثاني عشر وتبيح سنة ١١٧١م، وهو أستاذ ميخائيل الكبير البطريرك الأنطاكي الشهير. وقد تُرجمت هذه القسمه من السريانية إلى القبطية ثم إلى العربية. انظر: الأنا إيسيدوروس، الخريدة النفيسة، الجزء الثاني، ص ٣٧٠.

النَّقِيَّةَ ...“ . وهي صلاة وُجِدَتْ مَدوَّنة في كتاب ”عهد الرّب“ ، والذي يعود إلى النّصف الثّاني من القرن الخامس الميلادي.

ولقد أورد مخطوط الفاتيكان رقم (١٧) ثلاث صلوات قسم متتابعة في موضعها من القدّاس الباسيلي؛ أولها: ”أيها السيّد الرّب إهنا العظيّم الأبدي، الذي يُتَعَجَّب منه بالجد، حافظ عهده ورحمته لمحبيه ...“ . والثّانية هي: ”اللّهم والد الثّور، ورئيس الحياة، واهب المعرفة ...“<sup>(٨)</sup>. والثالثة هي: ”أعطينا نعمة البنوّة بحميم الميلاد الجديّد، وتحديد الرّوح القدّس ...“ . وعلى ذلك فهذه الصّلوات تعد من أقدم صلوات القسم التي دخلت الخولا جي القبطي.

أما مخطوط أكسفورد رقم (هنت ٣٦٠)، فقد أورد الصّلّاتين الأولى والثّانية من الصّلوات الثّلاث السّابق ذكرها، ثمّ أورد صلاتين أخريّن للقسم، الأولى هي: ”...“<sup>(٩)</sup> واجعلنا مستحقين ... سرايرك الطاهرة والسماوية، كي إذ تقويننا من جهتهم وتطهرنا وتقدسنا وتكملنا نستحق أن ندعوك يا إهنا الآب القدّوس ونقول أبانا ...“ . أمّا الثّانية فهي: ”يا سيدنا ضابط الكل، الرب، صاحب الاسم الأعظم، الذي يفوق على جميع الأسماء وجميع الأفكار، الذي أتى بنا إلى هذه المعرفة ... أرشدنا إلى الخفيات التي للقدسات، هذه التي تشتهي الملائكة أن تطلع عليها. طهر قلبنا، واجعلنا أهلا أن نزردي كل فكر هيولاني، وكل فنطسة هذا العمر، ونبغى ملاقة وجهك ...“ .

٨- هذه هي صلاة القسمة الوحيدة التي يذكرها ابن سباع في شرحه للقدّاس الباسيلي، مما يعني أنه حتى القرن الثالث عشر لم تكن هناك صلاة قسمة محدّدة تختص بالقدّاس الباسيلي، ومعروفة في كل الجهات:

انظر: يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، مرجع سابق، ص ٢٥٦

٩- كلمات غير واضحة في بداية هذه الصّلّاة.

ولقد أورد النص اليوناني للقدّاس الباسيلي الذي نشره رونودوت E. Renaudot ثلاث صلوات للقسمة؛ الأولى غير معروفة لدينا، والثانية هي القسمة العادية للقدّاس الباسيلي، والثالثة هي التي تُقال الآن في عيد الغطاس.

أمّا صلاة القسمة الأولى فهذا نصّها: ”يا إلهنا، إله الخلاص، علّمنا أنت أن نشكر باستحقاق إحساناتك، التي عملتها وتعملها معنا كل حين. أنت هو إلهنا الذي قبلت هذه القرابين، طهّرنا من كل دنس الجسد والروح، وعلّمنا أن نكمل القداسة بخوفك، لكي بشهادة ضمير طاهر قابلين نصيباً من قدساتك، نتحد بالجسد المقدّس والدم اللذين لمسيحك، ونقبل هذا باستحقاق. ويكون لنا المسيح ساكناً في قلوبنا ونصير هيكلًا لروح القدس. نعم، يا إلهنا لا تجعل فينا أحداً مجرماً في حق أسرارك هذه الرهيبة، ولا مريضاً بالنفس والجسد، بسبب تناوله بغير استحقاق. لكن أعطنا حتى النفس الأخير أن نقبل باستحقاق رجاء قدساتك زادا للحياة الأبدية وجواباً مقبولاً أمام منبر مسيحك المخوف لكي نصير نحن أيضاً مع قدّيسيك الذين أرضوك منذ البدء شركاء خيراتك الأبدية التي أعددتها لمحبيك يارب. واجعلنا مستحقين يا سيّد، أن نجسر بدالة بغير وقوع في دينونة أن ندعوك أنت يا الله الآب السّماوي ونقول .. (١٠)“.

أما أقدم صلاة قسمة وصلت إلينا بالقبطية الصّعديّة فهي ما يذكره مخطوط الدّير الأبيض بسوهاج حيث تقول الصّلاة: ”أيها السيّد إله آبائنا وربّ الرّحمة، يا حياة الجميع، يا رجاء من ليس رجاء، ومعين من ليس له معين، الذي أظهر هذه الصّلاة. اجعلنا مستحقين بضمير مقدّس، ومحبّة تليق بالبنين أن نجسر وندعوك صارخين بضمير واحد ونقول مع جميع قدّيسيك: أبانا ...“.

وقد تفرّدت هذه الصلّاة بإيرادها أوصافاً لله الآب، لم ترد في غيرها من صلوات القسم الكثيرة، سوى صلاة قسمة ثانية في ليتورجيّة القدّيس باسيلوس أيضاً، وُجدت باللّغة القبطيّة الصّعديّة في الخولاجي الكبير بالدّير الأبيض بسوهاج (ص ٣٨٨)، تقول: ”يا حياة الجميع، ومعين المتجنّين إليك، ورجاء الذين يصرخون نحوك“<sup>(١١)</sup>.

Ἡ ζωὴ τῶν ἀπάντων ἢ βοήθεια τῶν πρὸς σε καταφευγόντων καὶ ἐλπίς τῶν ἐπικαλουμένων σε.

وهي نفس صلاة القسمة السنويّة التي نصليّ بها حتى الآن، ولكنها تجيء حالياً في صيغة المخاطب الغائب: ”يا معين المتجنّين إليه، ورجاء الذين يصرخون نحوه“.

أمّا خاتمة صلاة القسمة التي وردت في مخطوط الدّير الأبيض بسوهاج فهي تشبه صلاة القسمة الثالثة للقدّاس الغريغوري القبطي والتي تقول: ”أنت الآن أيضاً يا سيّدنا، اجعلنا مستحقين بضمير مقدّس، وفكر صالح يليق بالبنين، واشتياق وداله صالحين، أن نجسر ونصرخ نحو أبيك الله القدّوس الذي في السّموات ونقول ...“<sup>(١٢)</sup>.

إن معظم اللّيتورجيات الشّرقيّة تردّد صلوات مصاحبة للقسمة، ولكن الطّقسين القبطي والسرياني يحتفظان بكم كبير من هذه الصلوات، أكثر من الطّقوس الشّرقيّة الأخرى. أما طقس روما فهو بلا صلاة تصاحب القسمة، كما أنه بلا صلاة تصاحب القبلة المقدّسة كما سبق

11- Bibliothèque du Muséon, *op. cit.*, p. 31.

Cf. also, Renaudot, *Liturgiarum or. Coll.*, I (1916), p. 75, 20.

12- *Ibid.*, p. 31.



أن ذكرتُ من قبل<sup>(١٣)</sup>.

### أهم الصلوات التي وردت عن الله الآب في صلوات القسم

- الرَّبُّ الإله ضابط الكل .. العظيم الأبدى .. والمتعجب منه بالحد .. حافظ عهده ورحمته للذين يحبونه بكل قلوبهم .. الله الآب القدوس الذي في السموات .. الخالق غير المرئي .. غير الخوى .. غير المستحيل .. غير المفحوص .. سيّدنا الصّالح محب البشر .. والد النور ورئيس الحياة .. واهب المعرفة .. صانع النعمة .. المحسن لنفوسنا .. كثر الحكمة .. معلّم الطّهارة .. مؤسس الدّهور .. قابل الصلوات النقيّة .. الذي أصعدنا من العمق إلى النور .. الذي أعطانا الحياة من الموت .. الذي أنعم علينا بالعتق من العبوديّة .. غير المخلوق ولا مبتدئ ولا مولود .. سيّد كل أحد .. الرَّبُّ ربُّنا .. أبو ربُّنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح .. أبو الرأفات .. إله كل عزاء.

### طقس القسمه

يذكر ابن كبر (+ ١٣٢٤م) أن الشمامسة يتزلون من الهيكل عندما يبدأ الكاهن في تقسيم الجسد المقدّس، ويحدّد وقت هذا التزل من الهيكل، وهو قبل أن يقول الكاهن "إيريني: باسي"، أي "السّلام للجميع"، والتي بعدها تبدأ القسمه مباشرة، فيقول في ذلك: "... ويقسم الجسد المقدّس ويتزل الشمامسة من الهيكل، وبعد ذلك يسلم القس على

الشَّعْب، ويردُّون عليه. ويُقال أبانا، ويكْمَلُ القدّاسُ“ (١٤).

إن نزول الشَّمَامسة من الهيكل قبل بداية القسمة، باستثناء شماس واحد فقط مع الكاهن، هو تعبير يكشف عن مدى هية عمليّة القسمة في الكنيسة. فكسر الخبز هو غاية سرّ الشُّكر، حين شكر الرّب، ثمّ كسّر وأعطاهم قائلاً: «خذوا كلوا هذا هو جسدي». فكسر الخبز هو لحظة استعلان الرّب لنفسه، وتأكيد حضوره السّري غير المنظور، كما حدث مع تلميذي عمواس حين انفتحت أعينهم وعرفاه عند كسر الخبز.

ويتحدّث العلامة أوريجانوس (١٨٥-٢٥٤م) عن الاهتمام الزائد بالقسمة والأجزاء المكسورة من الخبز المقدّس، باعتبارها أجزاء من الجسد المقدّس، فيقول:

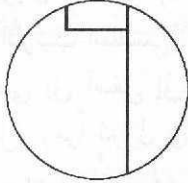
[وأنتم الذين أُعطي لكم أن تساعدوا في إقامة الأسرار الإلهيّة، احذروا وأنتم تحملون جسد الرّب لكي تكونوا بانتباه شديد لثلا يقع جزء منه على الأرض، أو تضيع أجزاء من القرابين المقدّسة، وتختفي عن نظركم. احسبوا هذه جريمة وهي كذلك بالحق إن كان عن إهمال يسقط منكم شيء].

### المراحل الطّقسيّة لقسمة الجسد المقدّس

المرحلة الأولى: وتتم في التأسيس عند قول الكاهن: ”وقسمه“.

١٤- كتاب مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة، لأبي البركات المعروف بابن كبير، الجزء الثّاني (مخطوط)، مرجع سابق، الباب ١٧

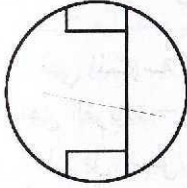
وهذه المرحلة الأولى تتم في شكل ممارستين طقسيتين؛ الممارسة الأولى يتم فيها شق القربانة فقط، وليس فصلها، والممارسة الثانية يتم فيها فصل أجزاء من القربانة فصلاً كاملاً.



ففي الممارسة الأولى من هذه المرحلة يشق الكاهن القربانة - بدون فصل - إلى ثلث وثلثين من أعلى إلى أسفل. ثم يعود ويشق - بدون فصل أيضاً - الطرف الأعلى من القسم الأوسط منها. وهكذا تصبح القربانة صحيحة شكلاً، ولكنها مشقوقة إلى ثلث وثلثين، وجزء من الثلثين، كما في الشكل الموضح.

وشق القربانة هكذا بدون فصل تحمل معنى الآلام الجسد. أمّا سبب تقسيم القربانة إلى ثلث وثلثين عند قول الكاهن "وقسمه"، فهو لأن ما صنعه الرب في عليّة صهيون كان قبل موته وقيامته. وهكذا يعلن الكاهن هذا السرّ بقسمة القربانة إلى الثلث، ويترك الباقي بدون تقسيم إلى ما بعد حلول الروح القدس، لأن ثلث السرّ قد تأسس بالتجسد، وفي العليّة في صهيون، أما باقي السرّ فهو الصليب والقيامة، وهو ما يعلنه الروح القدس، أي استعلان كمال السرّ بعد استدعاء الروح القدس. وهكذا يظل ثلثا الجسد بلا قسمة حتى يأتي الروح القدس، وحتى نحرم بموت الرب وقيامته، فيعلن لنا الروح القدس أن هذا بالحقيقة هو جسد ربنا يسوع المسيح المحيي. ومن أجل هذا لا يقسم ولا يوزع إلا بعد حلول البارقليط، لكي نفهم بالروح القدس حقيقة هذا السرّ الفائق<sup>(١٥)</sup>.

إلاً أننا نجد عند ابن المكين في كتابه ”الحاوي“، وعند ابن كلييل (القرن الثاني عشر الميلادي) في كتابه ”حكمة الآباء المصريين“، وعند البابا غبريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٧م) في كتابه:



”التّرتيب الطّقسي“، أنه بعد قسمة الجسد من أعلى إلى أسفل إلى ثلث وثلثين كما ذكرتُ من قبل، رمزاً لتزول ربّنا يسوع المسيح من السّماء، يتم فصل الثلث من القربانة فصلاً كاملاً عن الثلثين، ثم فصل الجزء الأعلى من الجزء الأوسط

(أي الثلثين)، فصلاً كاملاً، وكذلك الجزء الأسفل أيضاً من الجزء الأوسط، فصلاً كاملاً، كتعبير عن الرأس والقدمين. وفي ذلك يقول البابا غبريال الخامس: ”وأما قسمة الجسد في الصّينيّة فهو مثال لما فعله مخلصنا ليلة الآلام، عندما كسر الخبز وناولهم وقال لهم هذا هو جسدي. وهو أنه كسر الثلث ووضع فوق الثلثين علامة الصّليب، وأخذ من الثلثين الرأس والذّنب، ووضع الواحدة شرقاً، والأخرى غرباً، والأخرى شمالاً، والأخرى يميناً، وبقية الثلث بكامله. فإن كله مثلاً لتزوله إلى الأرض، ونقلنا من الشّمال إلى اليمين، ولكمال النبوّة. فإن النّبي قال يؤخذ من سبط يهوذا الرأس والذّنب، ويشير من الشّمال إلى اليمين، ويعني الثلث هو الابن المتجسّد، والثلثين هما الآب والروح القدس“ (١٦).

المرحلة الثانية: وتتم بعد حلول الرّوح القدس.

وهي طقس موسّع في الكنيسة القبطيّة دوناً عن جميع كنائس العالم شرقاً وغرباً. وهو طقس تكنفه الهيبة والوقار الشّديدان، مصحوباً بصلاة مطوّلة ذات مقاطع يتخللها مردّات، كل منها طلية للرّحمة ثلاث مرّات.

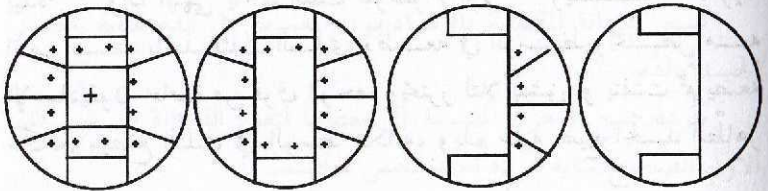
وبينما يكون الشعب يردّد هذا المرد "يارب ارحم"، فالصليب يملأ عقله وتفكيره، وهو ما تعبّر عنه القسمة تماماً.

وهناك ممارستان طقسيتان للقسمة، الأولى هي القسمة المتّصلة، والثانية هي القسمة المنفصلة.

### القسمة المتّصلة

وفيها يقسم الكاهن الجسد المقدّس بدون أن يفصل الأجزاء عن بعضها البعض فصلاً تاماً، بل يكون الجسد مقسوماً صحيحاً، وطريقتها كالآتي:

- يفرق الجزء الأسفل من الثلثين بدون فصله تماماً.
- يقسم الثلث اليميني إلى أربعة أجزاء طبقاتاً للأربعة صلبان الموجودة فيه، بدون فصلها تماماً.
- يفرق الثلث الأيسر عن الثلث الأوسط، بدون فصله تماماً، ثمّ يقسمه لأربعة أجزاء أيضاً.
- يفصل الإسباديقون عن موضعه فصلاً كاملاً، ثمّ يقبله الكاهن بفمه، ويضعه مكانه، ثمّ يضع الجسد المقدّس في الصيّنة، وينظف أصابع يديه داخل الصيّنة.



وبذلك تكون الخبزة المقدّسة قد قُسمت إلى اثني عشر قسماً، وفي وسطها الإسباديقون. وهذه الطّريقة قديمة، يقول عنها البابا غريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٧م): "وإن كان الكاهن حاذقاً مرّتباً على مشايخ، ويقسم القربانة بترتيب إلى أن تكون مقسّمة صحيحة ويرفعها

مقسومة صحيحة، فذلك هو الحق الصّحيح“<sup>(١٧)</sup>.

وفي ذلك إشارة إلى أنّها الطّريقة الأقدم، حيث يجري فيها تقسيم الجسد بدون أن يُكسر. وإشارة أيضاً إلى أن الكنيسة المنتشرة والموزعة في كل الأرض، هي كنيسة واحدة تجتمع كلها في إفخارستيا واحدة في ملكوت ربّنا.

### القسمّة المنفصلة

وهي الطّريقة التي يشرّحها البابا غبريال الخامس بالتّفصيل، وفيها يقول: ”يتدئ الكاهن بتلاوة القسمّة، وهو يقسم الجسد الطّاهر ثلثين وثُلث كما قسم أولاً عند قوله ”وقسمه“ يأخذ الثُلث يضعه بأعلى الثلثين مثال الصّليب المقدّس، ويأخذ جوهرة من أعلا الثلثين ويضعها في صدر الصّينيّة شرقاً، ويأخذ جوهرة من آخر الثلثين أيضاً ويضعها في الصّينيّة غرباً، ثمّ يأخذ من جانب الثلث الأيمن جوهرة ويضعها في الصّينيّة يميناً، ويأخذ (باقي) الثُلث ويضعه في جانب الصّينيّة شمالاً، ويكون ذلك مثال الصّليب. ثمّ يأخذ من الثلثين نصفه من فوق إلى أسفل الذي به الإسباديقون ويضعه في وسط الصّينيّة، ثمّ يتدئ بقسمّة الثلث الذي بيده<sup>(١٨)</sup>. وإذا انتهى يأخذ الثُلث الموضوع أولاً<sup>(١٩)</sup> ويقسمه<sup>(٢٠)</sup>، وإذا انتهى قسمته يأخذ الثلث الذي وضعه في الوسط ويخلّص منه الإسباديقون خاصّة من فوق الوجه، ويحترز لثلا ينشق أو يتفتت ثمّ يضعه مكانه. ويضع الثُلث في الوسط مكانه، ويلم عليه جميع الجسد الطّاهر

١٧- نفس المرجع، ص ٨٣، ٨٤

١٨- يقسمه إلى أربعة أجزاء بدون فصل.

١٩- والذي وضعه في الصّينيّة يساراً.

٢٠- يقسمه إلى ثلاثة أجزاء بدون فصل. ويضعه في الصّينيّة يميناً، بجوار الجزء الذي وضعه قبلاً يميناً، فيكون الثُلث الأيمن بذلك أربعة أجزاء مثل الجزء الأيسر.

الذي قسمه ... وإذا تكامل ذلك، يفرك الكاهن يديه داخل الصَّيْنِيَّة حتى لا يكون التصقَ بما شئ ولا ذرَّةً لطيفة. وعند انتهاء قراءة أو شِيَّة القسمه يقول **Χε περιωτ** “(٢١).

وعند ديونيسيوس الأريوباغي “عندما يكشف الكاهن الخبز الذي كان مغطى، وهو خبزةٌ واحدة غير منقسمة، ثم يقسمها إلى أجزاء كثيرة، ثم يوزع الكأس الواحد على الكل، فهو إنما بالرمز يكثر ويوزع الوحدة”.

ويقول أيضاً: “وحيثما يكشف الكاهن القرابين المغطاة، ويقسم الواحد إلى أجزاء كثيرة، فإنه يجعل الذين يتناولون إنما يشتركون مع بعضهم البعض في هذا الواحد”.

وعلى ذلك يكون:

شق القربانة بمثابة آلام الجسد.

تقسيم الأجزاء على شكل صليب بمثابة الذبح.

فصل الجزء الأعلى من فوق الإسباديقون بمثابة الطعن.

غمس الجسد في الكأس بمثابة خروج الدَّم والماء من الجنب، وهو

رمز لرجوع النَّفس لتتحد بالجسد في القيامة.

صبغ القربانة المقسمة بالإسباديقون المغموس في الدَّم بمثابة تخضيب

الجسد بالدَّم.

عودة جميع الأجزاء المقسمة إلى بعضها لتعود القربانة إلى شكلها

الأوَّل الصَّحيح بمثابة عودة اتحاد النَّفس بالجسد.

إرجاع الأجزاء الموضوعة على شمال الثلث الأوسط إلى اليمين مرَّة

أخرى بمثابة انتقالنا من التَّديبير الشَّمالي إلى التَّديبير اليميني.

وضع الإسباديّون مقلوباً في الكأس رمز لخروف الفصح الذي يوضع على ظهره لذبحه.  
وهكذا كما يكون التّطّيق، تكون الحركة الطّقسيّة المصاحبة في توافق مبدع.

### القسمة في الطّقوس الأخرى

يُمارس تقسيم الجسد في الطّقوس الأخرى بأشكال مختلفة، ولكن بدون صلاة خاصة مصاحبة للقسمة كما في الطّقوس القبطي، والطقس السرياني إلى حد ما (٢٢).

ففي الطّقوس السرياني: وعند التّقدمة يقوم الكاهن بتقسيم القربانة وتبخيرها ووضعها على المذبح قائلاً: "واقْتيد مثل خروف إلى الذّبح...". وبعد حلول الرّوح القدس يقطع جزءاً من الأجزاء قائلاً: "أنت هو المسيح إلهنا الذي طعن في جنبه فوق الجلجلة بأورشليم لأجلنا...". ثمّ قبل التناول يغمس هذا الجزء (٢٣) داخل الكأس، ويرفعه ويرشم الجسد كله على هيئة صليب قائلاً: "دم الرّب يُرش به على الجسد باسم الأب..."، ثمّ تُرفع الجوهرة وتوضع داخل الكأس مع صلاة خاصة تشير إلى اتحاد اللاهوت بالإنسوت في المسيح. وفي شرح ابن الصّليبي يقول: إن اقتطاع هذه الجوهرة وغمسها في الدّم، وصبغ الجسد بها يمثّل طعن جنب المسيح وخروج الدّم. وعادة يقدّس الكاهن على قربانة (برشانة) واحدة أو اثنتين أو أكثر بحسب حاجة المؤمنين، وعدد المتقدّمين للتناول.

٢٢- انظر: الأب متى المسكين، الإفخارستيا والقدّاس، مرجع سابق، ص ٧١٩-٧٢٣

٢٣- وهو يُسمى في الطّقوس السرياني: "الجوهرة".



وفي الطقس الأرمني: يقسم الكاهن القربانة إلى نصفين فوق الكأس قائلاً: "ملاء الروح القدس". ثم يقسم أحد النصفين إلى ثلاثة أجزاء، ويضعهم في الكأس على هيئة صليب. ولا توجد لدى الأرمن صلاة خاصة بالقسمة.

وفي طقس أورشليم: يقسم الكاهن القربانة، ويمسك نصفها بيده اليميني، والنصف الآخر بيده اليسرى، ويمسك النصف الأيمن في الكأس قائلاً: "لاتحاد الجسد المقدس والدم الكريم لرَبِّنا ومخلصنا يسوع المسيح". ولا توجد في هذا الطقس صلاة خاصة بالقسمة.

وفي الطقس البيزنطي: يقدِّس الكاهن على قربانتين، ويبدأ التَّقسيم على إحدى القربانتين، ويكمل وينتهي التَّقسيم في التَّقدمة المعروفة باسم prothesis وذلك قبل بدء اللِّتورجيا. ويجري تقسيم القربانة بواسطة حربة λόγχη إلى عدد محدّد من الأجزاء، فالحمل في الوسط، وعن يمينه جزء العذراء مريم، وعن يساره تسعة أجزاء لتسع طغيمات الملائكة، وأسفله أجزاء الأحياء والأموات.

وبعد التَّقديس في نهاية اللِّتورجيا وعند نداء الكاهن: "القدسات للقدّيسين"، يأخذ الكاهن القربانة الصّحيحة الأخرى، ويقسمها إلى أربعة أقسام، كل قسم عليه جزء من الختم الذي معناه: "يسوع المسيح الغالب"، ويقول: "حمل الله ابن الأب يفصل ويُقسم...". ثم يأخذ بعد ذلك القسم الأعلى من الأربعة أقسام ويكون عليه الختم بحرفي IC وهو اختصار اسم "إيسوس" أي "يسوع"، ويمسكه بيده ويقول: "في ملاء الروح القدس"، ويصنع به إشارة الصليب على الكأس، ويضعه داخله.

وفي طقس روما وميلان لا وجود لأي إشارة عن صلاة خاصة

بطقس القسمة قبل القرن الثامن الميلادي.

وفي الطقس الإثيوبي يوجد في القربانة عندهم ٣٣ صليبا، تمثل ٣٣ سنة من حياة السيّد المسيح، ويُضاف إليها أربعة صلبان، هي البشائر الأربع، التي تشهد لحياة المسيح التي كرز بها في أركان المسكونة الأربعة، ويُضاف إليها ثلاثة صلبان تمثل الإيمان بالثالوث، ليصبح مجموع الصُّلبان ٤٠ صليبا. وعند قول الكاهن: "أخذ خبزاً، وقسمه ..."، يقسم الجسد من أعلى إلى أسفل رمزاً لتزول الابن وتحسّده.

### صلاة أبانا الذي في السّموات ...

يتم تقسيم الخبز المقدّس قبل الصّلاة الرّبانيّة عند الأقباط والسّريان والكلدان، وبعدها لدى البيزنطيين والأرمن والموارنة<sup>(٢٤)</sup>. ويختلف الطّقس الإثيوبي عن كافة الطّقوس الأخرى حيث يضع صلاة "أبانا" في اللّيُتورجيا بعد التّناول وليس قبله<sup>(٢٥)</sup>.

وفي الطّقس البيزنطي هناك صلاة تُقال قبل الصّلاة الرّبانيّة، وهي من قدّاس القدّيس يوحنا ذهبي الفم، تقول: "أيها السيّد محب البشر، لك نودع كل حياتنا ورجائنا. ونطلب ونتضرّع ونسأل. اجعلنا مستحقين تناول أسرارك السّمائيّة الرّهيبية، أسرار هذه المائدة الطّاهرة الرّوحانيّة بضمائر نقيّة، لصفح الخطايا وغفران الذّنوب وشركة الرّوح القدّس وميراث ملكوت السّموات والدّالة لديك، لا لدينونة ولا لمحاكمة".

وإن صلاة "أبانا" قبل التّناول تحمل معنى تطبيقي لقولنا "خبزنا

٢٤- الطّقوس الشّرقية، مرجع سابق، ص ١١٨

٢٥- الأب متى المسكين، مرجع سابق، ص ٧٣٥

الذي للغد أعطنا اليوم“. فالإفخارستيا هي خبز الحياة الآتية الذي نتناوله في حياتنا الحاضرة، نقتات به يوماً فيوماً لنبلغ به ميراثنا الأبدي.

إن عبارة ”خبزنا كفافنا أعطنا اليوم“ في صلاة ”أبانا الذي“ بحسب الترجمة البيرونية، يشرحها أحد معلّمي البيعة في القرون الوسطى بقوله: ”وقولهم: أبانا ... عند فروغ القسمة هو أن يسألوا (الله) أن يعطيهم من هذا الخبز كل يوم ليكون كفافهم ويكفيهم من العدو“ (٢٦).

ولقد وردت عبارة ”خبزنا كفافنا أعطنا اليوم“ في الخولاجي هكذا: ”خبزنا الذي للغد *нѣте рачѣ* أعطنا اليوم“. وجاءت هكذا أيضاً في الترجمة اليونانية بمعنى خبز الغد.

فما الذي يعنيه القول ”خبزنا الذي للغد أعطنا اليوم“؟. إن كان اليوم هو يوم الجمعة، فهل نطلب أن يعطينا اليوم خبز يوم السبت؟. هذا لا معنى له، وبالأخص لأن الرب أوصانا قائلاً: «لا تهموا قائلين: ماذا نأكل أو ماذا نشرب .. لأن أباكم السماوي يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها. لكن اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره، وهذه كلها تُزاد لكم» (مت ٦: ٣١-٣٣).

فما معنى أن يوصينا السيد المسيح بأن نطلب خبز الغد؟. الغد هو اليوم الذي صنعه الرب، هو الدهر الآتي، هو اليوم الثامن، الذي لا تتضمنه أيام الأسبوع السبعة التي نعرفها على الأرض. إنه اليوم الأبدي. لهذا نقول ”خبز الحياة الأبدية أعطه لنا اليوم“. أي ”خبزنا الذي للغد“ أعطه لنا الآن. هذا هو القدّاس: أن يعطينا خبز الغد لناكله اليوم ونحيا إلى الأبد.

وهناك قول بديع ذو معنى روحي جميل لأنّنا ساويرس بن المقفع  
(تنيح بعد سنة ٩٨٧م) يقول فيه:

[الإفخارستيا تشبه عنقود العنب الذي أحضره يشوع بن  
نون وكالب بن يفنه من أرض الموعد لكي يشوقوا الشّعب  
ويشجّعوه في جهاده. هذا تشجيع لكي يواصل الشّعب الجهاد  
عندما يسبق ويتذوّق ثمار أرض الموعد].

ويقول أيضاً:

[انظر يا حبيب، ما أعظم هذه الصّلاة في مثل هذا الوقت،  
لأن المسيح ابن الله الوحيد حاضر معهم، وهم بين يديه  
يقولون لأبيه: "يا أبانا الذي في السّموات" ليظهروا أنّهم قد  
شاركوه في البنيّة الإلهيّة، ويسألوه أن يقدّس البنيّة فيهم،  
لكيلا يسموا نفوسهم بنيه، وهم أعداءه بأعمالهم.

ثمّ يسألونه أن يأتيهم بملكوته الذي هو روح قدسه، وأن  
تسود مسرّته على الأرض كما هي في السّماء. فمسرّته هي  
مداومة تسيّحه وتقديسه، لأن الملائكة يسبّحونه ويقدّسونه  
بلا توان، لأنهم لو توانوا سقطوا كما سقط إبليس وجنوده.  
وكذلك يجب على المؤمنين به من بني البشر أن يداوموا تسيّحه  
وتقديسه بلا توان، وأن يتم لهم ذلك ويديعه بمسرّته. ولذلك  
يقولون: "خبزنا الذي للغد" يعني في الدّهر الآتي في السّماء،  
لأن خبزهم في الدّهر الآتي في السّماء هو تسيّح الله ...  
كذلك المؤمنون إذا صاروا في السّماء يكونون مثلهم ... لأنهم  
يسألون الله بتضرع قائلين: نسبحك ونقدّسك، وقربانك الذي  
هو خبز الغد في السّماء أعطه لنا اليوم على الأرض، لأننا إذا

لم تزوده هنا اليوم على الأرض، لا نناله غداً في السماء  
وكذلك يسألونه ألا يدخلهم في التجارب التي تعيقهم  
عن ذلك، بل ينجيهم من الشرير يسوع المسيح الذي لا  
خلاص إلا به.

وللوقت يجاوبهم الكاهن قائلاً: نعم نسألك أيها الآب  
القدوس الصالح المحب للصالح، لا تدخلنا التجارب، ولا تدع  
كل الخطايا تسلط علينا، بل نجنا من الأعمال غير النافعة،  
ومن أفكارها وحركاها ونظرها ولمسها، وأبطل المحرّب  
واطرده عنا، وأبطل جميع حركاته الغريزيّة فينا، واقطع عنا  
أسبابه التي تقودنا إلى الخطيئة، وخلصنا بقوتك المقدّسة  
يسوع المسيح ربنا، آمين<sup>(٢٧)</sup>.

هذه هي الإفخارستيّا، إنها ليست من هذا الدهر، بل من الآتي،  
ولكنها معطاة لنا في هذا الزّمان الحاضر، عربون حياة الغد.

في الإفخارستيّا يدخل المسيح فينا وندخل فيه، يثبت فينا ونثبت نحن  
فيه. هناك ستكتشف لنا هذه الأسرار. الإفخارستيّا نأخذها الآن كعربون  
الخيرات السّمائيّة، ولكن هناك سنأخذها بملء قوّتها. الآن نأخذها كزاد  
للطّريق لنواصل الجهاد، لكي نفرح إلى الأبد في الملكوت.

وصلاة "أبانا" هي صلاة إفخارستيّة بالدرجة الأولى، فيقول عنها  
غريغوريوس الكبير (+ ٣٠٤م) أسقف روما:

[إن الرُّسُل كانوا يقدِّسون مادة الصَّعيّدة بواسطة صلاة  
أبانا الذي في السّموات وحدها].

ويُعقَّب ريتشاردسن عن ذلك بأن صلوات الدَّيْدَاخِي مرتَّبة فعلاً على كلمات هذه الصَّلَاة.

ويقول عنها العلامة تريليان:

[إن الصَّلَاة الرَّبَّانِيَّة يجب أن تُحفظ كأساس، وأي بناء إضافي من الصَّلوات الأخرى يتحمَّم أن يوضع وفقاً لها]<sup>(٢٨)</sup>.

وهذه الصَّلَاة الرَّبَّانِيَّة التي علَّمها السيِّد المسيح لتلاميذه لم تكن شكلاً لِيَتورجياً جديداً، لكن الرُّب أعاد الـ Tefila أي "الصَّلَاة" التي كانت تُتلى في الكنيس اليهودي في خاتمة العبادة يوم السَّبْت، وكانت تُتلى أيضاً ثلاث مرَّات في اليَوْم، وهي:

أبانا ومليكنَا

ليتقدَّس اسمك

لتثبت مملكك في كل الأرض

ليتقدَّس اسمك في سماء السَّموات

أعطينا أن نأكل الخبز السَّماوي

اغفر لنا لأننا خالفنا وصاياك

احمنا من الشرِّ في سُبُل التَّجربة

لأن لك الملك والمجد والقوَّة إلى الأبد<sup>(٢٩)</sup>.

وكان أوَّل ذكر للصَّلَاة الرَّبَّانِيَّة بعد الأناجيل هو ما يذكره كتاب

٢٨- نفس المرجع، ص ٧٣٤

29- Bishop Alexis, *Continuity of worship between synagogue and church*, The Graduate school of ecumenical studies, Bossey, 1964-1965 (unpublished).

انظر: ذبيحة التَّسبيح، مرجع سابق، ص ٦٩، ٧٠.

الديداخي - تعليم الرُّسُل - عنها، وهو من مدونات أواخر القرن الأوَّل الميلادي، حين تورّد الديداخي نص الصَّلَاة ثمَّ تقول: "هكذا تصلُّون ثلاث مرَّات في اليوم" (ديداخي ٨: ٣)، وهي أقدم إشارة ليتورجية تشير إلى استخدام الصَّلَاة الرُّبانيَّة في خدمة الصَّلَاة المسيحيَّة اليوميَّة، خارجاً عن القدَّاس الإلهي.

أما دخول صلاة "أبانا" في صلوات الإفخارستيَّا، فقد جاء متأخراً في نهاية القرن الرَّابع، وذلك في كافة الطُّقوس الشَّرقيَّة، أي في طقوس أورشليم ومصر وسوريا وشمال أفريقيا. أمَّا روما فقد تأخَّر دخول هذه الصَّلَاة إليها حتى سنة ٥٩٥م في أيام غريغوريوس الكبير (+ ٦٠٤م).

فاللِّتورجيَّات الأوَّلى كانت تخلو تماماً من صلاة "أبانا"، وهي غير موجودة في ليتورجية التَّقليد الرُّسولي لهيبوليتس، وغير موجودة في قوانين الرُّسُل، ولم يرد ذكرها في الكتابات اللِّتورجية الخاصَّة بالقدِّيس يوحنا ذهبي الفم. ولم تُعرف أيضاً في قدَّاس سراييون.

ولكننا نجد الصَّلَاة الرُّبانيَّة في مخطوط الدَّير الأبيض بسوهاج، مما يجعلنا نظن أنها ربما تكون من بواكير الإضافات التي أُضيفت على النَّص الأصلي لهذا المخطوط، حيث أنها تحمل إلينا طقس القدَّاس القبطي في أيام البابا بنيامين الأوَّل، البطريرك الثَّامن والثلاثين، في القرن السَّابع الميلادي، وهو الوقت الذي أصبحت فيه الصَّلَاة الرُّبانيَّة منتشرة في كافة اللِّتورجيَّات الشَّرقيَّة والغربيَّة.

### طقس ترديد الصَّلَاة الرُّبانيَّة

أمَّا كيفية تلاوة الصَّلَاة الرُّبانيَّة، فهناك اختلاف واضح بشأن

ترديدها بين الكنائس المختلفة. ففي أورشليم يتلوها الأسقف والشعب معاً. أمّا في الغرب - وأيضاً في كنائس شمال إفريقيا - فيتلوها مقدّم الإفخارستيا وحده، ولا يشترك الشعب معه إلا في كلمة "أمين" في نهايتها، أو في المقطع الأخير منها. ولا يزال بقايا هذا التقليد موجود في مصر. فبالرغم من اشتراك الشعب كله فيها، إلا أنه بعد تلاوتها يعود الخوروس أو الشعب ويردّد آخر مقطع منها باللغة القبطية باللحن وهو: "بالمسيح يسوع ربنا". ويذكر ابن سباع في القرن الثالث عشر أن الشعب كله يقول الصلوة الربانية إلى آخرها<sup>(٣٠)</sup>.

أمّا في الطقس السرياني - وقد أخذت عنه كنيسة ميلان وكل فرنسا في القرن السادس - فالكنيسة كلها تشترك في تلاوتها كما هو حادث الآن في مصر<sup>(٣١)</sup>.

وحين تورد الدسقولية تعليمها عن الصلوة، وتقول: "صلّوا كما أمرنا الرب في الإنجيل: أبانا"، توصي قائلة: "واسبقوا فأعدّوا أنفسكم لأن تصيروا مستحقين لبنوة الأب، لئلا إذا دعوموه بغير استحقاق يا أبانا، يردلكم" (٣٦: ٢١-٢٤).

وما تعلم به الدسقولية منذ القرن الرابع الميلادي نجد صداه واضحاً كل الوضوح في الطقس القبطي حتى اليوم، إذ تُختم صلوات القسمة في الطقس القبطي بطلبية متكررة في معظم هذه الصلوات، تتوسّل إلى الرب أن يوهّلنا لكي نقدر أن نفتح أفواهنا وندعو الله أبانا أباً لنا. فتقول هذه الطلبة العميقة: "ظهر أنفسنا وأجسادنا وأرواحنا وقلوبنا وعيوننا وأفهامنا وأفكارنا ونيّاتنا، لكي بقلب طاهر، ونفس مستنيرة، ووجه غير

٣٠- يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، مرجع سابق، ص ٢٥٦

٣١- الأب متى المسكين، مرجع سابق، ص ٧٣٣



مخزي، وإيمان بلا رياء، ومحبة كاملة، ورجاء ثابت، نستجري بدالة بغير خوف أن نطلب إليك يا الله الآب القدوس الذي في السموات ونقول: "أبانا". فيا للطهارة الواجبة علينا، لكي نكون مستحقين أن ندعو الله أباً لنا، ونخاطبه بدالة البنين قائلين: "أبانا".

### الصَّلوات التي تعقب الصَّلاة الربانيَّة

هناك ثلاث صلوات تعقب الصَّلاة الربانيَّة يصلِّيها الكاهن كلها سرّاً، الصَّلاة الأولى منها تُسمى: "صلاة بعد أبانا"، والثانية تُسمى "صلاة الخضوع للآب"، والثالثة تُسمى "صلاة التَّحليل". وفيما يلي شرح لهذه الصَّلوات.

#### صلاة بعد أبانا

بعد أن يرَدُّ الشَّعب كله صلاة أبانا، يقول الكاهن صلاة سرِّيَّة تدور حول طلب النَّجاة، وبالتَّحديد تعقَّب على قول الصَّلاة الربانيَّة: "لا تدخلنا في تجربة، لكن نجنا من الشَّرير"، كما سبق أن أشرتُ منذ قليل. ومن العجيب حقاً أن يكون هذا المحور أو هذا المضمون لهذه الصَّلاة هو نفس ما تشير إليه أقدم مخطوطات الخولاجيَّات، بل إن مخطوط الدَّير الأبيض الذي يورد أقدم نص قبطي صعيدي للقدَّاس الباسيلي، تتفق كلها حول هذا المضمون.

فيقول الكاهن سرّاً الصَّلاة التَّالية: "نعم نسألك أيها الآب القدوس الصَّالح، محب الصَّلاح، لا تدخلنا في تجربة، ولا يتسلَّط علينا كل إنثم. لكن نجنا من الأعمال غير النَّافعة، وأفكارها، وحرركاتها، ومناظرها، ومجسَّاتها. والمجرب أبطله واطرده عنا، وانتهر أيضاً حرركاته المغروسة فينا،

واقطع عنا الأسباب التي تسوقنا إلى الخطيئة. ونُجِّنا بقوتك المقدَّسة، بالمسيح يسوع ربِّنا. هذا الذي من قبله ...“.

ليت القارئ العزيز يعيد قراءة نص هذه الصَّلَاة السَّرِّيَّة مرَّةً أخرى، ليستوضح بنفسه عمق المعنى الذي ترمي إليه. وحدير بالذكر أن نص هذه الصَّلَاة قد ورد بحرفه في أقدم مخطوط خولاجي قبطني عربي كامل معروف حتى اليوم، وهو مخطوط الفاتيكان رقم (١٧)، والذي يعود إلى القرن الثاني عشر الميلادي. بل ورد نص هذه الصَّلَاة بحرفها في القرن العاشر الميلادي عند الأنبا ساويرس ابن المقفع (تتَّح بعد سنة ٩٨٧م).

E. أمَّا النَّصُّ اليوناني للقُدَّاس الباسيلي الذي نشره العالم رونودوت Renaudot فيورد نفس الصَّلَاة المذكورة سابقاً، ولكنه يوضِّح واحدة من عباراتها حين يقول: ”وانتهر أيضاً حركاته الجسديَّة المغروسة فينا - *καὶ τοῖς ἐμφύτοις καὶ σωματικοῖς ἐν ἡμῖν κινήμασι*“.

أمَّا هذه الصَّلَاة في القُدَّاس الكيرلسي فنصها هو: ”نعم نسألك يا الله الآب ضابط الكل، لا تدخلنا في تجربة، لكن نجنا من الشَّرير. فالأفعال المتنوعة التي لإبليس اطرحها عنَّا، والسَّعَايات الكائنة بمشورة النَّاس الأشرار اجعلها كلها كلا شيء، وحصَّنا كل حين بيمينك المحيية، لأنك أنت هو معينا وناصرنا، بالمسيح يسوع ربِّنا، هذا الذي من قبله نجد ...“.

وإنه من العجيب حقاً أن تتَّفَق ليتورجيَّة القُدَّيس سراييون في القرن الرَّابِع الميلادي مع مضمون هذه الصَّلَوَات السَّرِّيَّة السَّابِق ذكرها، والتي تُقال بعد ”أبانا الذي في السَّمَوَات“، حيث نقرأ في خولاجي سراييون الصَّلَاة التَّالِيَّة: ”إننا ندعوك أنت غير المولود بابنك الوحيد في الرُّوح

الْقُدْس. لِيُرْحَمَ هَذَا الشَّعْبَ، وَلِيَسْتَحِقَّ النُّمُو. وَلِتُرْسَلَ مَلَائِكَةُ لِيَكُونُوا حَاضِرِينَ مَعَ الشَّعْبِ لِإِبَادَةِ الشُّرُورِ، وَلِتَثْبِيتِ الْكَنِيسَةِ“ (١٦:١٣).

وهو نفس ما نجد في مخطوط الدَّير الأبيض بسوهاج، والذي يورد أقدم نص قبطي صعيدي للقُدَّاس الباسيلي، حيث يرد فيه: ”نعم أيها الرَّبُّ الإله الذي لم يسمح لنا أن نجرب أكثر مما نستطيع، بل تعطي لنا مع التَّجربة أن نختل وأن نخرج منها، تَجْنًا...“.

وإن أقدم نص ليتورجي على الإطلاق يثبت تأصل مضمون هذه الصَّلَاة في وجدان الكنيسة منذ نهاية القرن الأوَّل الميلادي هو ما نقرأه في كتاب: ”الدَّيداخي - تعليم الرُّسُل“، كصلاة تُقال في نهاية القُدَّاس، حيث نقرأ: ”أذكر يارب كنيسة لكى تنجها من كل شر وتكملها في محبتك. اجمعها (تلك المقدَّسة) من الرِّياح الأربع إلى ملكوتك الذي أعدته لها. لأن لك القدرة والمجد إلى الآباد“ (ديداخي ١٠:٥).

### صلاة الخضوع للآب

وقد دُعيت هذه الصَّلَاة هكذا، لأن الشَّعْبَ كله يجنون رؤوسهم إثر نداء للشمَّاس بذلك، بينما يصلي الكاهن هذه الصَّلَاة.

فينادي الشمَّاس قائلاً: ”أحنوا رؤوسكم للرَّبِّ“. وهو مرد تعرفه كل الطُّقوس الأخرى. وقد ورد ذكره في مذكرات السَّائحة الأسبانيَّة بإيجيريا في القرن الرَّابع الميلادي، وذلك في معرض حديثها عن خدمة صلاة الغروب في كنيسة القيامة في أورشليم. فتقول: ”يتلو الأسقف أولاً صلاة من أجل كل أحد، ثم يصلي الجميع معه، المؤمنون والموعوظون. ثم يصرخ الشمَّاس منبهاً الموعوظين أن يجنوا رؤوسهم، كل في مكانه،

حيث ينطق الأسقف بالبركة عليهم. وبعد أن تُتلى صلاة خاصة يَبْنُوهُ الشَّمَّاسُ المؤمنين الموجودين أيضاً أن يُحْنُوا رُؤُوسَهُمْ، وحينئذ يبارك الأسقف المؤمنين ...“.

وبعد نداء الشَّمَّاسِ، يرد عليه الشَّعْبُ قائلين: ”أمامك يارب“، أي أمامك يارب نحن خاضعون برؤوسنا.

فيقول الكاهن صلاة خضوع للآب سرّاً قائلًا: ”كَمَلْتُ نَعْمَ إحسان ابنك الوحيد، ربّنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح. اعترفنا بألامه المنخلّصة. بشرنا بموته، آمناً بقيامته. وكَمُلُ السَّرِّ. نشكرك أيها الرّبّ الإله ضابط الكل، لأن رحمتك عظيمة علينا إذ أعددت لنا ما تشتهي الملائكة أن تطّلع عليه. نسأل ونطلب من صلاحك يا محب البشر، لكي إذ طهّرنا كلنا، تؤلّفنا بك من جهة تناولنا من أسرارك الإلهيّة. لكي نكون مملوئين من روحك القدّوس، وثابتين في إيمانك المستقيم، وممتلئين من شوق محبّتك الحقيقيّة، وننطق بمجدك كل حين، بالمسيح يسوع ربّنا، هذا الذي ...“.

وهذه الصلّاة تأتي فيها كل الأفعال في صيغة الماضي، إذ أنّها تعقب اكتمال السّر المقدّس. ويتّضح منها عمل السّرّ فينا، حين يكون سبب امتلاتنا بالروح القدّوس، وثباتنا في الإيمان المستقيم، وازدياد شوقنا محبّة الرّبّ الحقيقيّة، ناطقين بمجد الرّبّ كل حين.

وتثبت الشّواهد من داخل النّص أنّها صلاة قديمة، بل سحيقة في القدم، ربما ترقى إلى القرن الرّابع الميلادي.

أما صلاة الخضوع للآب في القدّاس الكيرلسي، فمن بين كلماتها: ”يا

الله الذي أحببنا هكذا، وأنعم لنا برتبة البِنوَّة ... نحن الوارثون لك يا الله الآب، وشركاء في ميراث مسيحك، أمل أذنك يارب واسمعنا نحن الخاضعين لك، وطهر إنساننا الدَّاخلي كطهر ابنك الوحيد، هذا الذي نضمّر أن نأخذه (نتناوله) ... لكي بطهارة تتناول من هذه الأسرار النقيَّة، ونتطهَّر كلنا كاملين في أنفسنا وأجسادنا وأرواحنا، إذ نصير شركاء في الجسد، وشركاء في الشَّكل، وشركاء في خلافة مسيحك ...“ (٣٢).

أما صلاة البركة التي ترد في قدَّاس القُدِّيس سراييون فهي: ”أقبل أيضاً شكر شعبك، وبارك الذين قدَّموا التَّقدمات والتَّشكُّرات، وأنعم لهم بالصَّحة والسَّلامة الكاملة والفرح، وكلِّموا النَّفس والجسد لكل هذا الشَّعب، بابنك الوحيد يسوع المسيح في الرُّوح القُدِّس“.

### صلاة التَّحليل للآب

وقبل أن يبدأ التَّحليل ينادي الشَّمَّاس: ”نصت بخوف الله“، فيجيب الكاهن قائلاً: ”السَّلام لجميعكم“، فيجيبه الشَّعب: ”ولروحك أيضاً“، فتدخل الكنيسة فترة صمت ليتورجي. وفيها يصلي الكاهن صلاة التَّحليل سرّاً، أما الشَّعب فواقف أمام الله في خشوع مصغياً بقلبه لا بأذنيه، منحني الرأس. إنه أسمى تعبير عن الامتثال في سلام الرَّب إذ هو سكون الرَّب الآتي (٣٣)، وهو موقف البنين المطمئنين في حضرة أبيهم.

يقول الكاهن: ”أيها السيِّد الرَّب الإله ضابط الكل، شافي نفوسنا

٣٢- ربما تكون هذه هي أطول صلاة بركة على الشَّعب في كافة الليتورجيات جميعاً. وهي من وضع يوحنا أسقف بوسطره Bostra، عاصمة حوران بإقليم سورية، وكان معاصراً للقُدِّيس ساويرس الأنطاكي (٤٦٥-٥٣٨م).

٣٣- مزمو ٣٧: ٤ ؛ إشعياء ١: ٤١ ؛ مراثي إرميا ٣: ٢١ ؛ حبقوق ٢: ٢٠ ؛ صفيان ١: ٧ ؛ مرقس ٤: ١٩ ؛ رؤيا ١: ٨

وأحسادنا وأرواحنا ... فليكن يا سيّدي عيدك آبائي وإخوتي وضعفي محالين من فمي بروحك القدّوس أيها الصّالح محب البشر. اللّهم يا حامل خطيئة العالم اسبق بقبول توبة عبيدك منهم، نوراً للمعرفة، وغفراناً للخطايا ... اللّهم حاللنا وحالل كل شعبك من كل خطيئة ومن كل لعنة، ومن كل جحود ...“ (٣٤).

ويقول الأنبا ساويرس ابن المقفع (تبيح بعد سنة ٩٨٧م) عن هذه الصّلاة:  
[يطاطئ الشّعب رؤوسهم، ويسأل الكاهن الله الصّادق في مواعيده بالسّلطان الذي دفعه لتلاميذه، أن يربطوا ويحلّوا كل رباطات الخطيئة، أن يحلّم من خطاياهم، ويغفر جميع ذنوبهم، ويخلصهم من الشّرير، ويوصلهم إلى ملكوته السّمائي] (٣٥).

وطبقاً لطقس ابن سباع في القرن الثالث عشر، فإن الكاهن يقول هذا التّحليل ”ووجهه إلى الشّرق كالعادة. وإن كان رئيس كهنة في كرسيه، يقرأه ووجهه إلى الغرب حتى يجذب شعبه ليستحقوا تناول الجسد والدمّ المقدّس، ويذكر في آخر التّحليل مقدّم ذلك القربان، وكل من أمره أن يذكره واحداً واحداً، كل باسمه“ (٣٦).

وطبقاً لطقس البابا غريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٧م)، فعند قول الكاهن: ”اللّهم حاللنا وحالل كل شعبك“، يستر يده اليمنى بلفافة حرير، ويلتفت قليلاً إلى الغرب، ويشير بيده إلى الشّعب. وتكون يده اليسرى مبسوطة ملتفتاً بنظره إلى الجسد الطّاهر سائلاً منه طالباً عن الشّعب. وها هنا

٣٤- هذا التّحليل يُقال في القدّاسين الكيرلسي والباسيلي على حد سواء.

٣٥- الأنبا ساويرس ابن المقفع، الدر الثمين في إيضاح الدين، مرجع سابق، ص ١٢٧

٣٦- يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، مرجع سابق، ص ٢٥٨

بذكر البيعة والشَّعب الأحياء والأموات إلى آخر قراءة التَّحليل (٣٧).

إن من يذكرهم الكاهن من الأحياء والأموات في هذا الموضع من القدَّاس هو نفس ما نقرأه في هذا الموضع عينه في قدَّاس القدِّيس سراييون في القرن الرابع الميلادي حيث يقول: "تتوسَّل أيضاً من أجل كل الذين رقدوا، الذين تذكَّارهم هو (٣٨): قدَّس هذه النفوس، لأنك تعرف الكل. قدَّس كل النفوس التي رقدت في الرَّب (٣٩)، احسبهم مع كل قوَّاتك المقدَّسة، وأعطهم موضعاً ومسكناً (٤٠) في ملكوتك".

إن الطَّقْس القبطي هو الطَّقْس الوحيد بين طقوس كنائس العالم شرقاً وغرباً، الذي يورد صلاة تحليل في هذا الموضع المتأخَّر من القدَّاس الإلهي، باستثناء كنائس شمال أفريقيا في القرن الرَّابع الميلادي.

وإن هذا التَّحليل هو أصلاً من أجل الذين كانوا تحت قانون توبة، وهو موضوع هنا - وفي هذا المكان المتأخَّر من القدَّاس - لكي يعطيهم الشَّجاعة ليشتروا مع بقية المؤمنين بضمير طاهر. ومع الوقت اتسع هذا التَّحليل حتى شمل كل أحد وكل خطيئة (٤١).

وطبقاً لطقس البابا غريال الخامس: بعد انتهاء التَّحليل يصرخ

٣٧- البابا غريال الخامس، الترتيب الطقسي، مرجع سابق، ص ٨٤

٣٨- هنا تُذكر الأسماء.

٣٩- رؤيا ١٤: ١٣

٤٠- يوحنا ١٤: ٢

٤١- أليس غريباً أنه بالرَّغم من وجود هذا التَّحليل هنا، قرب نهاية القدَّاس، وقبل التَّناول مباشرة، أن يظل بعض الآباء الكهنة يقرأون صلوات التَّحليل للرَّاعين في التَّناول حتى اللحظات الأخيرة من القدَّاس، وقبل التَّناول مباشرة؟. وكان هذا التَّحليل الذي قاله الأب الكاهن على كل شعب الكنيسة غير كاف! القدَّاس الإلهي ليس هو الوقت المناسب للاعتراف السَّري على الكاهن.

الشَّمَّاس بأعلى صوته قائلاً: Ἐσθεῖς. Ἀμήν. Καὶ τῷ πνεύματί σου. Μετὰ φόβου Θεοῦ προσχῶμεν. ”خَلَّصْتَ حَقًّا، ومع روحك، نصت بخوف الله“. فيجاوبه الشَّعب بأعلا أصواتهم كيرياليسون كيرياليسون. ثمَّ يأخذ الكاهن الإسبديقون بيديه ويرفعه للعلو إلى آخر منتهي ذراع، وهو مطامن الرأس، صارخاً بأعلى صوته قائلاً: القدسات للقدِّسين<sup>(٤٢)</sup> Τὰ ἅγια τοῖς ἁγίοις<sup>(٤٣)</sup>.

وإن ما يلفت النَّظر جداً أن مخطوط الفاتيكان رقم (١٧)، وهو أقدم خولاجي قبطي عربي كامل معروف حتى اليوم، قد أورد مرد الشَّمَّاس السَّابِق ذكره هكذا: ”بخوف الله أجيوا - μεταφωβοῦ Θεοῦ - προσχῶμεν“. أي ”بخوف الله نصت“. وهو نفس ما يذكره مخطوط أكسفورد رقم (هنت ٣٦٠)، في النَّص القبطي للمبرد، وإن كانت التَّرجمة العربيَّة قد وردت فيه هكذا: ”بخوف الله أنصتوا“. وهو نفس ما يذكره ابن سباع عن هذا المرد في القرن الثالث عشر<sup>(٤٤)</sup>. وإن نفس هذا المرد عينه يرد في النَّص اليوناني للقدَّاس الباسيلي الذي نشره العالم رونودوت E. Renaudot عن مخطوط من القرن السابع عشر، هكذا: ”نصت بخوف الله - Προσχῶμεν Θεῷ μετὰ φόβου“.

أي أن البابا غبريال الخامس (١٤٠٩ - ١٤٢٧م) هو وحده الذي ذكر عبارة: ”خَلَّصْتَ حَقًّا، ومع روحك“، خلافاً للمصادر السَّابِق الإشارة إليها. وربما كانت هذه هي إحدى الممارسات المعروفة عن هذا المرد، والتي سادت بعد نقلها إلى الخولاجي المطبوع سنة ١٩٠٢م.

٤٢ - البابا غبريال الخامس، الترتيب الطقسي، مرجع سابق، ص ٨٤

٤٣ - عن القدسات للقدِّسين انظر: الفصل القادم مباشرة.

٤٤ - يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، مرجع سابق، ص ٢٥٨



## الفصل الثاني عشر

### القدسات للقديسين

Tà áγia τοῖς áγίοις

### والاعتراف الأخير

الشّمّاس بأعلى صوته قائلاً: Ὁσθεῖς. Ἀμήν. Καὶ τῷ πνεύματί σου. Μετὰ φόβου Θεοῦ προσχωμεν. "خَلَصْتَ حَقًّا، وَمَعَ رُوحِكَ. نَنصِتُ بِخَوْفِ اللَّهِ". فيجاوبه الشّعب بأعلا أصواتهم كيرياليسون كيرياليسون. ثمّ يأخذ الكاهن الإسباديقون بيديه ويرفعه للعلو إلى آخر منتهى ذراعه، وهو مطامن الرأس، صارخاً بأعلى صوته قائلاً: القدّسات للقدّيسين<sup>(٤٢)</sup> τὰ ἅγια τοῖς ἁγίοις<sup>(٤٣)</sup>.

وإن ما يلفت النّظر جداً أن مخطوط الفاتيكان رقم (١٧)، وهو أقدم خولاجي قبطي عربي كامل معروف حتى اليوم، قد أورد مرد الشّمّاس السّابق ذكره هكذا: "بِخَوْفِ اللَّهِ أُحْيِيوْا - μεταφωβοῦ Θεοῦ - προσχωμεν". أي "بِخَوْفِ اللَّهِ نَنصِتُ". وهو نفس ما يذكره مخطوط أكسفورد رقم (هنت ٣٦٠)، في النّص القبطي للمبرد، وإن كانت التّرجمة العربيّة قد وردت فيه هكذا: "بِخَوْفِ اللَّهِ أَنْصَتُوا". وهو نفس ما يذكره ابن سباع عن هذا المرد في القرن الثالث عشر<sup>(٤٤)</sup>. وإن نفس هذا المرد عينه يرد في النّص اليوناني للقدّاس الباسيلي الذي نشره العالم رونودوت E. Renaudot عن مخطوط من القرن السّابع عشر، هكذا: "نَنصِتُ بِخَوْفِ اللَّهِ - Προσχωμεν Θεῷ μετὰ φόβου".

أي أن البابا غبريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٧م) هو وحده الذي ذكر عبارة: "خَلَصْتَ حَقًّا، وَمَعَ رُوحِكَ"، خلافاً للمصادر السّابق الإشارة إليها. وربما كانت هذه هي إحدى الممارسات المعروفة عن هذا المرد، والتي سادت بعد نقلها إلى الخولاجي المطبوع سنة ١٩٠٢م.

٤٢- البابا غبريال الخامس، الترتيب الطقسي، مرجع سابق، ص ٨٤

٤٣- عن القدّسات للقدّيسين انظر: الفصل القادم مباشرة.

٤٤- يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، مرجع سابق، ص ٢٥٨

## الفصل الثاني عشر

### القدسات للقدّيسين

Tà ἅγια τοῖς ἁγίοις

### والاعتراف الأخير

## تمهيد

يقول القُدَّيس كيرلس الأورشليمي (٣١٥-٣٨٦م):

[إن "القُدسات للقُدَّيسين" تقال لأن مواد الإِفخارستيا الموضوعَة أماننا قبلت الرُّوح القُدَّس عليها، وأنتم قُدَّيسون أيضاً حينما يسكن فيكم الرُّوح القُدَّس. لذلك فإن القُدسات تليق بالقُدَّيسين]<sup>(١)</sup>.

ويقول أيضاً في عظته السَّابعة عشرة في شرح رسالة العبرانيين:

[الكنيسة تنادي بذلك حتى إذا كان هناك إنسان غير مقدَّس، فلا يقترب ... ولكن لا تقول الكنيسة علانية من كان بلا خطيئة فليتقدَّم، بل من كان فيه الرُّوح القُدَّس وهو متمسِّك بالأعمال الصَّالحة فليتقدَّم].

هذا النِّداء الذي يقوله الكاهن، وهو رافع بيده اليمين الإِسبديقون، ومؤمَّن تحتها بيده اليسرى، يعني أن الأشياء التي لله هي للأشخاص الذين لله.

وهذا النِّداء يقوله الكاهن بعد صلاة التَّحليل الأخير الذي قاله الكاهن لتوّه سراً، فصار المؤمنون قُدَّيسين.

إن الشَّعب حين يجيب على الكاهن "واحد هو الآب القُدَّوس، واحد هو الابن القُدَّوس، واحد هو الرُّوح القُدَّس"، فهو يعلن أنه بصدد القُداسة لا يوجد إلا قُدوس واحد هو الآب والابن والرُّوح القُدَّس. أمَّا

1- Cyril of Jerus., Catech. 23.

في ليتورجية أورشليم وفي ليتورجية المراسيم الرسولية، فيجيب الشعب: "واحد قدوس" هو ربنا يسوع المسيح". أمّا في الطقس البيزنطي فيكون مرد الشعب: "قدوس" واحد، ربّ واحد، يسوع المسيح مجد الله الأب. أمين". وهذا يعني في عرف الكنيسة أن واحداً فقط هو منبع ومصدر كل قداسة وتقديس الذي هو ربنا يسوع المسيح.

إن أوّل مصدر استقت منه الكنيسة إضفاءها صفة "القدوس" على الأقباط الثلاثة هو ثيودور أسقف مبسوستا، وأوّل من ردّها بهذا الوضع في الطقس القبطي هو البابا كيرلس الكبير (٤١٢-٤٤٤م)، ولا يُعرف أحد قبله في الكنيسة القبطية ذكر هذا الاصطلاح إلا العلامة ديديموس الصّير (٣١٣-٣٩٨م) إنّما ليس بالمفهوم اللّيتورجي<sup>(٢)</sup>.

### الطقس المصاحب للنّداء: القدسات للقدّيسين

أمّا عن طقس ترديده في الكنيسة القبطية، فإنه طبقاً للبابا غبريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٧م): "يأخذ الكاهن الإسيديقون بيديه، ويرفعه للعلو إلى آخر منتهى أذرعته، مطامن الرأس، وهو صارخ بأعلى صوته قائلاً: القدس للقدّيسين، فيطامن الشعب جميعهم رؤوسهم، ساجدين للربّ"<sup>(٣)</sup> بخوف ورعدة، طالبين بدموع وابتهاال، ودق صدور في غفران

٢- الأب متى المسكين، الإفخارستيا والقدّاس، مرجع سابق، ص ٧٤٢

٣- هنا أضاف القمّص عبد المسيح اليراموسي بقوله: "على الأرض". (كتاب الخولاجي المقدّس، طبعة سنة ١٩٠٢م، ص ٤٠٢). أمّا ما يذكره البابا غبريال الخامس فهو إحناء الرأس والذي يسميه سجوداً. ففي قوله: "يطامن الشعب رؤوسهم ساجدين للربّ"، ربما يعني أن إحناء الرأس فقط هو بمثابة سجود، ولكن ليس سجوداً كاملاً إلى الأرض. ويذكر مخطوط خولاجي رقم (١٣٤ طقس). بمكتبة دير القدّيس أبنا مقار (من القرن الثامن عشر) ما يلي: "ويكون الشعب جميعه ساجدين

خطاياهم، وثباتهم على الأمانة الأرثوذكسيّة إلى النّفس الأخير. ثمّ يأخذ الكاهن الإسباديقون بيده اليمنى (يطرف إصبعين)<sup>(٤)</sup> ويرشم به الدّم الكريم بالكأس مثال الصّليب، (ثمّ يغمس طرفه داخل الكأس) ويرفعه مغموساً بالدّم محترزاً لثلاثاً يسقط منه شيء، ويرشم به أيضاً الجسد الطاهر الذي بالصّينيّة جميعه مثال الصّليب. ثمّ يعود به إلى الدّم، ويرشم به أيضاً (على وجهه) الدّم (داخل الكأس) مثال الصّليب، ويضعه في الكأس (مقلوباً)، (لكن يفعل ما سبق ذكره بلطافة واحتراس. وتكون يده اليسرى مبسوطة تحت الإسباديقون لثلاثاً تقع منه جوهرة أو ينقط منه شيء). كل ذلك وهو يقول: مباركُ الرّب يسوع المسيح ابن الله، و"قدوس" الرّوح القدّس آمين".

ويشرح ابن سبّاع قول البابا غريال الخامس السابق ذكره، في عبارة "فيطامن الشّعب جميعهم رؤوسهم، ساجدين للربّ بخوف ورعدة"، فيقول ابن سبّاع: "يأخذ (الكاهن) جزءاً من الجسد المقدّس ... ويرفعه إلى فوق، ويرفع معه الشّموع والصّليب ... ويصرخ الكاهن بأعلا صوته ... هذا قدس القديسين. وكلّ شعب الكنيسة يصرخون بقم واحد يارب ارحم، وهم مكشوفو الرؤوس، منحنو الرقاب إن كان يوم الأحد، وإن كان غير يوم الأحد يكون الكلّ ساجدين بجباههم على

للأرض بوجوههم". وهو ما نراه واضحاً حتى اليوم في كل الكنائس أن الشّعب ينحني بوجهه للأرض، ولكنه لا يسجد إلى الأرض سجوداً كاملاً، وذلك أثناء قول الكاهن "القدسات للقديسين". ولعلها كانت واحدة من الممارسات التي عرفت في هذه اللحظة من القدّاس، لأن ابن سبّاع يذكر ممارسة أخرى، كما أوضحت في المتن. ٤- ما بين القوسين هو ما يذكره جولاجي سنة ١٩٠٢م، ولم يرد عند البابا غريال الخامس في كتابه "الترتيب الطقسي".

الأرض من غير عمامة“ (٥).

هذا من جهة الممارسة الطقسية المصاحبة للنداء، أما من جهة ترديد الشعب لمرد يعقب هذا النداء ”القدسات للقديسين“ فهو ما يشرحه الأنبا ساويرس ابن المقفع (تبيح بعد سنة ٩٨٧م) في القرن العاشر الميلادي، فيقول: ”بعد هذه الصلاة الطويلة، يرفع (الكاهن) الجسد على يديه إلى فوق جميع الشعب كما ارتفع عنهم على خشبة الصليب. وينادونه جميعهم كما ناداه اللص اذكري يارب إذا جئت في ملكوتك، فيستحقون منه الغفران لجميع خطاياهم، والتنعم في فردوسه ... الخ“ (٦).

وهذه الإشارة بالغة الأهمية التي ترد إلينا من القرن العاشر الميلادي عن مرد الشعب المصاحب لنداء الكاهن ”القدسات للقديسين“ يؤكد لها مجدداً واحداً من معلّمي البيعة في القرون الوسطى بقوله: ”وعند قوله القدس للقديسين يقولون: اذكرنا يارب إذا جئت في ملكوتك. قدوس الأب، قدوس الابن، قدوس الروح القدس، الثالوث المقدس“ (٧).

وهذا بعينه هو ما يذكره أيضاً البابا غبريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٧م) في كتابه ”الترتيب الطقسي“ ولكن ليس في هذا الموضع من الصلوات، بل بعد مناولة الشعب ورجوع الكاهن إلى الهيكل، فيذكر أنه بعد مناولة الشعب، الرجال ثم النساء، يعود الكاهن إلى الهيكل، ويصعد إليه ثم يلتفت إلى الغرب، ويرشم الشعب مثل ما فعل أولاً<sup>(٨)</sup>، وهم

٥- يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، مرجع سابق، ص ٢٥٨، ٢٥٩

٦- الأنبا ساويرس ابن المقفع، الدر الثمين في إيضاح الدين، مرجع سابق، ص ١٢٧

٧- كتاب سرّ الثالوث في خدمة الكهنوت، لمعلّمي البيعة، لناشره جرجس فيلوثاؤس

عوض، مرجع سابق، ص ٢٨

٨- فهو يذكر أنه يرشم الرجال بالصينية قبل مناولتهم، كما يرشم النساء بالصينية قبل مناولتهن، ولكن بدون هتاف يقوله الشعب في كلا الحالتين.

يخضعون إلى الأرض قائلين: "اذكرنا يارب إذا جئت في ملكوتك. قدوس الآب، قدوس الابن، قدوس الرّوح القدّس، الثّالوث المقدّس" (٩).

إذا فداء الشّعب "اذكري - أو اذكرنا - يارب إذا جئت في ملكوتك" كان من صلب مردّات الشّعب الأساسيّة في القدّاس الإلهي عقب قول الكاهن "القدّسات للقدّيسين"، سواء كان ذلك قبل بدء التّناول كما يذكر كتاب "سرّ الثّالوث في خدمة الكهنوت"، أو بعده كما يذكر كتاب "الترتيب الطّقسي".

### تعقيب على الرّسم المتبادل بين الجسد والدمّ

هذا الرّسم المتبادل بين الدم والجسد، ووضع الإسباديقون في الكأس، هو طقس قديم بحسب شهادة المصادر السّريانيّة، وكذلك عظات ثيودوريت المصيصي والتي تعود إلى سنة ٣٩٢م والتي تعدّ أول إشارة ترد إلينا عن رسم الجسد بالدم، والدم بالجسد. وقد أشار مار أفرام السرياني (٣٠٦-٣٧٣م) إلى تقسيم القربانه ورشمها بالدم الكريم (١٠).

وإن علامة الصّليب هي التي تعلن وحدة الجسد الدم. فهذا الرّسم المتبادل بين الجسد والدم يوضّح أنّهما عنصران يخصّان الأقنوم الواحد الذي تألم، أي أنّهما جسد ودم ربنا الذي سُفك. ولذلك السبب يقسم الكاهن الخبز بعد نهاية الأنافورا، ويوحّده بالدم عند رشمها بعلامة الصليب. فهما عنصران غير منفصلين، وأنهما واحد في القوّة، ويعطيان

٩- البابا غريال الخامس، الترتيب الطّقسي، مرجع سابق، ص ٨٩

١٠- البطريرك إغناطيوس أفرام الثاني، مرجع سابق، ص ٣٠٨



ذات النعمة لكل من يتناول منهما<sup>(١١)</sup>.

وفي حاشية بخولاجي الأنبا بطرس أسقف بابليون، تقول: "... ويُترك الإسباديقون في الكأس حتى يتناول كل المؤمنين، لأن الرّب بذبيحة واحدة يوزّع جسده ودمه الواحد على المؤمنين ليصيروا لكل واحد. ومن ثمّ صارت العادة ألاّ يتناول الكاهن الإسباديقون حتى اكتمال توزيع الأسرار وبعد تناول الشّعب كله. أمّا الإسباديقون فيوضع في الكأس مقلوباً، لأن الحمل إذا ذُبح في العتيقة كان يُقلب على ظهره، لكي يتمكّن الكاهن الذي يقربّه من ذبحه. ويوضع مقلوباً لأن حمل الله عندما ذُبح فاض منه دم حياة لكل العالم"<sup>(١٢)</sup>.

ويقول أيضاً نفس الخولاجي المذكور: "إن رشم الذبيحة منها وبها هو لكي يعلن الكاهن بذلك أن نفس الرّب انفصلت عن جسده، إلاّ أن لاهوته لم ينفصل مطلقاً لا من نفسه ولا من جسده. وهكذا صار لكل منهما رغم انفصالهما حياة نابعة من أقنوم الكلمة بسبب الاتحاد، وبحسب تعليم الآباء. ومن أجل هذا الأمر يرشم الكاهن الجسد بالدم معلناً اتحاد النفس بالجسد، وأنه جسد حي، ومحبي. ثمّ يرشم بعد ذلك الدم بالجسد معلناً اتحاد النفس بالجسد، معلناً أنه كما أن نفسه عادت واتحدت بجسده وقام، هكذا حمل جسده النفس المتحدّة به، ودخل بها إلى السّماء عينها، ليظهر أمام الآب"<sup>(١٣)</sup>.

١١- انظر: معاني رشم الصليب، مرجع سابق، ص ٩٤، ٩٥

١٢- نفس المرجع، ص ٩٧

١٣- نفس المرجع، ص ٩٦

## رشم الجسد بالدمّ في الطُقوس المختلفة

يختلف موقع تقسيم القربانة ورشمها بالدمّ في الليتورجيات المختلفة، ففي الليتورجيات السريانية يكون ذلك بعد ختام الصلوة الإفخارستية وقبل مقدّمة الصلوة الربّية. أما الليتورجيات البيزنطية فيقسم فيها الجسد المقدّس قبل تناول مباشرة، ولا أثر فيها لرشمه بالدم، وكذلك أيضاً في ليتورجية الأرمن. وفي ليتورجية السريان المشاركة يكون التقسيم والرشم بالدم بعد الصلوة الربّية. وفي ليتورجية كنيسة روما يكون تقسيم الجسد بعد الصلوة الربّية، ولا أثر لرشم الجسد المقدّس بالدم الكريم، كما في الليتورجية البيزنطية<sup>(١٤)</sup>.

وفي قدّاس القدّيس يعقوب أخي الرّب، يقول: وعندما يقسم الكاهن الخبز السماوي إلى قسمين، ويضع النصف في يده اليمني والنصف الآخر في اليسرى، يغمس النصف الأيمن في الكأس ويقول: "الاتحاد الذي للجسد الكلي القداسة والدم الثمين الذي لربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح". ثم يرشم به صليباً على النصف الأيسر، ويرشم بالأيسر صليباً على النصف الأيمن، واضعاً قطعة في الكأس ويقول: "قد صار واحداً وتقدّس وأكمل باسم الآب والابن والروح القدس"<sup>(١٥)</sup>.

## عودة إلى الطُقوس القبطي

بحسب البابا غبريال الخامس، وبعد أن يقول الكاهن: "مبارك الرّب يسوع المسيح ابن الله، وقدوس الروح القدس أمين"، يقول: "ينهض

١٤- البطريرك إغناطيوس أفرام الثاني، مرجع سابق، ص ٣٠٩

١٥- الأب متى المسكين، الصليب المقدّس، الطبعة الثالثة، ١٩٧٩م، ص ٢٤

الشَّعب من سجودهم، ويجاوبوه بأعلا أصواتهم قائلين: واحد هو الآب القدُّوس، واحد هو الابن القدُّوس، واحد هو الروح القدس. آمين“. وأما النَّص اليوناني للمرد السابق ذكره فهو كما يلي:

Εἰς Πατῆρ ἅγιος, εἰς Υἱὸς ἅγιος, ἐν Πνεῦμα ἁγίον. Ἀμήν.

وهذا المرد لا نقوله في كنائسنا باليونانية، بل باللغة العربية فقط،

لأن ما نقوله باليونانية في هذا الموضع هو مردٌ تبادلِي آخر نصه هو:

Εἰς ὁ πανάγιος Πατῆρ, εἰς ὁ πανάγιος Υἱὸς, ἐν τὸ πανάγιον Πνεῦμα. Ἀμήν.

أي: "واحد هو الآب الكلي القدس، واحد هو الابن الكلي القدس، واحد هو الروح القدس الكلي القدس. آمين".

وإن الاعتراف بالثالوث القدُّوس قرب نهاية القدَّاس هو من خصائص الليتورجيات القديمة بحسب ما يذكر العلامة ابن كير (+ ١٣٢٤م)، حيث يقول: "وإذا تكاملت الصَّلوات كلها، يعترف الكاهن بالثالوث".

### الاعتراف الأخير

يقول الكاهن: Εἰρήνη πᾶσιν أي: "السَّلام للجميع"، فيجيب الشعب: Καὶ τῷ πνεύματί σου أي: "ولروحك أيضاً".

وهنا يقول الكاهن الاعتراف:

"جسد مقدَّس، ودم كريم حقيقي، ليسوع المسيح ابن إلهنا. آمين".

يقول الشَّعب: "آمين".

يقول الكاهن: "مقدَّس وكريم، جسدٌ ودمٌ حقيقي ليسوع المسيح

ابن إلهنا. آمين".

يقول الشعب: "أمين".

يقول الكاهن: "جسد ودم عمانوئيل إلّنا، هذا هو بالحقيقة أمين".

يقول الشعب: "أمين" (١٦).

يقول الكاهن: "أؤمن أوؤمن أوؤمن وأعترف إلى النفس الأخير أن هذا هو الجسد المحيي الذي أحذّه ابنك الوحيد ربنا وإلّنا ومخلّصنا يسوع المسيح من سيدتنا ملكتنا كلنا والدة الإله القدّيسة الطاهرة مريم، وجعله واحداً مع لاهوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير... أوؤمن أوؤمن أوؤمن أن هذا هو بالحقيقة أمين".

ومن المميّزات الهامة في الليتورجية المصريّة هو ما يقوله الكاهن في هذا الاعتراف: "هذا هو بالحقيقة جسد ودم عمانوئيل إلّنا" (١٧).

أمّا كلمة "المحيي" في عبارة "هذا هو الجسد المحيي"، فقد أضيفت في القرن الثاني عشر في بطريركيّة البابا يوحنا الـ ٧٢ (١١٤٧-١١٦٧م) من باباوات الكرازة المرقسيّة. وقد وردت هذه الكلمة في مخطوط الفاتيكان رقم (١٧)، مما يعني زيوع انتشارها في الكنائس.

١٦- هذا المرء يورده الخولاجي المطبوع سنة ١٩٠٢م هكذا: "حقاً أوؤمن - **Духи Тнаст**". وكلمة "أوؤمن" وردت هنا بصيغة المفرد، في حين أنّها مرء يقوله الشعب.

ومرءات الشعب "أمين" المذكورة هنا في الاعتراف الأخير وردت في النّص اليوناني للقدّاس الباسيلي بحسب تحقيق العالم رنودوت E. Renaudot، كما وردت في مخطوط الفاتيكان رقم (١٧)، بينما لم ترد في النّص اليوناني للقدّاس الباسيلي لمخطوط كسمارسك F. Kacmarcik Codex.

Cf. W.F. Macomber, *op. cit.*, OCP 43 (1977), p. 331 ; PG 31, C1652 ; PG 36, C729.

17- Davis, J.G., *A Dictionary of Liturgy and Worship*, p. 153.

أما عبارة "وجعله واحداً مع لاهوته" فقد أضافها بعض الأساقفة على الاعتراف في زمن البابا غبريال الثاني ابن تريك (١١٣٨-١١٤٩م)، فلما استلمها منهم نزل إليه كهنة دير أنبا مقار، وجعلون يؤمّن هذه الإضافة بإضافة جديدة عليها هي: "بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير"<sup>(١٨)</sup>. وإن كانت هذه العبارة قد أُضيفت في حبرية البابا غبريال بن تريك، إلاّ أنّها لاهوت إسكندري أصيل معروف منذ قرون طويلة.

### الطقس المصاحب للاعتراف الأخير

يقول البابا غبريال الخامس: "إذا قال الكاهن: جسّد مقدّس ... يأخذ الثلث الذي كان موضوعاً وسط الصينية وأخذ منه الإسباديقون، ويقسمه ثلاثة أجزاء. وإن كان كبيراً يقسم منه في الصينية ويضع في كفه اليسرى ثلاثة أجزاء ويغطيه بيده اليمنى داخل الصينية ويقول الاعتراف المقدّس"<sup>(١٩)</sup>. وإذا انتهى في قراءة الاعتراف إلى عند قوله: "أخذه من سيدتنا كلنا والدة الإله القدّيسة الطاهرة مريم"، يأخذ جوهرة من يده ويضعها في الصينية، ويأخذ عوضها من الجسد الذي في الصينية ويضعها في يده. وإذا تكامل قراءة الاعتراف إلى نهايته، يضع الثلاث جواهرات التي بيده على الجسد الذي في الصينية، ويحترز عليها فإنها التي يتناول منها هو وشركاؤه، أو هو والشّماس الخدم"<sup>(٢٠)</sup>. ثم يغطي الصينية والكأس،

١٨- الأبا إيسيدوروس، الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة، الجزء الثاني، القاهرة، ١٩٦٤م، ص ٣٧٢

١٩- هذا النص ورد مضطرباً عند البابا غبريال الخامس، حيث يقول: وإن كان كبيراً يأخذ منه ثلاثة أجزاء في يديه، ويقسم القسمة في الصينية.  
أمّا الاعتراف المقدّس فيبدأ يقول الكاهن: "جسد مقدّس ودم كريم حقيقي ليسوع المسيح ابن إلهنا، آمين ...".

٢٠- هنا يضيف القمّص عبد المسيح البراموسي (١٨٤٨-١٩٣٥م) في خولاجي

كل منهما بلقافة حرير. ويقول الشَّمَّاس: اطلبوا عنا وعن كل المسيحيين. وبعدها يقول الكاهن: 'إن كل مجد' إلى آخرها، وهو مطامن الرأس، ويديه الاثنتين ملفوفتين بلقافة حرير<sup>(٢١)</sup>. وإذا انتهى ذلك يجابوه كلهم بأعلا أصواتهم قائلين: 'مائة سنة'<sup>(٢٢)</sup>. ثم يلتفت هو ويطامن رأسه لإخوته الكهنة وإخوته الشَّمَّامسة يمينا ويسارا، ويرتلوا هم: 'هلليويا سبحوا الله' وما يلائم وقت ذلك. ويلتفت هو إلى المائدة ويكشف جانب الصينية من قدمه ويسأل المسيح أن يجعله هو وكل المتناولين أهلاً لذلك، ومستحقين غفران خطاياهم بتناولهم جسد المسيح ودمه الطاهر. ثم يقول الكاهن قبل أن يتناول: 'أجعلنا مستحقين كلنا يا ملكنا أن ننال من جسدك الطاهر ودمك الكريم...'<sup>(٢٣)</sup> وبعد ذلك يقبل بفيه الجسد الطاهر ويتناوله...<sup>(٢٤)</sup>.

إنه من العجيب حقاً أن يكون المرء الختامي "المجد لك يارب، المجد لك" غير وارد عند البابا غبريال الخامس. وهو نفس المرء الذي يتكرر في القُدَّاس القبطي قبل وبعد قراءة الإنجيل المقدَّس، وفي صلوات رفع البخور، وهو نفس المرء المعروف في الطَّقْس البيزنطي. وهو مرء قدّم يقول عنه

سنة ١٩٠٢م (ص ٤٠٩) قائلاً: "يفرك يديه داخل الصينية وينظفهما جيداً. ويحترز من أن يلصق بهما شيء".

٢١- لم يذكر خولاجي سنة ١٩٠٢م قول البابا غبريال الخامس أن الكاهن يلف يديه الاثنتين بلقافة حرير.

٢٢- هنا يذكر خولاجي سنة ١٩٠٢م أن الشَّعب يقول: "مائة سنة"، أو يقول الشَّعب: "المجد لك يارب، المجد لك - *Δοξα ci Κυριε Δοξα ci*". وهو المرء الأخير الذي يسبق الزمور المائة والخمسين "سبحوا الله في جميع قديسيه...".

٢٣- هنا ترد صلوات كثيرة مختلفة أورد البابا غبريال الخامس بعضها، وأورد خولاجي سنة ١٩٠٢م إلى جانبها صلوات أخرى.

٢٤- البابا غبريال الخامس، الترتيب الطَّقْسي، مرجع سابق، ص ٨٦

القدّيس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧-٤٠٧م):

[عندما يتكلّم الإمبراطور تهنّف كلنا: "المجد لك يارب"، ولكن عندما يتكلّم سيدنا يسوع المسيح ينطلق إيماننا بالاندفاع، ونعيد هذا الهتاف مرّتين، فنقول: "المجد لك يارب، المجد لك". وهذا الهتاف نرّثه به ليس بعد كلام الرّب وحسب كما نفعل للإمبراطور، بل حتى قبل أن يتكلّم]<sup>(٢٥)</sup>.

### مرد الشمّاس عقب الاعتراف الأخير

طبقاً للنص اليوناني للقدّاس الباسيلي بحسب تحقيق العالم رنودوت E. Renaudot أن الكاهن بعد أن يقول الاعتراف الأخير، يقول الشعب: "أمين"، فيقول الشمّاس: "بسلام ومحبة - *Ev eirḗnē kai ágáπη*". وبعد قليل يقول الشمّاس: "أيها الشمّامسة اجتمعوا وادخلوا بوقار - *Συνάχθητε και εισέλθετε, οἱ διάκονοι, μετ' εὐλαβείας*". أي ادخلوا إلى الهيكل، وذلك بعد أن كانوا قد خرجوا منه مع بداية القسمة كما سبق أن أشرنا. وتحت عنوان: "صلاة شكر بعد التناول من الأسرار المقدّسة"، يقول الشمّاس: "للصلاة قفوا - *Ἐπὶ προσευχῇ* ستأثته"، فيقول الكاهن: "السّلام لكل - *Eirḗnē pāsiv*". فيقول الشعب: "ولروحك أيضاً - *Kaì τῷ πνεύματι σου*". فيقول الشمّاس: "صلوا من أجل التناول باستحقاق ... - *Προσεύξασθε ὑπὲρ τῆς* κ.τ.λ.". فيجيب الشعب: "يارب ارحم - *Kύριε, ἐλέησον*".

وواضح هنا أن مرد الأخير للشمّاس - والذي يسبق التناول مباشرة - قد ورد في النص اليوناني في صورته البسيطة الأولى، والتي

كل منهما بلفافة حرير. ويقول الشّمّاس: اطلبوا عنا وعن كل المسيحيين. وبعدها يقول الكاهن: 'إن كل مجد' إلى آخرها، وهو مطامن الرأس، ويديه الاثنتين ملفوفتين بلفافة حرير<sup>(٢١)</sup>. وإذا انتهى ذلك يجابوه كلهم بأعلا أصواتهم قائلين: 'مائة سنة'<sup>(٢٢)</sup>. ثمّ يلتفت هو ويظامن رأسه لإخوته الكهنة وإخوته الشّمّامسة يمينا ويسارا، ويرتلوا هم: 'هلليلويا سبحوا الله' وما يلائم وقت ذلك. ويلتفت هو إلى المائدة ويكشف جانب الصينية من قدامه ويسأل المسيح أن يجعله هو وكل المتناولين أهلاً لذلك، ومستحقين غفران خطاياهم بتناولهم جسد المسيح ودمه الطاهر. ثمّ يقول الكاهن قبل أن يتناول: 'أجعلنا مستحقين كلنا يا ملكنا أن ننال من جسدك الطاهر ودمك الكريم...'<sup>(٢٣)</sup> وبعد ذلك يقبل بفيه الجسد الطاهر ويتناوله...<sup>(٢٤)</sup>.

إنه من العجيب حقاً أن يكون المرد الختامي "المجد لك يارب، المجد لك" غير وارد عند البابا غبريال الخامس. وهو نفس المرد الذي يتكرر في القدّاس القبطي قبل وبعد قراءة الإنجيل المقدّس، وفي صلوات رفع البخور، وهو نفس المرد المعروف في الطّقس البيزنطي. وهو مرد قديم يقول عنه

سنة ١٩٠٢م (ص ٤٠٩) قائلاً: "ويفرك يديه داخل الصينية وينظفهما جيداً. ويحترز من أن يلصق بهما شيء".

٢١- ثمّ يذكر خولاجي سنة ١٩٠٢م قول البابا غبريال الخامس أن الكاهن يلف يديه الاثنتين بلفافة حرير.

٢٢- هنا يذكر خولاجي سنة ١٩٠٢م أن الشّعب يقول: "مائة سنة"، أو يقول الشّعب: "المجد لك يارب، المجد لك - *Doza ci Kyprie doza ci*". وهو المرد الأخير الذي يسبق المزمور المائة والخمسين "سبحوا الله في جميع قديسيه...".

٢٣- هنا ترد صلوات كثيرة مختلفة أورد البابا غبريال الخامس بعضها، وأورد خولاجي سنة ١٩٠٢م إلى جانبها صلوات أخرى.

٢٤- البابا غبريال الخامس، الترتيب الطّقسي، مرجع سابق، ص ٨٦



القدّيس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧-٤٠٧م):

[عندما يتكلّم الإمبراطور هتف كلنا: "المجد لك يارب"، ولكن عندما يتكلّم سيدنا يسوع المسيح ينطلق إيماننا بالاندفاع، ونعيد هذا الهتاف مرّتين، فنقول: "المجد لك يارب، المجد لك". وهذا الهتاف نرّم به ليس بعد كلام الرّب وحسب كما نفعل للإمبراطور، بل حتى قبل أن يتكلّم] (٢٥).

### مرد الشّمّاس عقب الاعتراف الأخير

طبقاً للنّص اليوناني للقدّاس الباسيلي بحسب تحقيق العالم رنودوت E. Renaudot أن الكاهن بعد أن يقول الاعتراف الأخير، يقول الشّعب: "آمين"، فيقول الشّمّاس: "بسلام وسحبة - Εν ειρήνη και αγάπη". وبعد قليل يقول الشّمّاس: "أيها الشّمّاسمة اجتمعوا وادخلوا بوقار - Συνάχθητε και εισέλθετε, οί διάκονοι, μετ' εὐλαβείας ادخلوا إلى الهيكل، وذلك بعد أن كانوا قد خرجوا منه مع بداية القسمة كما سبق أن أشرنا. وتحت عنوان: "صلاة شكر بعد التناول من الأسرار المقدّسة"، يقول الشّمّاس: "للصّلاة قفوا - Ἐπὶ προσευχῇ στάθητε"، فيقول الكاهن: "السّلام لكل - Εἰρήνη πᾶσιν"، فيقول الشعب: "ولروحك أيضاً - Καὶ τῷ πνεύματί σου"، فيقول الشّمّاس: "صلوا من أجل التناول باستحقاق ... - Προσεύξασθε ὑπὲρ τῆς, κ.τ.λ.", فيجيب الشّعب: "يارب ارحم - Κύριε, ἐλέησον".

وواضح هنا أن مرد الأخير للشّمّاس - والذي يسبق التناول مباشرة - قد ورد في النّص اليوناني في صورته البسيطة الأولى، والتي

صارت بعد ذلك: ”سلام ومحبة يسوع المسيح معكم. رتّلوا“. وهو المقطع الأخير من المرد. أمّا المقطع الأوّل منه والذي أشار إليه البابا غيريال الخامس فهو: ”اطلبوا عنا وعن كل المسيحيين الذين قالوا لنا من أجلهم اذكرونا (في بيت الرب)“، وكان هو بداية مرد الشّمّاس، وهو نفس ما يشير إليه مخطوط رقم (ط ١٣٣) ومخطوط رقم (ط ١٣٤). بمكتبة دير أنبا مقار، حيث يرد المرد هكذا: ”اطلبوا عنّا وعن كل المسيحيين الذين قالوا لنا من أجلهم أن نذكرهم في بيت الرّب. سلامة ومحبة يسوع المسيح. رتلوا آمين الليلويا“.

ولقد طال هذا المرد مقدّمة هي: ”أمين أمين أمين أو من أو من أو من أن هذا هو بالحقيقة أمين“. وهي مقدّمة لم ترد في مخطوطات الخولاجيّات، وحتى الخولاجي المطبوع سنة ١٩٠٢م، يذكرها في القدّاس الباسيلي فقط، دون القدّاسين الغريغوري والكيرلسي.

كما طالته خاتمة هي: ”رتّلوا بنشيد هليلويا، صلّوا من أجل تناول باستحقاق من هذه الأسرار المقدّسة السماويّة الركيّة. يارب ارحم“. وطبقاً للخولاجي المطبوع سنة ١٩٠٢م، فإن هذه الخاتمة لم ترد في مرد الشّمّاس في القدّاس الباسيلي، بينما هي كل نص مرد الشّمّاس في القدّاس المرقسي أو الكيرلسي. وكانت في إحدى الممارسات الليتورجيّة تعقب تناول ولا تسبقه طبقاً لتحقيق العالم رنودوت E. Renaudot كما سبق أن أشرت منذ قليل.

ونجد أصول هذه الخاتمة الأخيرة في النّص اليوناني للقدّاسين الباسيلي والغريغوري بحسب تحقيق العالم رنودوت E. Renaudot، كانت تعقب تناول من الأسرار المقدّسة، وذلك حين يقول الشّمّاس: ”صلّوا من أجل تناول باستحقاق – Προσεύξασθε ὑπὲρ τῆς ἀξίας μεταλήψεως“،

فيحيب الشَّعب: "يارب ارحم - Κύριε ἐλέησον".

وبحسب مخطوط كسمارسك F. Kacmarcik Codex ينتهي القدّاس بعد اعتراف الكاهن الأخير، وهو نفس ما نجدّه أيضاً في مخطوط الفاتيكان رقم (١٧). وهو ما نجدّه أيضاً عند ابن كير (+ ١٣٢٤م) إذ بعدما يورد نص الاعتراف الأخير الذي يقوله الكاهن، يقول مباشرة: "ثمّ يتزل الشَّماس ويضرب المطانوة للشَّعب، ويلتفت الكاهن إليهم ويركع لهم ركوعاً لطيفاً. ثمّ يتناول (أي الشَّماس) القربان هو والكاهن الذي خدّم معه" (٢٦).

وجرت العادة اليّوم - ربما ضمن تسليم شفاهي لم تذكره الخولاجيّات أو الكتب الطقسيّة - أن الشَّماس يقول هذا المرد وهو ممسك في يده اليمين شمعة، وفي يده اليسار صليبا، وبين الشَّمعة والصليب لفافة مثلثة الشَّكل. معلناً بهذا عمل الصَّليب (المرفوع بيمينه) والقيامّة (والتي ترمز إليها الشَّمعة المرفوعة بشماله) في تكميل الأسرار المقدّسة، وأن الكاهن يعترف أن الذبيحة المقدّسة التي يقر بالاعتراف أمامها هي المسيح الذي تجسّد وصلب وقام من بين الأموات.

وبعد مرد الشَّماس الأخير السابق ذكره ينفرد حولاجي سنة ١٩٠٢م بقوله: "ثمّ يضرب الشَّماس مطانية إلى الشَّرق في جانب المذبح من مجري" (٢٧). ومعروف أنه في القدّاس الإلهي في الكنيسة، يكون شرقنا هو المذبح حيث المسيح، شمس البر، كائن على المذبح.

٢٦- كتاب مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة، لأبي البركات المعروف بابن كير، الجزء الثاني (مخطوط)، مرجع سابق، الباب ١٧  
٢٧- كتاب الخولاجي المقدّس، طبعة سنة ١٩٠٢م، ص ٤٠٩



## الفصل الثالث عشر

# التَّوَالٍ وَالتَّرْتِيلِ

## تمهيد

إن التناول من الأسرار المقدّسة في القدّاس الإلهي واتحادنا بالمسيح يسوع حياتنا، هو ثمرة صلاتنا، وعربون ميراثنا الأبدي للحياة الأبديّة في السّماء، وتذكّار شوقنا بلحيته الثّاني، ليأخذنا إليه، فنكون معه كل حين.

ولحظات التناول من الأسرار الإلهيّة هي لحظات من الأبديّة تومض للسّاكين على الأرض. ومن ذا الذي يمكنه أن يحيا بدون الإفخارستيا، فهي غذاؤنا السّمائي، أي خبزنا الحيّ النّازل من السّماء.

انظر هل تستطيع أن تنال الإفخارستيا بدون الكنيسة؟ فالكنيسة هي معمل الأسرار، ومذبح الإفخارستيا، ومعموديّة المولودين من فوق. هي رحم عروس يلد بنين، وعريسها هو غذاؤهم بجسده الحيّ وطهرهم بدمه الكريم، ليصيروا مؤهلين للسّماء. إنه سرّ المسيح والكنيسة.

ومنذ نشوء الكنيسة وهي تعتقد أن تناول كل المؤمنين يحقّق الغاية البديهيّة والواضحة للإفخارستيا التي تتمّ ما قاله المخلص «أن تأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي» (لوقا ٢٢: ٢٠)، حتّى أن شكل مذبح الإفخارستيا هو مائدة، وتحقيقها يكمن في تناول الجميع منها. هذا هو المفهوم البديهي والحتمي الذي لا يقبل الجدل للقدّاس الإلهي من وجهة النّظر الأرثوذكسيّة<sup>(١)</sup>.

## الطَّس القبطي للتناول من الأسرار المقدَّسة

يُقبَّل الكاهن الجسد الطَّاهر بقمه، ويتناوله، ثمَّ يناول الكاهن الشَّريك إذا وُجد، حيث يضع الخدم الجوهرة في يد القس أو في الملعقة، والكاهن الشَّريك يتناولها منه. وبعده يناول الكاهن الشَّمَّاس الخدم، ثمَّ بقية الإكليروس، ويغطي الصَّينية. ثمَّ يمد يده ويكشف الكأس ويأخذ اللفافة التي فوقها على يده اليسرى، ويصعد الكأس من الكرسي، ويتناول منها دم المسيح الكريم<sup>(٢)</sup> بالمستير (أي الملعقة)، ومن بعده يتناول الكاهن الشَّريك، ثمَّ الشَّمَّاس الخدم وبقية الخدام. أو يدفع الكأس والمستير للشَّمَّاس إذا كان كبيراً لا صغير السن<sup>(٣)</sup> ولم يكن ثمَّ

٢- البابا غريال الخامس، الترتيب الطقسي، مرجع سابق، ص ٨٦، ٨٧  
ويذكر البابا غريال الخامس هنا أن الكاهن بعد أن يتناول دم المسيح الكريم من الكأس ما يلي نصه (ص ٨٦): "ويتناول منه دم المسيح الكريم، ويمسح فمه باللفافة، وكذلك يمسح شفة الكأس مكان تناوله منه!". ويكرر نفس الأمر مرة ثانية فيقول: "ويبتدئ الكاهن يناول الخدام الصغار، يصغف لهم، وواحد واقف بلفافة يمسح لهم فمهم بعد تناول! والكبار يناوهم الجسد، والشَّمَّاس يناوهم الدم بالملعقة". (ص ٨٧). أما خولاجي سنة ١٩٠٢م، فيذكر: "... ولا يمسح (التناول) فمه بلفافة أو غيرها" (ص ٤١٦).

وما ذُكر في المتن هو في حالة عدم وجود كاهن شريك. أمَّا إن وُجد كاهن شريك فهو الذي يُخرج الكأس من الكرسي، وفي ذلك يقول البابا غريال الخامس: "... ثمَّ أن الشَّريك يأخذ اللفافة من على الكأس، يضعها على يد الكاهن الخدم، ويتناول أيضاً الكأس، يتناول منه الخدم، ويتناوله له، يتناول منه" (ص ٨٧).

3- Burmester, O.H.E. Khs, *The Egyptian or Coptic Church...*, p. 83

لم يصب دكتور بورمستر O.H.E. Burmester حين اعتبر أن الشَّمَّاس غالباً من صغار السن Deacons are often small boys — وربما كان هذا بسبب ما شاهده في زمانه — ولكن فاته أن رتبة الشَّمَّاس الكامل الذي يحق له أن يحمل الكأس لا يناولها في الكنيسة سوى كبار السن فقط.

ولقد وردت هذه الفقرة بنصها في خولاجي سنة ١٩٠٢م، ص ٤١٤

كاهن شريك، ويكون أمامه شمّاس بشمعة موقدة<sup>(٤)</sup>.

وإذا فرغ الكاهن من مناولة الذين في الهيكل، يذهب فيناول الشعب، الرّجال أولاً ثمّ النّساء<sup>(٥)</sup>. وعند البابا غريال الخامس: "والكاهن إذا فرغ من تناول الخدّام، يحمل الصّينيّة على يده اليسرى بلفافة حرير، مضمومة أطرافها داخل الصّينيّة"<sup>(٦)</sup>. وهو نفس ما يشير إليه أحد معلّمي البيعة في القرون الوُسْطى<sup>(٧)</sup>. وهو أيضاً ما يذكره القمّص عبد المسيح المسعودي بطريقة أخرى فيقول: "فيغطي الجسد المقدّس بلفافة حرير، ويحمل الصّينيّة بيديه بلفافتي حرير"<sup>(٨)</sup>. فكشف الأسرار المقدّسة لا يكون لغير المتناولين منها.

ومن قول معلّمي البيعة في القرون الوُسْطى: "وأن الكاهن يقربّ القربان للخدّام، ويرفع الصّينيّة ويشير بها على مثال الدّورة على الهيكل،

٤- أمّا عند ابن كير فنقرأ ما يلي عن طقس التّناول بين القسوس في أيامه، فيقول: الكاهن المقدّس يتقرّب أولاً، ثمّ الذين خدموا معه من القسوس، وهو يقرّبهم بالجسد، وهم يتناولون الكأس ويناولونه، ثمّ يناوله بعضهم بعضاً. ثمّ الذين في الكنيسة من القسوس ولم يخدموا، يقرّبهم القس المقدّس (من الجسد) ويناوئهم الكأس بيد (واحد) منهم إلاّ من رفع البُخور وشارك في الخدمة.

انظر: القس شمس الرّئاسة أبو البركات المعروف بابن كير، مصباح الظّلمة وإيضاح الخدمة، مكتبة الكاروز، القاهرة ١٩٧١م، ص ٤٣١

٥- في الشّرق المسيحي لا يُسمح للنّساء بالتّناول إلاّ إذا كنّ يرتدين "إيشارب" أو يضعن لفافة على رؤوسهن. وهي عادة شريفة منصوص على مراعاتها في القوانين الرّسوليّة. وما زالت باقية بوضوح حتى اليوم لدى الأقباط. ويشترك مع الأقباط في ذلك الطّقس السّلمتيّ في كنيسة أيرلندا، مما يؤكد تأثر هذا الطّقس بالطّقس القبطي.

Lit. & Rite of Celtic Church, p. 136-138.

٦- البابا غريال الخامس، الترتيب الطّقسي، مرجع سابق، ص ٨٧

٧- كتاب سرّ التّالوث في خدمة الكهنوت، لمعلّمي البيعة، لناشره جرجس فيلوثاؤس

عوض، مرجع سابق، ص ٢٩

٨- خولاجي ١٩٠٢م، ص ٤١٧



ويدور ويبارك الشَّعْب بالصَّيْنَةِ، دليل على أن الجسد والدَّم ملأ الأرض كلها من أربعة أقطابها (أطرافها)“<sup>(٩)</sup>.

وأيضاً: ”وأما الكاهن إذا أراد أن يدور ويقرب الشَّعْب، فليحمل الصَّيْنَةَ ويشير بها إلى الدَّوران على الهيكل وهو واقف موضعه ويدور، فهو مثال على أن سيّدنا ظهر لتلاميذه والأبواب مغلقة“<sup>(١٠)</sup>.

وإن تحريك الكاهن للصَّيْنَةِ بحركة دورانية حول المذبح وهو واقف مكانه، قبل أن يدور بها ناحية الشَّعْب، هي ممارسة طقسية رأيتها مراراً من كهنة قدامى، وهو ما لم يشير إليه البابا غبريال الخامس ومن ثم لم ترد في الخولاجي المطبوع سنة ١٩٠٢م. ولكنها ممارسة ظلت محفوظة بالتسليم الشَّفاهي من جيل إلى جيل حتى يومنا هذا.

والعادة الجارية في كنائسنا - كما يذكر خولاجي سنة ١٩٠٢م - أن الكاهن بعد أن يناول الإكليروس والشَّمَامسة، وقبل مناولة الشَّعْب، يحمل الصَّيْنَةَ وبها الجسد المقدَّس، ويرفعها إلى أعلى، ويدور بها إلى ناحية الشَّعْب، وهو يقول باليونانية غالباً ما ترجمته: ”القدسات للقدَّسين، مبارك الربُّ يسوع المسيح، وقدوسُّ الرُّوح القدس آمين“، فيهدف جميع الشَّعْب والشَّمَّاس أيضاً: ”مبارك الآتي باسم الربِّ“<sup>(١١)</sup>.

ولكن لم يذكر الخولاجي المذكور ما تمارسه عموم الكنائس القبطية

٩- وفي نسخة أخرى: ”يشير (الكاهن) بيديه والجسد فوقهما بتدوير يديه حوالي المائدة أي أن هذه قد ملأت الأرض بأربعة أطرافها، وأن اسمه ملأ الأرض“.

كتاب سرّ التالوث في خدمة الكهنوت، لمعلمي البيعة، لناشره جرجس فيلوثاؤس عوض، مرجع سابق، ص ٢٩

١٠- كتاب سرّ التالوث في خدمة الكهنوت، لمعلمي البيعة، لناشره جرجس فيلوثاؤس عوض، مرجع سابق، ص ٣٠

١١- خولاجي ١٩٠٢م، ص ٤١٧

اليوم، أن هذا الهتاف يكون على دفعتين أو مرتين. المرّة الأولى إشارة إلى مجيئ الربّ الأوّل الذي جاءه لخلاصنا، والمرّة الثانية إشارة إلى مجيئه الثّاني ليدين المسكونة بالعدل، وتحقيقاً لقوله: «من الآن لا تروني حتى تقولوا مباركٌ الآتي باسم الربّ».

أما ألفريد بتلر A. Butler الذي شاهد هذا الطّقس في الكنائس القبطيّة القديمة في مصر في أواخر القرن التاسع عشر، فهو لا يشير إلى أكثر من هتاف واحد للشعب: "مباركٌ الآتي باسم الرب" (١٢).

ويذكر البابا غبريال الخامس في هذا الشّأن - كما سبق أن ذكرتُ في الفصل السّابق مباشرة - أنه بعد مناولة الشعب، الرّجال ثمّ النّساء، يعود الكاهن إلى الهيكل، ويصعد إليه ثمّ يلتفت إلى الغرب، ويرشم الشعب مثل ما فعل أولاً (١٣)، وهم يخضعون إلى الأرض قائلين: "اذكرنا يارب إذا جئت في ملكوتك. قدوس الآب، قدوس الابن، قدوس الرّوح القدس، الثّالوث المقدّس" (١٤).

فواضح هنا أن مرد الشعب "مباركٌ الآتي باسم الربّ" الذي يُقال حالياً في عموم الكنائس القبطيّة ولم يرد ذكره في المصادر الطّقسيّة القديمة قد حلّ محلّ المرد القديم الذي وصلتنا إشارة عنه تعود إلى القرن العاشر الميلادي وأكّده المصادر الطّقسيّة القديمة، وهو "اذكرني يارب إذا جئت في ملكوتك". هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ المرد "مباركٌ الآتي باسم الرب" يُقال الآن عند دوران الكاهن بالصّينيّة ناحية الشعب قبل

١٢- ألفريد بتلر، الكنائس القبطيّة القديمة، الجزء الثّاني، مرجع سابق، ص ٢١٧

١٣- فهو يذكر أنه يرشم الرّجال بالصّينيّة قبل مناولتهم، كما يرشم النّساء بالصّينيّة قبل مناولتهن، ولكن بدون هتاف يقوله الشعب في كلا الحالتين.

١٤- البابا غبريال الخامس، الترتيب الطّقسي، مرجع سابق، ص ٨٩

مناولتهم، وأما المرد "اذكريني يارب إذا جئت في ملكوتك" فكان يُقال بعد عودة الكاهن إلى الهيكل وفراغه من مناولَةِ الشَّعب، حيث يلتفت الكاهن بالصَّيْنِيَّة إلى ناحية الشَّعب غرباً<sup>(١٥)</sup>.

هذا من جهة الجسد المقدَّس، أمَّا من جهة الدَّم الكرم، فيقول البابا غبريال الخامس في كتابه "التَّرتيب الطَّقسي": "... ويتزلَّ الشَّمَّاس بكأس دم المسيح وأمامه شَّمَّاس كبير، مالك عقله بشمعة، ويكون نزوله قبل الكاهن<sup>(١٦)</sup>. وبعده يلتفت الكاهن حامل الصَّيْنِيَّة بجسد المسيح إلى الغرب ويتزلَّ إلى خارج المذبح ويبارك الشَّعب مثال الصَّليب بالصَّيْنِيَّة<sup>(١٧)</sup>، فيسجدون هم جميعهم إلى الأرض من كبيرهم إلى صغيرهم<sup>(١٨)</sup>، ويتدنَّون بالتناول واحداً بعد واحد. والذي يتناول من الشَّعب يضرب الميطانية قدَّام مذبح الله<sup>(١٩)</sup>، ويتناول وهو مكشوف الرأس. وإذا تناول لا يلتفت بظهوره، لكن يتراجع إلى خلف قليلاً قليلاً"<sup>(٢٠)</sup>.

وإن ذكر سجود الشَّعب إلى الأرض عند رفع الكاهن الصَّيْنِيَّة

١٥- البابا غبريال الخامس، الترتيب الطَّقسي، مرجع سابق، ص ٨٩

١٦- هنا يظهر لنا أن نزول الشَّمَّاس بالكأس من الهيكل يكون قبل نزول الكاهن بالجسد المقدَّس من الهيكل لتناول الشَّعب.

١٧- ينقل القمُّص عبد المسيح البراموسي (١٨٤٨-١٩٣٥م) النَّص السَّابِق ذكره حرفياً من عند البابا غبريال الخامس، ولكنه عند هذا الحد يضيف بقوله: "ويقول  
**τὰ ἀγία τις ἀγης. Ἐνδοξήτος Κτηριος** (انظر الخولاجي المطبوع سنة ١٩٠٢م، ص ٤١٧).

١٨- هنا يضيف القمُّص عبد المسيح صليب البراموسي (١٨٤٨-١٩٣٥م) قائلاً: "ويقولون: مبارك الآتي باسم الرب. والشَّمَّاس أيضاً يقول: مبارك الآتي باسم الرب"  
 (خولاجي ١٩٠٢م، ص ٤١٧).

١٩- لم يذكر القمُّص عبد المسيح صليب البراموسي عبارة "قدَّام مذبح الله"  
 (انظر: ص ٤١٨).

٢٠- البابا غبريال الخامس، الترتيب الطَّقسي، مرجع سابق، ص ٨٨

ومباركته لهم، لم يرد في المصادر الطقسية القبطية القديمة قبل البابا غبريال الخامس (١٤٠٩ - ١٤٢٧م). فالمتناول في التقليد القبطي يكون واقفاً بانحناء بسيطة برأسه، لا ساجداً أو راکعاً. ولقد ظلّ الشعب القبطي محافظاً على هذا التقليد حيث يكفي بانحناء الرأس تكريماً للأسرار المقدّسة. ولكن عادة السُّجود أو الرُّكوع إلى الأرض أثناء التناول من الأسرار الإلهية موجودة في طقوس شرقية أخرى ولاسيما عند الأرمن.

\* فالشَّرْقِيُّونَ يقبلون المناولة واقفين باستثناء الأرمن والموارنة الذين يركعون أثناء التناول<sup>(٢١)</sup>. والحقيقة أن عادة الرُّكوع أثناء التناول ترجع إلى اللاتين الغربيين في العصور الوسطى.

ولقد أورد ألفريد بتلر A. Butler في كتابه "الكنائس القبطية القديمة في مصر" مدوناً شهادة شاهد برؤيا العين للطقس القبطي في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، فيقول: "ويتناول المتقدّمون للتناول من القربان المقدّس وهم وقوف لا راکعين. والحقيقة أن الرُّكوع مخالف للطقس القبطي فيما عدا يوم عيد العنصرة، حيث يتحتّم على المصلين السُّجود تعبيراً عن الخضوع"<sup>(٢٢)</sup>.

وفي الكنيسة القبطية نعرف منذ القرن الثاني عشر أنه "بعد أن يتم تقسيم الجسد على شكل ومثال الصليب، يوزع الكاهن الجسد على المتناولين بدون أن يكسره كسراً صغيرة، بل يأخذ الجوهرة المناسبة ويعطيها للمتناول فتكسر عندما تُقدّم للمتناول. هذا استحسان لثبات المعنى الروحي، حيث أننا نشترك في المسيح الواحد. وهو يعطي لكل منا ميراثه ونصيبه الذي يخصّه. وعلى جرى عادة الكثيرين فإن توزيع الجسد

٢١- الطقوس الشَّرْقِيَّة، مرجع سابق، ص ١١٩

٢٢- ألفريد بتلر A. Butler، الكنائس القبطية القديمة في مصر، الجزء الثاني، ص ٢١٧

يعطى بعد رسم علامة الصليب. ويضع المتناول يده اليسرى على صدره ويده اليمنى فوقها وهو يحمل فيها اللقافة حتى لا تسقط جوهرة من الجسد إلى الأرض بسبب الإهمال<sup>(٢٣)</sup>. وهنا لا ذكر لسجود إلى الأرض أو ركوع على الركبتين أثناء التناول.

ومن قول معلّم البيعة في القرون الوسطى: "وعدم إعطاء الكاهن الجسد للشعب في أيديهم مثل بعض الأمم المؤمنين<sup>(٢٤)</sup>، فهو لأجل قوله لمريم: "لا تقربيني فإني بعد لم أصعد إلى أبي. امضي إلى إخوتي وقولي لهم: إني صاعد إلى أبي وأبيكم، وإلهي وإلهكم"، فهو يدل أنهم أخذوا جسده وصاروا واحداً معه"<sup>(٢٥)</sup>.

ويتحدّث ابن كبر (+ ١٣٢٤م) عن طقس التناول في كنيسة العذراء المعلّقة مقر البطركية آنذ، ويتّضح من حديثه كثرة أعداد المتناولين في هذه الكنيسة، فيقول: "وإن كان على الهيكل كأس آخر أو اثنان أو أكثر، فإذا تقرّب (الكاهن) وقرب الكهنة الذين خدموا معه، يكرّر الكأس الثاني، وهو بأن يتناول المستبر ويأخذ به من كأس القدّاس، ويصب في الكأس الذي لم يُقدّس ثلاث ملاعق، ويقول فيها  $\epsilon\upsilon\chi\lambda\omicron\sigma\iota\theta\omicron\varsigma$  (مبارك...)، ويكرّر ذلك ثلاث دفعات من هذا إلى هذا. ويضع الإسبديقون في عدّة الكاسات الزائدة عن الكأس الأوّل فينقله منها ويوزّعه على بقية الكاسات. ثمّ يقرب الشّماس الذي خدم معه

٢٣- معاني رسم الصليب، مرجع سابق، ص ١٠٠.

وإن عادة وضع اللقافة على الفم عند التناول هي عادة قبطية خالصة.

٢٤- كما في كنيسة أورشليم، والكنيسة السريانية الأنطاكية والكنيسة اليونانية.

وهو ما سيرد ذكره فيما بعد.

٢٥- كتاب سرّ التالوت في خدمة الكهنوت، لمعلّم البيعة، لناشره جرجس فيلوثاؤس

عوض، مرجع سابق، ص ٣٠.

وبقية الشَّمَامسة“ (٢٦).

وما يلفت نظرنا فيما يذكره البابا غبريال الخامس عن التَّنَاول هو حديثه عن مناولة النِّساء في بيت النِّساء، وليس في قبلي الهيكل كما تمارس اليوم في كنائسنا. فيقول: ”ويتوجهوا إلى بيت النساء، الكاهن الخدم وقدامه شَّماس بشمعة موقدة ليناول النِّساء. والواجب على الشَّعب جميعه إذا اجتاز الكهنة بجسد المسيح متوجَّهين إلى بيت النِّساء، وفي عودة الكاهن أيضاً أن يكشف الجميع رؤوسهم، ويخضعوا للرَّب، ويشكروه ويمجِّدوه، الذي جعلهم أهلاً لهذه المنوِّهة العظيمة التي لا يستطيع الملائكة النَّظر إليها. ويكون قربان النِّساء باحتراز وبحث شديد، فإن المرأة ملفوفة ما يعلم أحد بها، والواجب البحث عنها منكم أيها الكهنة البحث الشَّاق لئلا تعطوا جسد المسيح ودمه بغير استحقاق، فتصيروا بذلك مدانين“ (٢٧).

أمَّا عن مناولة الأطفال، فيقول البابا غبريال الخامس: ”وأما تناول الأطفال، فيكون أن الذي ما يحسن الأكل، أو الذي يتعرَّس، أو يبكي، فلا يكون تناوله (إياه) إلا أن الكاهن يصبغ إصبعه من الدم الكريم، ويضعها على الجسد، ويضع ذلك في سقف حلقه، ويأمرهم بأن يسقوه الماء“ (٢٨).

ويقول الكاهن عند مناولة الجسد: ”جسد عمانوئيل إلهنا، هذا هو بالحقيقة آمين“، فيقول المتناول: ”آمين“. وكذلك عند تناول الدَّم،

٢٦- كتاب مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة، لأبي البركات المعروف بابن كبير، الجزء الثاني (مخطوط)، مرجع سابق، الباب ١٧

٢٧- البابا غبريال الخامس، الترتيب الطقسي، مرجع سابق، ص ٨٨، والنص منقول إلى كتاب الخولاجي المطبوع سنة ١٩٠٢م، ص ٤١٨

٢٨- البابا غبريال الخامس، الترتيب الطقسي، مرجع سابق، ص ٩٠، والنص منقول إلى كتاب الخولاجي المطبوع سنة ١٩٠٢م، ص ٤١٩

يقول الكاهن: "دم عمانوئيل إلهنا، هذا هو بالحقيقة أمين"، فيقول المتناول: "أمين" (٢٩).

وهو نفس ما يذكره البابا غريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٧م)، إلا أنه يذكر أنه يمكن مناولة الجسد المقدس مصبوغاً بالدم الكريم، وعند ذلك يقول الكاهن أثناء المناولة: "جسد ودم عمانوئيل إلهنا، هذا هو بالحقيقة أمين" (٣٠). وهو ما ينقله بالتصّحّح حولاجي سنة ١٩٠٢م (٣١).

وهنا أيضاً تجدر الإشارة إلى أنه في الطقس القبطي - والسائد حتى اليوم - كما في الطقس الكلداني القديم، فإن التناول يُعطى لكل المتناولين بفصل عنصرَي الذبيحة، وتناول كل منهما على حدة، الجسد أولاً، ثمّ الدم الكريم ثانياً. ولكن الطقسين البيزنطي والسرياني يقدمان الجسد المقدس مغموساً في الدم الكريم.

فالطقس القبطي للتناول منذ القرن السادس الميلادي تشرحه قوانين هيبوليتس القبطية فتقول في القانون رقم (١٩:٢٥، ٢٦): "... وهكذا يدفع لهم الأسقف من جسد المسيح، ويقول: هذا هو جسد المسيح. فيقولون هم: أمين. والذي يدفع لهم من الكأس يقول: هذا هو دم المسيح. فيقولون: أمين".

وهو نفس ما يشرحه الكتاب الأوّل من قوانين الرُّسُل القبطية (١٧:٥٢-١٩)، وهو ما سيرد ذكره بعد قليل.

بل إن السيد المسيح قصد ذلك قصداً، فبينما هم يأكلون «أخذ

٢٩- حولاجي سنة ١٩٠٢م، ص ٤١٦

٣٠- البابا غريال الخامس، الترتيب الطقسي، مرجع سابق، ص ٨٧

٣١- كتاب الخولاجي المقدس، طبعة سنة ١٩٠٢م، ص ٤١٦

خبزاً»، وبعد فترة زمنية، يقول الإنجيل المقدّس «وبعد العشاء أخذ كأساً». ومن هنا يتّضح لنا أن المسيح قصد أن يفصل الخبز عن الخمر، أو الجسد عن الدّم، فترة زمنية معيّنة.

□ كما نلاحظ أيضاً أن الرّب قال لتلاميذه: «هذا هو جسدي المكسور لأجلكم»، «وهذا دمي الذي يُسفك عنكم». فالجسد مفصول عن الدّم، الجسد مكسور والدّم مسفوك، وهو الذي تبشّرون به. فما هو معني هذا؟ معناه أنكم تأكلون الذّبيحة وتشربون الدّم الذي هو سر بذل الذات، سر الحب إلى درجة الموت. أنتم تأكلون وتشربون سر الحب الإلهي الذي جعلني أكسر جسدي وأسفك دمي، وأفضل جسدي عن دمي. فعندما تأكلون وتشربون هذا الحب الإلهي سوف تبشرون، ليس بالكلام، بل بحياتكم، لأن حياتكم سوف يكون فيها الجسد المكسور والدّم المسفوك. حياتكم ستكون إنجيلاً حياً، وبشارة أقوى جداً من أي عظام. فالإنسان الذي يبذل نفسه حياً في المسيح، ويعيش على مستوى الجسد المكسور والدّم المسفوك، تكون حياته إنجيلاً حياً، وبشارة أقوى من أي كتاب، ومن أي عظة.

فقول المسيح: «كل مرّة تأكلون هذا الخبز (المكسور) وتشربون من هذه الكأس (الدّم المسفوك)»، يعني به أنكم حين تأكلون الحب الإلهي، وسر بذل الذات، بذل الجسد وكسره، وسفك الدّم حياً في الآخرين وفي الآب، فحياتكم تكون مغمورة بطاقة الحب الإلهي اللاهائي المكنونة في الجسد المكسور وفي الدّم المسفوك.

حينما تأكلون من هذا الخبز المكسور، وتشربون من هذا الدّم المسفوك، سوف تضطّرم قلوبكم بالنّار الإلهية، فتصير حياتكم ناراً إلهية. اسمع ما يقوله القُدّيس أنبا بيشوي:



[لو كان لي فكرٌ واحدٌ من أفكار أنطونيوس لصرتُ كلي  
كالنَّار].

نعود إلى الطَّقس ونشير هنا إلى أن ما يرَدُّه البعض عند التَّقَدُّمِ  
لِلتَّابِلِ بالقول للكاهن: "أخطأتُ حاللي"، هو استخفافٌ بمفهوم  
الدَّيِّبِحة ومركز الكاهن تجاهها. فالكاهن لا يملك أن يبارك أو يحالّل في  
هذا الوقت بالذَّات، وذلك بحسب التَّعليمات الطَّقسيَّة التي تعود إلى  
القرن الخامس أو السَّادس الميلادي، وامتداداً حتّى القرن الخامس عشر  
الميلادي وما بعده، كما سبق أن أشرتُ.

ويذكر البابا غبريال الخامس - كما سبق أن أشرتُ أيضاً - أن  
المتناول يكون مكشوف الرأس. وإذا تناول لا يلتفت بظهره، لكن  
يتراجع إلى خلف قليلاً قليلاً. فإن يهوذا لما تناول الخبز من السيِّد ولى  
بظهره خارجاً، مملوءاً من غش الشيطان، فكفانا الله من ذلك<sup>(٣٢)</sup>. وهو  
نفس ما يذكره أحد معلّمي البيعة في القرون الوُسْطى فيقول: "وإذا أخذ  
الجسد والدم فلا يدور بظهره إلى الكاهن لئلا يصير مثل يهوذا، أنه لما  
أخذ الخبز ولى خارجاً بمكر بظهره، فلا تشبّه به. بل إذا أخذنا نخضع  
برؤوسنا ونمشي على جانب المكان"<sup>(٣٣)</sup>.

وبعد مناولة الشَّعب، الرِّجالُ ثمَّ النِّساء، يعود الكاهن إلى الهيكل،  
ويصعد إليه ثمَّ يلتفت إلى الغرب، ويرشم الشَّعب مثل ما فعل أولاً<sup>(٣٤)</sup>.

٣٢- انظر: البابا غبريال الخامس، الترتيب الطَّقسي، مرجع سابق، ص ٨٨

٣٣- كتاب سرِّ التَّابِلِ في خدمة الكهنوت، لمعلّمي البيعة، لناشره جرجس فيلوثاؤس

عوض، مرجع سابق، ص ٣٠

وهنا يتَّضح لنا مجدداً أن كلا هذين المصدرين ينقلان من مصدر أقدم منهما، وقد  
سبق أن أشرتُ إلى هذه الملاحظة غير مرَّة. وهي ملاحظة جديرة باهتمامنا.

٣٤- فهو يذكر أنه يرشم الرِّجال بالصينيَّة قبل مناولتهم، كما يرشم النِّساء

وهم يخضعون إلى الأرض قائلين: "أذكرنا يارب إذا جئت في ملكوتك. قدوس الآب، قدوس الابن، قدوس الرُّوح القُدُّس، الثَّالوث المَقْدَّس" (٣٥).

وهو نفس ما يذكره أحد معلّمي البيعة في القرون الوُسْطى بقوله: "وإذا فرغ أن يقرب الشعب، يبارك عليهم بالصَّينيَّة ويدير مثلاً لظهوره للرُّسُل" (٣٦).

ولا تحتفظ الكنيسة القبطيَّة بالقدسات بعد انتهاء القُدَّاس كما تفعل الكنائس الشَّرقيَّة الأخرى، مثل الكنيسة البيزنطيَّة، وهو تقليد قبطي قدم ورد ذكره في قوانين البابا أثناسيوس بطريرك الإسكندريَّة، وهي قوانين تعود إلى أواخر القرن الخامس الميلادي، فيقول القانون رقم (٧٨): "ومن أجل السُّرائر المقدَّسة جسّد المسيح ودمه فلا تفضلوا منه شيئاً من المساء إلى باكر، ولكن كلما أرادوا أن يصنعوه فيها المذبح المقدَّس مستعد".

وهو أيضاً ما تذكره قوانين الرُّسُل القبطيَّة (١: ٥١: ٢١): "... والقليل الذي يفضل من القربان، فليحرص القسوس والشمامسة، بالأبقي منه شيء، وليحرصوا جداً، لئلا يتبقى شيء كثير منه، فتكون عليهم دينونة عظيمة، مثل بني هارون، وأولاد عالي، هؤلاء الذين أهلكهم الرُّوح القُدُّس، لأنهم أهانوا الذبيحة التي للرَّب. فكيف بالحري الذين يزدرون بجسد المسيح ودمه، ويظنون أن الذي يتناولونه هو طعام جسدي، وليس روحي. هذا نأمركم به أيها الأساقفة والقسوس والشمامسة عن خدمة الأسرار المقدَّسة".

بالصَّينيَّة قبل مناوتنهن، ولكن بدون هتاف يقوله الشعب في كلا الحالتين.

٣٥- البابا غبريال الخامس، الترتيب الطقسي، مرجع سابق، ص ٨٩

٣٦- كتاب سرّ الثَّالوث في خدمة الكهنوت، لمعلّمي البيعة، لناشره جرجس فيلوثاؤس

عوض، مرجع سابق، ص ٣١

وهو نفس ما يشير إليه ابن كبر (+ ١٣٢٤م) في القرن الرابع عشر بقوله: "والقربان لا يفضل منه شيء. ومهما فضل منه أو من الكأس، فليتناوله جميع الشمّاسة الذين في الهيكل. ولا تبق الكأس معرّة بعد كمال الشكر الأخير لا انتظار من لم يسع إلى الكنيسة وقت القدّاس" (٣٧). وفي موضع آخر يقول: "ولا يليق بأحد من خدم السّرائر شرب ماء قبل الرّفْع لتلا يفضل من الجسد شيء مع القس فلا ينهض باستيعابه وحده".

كما يقول أيضاً: "وعند كمال الفراغ من التّقريب يرفع القس ما لعله يفضل معه من الجسد إن كان يسيراً وإن كان كثيراً ويوزّعه على من يخدم معه. ويرفع الشمّاس الكأس يقربّه القس بالإسباديقون، ثم يرفع بقية الدّم. وأكثر النَّاس من القسوس يرفعون الكأس ويعطونه للشمّاس فارغاً ليغسله، وليس ذلك لهم بل للشمّاس حامله فقط. ويغسل القس يديه والصّينية وينضح يسيراً من مائها على الأواني، ويقول أو شية التّسريح، ويبارك الشّعب ويرشم جباههم ويصلي الشمّاس كذلك، ويسرّح الشّعب، ويفرّق الأولوجية. ولا يجوز تفريقها قبل ذلك الوقت" (٣٨).

وعند البابا غريال الخامس: "ويتدئ الكاهن الخدم إن كان فضل معه شيء يوزّعه على الخدّام الكبار" (٣٩).

ولقد مرّت الكنيسة القبطية بفترة زمنية كانت كنائس الإسكندرية ودير أنبا مقار يحتفظون بالقربان في نهاية قدّاس أحد الشّعاعين، ليتناولوا منه أيام البصخة المقدّسة حتى يوم الأربعاء منها. حتى أوقف البابا

٣٧- كتاب مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة، لأبي البركات المعروف بابن كبر، الجزء الثاني (مخطوط)، مرجع سابق، الباب ١٧

٣٨- نفس المرجع السابق.

٣٩- البابا غريال الخامس، الترتيب الطقسي، مرجع سابق، ص ٨٩

خريستوذولوس (١٠٤٧-١٠٧٧م) هذه العادة<sup>(٤٠)</sup>.

### ماء التَّغْطِيَة

ويشرب المتناول قليل ماء تغطيةً لقربانه<sup>(٤١)</sup>. ومنذ القرن العاشر نقرأ في القانون الثالث من قوانين البابا خريستوذولوس (١٠٤٧-١٠٧٧م) ما يلي: "لا يغطّي أحد قربانه بخبز قبل التَّسْرِيح"<sup>(٤٢)</sup>. وليتحرّز المؤمنون على الماء الذي يغطون به قربانهم بثلاث جرعات حتى لا يقع منه شيء على الأرض لأنه مساو الجوهر<sup>(٤٣)</sup>".

وإليك قارئ العزيز قصّة عجيبة يظهر فيها الحديث عن حوض الماء الذي كان يوضع في الكنائس ليغطي النَّاس منه قربانهم بعد التَّناول، وإليك ملخصها بنصّه (بخطه):

"وقال انبا افراهم اسقف دمياط المقدم ذكره شاهدت من الاب القديس يوحنا البطرك<sup>(٤٤)</sup> عند كوني عنده عجائب عظيمة، فمنها اني رايت تلميذ من تلاميذه فقيل لي انه كان اعما وان ابا يوحنا فتح عينيه، فسالت التلميذ بمطأنوه ان يشرح لي خبره، فقال لي كنت اعما وكنت اجلس في البيعة عند حوض الماء الذي تغطي الناس قربانهم منه، وكنت أمسك ثياب الذين اعرف كلامهم ليصدقوا علي بشي من ما لهم فجذبت

٤٠- شرحت هذا الموضوع باستفاضة عند الحديث عن قدّاس عيد الشّعانيين.

41- Burmester, O.H.E. Khs, *The Egyptian or Coptic Chure...*, p. 87

٤٢- التَّسْرِيح ἀπόλυσις (أبوليسيس) هو نهاية الصَّلوات الطَّقْسِيَّة في الكنيسة.

٤٣- ربما كان المقصود بهذه الكلمة، أن هذا الماء المذكور هنا يُأخذ عادة من نفس الإناء الذي يُصب قليلاً منه في كأس الإفخارستيا لمزج الخمر بالماء.

O.H.E. Khs Burmester, *op. cit.*, Le Muséon t. XLV (1932), p. 79, n. b.

٤٤- هو يوحنا بن عبدون البطريرك الأنطاكي. وكان معاصراً للبابا الإسكندري زخارياس (١٠٠٤-١٠٣٢م) الـ ٦٤ من بطاركة الكنيسة القبطية.

يوم ثوب واحد من الاخوة فمضى وشكاني للاب وكان قد فرغ من تقريب الشعب واعطاهم السلامة وغسل يديه، فخرج الى عندي وقال لي يا ولدي ما بالك توذي الناس وتخزق ثياهم، فقلت يا ابي انا اعمى وضعيف وهم يبصروا اطلب منهم ان يعطوني شيا صدقة فما يفعلوا، قال لي فان فتح السيد المسيح عينيك فايش تعمل، فقلت اخدمك الى يوم وفاتي، فاخذ بيده من ذلك الحوض ما وقال السيد المسيح الذي جبل طينا بتفلته من الارض وطللى به عيني الاعما المطموس وقال له امضي اغسلهما في عين سلوان يفتحا هو يفتح عينيك هاتين ورش الما على عيني فانفتحا كما ترى فخدمته الى الان واخدمه ايضا الى ان اموت تحت رجله“ (٤٥).

ومعروف أن المتناولين بعد تناولهم من الأسرار المقدسة، يردّدون قائلين: ”فمنا امتلاً فرحاً، ولساننا تهليلاً من جهة تناولنا من أسرارك غير المائة يارب“. ثم يشرب المتناول قليلاً من الماء، وهذه الممارسة تُسمى بطقس ”تغطية المناولة“ (٤٦). ويقول ابن كير (+ ١٣٢٤م) في ذلك: ”ولا يغط أحد قربانه بخبز قبل التسريح، وماء التغطية لا يُرمى منه شئ من الفم“.

### التناول في المصادر الآبائية والطقسية القديمة

من كتاب ”التقليد الرسولي“ الذي دُوّن قبل سنة ٢٣٥م، نعرف أن الشمامسة كانوا يساعدون في مناولة الشعب من الخبز المقدس. فيقول: ”وفي السبت، وفي أوّل الأسبوع، يناول الأسقف بيده - إن أمكن - كل

٤٥ - تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية المعروف بسير البيعة المقدسة لساويرس ابن المقفع أسقف الأشمونين، مطبوعات جمعية الآثار القبطية: المجلد الثاني، الجزء الثاني، قام على نشره يسى عبد المسيح، وعزير سوربال عطية، وأسولد برمستر، القاهرة ١٩٤٨م، ص ١٤٧، ١٤٨  
46- Burmester, O.H.E. Khs, *The Egyptian or Coptic Church...*, p. 236.

الشعب، بينما يكسر الشّمامسة الخبز. والقسوس أيضاً يكسرون الخبز. وعندما يقترب الشّمّاس من القسّيس فإنه يقدّم الإناء، والقسيس نفسه يأخذ ويناول الشعب بيده. وفي الأيام الأخرى فإنهم يناولون كما يوجّه الأسقف“ (التقليد الرّسولي ٢٤:١-٣).

وفي كتاب التقليد الرّسولي أيضاً: وإذا قسّم الأسقف الخبز، فليعط جزءاً منه لكل واحد ويقول: الخبز السّمائي، جسد المسيح يسوع. والذي يتناول يجيب ويقول: آمين.

وإذا لم يكن القسوس يكفون، فليمسك الشّمامسة الكؤوس، ويقفون في ترتيب: الأوّل معه الماء، الثّاني معه اللّبن، والثّالث معه الخمر.

والذين يتناولون يتذوّقون من كل كأس، والذي يعطي من كل منها يقول في كل مرّة من الثّلاث مرّات: في الله الأب ضابط الكل، والذي يتناول يقول: آمين. وفي الرّب يسوع المسيح، فيقول: آمين. وفي الرّوح القدس في الكنيسة المقدّسة، فيقول: آمين.

ويُفعل هكذا لكل واحد من المتناولين.

وعندما يتمّم كل هذا، فليكن كل واحد غيراً في الأعمال الصّالحة، ويرضي الله عائشاً بالبر، مكرّساً نفسه للكنيسة. ويفعل ما قد تعلّمه، وينمو في خدمة الله. (التقليد الرّسولي ٢٣:٥-١٢).

وفي قوانين هيبوليتس القبطيّة (١٩:٢٣-٢٦): وبعد ذلك يبدأ الشّمّاس يقدّس، والأسقف يكمل إفخارستيّة الجسد والدّم الذي للرّب. وإذا فرغ، يناول الشعب وهو قائم على مائدة جسد ودم الرّب. والقسوس حاملون كاسات دم المسيح، وكاسات أخرى من لبن وعسل. لكي يعلموا الذين يتناولون أنهم وُلدوا دفعة أخرى كأطفال. لأن الصّغار

يتناولون اللبن والعسل. وإذا لم يكن ثَمَّ قسوس ليحملوا هذه الكاسات،  
فليحملها الشمامسة.

وهكذا يدفع لهم الأسقف من جسد المسيح، ويقول: هذا هو جسد  
المسيح، فيقولون هم: آمين. والذي يدفع لهم من الكأس يقول: هذا هو  
دم المسيح، فيقولون: آمين.

ومن بعد ذلك يتناولون من اللبن والعسل لتذكّار الدَّهر الآتي،  
وحلاوة الخيرات التي فيه. تلك التي لا تعود بعد إلى مرارة ولا تضحل.

وفي قوانين الرُّسُل القبطية (١٧:٥٢-١٩): ” وإذا كَمَّل الصَّلوات  
التي يجب أن يقوها، فليقرَّب الأسقف أولاً، وبعده القسوس ثم الشمامسة  
ثم الإيودياكونون، وبعدهم يتناول كل الشَّعب. وعندما يناول الأسقف  
يقول: هذا هو جسد المسيح. والذي يتناول يقول: آمين. ثم أن  
الشمامسة تناولون الكأس ويقولون: هذا هو دم المسيح، هذا هو كأس  
الحياة. والذي يتناول يقول: آمين.“

وكانت العادة القديمة في التناول أن يأخذ المتناول الجسد المقدَّس  
على راحة يده اليمنى، ثم يتناوله. وفي ذلك يقول القديس كيرلس  
الأورشليمي (٣١٥-٣٨٦م):

[عندما تذهب لتناول القربان، لا تمد ذراعك من بعيد ولا  
تجعل أصابعك متباعدة، بل اجعل يدك اليسرى عرشاً ليمناك  
التي ستقبل الملك العظيم، وتناول في راحة الكف جسد المسيح  
قائلاً: ” آمين“].

وفي كنيسة أنطاكية نعرف أيضاً من القديس يوحنا ذهبي الفم  
(٣٤٧-٤٠٧م) هذه الممارسة فيقول:

[انظروا أنكم ليس فقط قد نلتم هذه العطيّة في يدكم، بل إنكم قد رفعتموها لقمكم ...] (٤٧).

ومع مرور الزّمن رأى البعض أن يصنعوا آنية من الذهب أو غيره من المعادن للاستعاضة بها عن أيديهم في اقتبال العطيّة الإلهيّة، وتناول القربان الطّاهر. فأبطل مجمع ترولو المنعقد سنة ١٦٩٢م في قانونه رقم (١٠١) هذا العادة قائلاً: "إذا شاء أحد أن يتناول الجسد الطّاهر في وقت القُدَّاس الإلهي متقدّماً للشّركة، فليجعل يده على شكل صليب وهو يتناول شركة النّعمة". ويتّضح من ذلك أنه حتى نهاية القرن السّابع على الأقل كان التّناول لازال بوضع الجواهر في اليد ثم يتناولها الإنسان لنفسه بوضعها في الفم.

ويقول الأب نيقولاي جوجول: "في الأيام الأولى من الكنيسة، كان الشّعب يتناول العنصرين منجزلين ... وكان كل شخص يتناول بيده جسد ربّنا الطّاهر، ويشرب بنفسه من دمه الطّاهر". أمّا المستير أي الملعقة التي تُستخدم في تناول الدّم الكريم فقد أُدخلت في الطّقس منذ أيام القُدَّيس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧-٤٠٧م).

ومن شرح القُدَّيس يوستينوس الشّهيد (١٠٠-١٦٥م) للإفخارستيا في زمانه، يتّضح أن الشّماسة كان منوطاً بهم تقديم الإفخارستيا لكل من المؤمنين في مكانه، بل ويحتفظون بأجزاء من الإفخارستيا للغائبين أيضاً، وفي ذلك يقول القُدَّيس يوستينوس:

[فعندما يشكر الرّئيس (أي يصلي الإفخارستيا بكاملها) ويجاب الشّعب (أمين) يقوم الذين ندعوهم شماسة بتوزيع



جزء من كل من الخبز ومن الخمر الإفخارستي المزوج بالماء،  
على كل الحاضرين، ويحملون ذلك أيضاً للذين تغيّبوا<sup>(٤٨)</sup>.  
(دفاعه ٦٥:١).

وفي أيام العلامة كليمنس الإسكندري (١٥٠-٢١٥م) كان توزيع  
الإفخارستيا منوطاً بالشمامسة، ثم انحصر بعد ذلك في الدّم الكريم فقط.

وفي القرون الأولى كان هذا السرّ يُعطى في حالات نادرة تحت  
شكل واحد، أي تحت شكل الخبز وحده، أو تحت شكل الخمر وحده إذا  
كان المريض لا يستطيع أن يبلع.

وفي الغرب كان المتناولون يتناولون الخبز مغموساً في الدّم، وأوّل  
ذكر لغمس الخبز في الخمر كان في قرطاجنة في شمال إفريقيا في القرن  
الخامس الميلادي. وفي القرن الثاني عشر شاع مناولة المؤمنين تحت شكل  
الخبز وحده، ومنع الكأس بتاتا عن المؤمنين في كنيسة الغرب<sup>(٤٩)</sup>.

### طقس التناول في الكنائس الأخرى

لدينا صورة حيّة عن طريقة التناول وطقسه في الكنيسة السريانية  
منذ القرن الرابع الميلادي. فالأسقف يتناول أولاً، ثم الكهنة فالشمامسة  
فالأرامل، فالأولاد الصغار، ثم سائر الشعب.

ويضع الأسقف جزءاً من الخبز الذي تقدّس على راحة يد المتناول  
اليمنى، تسندها اليد اليسرى. والشمامس يمسك الكأس ويشربون منه

٤٨- انظر: مجموعة الشرع الكنسي، مرجع سابق، ص ٨٠.  
٤٩- مجموعة الشرع الكنسي، مرجع سابق، ص ٨٠. انظر أيضاً: جراسيموس مسرة،  
الأنوار في الأسرار، ص ١٦٩، ١٧٠.

مباشرة. ولكل متناول يقول الأسقف: "جسد المسيح"، والشّماس يقول: "دم المسيح كأس الحياة"، والجواب في كلا الحالين: "آمين".

وأثناء المناولة والتناول يرثّل المرتّمون مزموماً (٣٣) «ذوقوا وانظروا ما أطيب الرّب». فهو يناسب الموقف بنوع خاص.

وعندما تتم المناولة يعطي الشّماس الإشارة لأجل الصّلاة، فيقدّمها الأسقف نيابة عن الكل، ثمّ يجني الجميع رؤوسهم ويتلقون البركة، ثمّ يصرف الشّماس الشّعب قائلاً: "أذهبوا بسلام" (٥٠).

أمّا طريقة التناول وطقسه في الكنيسة البيزنطية الآن فهي أنه عندما ينتهي الكاهن من القدّاس، يخرج هو والشّماس الخدم معه ساجدين أمام المائدة المقدّسة ثلاث سجّادات، ثمّ ينتصبان ويرفعان أيديهما إلى فوق. ويقول كل منهما بصوت خافت صلاة بدايتها: "أيها الملائكة الإلهيون...". وإذا تقدّم الكاهن ليتناول يقول للخادمين معه: "اغفروا لي يا إخوتي ومشاركتي في الخدمة". ثمّ يقول: "يا الله اغفر لي أنا الخاطئ وارحمي".

ثمّ يتقدّم من القدّسات ويأخذ قسماً من الجزء المرسوم عليه II - أو الخبز كله إن كان وحده - قائلاً: "أنا الحقير في الكهنة... تناول لي جسد ربّنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح الكريم والمقدّس لغفران خطاياي وللحياة الأبدية".

ثمّ يقول للشّماس: يا شّماس تقدّم

فيتقدّم فاتحاً كفه اليميني فوق اليسرى ويقول: "ها أنا ذا أتقدّم إلى المسيح ملكنا وإلهنا. ناولني يا سيّد جسد ربّنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع

المسيح الكريم والمقدس، لغفران خطاياي وللحياة الأبدية“.

فيأخذ الكاهن قسماً آخر من الجزء نفسه، ويناوله للشَّمَّاس في كَفِّه اليميني قائلاً: ”الشَّمَّاسُ يُناولُ له جسد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح الكريم والمقدس، لغفران خطاياي وللحياة الأبدية“. فيلثم الشَّمَّاسُ يد الكاهن اليميني التي ناولته ويتناول هو جزء الخبز المقدس الموضوع في كَفِّه بخشية وكل انتباه. وينفض كَفِّه في الصَّيْنِيَّةِ المقدَّسة بلطافة ويمسحها بإسفنجة الأنديغيسي. ثم يتقدَّم الكاهن ليتناول الدَّم الكريم قائلاً: ”أيضاً أتقدَّم إلى المسيح ملكنا وإلهنا. أنا الحقير في الكهنة... يُناولُ لي دم ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح الكريم المقدس لغفران خطاياي وللحياة الأبدية“.

ويتناول منه على ثلاث جرعات قائلاً: الجرعة الأولى: على اسم الآب، آمين. وعلى الثانية: والابن، آمين. والثالثة: والرُّوح القدس، آمين. ثم يقول: إن هذه لمست شفتي تنزع آثامي وتطهِّرني من خطاياي.

ويمسح شفتيه والكأس المقدَّسة بالمنديل، ويُقبِّلها، ويدعو الشَّمَّاس قائلاً: يا شماس تقدِّم. فيتقدَّم الشَّمَّاس قائلاً: أيضاً أتقدَّم إلى المسيح ملكنا وإلهنا، ناولني يا سيِّد الدَّم الكريم الطاهر، دم ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح، لغفران خطاياي وللحياة الأبدية.

ويناوله من الدَّم الكريم على ثلاث جرعات على اسم أقانيم الثالوث كما تناول هو منه. ثم يمسح الشَّمَّاس شفتيه بالمنديل ويُقبِّل الكأس فيقول له الكاهن: ”الشَّمَّاسُ... يناولُ له دم ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح الكريم المقدس، لغفران خطاياي وللحياة الأبدية. إن هذه قد لامست شفتيك، فتزع آثامك، وتطهِّرُك من خطاياك“.

ثم يضع الكاهن الكأس المقدَّسة في موضعها ويرفع الصَّيْنِيَّةَ بيده اليسرى إلى قرب شفة الكأس ويضع بإصبعي يمينه في الكأس أجزاء

الجسد المقدّس. وأما أجزاء النفوس المذكورة، وأجزاء السيّدة والقديسين، فيبقىها في الصنيّة. وبعد مناولة الشعب ينقلها، ثم يفتح الباب الملوكي، والكاهن يناول الشمّاس الكأس المقدّسة، فيأخذها ويقف في الباب رافعا إياها أمام الشعب قائلاً: بخوف الله وإيمان ومحبة تقدّموا.

فيرتل الخوروس: الله الرّب ظهر لنا، مبارك الآتي باسم الرّب.

فيأخذ الكاهن الكأس من الشمّاس. ومن شاء أن يتناول يدنو من الأبواب المقدّسة ويحشو أمام الكأس ويضم يديه إلى صدره بشكل صليب ويقول اسمه، ويفتح فاه فيناول الكاهن بالملعقة الجسد والدمّ الكريمين قائلاً: يناول عبد الله أو أمة الله ... جسد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح الكريم والمقدّس، لغفران خطاياها، وللحياة الأبدية. آمين.

وفيما يشترك، يضع المؤمن يده تحت ذقنه طرف ستر المناولة الذي يكون الكاهن ماسكاً به من الطّرف الآخر، وبعد أن يمسخ به شفّتيه، يُقبّل أسفل الكأس ويحشو ويعود إلى مكانه.

وبعد مناولة الشعب ينقل الكاهن الكأس المقدّسة إلى المائدة. ثم يبارك الشعب قائلاً: خلّص يا الله شعبك، وبارك ميراثك.

فيرتل الخوروس: قد نظرنا النور الحقيقي، وأخذنا الرّوح السّماوي، ووجدنا الإيمان الحق، فلنسجد للتّالوث غير المنقسم، لأنه خلصنا.

ثمّ ينقل الكاهن الأجزاء الباقية من الصنيّة إلى الكأس، ويقول صلاة بدايتها: "إذ قد رأينا قيامة المسيح، فلنسجد للرّب القدّوس يسوع البري من الخطأ وحده ...".

والشمّاس يقول: ارفع يا سيّد

والكاهن يبخّر ثلاثاً قائلاً: ارتفع اللّهم على السّموات وعلى كل

الأرض مجدك (ثلاث مرّات).

ثم يأخذ الشمّاس الصنيّة والأغطية والنّجم من الكاهن ويضعها على المذبح. وأما الكاهن فيأخذ الكأس ويلتفت إلى الشعب قائلاً: تبارك الله إلهنا كل حين، الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين.

فيحيب الخوروس: آمين

فيضع الكأس على المذبح ويرجع إلى المائدة ويطوي الأنديمنسي. وفي أثناء ترتيل الخوروس يرسم الكاهن بالإنجيل صليبا فوق الأنديمنسي ويضع الإنجيل عليه، ويلتفت ويقول: "لنخرج بسلام ...".

### التناول شركة في سرّ وحدة الكنيسة

يقول الأب ألكسندر شيمان: إنه أمر ثابت ولا جدال فيه أن مناولة جميع المؤمنين في كل قدّاس إلهي كانت قاعدة واضحة في الكنيسة الأولى، ولكن ما يجب أن نشدّد عليه هو أن هذه المناولة الجماعية والمنتظمة فهتم واختبرت ليس فقط كعمل تقوي وتقديس شخصي، بل فوق كل شئ كعمل تابع من عضوية المرء في الكنيسة. بالضبط كتتحقيق وإنجاز لهذه العضوية.

لقد عرفت الإفخارستيا واختبرت كسر الكنيسة، وسر الجماعة، وسر الوحدة ... وكان من المتعارف عليه أن الذي لا يتناول لأسابيع قليلة يكون قد حرم نفسه وفصلها عن جسد الكنيسة. إن مناولة جسد المسيح ودمه كانت الإنجاز الواضح للمعمودية والميرون. ولم يكن هناك أي شرط آخر لاقتبال المناولة. وجميع الأسرار الباقية "تختتم" بالاشتراف في القدسات. وهذا الارتباط بين العضوية في الكنيسة والمناولة كان

واضحاً لدرجة أننا نجد في النصوص الليتورجية الأولى أنه قبل تقدّس القرابين يتم تسريح أولئك الذين لا يحقّ لهم الاشتراك في الأسرار الإلهية. ويجب أن يكون واضحاً عندنا مهما تعقدت وغمضت هذه الأمور فيما بعد، أن هذا الفهم والخبرة الأوليين للمناولة سيبقيان إلى الأبد القاعدة الأساسية لتقليد الكنيسة.

أمّا إحجام البعض عن التناول بدافع الحرص الشديّد على قدسيّة المناولة مخافة تدينس الأسرار إذا تناولها أولئك عن غير استحقاق، فهو إحجام لم يعد صحيحاً اليوم. لأنه لو كان صحيحاً لشعر غير المتناولين ببعض الحزن على الأقل وهم يحضرون القدّاس الإلهي، ولتأسّفوا على عدم استحقاقهم وعلى خطاياهم التي تفصلهم عن القدسات، ولشعروا باختصار بأنهم "محرّمون" من الكنيسة. ولكن بالواقع لا شيء من هذا، جيل بعد جيل من الأرثوذكس يحضرون القدّاس بضمير ظاهر، مقتنعين كلياً أن شيئاً أكثر ليس مطلوباً منهم، وأن المناولة ببساطة ليست لهم. وعندما يتناولون في تلك المرّات القليلة والتّادرة فهم يتناولون كإتمام فرض أو واجب. وبهذه المناولة يعتبرون أنفسهم مسيحيين.

إنه من المستحيل أن نجد نصّاً آباتياً واحداً يدعم فكرة أنه إذا لم يستطع المرء أن يتناول باستحقاق، من الأفضل له أن يمتنع عن المناولة.

لقد كتب القدّيس يوحنا كاسيان:

[يجب ألاّ تتجنّب المناولة بحجة الشعور بأننا خاطئون. علينا أن نتناول مراراً كثيرة من أجل شفاء النّفس وتطهير الرّوح. ولكن بتواضع وإيمان معتبرين أنفسنا غير مستحقّين].

علينا أن نلتمس البلسم لجراحنا، فمن المستحيل أن نتناول مرّة في

السنة، كما يفعل البعض، معتبرين أن تقديس الأسرار متيسر فقط للقدّيسين. إنه من الأفضل التفكير بأن السرّ إذ يعطينا النعمة يظهرنا ويقدّسنا. هؤلاء الناس يظهرون كبرياء أكثر من التواضع، لأنهم عندما يتناولون يعتبرون أنفسهم كمستحقين، وإننا لن نكون مستحقين أبداً.

عندما أصبحت المناولة أداة للتقوى الشخصية والتّقدس الفردي، ومحرومة كلياً من معناها الكنسي، بطلت بالتالي أن تكون العضوية في الكنيسة متحدرة ومقاسة بالاشتراك في سرّ وحدة الكنيسة، وإيمانها، ومحبتها، وحياتها.

إن المرء يأكل ويشرب بغير استحقاق عندما يتناول ظاناً نفسه "مستحقاً" بقداسته الخاصة وليس بقداسة المسيح.

إن قول الرسول: «فليختر الإنسان نفسه وهكذا فليأكل من هذا الخبز ويشرب من هذه الكأس» (١ كورنثوس ١١: ٢٨) والغاية من هذه التهيئة ليس أن يعتبر الإنسان نفسه "مستحقاً"، بل أن يجعله يعي بالضبط أنه "غير مستحق"، وأن تقوده إلى التوبة الحقيقية. والتوبة هي كل هذا: أن يرى الإنسان خطاياہ وضعفه وأن يدرك أنه منفصل عن الله، فيحزن ويغتم لهذا الأمر، ومن ثم يرغب الغفران والمصالحة، رافضاً الشر، ومختاراً العودة لله، ومشتاقاً بالنهاية للمناولة من أجل شفاء النفس والجسد<sup>(٥١)</sup>.

□ إذا الإفخارستيا أساساً هي سرّ وحدة الكنيسة، وبدون الإفخارستيا كان يستحيل أن يقول بولس الرسول: «أنا أعضاء جسمه،

٥١ - مقتطفات من مقال له في كتاب "الصوم الكبير"، وقد نُشر جزء منه في مجلة الثور، العدد الرابع، ١٩٨٥م.

من لحمه وعظامه» (أف:٥:٣٠). وكان يستحيل أن نقول: إن الكنيسة هي جسد المسيح. ولكننا نقول ذلك على أساس أن جميع المؤمنين يتناولون جسد المسيح الواحد فيصرون أعضاء لهذا الجسد.

يقول القدّيس أغسطينوس (٣٥٤-٤٣٠م) ما معناه: إننا حين نأكل الأطعمة العادية فإننا نحوّلها إلى أجسامنا، وأما هذا الطّعام الإلهي السّمائي، فحين نأكله، فهو الذي يحوّلنا إلى ذاته، إلى أعضاء في جسد المسيح، ولسنا نحن الذي نحوّلُه إلى نفوسنا أو أجسادنا.

كلمة يُجمع في اللّغة اليونانيّة هي συνουσία (سيناجاجي) وهي نفسها اللّفظ القبطي واليوناني الذي يُعبّر به عن القدّاس أي السّيناكسيس (συναξις) (سيناكسيس). والقدّيس أناسيوس الرّسولي (٣٢٨-٣٧٣م) عندما يتكلّم عن القدّاس لا يستخدم الكلمات المألوفة عندنا مثل الإفخارستيا، أو الاجتماع الإفخارستي، ولا حتى تعبير "كسر الخبز" ولا القدّاس، بل كان دائماً يستعمل كلمة "السّيناكسيس" للتعبير عن القدّاس. وكذلك كان أنبا باخوميوس وكل تلاميذه وكل الكتابات الصّادرة عن الأديرة الباخوميّة، كانوا يستعملون هذه الكلمة. ويُعد هؤلاء جميعاً مصادر تُعرف بها كنيسة الإسكندرية في القرن الرّابع. وإلى الآن مازلنا نلاقي هذه الكلمة في القطمارس في بداية قراءات كل قدّاس. فالقدّاس أساساً هو سرّ "جمع المتفرّقين إلى واحد".

### التّرتيل المصاحب لتوزيع الأسرار المقدّسة

في الطّقس القبطي يصاحب التّناول التّرتيل بالمزمور المائة والخمسين، وهو تقليد قبطي سحيق في القدم يشير إليه العلامة كليمنديس الإسكندري (١٥٠-٢١٥م) مدير مدرسة الإسكندريّة، فيقول عن هذا المزمور:

[سَبَّحوه بصوت البوق؛ لأنه بصوت البوق سوف يدعو الرَّاقدِين إلى القيامة.

سَبَّحوه بالزمار؛ أي اللسان الذي هو مزمار الرَّبِّ.  
سَبَّحوه بالقيثارة؛ وهي الفم حينما يحركه الرُّوح القدس كالوتر.

سَبَّحوه بطبول ورقص؛ يشير إلى الكنيسة التي تتأمل القيامة من الأموات خلال وقع الضرب على الجلد الميت.

سَبَّحوه بالأوتار والأرغن؛ فالأرغن هو الجسد، وأعصابه هي الأوتار، والتي حينما تتقبل الانتعاش بانسجام من الرُّوح القدس، يوقع عليها الأصوات البشرية.

سَبَّحوه بصنوج حسنة الصَّوت؛ فهو يشير إلى الشَّفتين في الفم حينما يوقع عليهما النِّغمات.

كل نسمة فتلسَّبِّح اسم الرَّبِّ؛ هنا يدعو البشرية كلها أن تسبِّح، لأنه يعتني بكل مخلوق يتنفس. والإنسان هو حقاً آلة السَّلام.

ولكن لأن الأجناس، كل جنس يستخدم آلة من هذه الآلات لإعلان الحرب، ولا توجد إلا آلة واحدة للسَّلام، وهي "الكلمة" التي بها نكرم الله ونمجِّده، فلذلك لا تُستخدم إلا "الكلمة" وحدها. فنحن لا نستخدم البوق أو المزمار أو الطبل أو الصَّفارة التي يستخدمها المختصون في الحروب، وفي حفلاتهم.

أليست القيثارة ذات العشرة أوتار هي إشارة إلى كلمة "يسوع" حيث أن كلمة "يسوع" تبتدئ في اللُّغة اليونانية بحرف  $\iota$  (يوتا) وهو يمثل الرقم ١٠.]



ويتكلَّم الأُنبا ساويرس ابن المقفع (تبيح بعد سنة ٩٨٧م) عن هذا المزمور فقول: "ما أحسن قوله لجنس آدم: سبحوه بصلاصل التَّهليل، لأن التَّهليل هو تسبيح الغلبة عند العبرانيين، وكذلك عند جميع الأمم، لأنهم عند الغلبة يهللون. لأن الذي يغلب قوات العدو من بني آدم هو الذي يصعد إلى مرتبتهم، ولذلك ختم الكلام قائلاً: كل نسمة تسبح الرَّبِّ ..."<sup>(٤٢)</sup>.

وفي تفسير البابا أنثاسيوس الرُّسولي (٣٢٨-٣٧٣م) للمزامير، يقول في تفسيره للقول: «أَسْبَحْكَ بِالْقَيْثَارَةِ يَا اللهُ» (مزمور ٧٠: ٢٢):  
[إن النَّفْسَ حينما لا تصنع شيئاً باطلاً، وتخلو من الأحاسيس الضَّارة لإيمانها ولحياتها، فإنها تُدعى بِحَقِّ قَيْثَارَةِ رُوحِيَّةٍ [νοητή κιθάρα].

ويكمِّل هذا المعنى في رسالته إلى مارسلينوس: ٢٧ فيقول:  
[إن النَّفْسَ التي لها فكر المسيح - بحسب قول الرُّسول في ١ كورنثوس ٢: ١٦ - ينبغي أن تتوافق مع هذا الفكر، كتوافق القيثارة مع من يحرك أوتارها ... هذا ما يجب أن يكون في القيثارة الرُّوحِيَّةِ التي هي الإنسان، فتخضع الأعضاء والحواس جميعاً لفكر المسيح، وتصير طيِّعةً لمشيئة الله].

وما يؤكِّد التَّقْلِيدُ القبطي في التَّرتيل أثناء التَّنَاوُلِ كما يشرحه العلامة كليمنس الإسكندري (١٥٠-٢١٥م) هو ما تذكره قوانين القديس باسيليوس الكبير، وهي قوانين مصريَّة، تعود إلى القرن السَّادس الميلادي، يمنع القانون رقم (٧٤) الأغنسطس من أن يتعلَّم العزف على القيثارة، وذلك تحاشياً للعودة إلى ما كانت تمارسه الطُّقُوس الوثنِيَّة في

عبادتها، فيقول: "أغسّطس إذا تعلّم أن يضرب بالقيثارة، فليعلّم ألا يعود إلى هذا دفعة أخرى، وتكون عقوبته سبعة أسابيع. فإذا أزداد الفعل أن يكون فيه، فليقطع ويخرج من كنيسة الله".

لقد مُنع استعمال الآلات الموسيقية في الكنيسة منذ زمن المسيحية المبكر. فمنذ عصر الدولة الرومانية كان المتبع في موكب الإمبراطور من قصره إلى الكنيسة أن يُعزف على الأرغن المائي<sup>(٥٣)</sup>. وعندما يقترب الموكب من الكنيسة يترك الأرغن على بعد منها تثبيتاً للطّقس الكنسي الموسيقي الصوّتي في العبادة. وهذا التقليد بعينه هو المتبع في الكنائس القبطية واليونانية والسريانية والرؤسية حتى الآن.

ومن القانون رقم (١٠) والقانون رقم (٧٨) من قوانين البابا أناسيوس بطريك الإسكندرية، وهي قوانين تعود إلى نهاية القرن الخامس الميلادي، نعرف أن الترتيل يظل مستمراً طيلة وقت توزيع الأسرار المقدسة، فيقول القانون رقم (٦:١٠): "إذا احتقر الأسقف البوّاب أو الشمّاس أو المرتّل فإنه لا يستطيع أن يعمل طقوسهم، فكيف يقبّل ويحرس الأبواب، أو كيف يورثل ويناول السّرائر".

أمّا القانون رقم (٧٨) فيقول: "ومادامت السّرائر المقدسة على المذبح قبل أن تُرفع، لا تسكت القراءة من قدامه، بل يورثلون بكلام الله أو يقولون في المزامير، لأنه مكتوب إنني ربّبت حراساً على أسوار أورشليم اللّيل والنّهار، هؤلاء الذين لا يسكنون كل حين من ذكر الرّب. ولأنه جسده ودمه فلا يفترّون من تسبّحته إلى الوقت الذي ينظف فيه الموضوع (أي المذبح)".

وفي قوانين الرُّسُل القبطيّة (٢٠:٥٢:١): "ويرتّلون إلى أن يتناولوا كلهم<sup>(٥٤)</sup>".

وعن المزمور الـ ١٥٠ يقول ابن كبر (+ ١٣٢٤م) في حديثه عن التناول من الأسرار المقدّسة: "ويقال مزموّر ١٥٠ وله لحنان، لحن للصوم، ولحن لسائر الأيام، ولحن ثالث يُدمج فيه يقال في كيهك وما يجري مجراه، ويرتّل المرتّلون بما يوافق ذلك اليوم من النواظوظ كيات والوهّات (٥٤)".

وهنا يتّضح أن ابن كبر (+ ١٣٢٤م) لم يكن يعرف من ألحان المزمور الـ ١٥٠ سوى لحن الصوم الكبير، واللحن السنوي. أمّا لحن الفرح واللحن الكيهكي فيبدو أنهما قد عُرفا في أماكن دون أماكن غيرها، أي لم يكونا قد انتشرا بعد وعُرفا في كل الكنائس. ومع كل ذلك ظلّ المزمور المائة والخمسون بلا لحن شعائني يُقال به في عيد الصليب، أمّا في عيد الشعّانين نفسه، فإنه تجرّي في أثناء التناول من الأسرار المقدّسة صلاة التّجنيز العام، طبقاً للقانون رقم (١١) من قوانين البابا خريستوذولوس (١٠٤٧-١٠٧٧م)، والذي يقول: "وبعد فراغ القدّاس في يوم أحد الزّيّتونة<sup>(٥٥)</sup>، يُقرأ الإنجيل وترحيم<sup>(٥٦)</sup> الموتى بعد

٥٤ - يقول العالم فونك Funk أنه أثناء التناول، كانوا يرتلون المزمور ٣٣

Cf. Funk, *Constitutions*, I, p. 519.

وهو هنا يشير إلى الطّقس الأنطاكي والذي أخذ عنه أيضاً الطّقس البيزنطي. أمّا الطّقس القبطي فمعروف أن المزمور ١٥٠ هو الذي يرتل به أثناء التناول منذ القرن الثاني الميلادي بحسب شهادة العلامة كليمنديس الإسكندري (١٥٠-٢١٥م).  
٥٥ - وهو يُدعى أيضاً "أحد الشعّانين".

٥٦ - في مخطوط رقم (٥٩٩٧) بالمتحف البريطاني، (ص ١٦٩ وجه)، جاءت كلمة "ترحيم" كترجمة للكلمة القبطيّة ذات الأصل اليوناني Διπύχα (دبتيخا).  
O.H.E. Khs Burmester, *The Canons of Christodulos, Patriarch of Alexandria*, Le Muséon t. XLV (1932), p. 80, n. e.

رسالة بولس المعروفة برسالة الموتى<sup>(٥٧)</sup>. ويُقرأ بعد ذلك التَّحليل على جميع الشَّعب، لأنَّ الجماعة الكبيرة لا يجوز فيها تحليل ولا ترحيم ولا تجنيز إلى أن ينقضي عيد الفصح.

### الترتيل في الكنائس الأخرى

استمرت الكنيسة الغربيَّة الرومانيَّة حوالي الألف سنة الأولى للميلاد تستخدم الإنشاد الغريغوري وحده بدون مصاحبة آلات موسيقيَّة، ثمَّ بدأت في استخدام الأرغن تدريجيًّا. وفي بعض المراحل استخدمت بعض آلات أخرى إلى جواره، ثمَّ عادت فحرِّمت استخدامها مستقبية الأرغن وحده.

وفي كنيسة إنجلترا، كاد المصلحون المدققون يتوصَّلون إلى قرار بإلغاء استخدام الأرغن وإزالته من جميع كنائس إنجلترا في ١٣ فبراير سنة ١٥٦٢م لولا أن الاقتراح رُفض بفارق صوت واحد. وجرت محاولة أخرى سنة ١٥٨٦م ولم تنجح أيضاً. ولكن في سنة ١٦٤٤م نجح المتشدِّدون في إصدار تشريع يقضي بتحطيم آلات الأرغن، وتم تنفيذه. ومن ثمَّ فلم يبق من آلات الأرغن في تلك الفترة سوى النَّذر اليسير، واستمرَّ الوضع هكذا إلى أن أعيد إدخال الأرغن إلى كنيسة إنجلترا مرَّةً أخرى سنة ١٦٦٠م<sup>(٥٨)</sup>.

٥٧- هذه الخدمة وردت بكاملها في مخطوط رقم (Add. 5997)، (ص ١٦ ظهر - ٢٠ وجه): وفصل الإنجيل هو من (يوحنا ١٩:٥-٣٠)، ورسالة البولس هي من رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس (١ كو ١٠:١٥-٢٧، ٣٩-٥٨).

Cf. O.H.E. Khs Burmester, *op. cit.*, Le Muséon t. XLV (1932), p. 80, n. g. 58- ODCC, 2nd edition, p. 1007.

## غسل الأواني بعد انتهاء توزيع الأسرار الإلهية

عند البابا غريبال الخامس: "... وإذا تكامل ذلك جميعه، يمسح الصّينيّة والكأس ويستبرئهم بنظره، ونظر من بجانبه من الكهنة والشّمامسة الذين ينرون عليه، فإنهم الأمناء عليه، وشاهدين عليه مما يتفق له. فإذا فعل ذلك وشهدوا بحقيقة أمره كان بريئاً من اللوم. وبعد ذلك يتدئ بغسل الكأس أوّل مرّة، والثانية والثالثة بناولها للشّماس الخديم يشرها من الكأس، ثمّ يغسل الملعقة داخل الصّينيّة، وكذلك يديه بعد مسح خارج الصّينيّة بالماء. الثاني من يديه. ويكمل غسل يديه ثلاثاً ويشربه. ثمّ يمسح الصّينيّة بستر نظيف" (٥٩).

أمّا حولاجي سنة ١٩٠٢م فيطيل في شرح طريقة غسل الأواني، أي الصّينيّة والكأس والملعقة ويدها والنّجم أي القبّة، ويسقي الماء لأحد. ثمّ غسل الكاهن ليديه في الصّينيّة ويشرب ماء غسيل يديه. وإذا تم ذلك يعطي الكاهن الآنية لأحد الشّمامسة فيمسحها بستر نظيف، ويربطها مع اللّغائف والإبروسفارين.

ويقول ألفريد بتلر A. Butler في مشاهدته له في الكنائس القبطيّة القديمة في القرن التاسع عشر ما يلي: "قد رأيت شماساً بعد انتهاء التناول يضع الملعقة على شفتيه وعينه وجهته، وهي عادة تعود إلى خمسة عشر قرناً مضت منذ عصر القدّيس كيرلس الأورشليمي، الذي كتب في منتصف القرن الرابع تعليمات للمتقدّمين للتناول يقول فيها: ثمّ تلمس بيدك بقايا الماء الذي على شفتيك، وتقدّس بها عينيك وجهتك وسائر الحواس. وليست هناك كنيسة أخرى تحفظ التّفاصيل الدّقيقة للتقليد

القديم يمثل هذا الأسلوب<sup>(٦٠)</sup>.

## رش الماء والتسريح

عند البابا غريبال الخامس: "يصب (الكاهن) ماء في يديه، ويرش منه قليلاً على المائدة<sup>(٦١)</sup>، ثم يمسح وجهه بيديه، ويلتفت إلى إخوته الكهنة فوق وأسفل ويشاركهم بيديه. وكل من شاركه يمسح هو بيديه على وجهه، وهم أيضاً يعملون كذلك. ثم يضع يده على رؤوس الشعب ويباركهم، ويعطيهم التسريح، ويختتم ذلك بقراءة البركة<sup>(٦٢)</sup>."

أمّا عادة التّفخ في الماء في يدي الكاهن قبل رشه، وأيضاً من الكاهن الشّريك إن وُجد، ومن كبير الكهنة الحاضرين إن وُجد، فهي منتشرة في عموم الكنائس، ويبدو أنها تسليم شفاهي لم يرد ذكره في كتبنا الطّقسيّة قديمها وحديثها على حد سواء.

- ٦٠- ألفريد بتلر، الكنائس القبطيّة القديمة في مصر، الجزء الثاني، مرجع سابق، ص ٢٢٧، ٢٢٨.
- ٦١- هنا يضيف القمّص عبد المسيح البراموسي (١٨٤٨-١٩٣٥م) بقوله: "وحسب بعض النسخ، يقول (الكاهن) هذا الرّبع: يا ملاك هذه الصّعيّدة الطّائر إلى العلو بهذه التّسبيحة، اذكرنا قدام الرّب ليغفر لنا خطايانا" (ص ٤٢٧).
- ٦٢- يضيف القمّص عبد المسيح البراموسي بقوله: "على الشّعب قائلاً: سادتي الآباء الرّسل الرّاسمون خطّيتي هم الذين يقولون البركة. أيها الثّالوث المقدّس الآب والابن والرّوح القدس، بارك شعبنا! الحب للمسيح بالبركة العلوية السّمائيّة...". وهو نص طويل طويل يتّضح منه أنه لواحد غير حاذق، فمقدمته تصف شعب الكنيسة بأنّه شعب الكاهن وليس شعب المسيح، وأن الكاهن الذي تناول من الأسرار لتوه خاطئ يرسم الرّسل عليه خطّيته!. ومن ثمّ فهي صلاة بركة لم تجد من الحسب القبطي قبولاً. وفي نهايتها يكمل الكاهن بقوله: "بالسّوات والطلبات التي تصنعها عنا كل حين والدة الإله القدّيسة الطّاهرة مريم...". وهي من صلاة البركة التي ورد نصّها في رفع بخور باكر، والتي بدايتها: "الله يتراءف علينا ويباركنا، وليسر بوجهه ويرحمنا...". (كتاب اخولاجي المقدّس، طبعة سنة ١٩٠٢م، ص ١٤٣).

أمّا قول الكاهن قبل أن يرش الماء ”يا ملاك هذه الصّعيذة (أي الذبيحة) الطّائر إلى العلو بهذه التّسبيحة، اذكرنا قدام الرّب ليغفر لنا خطايانا“، فقد ورد هذا القول في خولاجي سنة ١٩٠٢م مسبوق بعبارة: ”وحسب بعض النّسخ يقول الكاهن ...“.

وبعد أن تتساقط بعض نقاط من الماء على المذبح، يرش الكاهن الماء في اتجاه الغرب حتّى يخرج الماء متّجهاً من الشّرق إلى الغرب. والكاهن بذلك يشرح بالطقس العملي ما ورد في الأصحاح السّابع والأربعين من سفر حزقيال النّبّي. فهي مياه خارجة من المقدس (حزقيال ٤٧: ١٢). وهذا رمز لنهر ماء الحياة الذي يخرج من عرش الله (رؤيا ٢٢: ١)، ويحيا كل من يأتي النّهر إليه (حزقيال ٤٧: ٩). ويرش الماء على الشّعب بهذا الطّقس يتأكّد لديه أن الإفخارستيا التي تناولها تقوده حتماً ليعاين نهر ماء الحياة الخارج من عرش الله. وإن كان يرمز يراه الآن بالإيمان، فبعد قليل بالعيان. وهكذا تصير الكنيسة كلها وكأنّها سائحة في نهر ماء الحياة، بعد أن شبتت من خبز الحياة، وارتوت بدم المسيح حياتنا.

فهي إذا ليست ”مياه صرف ملاك الذبيحة“، لأنه في كل ظهورات العهد القديم، لم نسمع عن ملائكة صعدت إلى السّماء في وسط مياه، بل في لهب نار مشتعلة. فلا ارتباط إذاً بين قول الكاهن ”يا ملاك هذه الذبيحة الطّائر إلى العلو ...“ وبين رش الماء، لأن ملاك الذبيحة يصعد إلى السّماء بعد الانتهاء من الصّلوات بكاملها، وقول الكاهن: ”امضوا بسلام“.

وعند قول الكاهن: ”يا ملاك هذه الذبيحة ...“، يقول الشّعب: ”المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السّلام وبالنّاس المنسرة“، وهذه هي المجدلة الثّانية في القدّاس الإلهي، وكانت الأولى علي فم الكاهن في صلاة الصّلح قبل بدء الأنافورا.

هنا يرثل الشعب قانون التَّسريح المختص باليوم، وفيه دائماً تقدّم المجد للثالوث القدوس الآب والابن والروح القدس، الآن وكل أوان وإلى آباد الدهور.

والتَّسريح هو صلاة البركة الأخيرة التي تُقال في نهاية الصَّلوات الليتورجية أو أي خدمات كنسيّة. وتعرّف من مذكرات السَّائحة الأسبانية إيجيريا على طقس التَّسريح في كنيسة القيامة في أورشليم في القرن الرَّابع الميلادي، فتقول: "... ثم يبارك (الأسقف) الموعوظين، وبعد أن يتلو صلاة، ويبارك المؤمنين يخرج الأسقف من هيكل مغارة القبر المقدس، حيث يُقبَل الحاضرون يده، ويبارك كل واحد في دوره أثناء خروجه. وهكذا يعطي التَّسريح لانصراف الشعب، وحينئذ يكون نور النَّهار قد أشرق".

ويرى العلامة F.J. Dögler بخصوص إعطاء التَّسريح لانصراف من الخدمة الليتورجية أن مذكرات إيجيريا تعتبر مرجعاً ذا أهمية بالغة بخصوص تطوُّر معنى كلمة missa اللاتينية، وهي من كلمة dismissal التي تعني التَّسريح بالانصراف إلى كلمة mass التي صارت تعني "قدَّاس"، حيث أن رسالة القديس أمبروسوس (٣٣٩-٣٩٧م) العشرين التي كتبها سنة ٣٨٥م، تعتبر من أقدم النُّصوص الآبائية التي استخدمت هذه الكلمة بمعنى "قدَّاس".

ولقد اختصَّت صلاة البركة الأخيرة حالياً بحوار مباشر بين الكاهن (فقط) والشَّعب، وذلك في كافة الطُّقوس الشَّرقيّة<sup>(١٣)</sup> في حين توقَّف دور الشَّماس فيها.



وفي الكنيسة القبطيّة تتغيّر كلمات مرد التّسريح ثلاث مرّات على مدار السنّة الطّقسيّة مع مواسم الزّراعة، ومياه النّيل، وأهوية السّماء. كما تتغيّر كلماته أيضاً مع تنوّع الأعياد السيديّة. وكذلك الصّوم المقدّس الكبير وصوم الميلاد، وبرموني الميلاد والغطاس. باستثناء أعياد العذراء والرّسل وصومهما، وكذلك أعياد الملائكة ويوحنا المعمدان والشّهداء والقديسين، وعيد النّيروز رأس السنّة القبطيّة، وهي الأعياد التي ليس لها قانون تسريح يختص بها<sup>(٦٤)</sup>.

وجدير بالذكر أنه في نهاية قانون التّسريح نقول بالقبطيّة:

Ἐμοῦ εἶροι ἰς ἡμετανοία καὶ νηὶ ἐβολ καὶ ὑπίσμοῦ.

وهي التي تُرجمت في جميع كتبنا الطّقسيّة إلى: "باركوا عليّ، ها الميطانية، اغفروا لي، قل البركة". فكيف نقول "ها الميطانية"، ونحن لنوّنا قد تناولنا من الأسرار الإلهيّة؟ فطبقاً للتقليد القبطي أنه لا يجوز السّجود أو الميطانية بعد التّناول. وفي الحقيقة فإن تعبير ἰς ἡμετανοία لا يعني "ها الميطانية"، ولكنه اصطلاح قبطي يعني: "أسأل"<sup>(٦٥)</sup>، وهو يأتي في القبطيّة البحيريّة ἰς ἡμετανοία وفي القبطيّة الصّعيدية يكون εἰς ἡμετανοία. وعلى ذلك فالمعنى المقصود هنا هو: "باركوا عليّ، أسأل اغفروا لي، قل البركة".

فيقول الكاهن البركة الختاميّة. ومن صلوات البركة الختاميّة التي وردت في النّص اليوناني للقدّاس الباسيلي الذي نشره رونودوت E. Renaudot صلاة بدايتها: Τοῖς δούλοις σου. Κύριε وفيها يقول

٦٤- تجد شرح ذلك في كتب السّلسلة الرّابعة من الدرّة الطّقسيّة، وهي عن أصوام الكنيسة وأعيادها، بدءاً من كتاب "الزّمن الطّقسي بين عيدي النّيروز والصليب"، وهو برقم (٤/١).

٦٥- معوض داود عبد النّور، قاموس اللّغة القبطيّة، مرجع سابق، ص ٨٥

الكاهن: "عبيدك يا رب هؤلاء الذين يسبحونك ويطلبونك، حل فيهم وسر بينهم وكن معيماً لهم في كل عمل صالح. أهدض قلوبهم من الأفكار الرديئة الأرضية. امنحهم أن يحيوا ويفكروا فيما للأحياء، ويفهموا الذي لك. يا رب يا من تبارك مباركك وتقدس المتكلمين عليك. خلص شعبك وبارك ميراثك، احرس امتلاء كنيسةك، قدس الذين يحبون خير بيتك. مجدهم أنت بقوة الإلهية، ولا تتركنا يا الله نحن الذين جعلنا رجاءنا عليك ... وأرسل لنا نعمتك، وكمّلنا في الإيمان بالتالوث إلى النفس الأخير، لأن كل عطية صالحة وكل موهبة تامة هي من فوق نازلة من عندك يا أبا الأنوار. ولك نرسل المجد والشكر والسجود أيها الآب مع ابنك الوحيد وروحك القدوس الآن وكل أوان ...".

وفي نهاية البركة الختامية يعلن الكاهن قائلاً: "المسيح إلهنا"، فيرد الشعب: "أمين يكون (٦٦)", فيكمل الكاهن بقوله: "يا ملك السلام أعطنا سلامك ...". في ختامها يقول الكاهن: "امضوا بسلام، الرب مع جميعكم"، فيرد الشعب: "ومع روحك أيضاً".

وكان تعبير "امضوا بسلام" من اختصاص الشماس فيما مضى في كل الطقس، وبعد توقف دور الشماس في طقس التسريح انحصر الطقس في حوار بين الكاهن والشعب فقط.

٦٦- هذا هو ما تمارسه كل الكنائس القبطية حتى اليوم، أما الخولاجي المقدس (كتاب الخولاجي المقدس، ١٩٠٢ أفريكية؛ مرجع سابق؛ ص ٤٣٤) قد أدمج عبارة "المسيح إلهنا"، بعبارة "يا ملك السلام أعطنا سلامك، قرّر لنا سلامك ... الخ". والطقس الخالي مبدع غاية الإبداع حين يعلن الكاهن أن المسيح هو إلهنا، فيجيب الشعب بالتصديق بنعم هو إلهنا، وبناء على ذلك يطلب الكاهن سلاماً للشعب من المسيح إلهنا وملئنا.

إن ختام صلوات القدّاس الإلهي لم تكن تتم بالبساطة التي نعرفها اليوم، فنقرأ في قوانين الرُّسُل القبطيّة (١: ٥٢: ٢٠): "وعند فراغ المرثّل مما يسبّح به، يصرخ الشَّمَّاس ويقول: نلنا من الجسد الجليل الذي للمسيح، فلنشكر الذي جعلنا مستحقين أن نشارك سرائره الكريمة المقدّسة. وبعد ذلك يصلّي الأسقف، ويشكر على الأكل من جسد المسيح، والشُّرب من دمه. فإذا فرغوا مما يشكرون، فليقل الشَّمَّاس: امضوا بسلام".

فالأمر بالانصراف "امضوا بسلام" كان من اختصاص الشَّمَّاس وليس الكاهن<sup>(٦٧)</sup>، وهو ما ظل معمولاً به في الكنيسة القبطيّة حتى القرن الرابع عشر الميلادي وما بعده أيضاً بشهادة ابن كبر (+ ١٣٢٤م) قس كنيسة المعلّقة، حيث يقول: "ويقول الشَّمَّاس تسريح الشَّعب، وهو امضوا بسلام  $\mu\alpha\rho\upsilon\epsilon\omega\tau\epsilon\lambda\epsilon\delta\epsilon\lambda\alpha\sigma\iota\rho\eta\mu\eta$ ، الرّب معكم، وتعالوا إلى الكنيسة في ...".

وهو نفس ما نجده في النّص اليوناني للقدّاس الباسيلي الذي نشره رونودوت E. Renaudot، وهو مخطوط يعود إلى القرن السابع عشر، كما سنذكر فيما يلي.

وهناك صيغة أخرى مطوّلة لتسريح الشَّعب، يقول الكاهن فيها: "محبّة الله الآب، ونعمة الابن الوحيد، وشركة وموهبة وعطيّة الرُّوح القدّس تكون مع جميعكم. امضوا بسلام، سلام الرّب مع جميعكم".

وهذه الصيغة السّابق ذكرها - أو ما يشبهها - كانت من اختصاص الشَّمَّاس أيضاً، ففي النّص اليوناني للقدّاس الباسيلي الذي نشره رونودوت E. Renaudot نقرأ ما يلي:

يقول الشمَّاس: نعمة ربَّنَا وإلهنا ومخلِّصنا يسوع المسيح مع جميعكم، امضوا بسلام.

Ὁ διάκονος λέγει· Ἡ χάρις τοῦ Κυρίου δὲ καὶ Θεοῦ καὶ Σωτήρος ἡμῶν Ἰησοῦ Χριστοῦ μετὰ πάντων ὑμῶν. Πορεύεσθε ἐν εἰρήνῃ.

فيقول الشَّعب: يارب ارحم (مرتين)، يارب بارك آمين.

Ὁ λαὸς λέγει· Κύριε, ἐλέησον. β. Κύριε, εὐλόγησον. Ἀμήν.

يقول الكاهن بركة الانصراف.

Ὁ ἱερεὺς λέγει τὴν εὐλογίαὶν τῆς ἀπολύσεως.

يقول الشمَّاس: وأيضاً امضوا بسلام.

Ὁ διάκονος λέγει· Καὶ πάλιν πορεύεσθε ἐν εἰρήνῃ<sup>(68)</sup>.

إن نداء الشمَّاس بالانصراف ”امضوا بسلام“ قد ورد أيضاً في باب القربان (باب ٢٨) من كتاب ”المجموع الصَّقوي“، وكذلك في الخولاجي الكبير المطبوع سنة ١٩٠٢م<sup>(٦٩)</sup>، غير أن الخولاجي المذكور ذكر أيضاً أن الكاهن يقولها<sup>(٧٠)</sup>.

وفي ممارسة طقسية أخرى، يقول الكاهن: ”امضوا بسلام، سلام الرب مع جميعكم“، أو ”امضوا بسلام، الرب معكم“، وبعدها يقول الشمَّاس مردداً لا يُقال الآن هو: ”نعمة ربَّنَا وإلهنا ومخلِّصنا يسوع المسيح

68- PG 31, 1656B

انظر أيضاً: القمُّص صليب سوريال، مذكرات في قوانين الرسل، الجزء الأول، ص ٥٨

٦٩- كتاب الخولاجي المقدس، طبعة سنة ١٩٠٢م، ص ٤٣٥

٧٠- كتاب الخولاجي المقدس، طبعة سنة ١٩٠٢م، ص ٤٣٤

مع جميعكم، امضوا بسلام“، فيقول الشَّعب: ”أمين يكون“ (٧١).

ويختتم طقس التَّسريح في اللَّيتورجِيَّة الأرمينيَّة بقول الكاهن: ”بنعمة ربِّنا يسوع المسيح مخلصنا، ومحبَّته للبشر، لك أيها الآب مع الرُّوح القدُّس المحيي المحرِّر، يليق المجد والقدرة والحمد الآن وكل أوان وإلى دهر الدَّاهرين“. ثمَّ يقول: ”لننطلق بسلام“ (٧٢).

وفي الطَّقْس الماروني يقول الكاهن في الختام: ”وحَّدت يارب لاهوتك بناسوتنا، وناسوتنا بلاهوتك، حياتنا بموتك، وموتنا بحياتك. أخذت ما لنا ووهبتنا ما لك، لتحيينا وتخلصنا. لك المجد إلى الأبد“ (٧٣).

ويتم التَّسريح أو الانصراف في كل الطَّقوس - ما عدا الطَّقْس السَّرياني - ببركة الصَّليب، ويُضاف في الطَّقْس القبطي رش الماء (٧٤).

أمَّا الطَّقْس البيزنطي فيستخدم فيه البخور، حيث ينخَّر الكاهن المائدة ثلاثاً بقوله: ”ارتفع اللّهم إلى السَّمَاوات، وليكن على الأرض كلها مجدك“.

بعد ذلك يجيب الشَّعب: ”قد رأينا الثُّور الحقيقي، وأخذنا الرُّوح السَّمَاوي، ووجدنا الإيمان الحق، فلنسجد للثالوث غير المنقسم لأنه خلصنا“.

ولقد اعتُبر دائماً أن عادة خروج أحد الحاضرين من القدّاس قبل

71- Burmester, O.H.E. Khs, *The Egyptian or Coptic Church...*, p. 80. : PG 31, 1656A,B

٧٢- أنافورا أرمينيَّة تأليف البطريرك ساحاق (+ ٤٢٨م).

٧٣- أنافورا الاثني عشر رسولاً.

٧٤- الطَّقوس الشَّرقيَّة، مرجع سابق، ١٢٠.

انتهاء التناول والتسريح، أنه مشابهة يهوذا الإسخريوطي في نصيبه، هذا الذي خرج وحده دون التلاميذ قبل فراغ القربان المقدس<sup>(٧٥)</sup>.

وإن اعتياد البعض الخروج من الكنيسة قبل نهاية القداس كان معروفاً منذ أيام القديس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧-٤٠٧م)، الذي كان يشبه الخارجين يهوذا الإسخريوطي الذي خرج من العشاء السري قبل نهايته ليسلم المسيح. أما في السنين الأولى من حياة الكنيسة، فكان ذلك ممنوعاً بقوانين كنسية.

فمثلاً القانون الثاني من قوانين مجمع أنطاكية المكابي (٣٤١م)، يقول: "كل من دخل الكنيسة وسمع الكتب المقدسة وابتعد عن تناول سر الشكر خلافاً للنظام (وخرج من الكنيسة)، فليطرد من الكنيسة إلى أن يظهر توبة فيُصفح عنه".

وأيضاً القانون التاسع من قوانين الرسل: "كل المؤمنين الذين يدخلون ويسمعون الكتب، ولا يبقون<sup>(٧٦)</sup> للصلاة والتناول المقدس، فليُحرّموا، لأنهم يفعلون تشويشاً<sup>(٧٧)</sup> للكنيسة"<sup>(٧٨)</sup>.

ويكمل البابا غريال الخامس بقوله: "وإذا تكامل ذلك يلتفت ويُقبّل المذبح ويدور دورة واحدة وهو يقول: **πνεονος τηροϋ κωλε** (أي: يا جميع الأمم صفقوا بأيديكم...<sup>(٧٩)</sup>)، وإن كان

٧٥- أنبا ساويرس بن المقفع، الدر الثمين في إيضاح الدين، مرجع سابق، ص ١١٠، ١١١

٧٦ - παραμένω = (يبقى - يظل - يتقف).

٧٧ - ἀταξίαν = (عدم ترتيب - عدم نظام - عدم طقس).

٧٨- وهو يقابل القانون السابع من الكتاب الثاني من قوانين الرسل بحسب تقليد الكنيسة القبطية.

٧٩- وهو المزمور السادس والأربعون.

مع جميعكم، امضوا بسلام“، فيقول الشَّعب: ”أمين يكون“ (٧١).

ويختتم طقس التَّسريح في الليتورجية الأرمينية بقول الكاهن: ”بنعمة ربِّنا يسوع المسيح مخلصنا، ومحبَّته للبشر، لك أيها الآب مع الرُّوح القدُّس المحيي المحرِّر، يليق المجد والقدرة والحمد الآن وكلَّ أوان وإلى دهر الدَّاهرين“. ثمَّ يقول: ”لنطلق بسلام“ (٧٢).

وفي الطَّقس الماروني يقول الكاهن في الختام: ”وحَّدت يارب لاهوتك بناسوتنا، وناسوتنا بلاهوتك، حياتنا بموتك، وموتنا بحياتك. أخذت ما لنا ووهبتنا ما لك، لتحيينا وتخلِّصنا. لك المجد إلى الأبد“ (٧٣).

ويتم التَّسريح أو الانصراف في كل الطُّقوس - ما عدا الطُّقس السَّرياني - ببركة الصَّليب، ويُضاف في الطُّقس القبطي رش الماء (٧٤).

أمَّا الطُّقس البيزنطي فيستخدم فيه البُخور، حيث يبخِّر الكاهن المائدة ثلاثاً بقوله: ”ارتفع اللُّهم إلى السَّموات، وليكن على الأرض كلها مجدك“.

بعد ذلك يجيب الشَّعب: ”قد رأينا الثور الحقيقي، وأخذنا الرُّوح السَّماوي، ووجدنا الإيمان الحق، فلنسجد للثالوث غير المنقسم لأنه خلِّصنا“.

ولقد اعتُبر دائماً أن عادة خروج أحد الحاضرين من القدّاس قبل

71- Burmester, O.H.E. Khs, *The Egyptian or Coptic Church...*, p. 80. ; PG 31, 1656A,B

٧٢- أنافورا أرمينية تأليف البطريرك سحاق (+ ٤٢٨م).

٧٣- أنافورا الاثني عشر رسولاً.

٧٤- الطُّقوس الشرقية، مرجع سابق، ١٢٠.

انتهاء التناول والتسريح، أنه مشاهة يهوذا الإسخريوطي في نصيبه، هذا الذي خرج وحده دون التلاميذ قبل فراغ القربان المقدس<sup>(٧٥)</sup>.

وإن اعتياد البعض الخروج من الكنيسة قبل نهاية القداس كان معروفاً منذ أيام القديس يوحنا ذهبي الفم (٣٤٧-٤٠٧م)، الذي كان يشبهه الخارجين يهوذا الإسخريوطي الذي خرج من العشاء السري قبل نهايته ليسلم المسيح. أما في السنين الأولى من حياة الكنيسة، فكان ذلك ممنوعاً بقوانين كنسية.

فمثلاً القانون الثاني من قوانين مجمع أنطاكية المكاني (٣٤١م)، يقول: "كل من دخل الكنيسة وسمع الكُتب المقدسة وابتعد عن تناول سر الشكر خلافاً للنظام (وخرج من الكنيسة)، فليُطرد من الكنيسة إلى أن يُظهر توبة فيُصفح عنه".

وأيضاً القانون التاسع من قوانين الرُّسل: "كل المؤمنين الذين يدخلون ويسمعون الكُتب، ولا يقولون<sup>(٧٦)</sup> للصلاة والتناول المقدس، فليُحرموا، لأنهم يفعلون تشويشاً<sup>(٧٧)</sup> للكنيسة"<sup>(٧٨)</sup>.

ويكمل البابا غريال الخامس بقوله: "وإذا تكامل ذلك يلتفت ويُقبَّل المذبح ويدور دورة واحدة وهو يقول: **ΝΙΘΗΝΟΣ ΤΗΡΟΥ ΚΩΛΕ** (أي: يا جميع الأمم صفقوا بأيديكم...<sup>(٧٩)</sup>)، وإن كان

٧٥- أنبا ساويرس بن المقفع، الدر الثمين في إيضاح الدين، مرجع سابق، ص ١١٠، ١١١.

٧٦- παραμένω = (بقي - يظل - يقف).

٧٧- ἀταξίαν = (عدم ترتيب - عدم نظام - عدم طقس).

٧٨- وهو يقابل القانون السابع من الكتاب الثاني من قوانين الرُّسل بحسب تقليد

الكنيسة القبطية.

٧٩- وهو الزمور السادس والأربعون.



ما يحفظه قبطياً يقرأه عربياً. ويتزل من المذبح ويقلع ثياب الكهنوت، ويفرق الأولوجيَّة<sup>(٨٠)</sup>. ويحترز لثلا يقع منه شيء على الأرض، فيدوس النَّاس بأرجلهم عليه<sup>(٨١)</sup>. ويصرف الشَّعب بسلام الرَّبِّ. تمَّ وكمل بعون الله<sup>(٨٢)</sup>.

ومن قول معلِّمي البيعة في العصور الوُسْطى: ”وبعد ذلك يبارك الكاهن على الشَّعب، ويضع يده على رؤوسهم مثلاً لما فعل مخلصنا أنه لما أخذهم وصعد بهم إلى جبل الزَّيتون وأراد الصُّعود إلى السَّماء، فباركهم ووضع يده عليهم وصعد إلى علو سمائه ... فله المجد والتقدّيس والحمد والشُّكر والتَّسبيح والعظمة والقدرة والعزة إلى أبد الآبدين. آمين“<sup>(٨٣)</sup>.

ولدى السَّرَّيان والموارنة صلاة يتلوها الكاهن قبل أن يترك الهيكل وينصرف، يودَّع فيها المذبح، فيقول في هذه الصَّلَاة الجميلة: ”امكث في سلام يا مذبح الرَّبِّ المقدَّس. إني لا أدري إن كنتُ سوف أعود إليك بعد الآن أم لا. ليمنحني الرَّبُّ أن أراك في مجمع الأبركار الذين هم في السَّموات، وفي هذا الاتحاد أضع رجائي. امكث في سلام يا مذبحاً مقدَّساً وشفيعاً، وليكن الجسد المقدَّس والدَّم هما الكفارة اللذان تناولتهما مغفرة خطاياي، ولحو آثامي، ولثقتي عند الوقوف أمام المحكمة الرَّهيبة التي لربنا وإلينا إلى الأبد. امكث بسلام أيها المذبح المقدَّس، مائدة الحياة، توسَّل إلى ربِّنا يسوع المسيح من أحلي لكيما لا أنقطع أبداً عن الافتكار فيك من

٨٠- يضيف القُمُص عبد المسيح البراموسي ”أي خبز البركة“.

٨١- هذه العبارة أغفلها حولاجي سنة ١٩٠٢م.

٨٢- البابا غبريال الخامس، الترتيب النطقسي، مرجع سابق، ص ٩٠.

٨٣- كتاب سرّ الثالث في خدمة الكهنوت، لمعلِّمي البيعة، لناشره جرجس فيلوثاؤس

الآن وإلى دهر الداهرين، أمين“ (٨٤).

وفي الكنيسة البيزنطية يقول الكاهن: ”أعطنا أن نشترك بأكثر وضوح في نهار ملكك الذي لا يعرب أبداً“.

### وفي الختام

يقول القديس إيريناؤس (١٣٠-٢٠٠م):

[كما أن الخبز الأرضي ببركة الله يكف عن أن يكون خبزاً بسيطاً، لكنه يصير إفخارستياً مؤلفة من خبز أرضي وسماوي، هكذا أجسادنا أيضاً بعد أن تشترك بالإفخارستيا الإلهية ليست بعدها فاسدة، بل لها رجاء القيامة] (ضد الهرطقة ٤: ٣٤).

وكانت أجزاء من الإفخارستيا تُحفظ في بيت الكاهن لحالات الطوارئ، ولكن هذه العادة أبطلت منذ أمد بعيد. وقد نصّت قوانين البابا أنناسيوس بطريرك الإسكندرية في نهاية القرن الخامس الميلادي على منع هذه العادة<sup>(٨٥)</sup>. وقد ورد في سيرة أنبا خريستوذولوس (١٠٤٧-١٠٧٧م) البطريرك السادس والسّتين، أن رهبان دير أنبا مقار وكهنة الإسكندرية كانوا يحتفظون بالقربان من يوم أحد الزيتونة (أحد الشعانين) إلى يوم الخميس الكبير، فأنكر عليهم البطريرك المذكور هذه العادة، وذكر لهم ما يدخل على القربان من العفونة، وأمر بإبطال هذه العادة.

ولازالت عادة الاحتفاظ بالقربان بعد تقديسه معروفة في كنائس شرقية أخرى، ولاسيما في الطقوس البيزنطية، حيث تقام خدمة قدّاس

٨٤- الطقوس الشرقية، مرجع سابق، ص ١٢٠.

٨٥- انظر القانون ٧٨ من قوانين البابا أنناسيوس بطريرك الإسكندرية.

خاصة على قدسات سبق تقديسها تسمى "البروحيازميني"، وذلك في الأيام التي لا يجوز فيها إقامة قدّاسات بحسب طقسهم.

أمّا في الغرب فيقول العالم فان اسبن Van Spin: "إنه من الأمور المحقّقة أن المؤمنين اعتادوا في القرون الأولى أن يحملوا معهم إلى بيوتهم سرّ الشُّكر المقدّس. وكانوا يتناولونه هم أنفسهم. ومن المؤكّد أيضاً أن الشُّسك والرُّهبان القاطنين في البراري كانوا يأخذون سرّ الشُّكر إلى خلواتهم. وقد برهن هذه الحقائق الكاردينال بونه. وبسبب ذلك يبدو أنه قد حدث سوء استعمال لهذا الأمر في أواخر القرن السّابع. فالقانون رقم (٥٨) لمجمع ترولو المنعقد سنة ٦٩٢م يقول: إنه لا يجوز لعامي أن يناول نفسه الأسرار الإلهية بحضور أسقف أو قسيس أو شماس. ومن يتجاسر على ذلك خلافاً لما فُرض يُقطع لمُدّة أسبوع تأديباً له، فيتعلّم ألا يرفع نفسه فوق قدرها".

وتعلّق مجموعة البيذاليون<sup>(٨٦)</sup> على هذا القانون فتقول: "كان يُسمح للرُّهبان المعتزلين في البراري بإذن خاص من الأسقف أن يتناولوا سرّ الشُّكر بأنفسهم إذا لم يوجد كاهن يناولهم كما قال سمعان التّسالونيكّي في الجواب رقم (٤٢) بأن عليهم أن يحفظوا القدسات في علبة الدّخائر، وأن يتناولوا منها بكل وقار. وذلك بأن يفرشوا أولاً بعض الأغصية المكرّسة على محل نظيف، وفوق الغطاء قطعة من الجسد الكلّي القداسة في ملقط. وبعد أن

٨٦- "البيذاليون" كلمة يونانية تعني "دفة السّفينة". والسّفينة رمز إلى الكنيسة المقدّسة. وهو كتاب ألفه راهبان جمعاً فيه كافة القوانين الكنسيّة - قوانين الرُّسل، وقوانين المجامع المسكونيّة، والمكانيّة، وقوانين الآباء - بنصوصها اليونانيّة القديمة، وفسّرها باللغة اليونانيّة الحديثة. وروّج تحت إشراف المجمع المقدّس لكنيسة القسطنطينيّة، وطُبع في بداية القرن التّاسع عشر، أي سنة ١٨٠٠م بواسطة راهب من جبل آتوس. ثمّ تُرجم إلى الإنجليزيّة سنة ١٩٠٨م، وانتشرت هذه التّرجمة سنة ١٩٥٧م.

يرتّموا مزامير وصلوات ويحرقوا البخور، يركعون ثلاثاً حتى يمكنهم تناول الجسد بالنفس لا باليد. ثم يأخذون الكأس وفيها خمر وماء، ويشربون منها لغسل فمهم. ويردّد مثل هذا الشرح في حياة لوقا الذي نسك في جبل ستيريون، وأخذ إذناً بذلك من متروبوليت كورنتوس<sup>(٨٧)</sup>.

وكان يُمنع من الشّركة أي التناول من الأسرار المقدّسة كل من يتغيّب عن الكنيسة ثلاثة أحاد متوالية. فالقدّيس الأسقف هوسبيوس أسقف قرطبة يذكر في القانون رقم (١١) بجمع سرديقة الذي عُقد ما بين سنة ٣٤٣ و٣٤٤ م ما يلي: "أنتم تذكرون أنه في الزّمن السّابق قد حدّد أبأؤنا أن أي عامي يقيم في مدينة، ولا يحضر العبادة الإلهية ثلاثة أحاد متوالية (أي مدّة ثلاثة أسابيع كاملة) يُمنع من الشّركة".

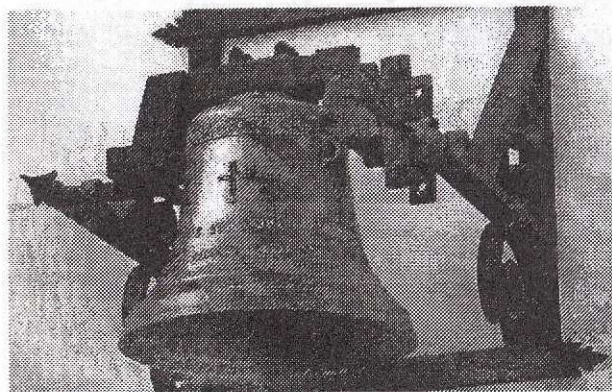
وعاد القانون رقم (٨٠) بجمع ترولو المنعقد سنة ٦٩٢ م، ليؤكد على هذا المبدأ قائلاً: "أي أسقف أو كاهن أو شماس أو أي إكليريكسي أو عامي لا يذهب إلى الكنيسة مدّة ثلاثة أحاد وأسابيع متوالية، مع وجوده في المدينة، وبدون أن يكون له عذر ضرورة قاهرة، أو عوارض مانعة، فليسقط إن كان إكليريكياً، وليقطع إن كان عامياً".

وأخيراً أوردُ هنا جزءاً من الخطاب الأخير الذي ألقاه القدّيس مقاريوس الكبير على أولاده قبل نياحته، يقول لهم:

[يا أولادي؛ أنا أعطيت وصيّتي لكل واحد منكم، أن لا يدنو من الأسرار المقدّسة إلا وهو مستبرئ نفسه (بحاكمها فيجدها بريئة)، أمّا إذا كان بينه وبين أخيه وجد (حقد) فليمض إليه، ويصالح قلبه، ويضرب له ميطنانية (توبة واستغفار). وبعد ذلك يتناول من الأسرار الطاهرة، عالين أن محبة الإخوة، ومصالحة

قلوبهم بعضهم نحو بعض هي النعمة كل النعمة، وهي العبادة، وهي الملكوت ... فاحترسوا يا أولادي وتحفظوا، حتى لا يتقدّم أحد إلى الأسرار المقدّسة، وهو في شك بسبب من الأسباب، لئلا يهلك وهو لا يدري<sup>(٨٨)</sup>.

أنت الذي وضعنا حياتنا عندك يارب،  
أيها الربّ الذي يملأ الكل،  
احفظنا في كل موضع نحضر فيه،  
والخشوع الذي صار لنا بالصلاة وطيب القلب في العمر المستقيم،  
احفظهما لنا بلا سارق ولا ندم،  
لكي في كل زمان وكل مكان ننظر إليك،  
ونسلك فيما يرضيك وما تهواه<sup>(٨٩)</sup>.



٨٨- الأب مني المسكين، الرهبنة القبطية، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م، ص ١١٦، ١١٧  
٨٩- صلاة في ختام القُدَّاس المرقسي.

الملحق الأول

نص خولاجي القديس سراييون

أسقف قمويس

من القرن الرابع الميلادي

## تعهد

صار القديس سراييون Serapion أباً لجماعة رهبانية قبل أن يصبح أسقفاً لثمويس Thmuis (تمى الأמיד<sup>(١)</sup>) بالوجه البحري سنة ٣٣٤ تقريباً. ويصفه المؤرخ سوزومين (أوائل القرن الخامس) بأنه أسقف متميز لسبب قداسته العجيبة، وقوة فصاحته<sup>(٢)</sup>. ويقول عنه القديس جيروم (٣٤٢-٤٢٠م) في كتابه "مشاهير الرجال" إنه نال لقب "المعلم" لسعة علمه<sup>(٣)</sup>.

وهو صديق مقرب للقديس أنبا أنطونيوس أب الرهبان الذي استأمنه على رؤاه. وقد أهداه القديس أنطونيوس عند انتقاله واحدة من فروتي حروف كانتا له، كما أهدى الثانية إلى البابا أثناسيوس الرسولي.

وهو واحد من الذين أرسل إليهم البابا أثناسيوس واحدة من أهم رسائله العقيدية وهي عن الروح القدس. ويدعوه في رسالته الفصحية التي كتبها سنة ٣٣٩م "الأخ الحبيب وزميلنا في الخدمة"، مما يعني أنه صار أسقفاً قبل هذا التاريخ.

١- وهي تقع على بعد حوالي عشرة كيلومترات إلى الشمال الشرقي من مدينة السبلاوين بمحافظة الدقهلية.

2- Hist. eccl., 4:9

3- De viris illustribus, 99.

وفي سنة ٣٥٦م أوفده البابا أثناسيوس مع أربعة أساقفة آخرين وثلاثة كهنة إلى بلاط الإمبراطور قسطنطينوس لتفنيد وشايات جماعة أريوس، ولكي يهدئوا من ثورة الإمبراطور.

ولقد أبعده القديس سرايون عن كرسيه بأمر هذا الإمبراطور عينه، وتحمل عذابات وآلاماً في مدّة أسقفية أهله لأن يكون واحداً من مصاف "المعترفين". أما تاريخ نيافته فغير معروف بالتحديد، ويُظن أنه خريف سنة ٣٥٩م أو سنة ٣٦٢م.

وللقديس سرايون عدّة مؤلفات هي<sup>(٤)</sup>:

- ضد المانيين.
- رسالة إلى إدوكسيوس الأسقف.
- رسالة إلى الرهبان.
- شذرة من الرسالة رقم ٢٣.
- أجزاء من الرسالة رقم ٥٥.
- شذرة من عظة على التبتوية.
- أجزاء من رسالة إلى الأساقفة المعترفين.
- أجزاء غير محدّدة.
- رسالة إلى تلاميذ أنطونيوس.
- أجزاء من تعليقات على سفر التكوين.
- الإفخولوجيون (الحولاجي).
- شذرة وردت عند إفاجريوس البنطي.

أمّا المؤلفات التي ثبت عدم صحّة نسبتها إليه فهي:

• عن الآب والابن.

٤- الوصف الكامل لهذه المؤلفات تجده في كتاب: "فهرس كتابات آباء كنيسة الإسكندرية، الكتابات اليونانية"، للمؤلف، القاهرة، يناير، ٢٠٠٣م.



- سيرة مقاريوس الإسقيطي.
- حياة أنطونيوس المتوحّد.
- حياة بيشوى المتوحّد.
- حياة يوحنا النعمدان.

### خولاجي سراييون — EΥΧΟΛΟΓΙΟΝ ΣΑΡΑΠΙΩΝΟΣ

أمّا خولاجي سراييون فهو ذو أهميّة بالغة، وهو يعدّ من أشهر الآثار الليتورجيّة. ويضم هذا الإفخولوجيون ٣٠ صلاة تعود إلى ما قبل سنة ٣٥٠م، من بينها ١٨ صلاة تختص بصلاة الإفخارستيا، و٧ صلوات للمعموديّة والميرون، و٣ صلوات للرّسامات الكنسيّة، وصلتان لتبريك الزيت والصلاة على الميت.

أما اسم سراييون فقد وُجد في نهاية الصلّتين الأولى والخامسة عشر.

وقد حفظ نص هذا الإفخولوجيون في مخطوط وحيد فريد يعود إلى القرن السابع عشر اكتُشف في مكتبة دير لورا Laura بجبل آثوس، ولم يعرفه ميني Migne، ولذلك لم يضمّنه في مجموعته اليونانيّة PG.

وإثر اكتشافه، سرعان ما حقّقه العالم الألماني فوبرمين G. Wobbermin ونشره بالألمانيّة في مدينة لايبزج Leipzig سنة ١٨٩٨م في مجموعة الدّراسات الآبائيّة المدعوة: "نصوص وأبحاث في تاريخ الأدب المسيحي القديم (TU)"، تحت عنوان: "قطع ليتورجيّة مسيحيّة عريقة من كنيسة مصر، بالإضافة إلى رسالة عقائديّة لسراييون أسقف ثمويس".

G. Wobbermin, *Altchristliche liturgische Stücke aus der Kirche Aegyptens nebst einem dogmatischen Brief des Bischofs Serapion von Thmuis*, Texte und Untersuchungen zur Geschichte der

altchristlichen Literatur, (TU 17, 3b), Leipzig, 1898.

كما نشره العالم برايمان F.E. Brightman في لندن سنة ١٩٠٠م في  
”مجلة الدراسات اللاهوتية“ (JThS) (٥).

F.E. Brightman, *The Sacramentary of Serapion of Thmuis*, The Journal of Theological Studies. Vol. 1, London, 1900, p. 88-113 ; 247-277.

كما نشره أيضاً العالم فونك F.X. Funk سنة ١٩٠٥م في كتابه  
الشهير: ”الدسقولية والمراسيم الرسولية“.

F.X. Funk, *Didascalia et Constitutiones Apostolorum II*, Paderbon, 1905, p. 158-195.

كما حققه ونشره العالم جونسون M.E. Johnson في روما سنة  
١٩٩٥م في مجموعة ”مختارات من الشرق المسيحي - Orientalia  
Christiana Analecta (OCA)“، تحت عنوان: ”صلوات سراييون  
أسقف تمويس: تحليل أدبي وليتورجي ولاهوتي“.

M.E. Johnson, *The Prayers of Sarapion of Thmuis. A Literary, Liturgical and Theological Analysis*, OCA 249, Roma, 1995, p. 46-80.

أما نصّه اليوناني المحقق فمُنشور في مكتبة الآباء اليونان.

Βιβλιοθηκῆ Ἑλλήνων Πατέρων, καὶ ἐκκλησιαστικῶν  
συγγραφέων, Ἀθήναι (ΒΕΠ).

نقلًا عن نشرة العالم برايمان F.E. Brightman السابق الإشارة إليها.

## نص خولاجي سراييون

(١)

### الصَّلَاةُ الأُولَى لِيَوْمِ الأَحَدِ<sup>(٦)</sup>

Εὐχή πρώτη Κυριακῆς

- ١- نتوسَّلُ إِلَيْكَ يَا أبا الابنِ الوَحِيدِ، رَبَّ الكُلِّ، مِبدَعِ الخَلَائِقِ وَجَاهِلِ الكَائِنَاتِ. إِلَيْكَ يَا رَبِّ نَبسُطُ أَيْدِينَا التَّقِيَّةَ وَنَرَفَعُ أَفْكَارِنَا نُحُوكَ.
- ٢- وَنَتَضَرَّعُ إِلَيْكَ أَنْ تَتَرَأَفَ عَلَيْنَا، وَتَشْفِقَ عَلَيْنَا، وَتَحْسِنَ إِلَيْنَا، وَتَهَبِنَا مَا هُوَ أَفْضَلُ، وَتَنمِينَا فِي الفُضِيلَةِ وَالإِيمَانِ وَالمَعْرِفَةِ.
- ٣- أَطَّلِعْ عَلَيْنَا يَا رَبِّ<sup>(٧)</sup>، فَنُحُوكَ نَرَفَعُ ضَعْفَاتِنَا. اغْفِرْ لَنَا جَمِيعاً وَارْحَمْنَا مَعاً. ارْحَمْ هَذَا الشَّعْبَ، وَأَحْسِنْ إِلَيْهِ، وَاجْعَلْهُ حَلِيماً حَكِيماً طَاهِراً. وَأَرْسِلْ قُوَّاتِ مَلَائِكَتِكَ لِكِي يَصِيرَ شَعْبُكَ هَذَا كَلِمَةً مَقْدَّساً وَقوراً.
- ٤- أَطْلُبُ إِلَيْكَ أَنْ تَرْسِلَ رُوحَكَ القُدُّوسَ إِلَى عَقْلِنَا، وَتَنعِمَ لَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ الكُتُبَ الإلهِيَّةَ مِنَ الرُّوحِ القُدُّوسِ، وَنَفَسِّرَهَا بِطَهَارَةٍ وَاسْتِحْقَاقٍ، لِكِي يَسْتَفِيدَ مِنْهَا كُلُّ شَعْبِكَ الحَاضِرِ (هَهِنَا)<sup>(٨)</sup> بِابْنِكَ الوَحِيدِ يَسُوعَ المَسِيحِ فِي الرُّوحِ القُدُّوسِ، الَّذِي بِهِ لَكَ المَجْدُ وَالمَقْدَرَةُ الآنَ وَإِلَى كُلِّ آبَادِ الدُّهُورِ. آمِينَ.

٦- وَيبدو من نصّها أنّها صلاة قبل العظة.

٧- مزمور ٤:١٠٥

٨- ما بين القوسين من عندي لتوضيح النص.

(٢)

## صلاة بعد القيام من العظة

Μετὰ τὸ ἀναστῆναι ἀπὸ τῆς ὁμιλίας εὐχῆ

١- يا الله المخلص<sup>(٩)</sup>، إله الكل، رب وخالق الجميع، وأبا الابن الوحيد، يا من ولدت صورتك<sup>(١٠)</sup> الحية والحقيقية، وأرسلته لمنفعة جنس البشر، يا من به دعوت واقتنيت البشر.

٢- نتوسّل إليك من أجل هذا الشعب، أن ترسل إليه روحك القدوس، وليفتقده الرب يسوع، ليتحدّث إلى أذهان الجميع، ويهيئ القلوب للإيمان، وليجتذب إليك النفوس يا إله المراحم.

٣- اقتن لك أيضاً شعباً في هذه المدينة، واجعله قطعياً مخلصاً، بابنك الوحيد يسوع المسيح في الروح القدس، الذي به لك المجد والقدرة، الآن وكل آباد الدهور، آمين.

(٣)

## صلاة لأجل الموعوظين

Εὐχῆ ὑπὲρ τῶν κατηχομένων

١- يا معين ورب الجميع، ومحرّر المسبيين، حامى المفدين، ورجاء من صاروا تحت رعاية يدك<sup>(١١)</sup> القديرة. أنت الذي قد نزعنا الإثم. يا من أبدت الشيطان<sup>(١٢)</sup> بابنك الوحيد، وأبطلت حيله<sup>(١٣)</sup>، وعتقت<sup>(١٤)</sup>

٩- مزمور ٩:٢٦

١٠- عبرانيين ٣:١

١١- ١ بطرس ٥:٥

١٢- عبرانيين ١٤:٢

المقيدين به.

٢- نشكرك من أجل الموعوظين، لأنك قد دعوتهم بابتك الوحيد،  
ومنحتهم معرفتك.

٣- من أجل هذا تتوسّل إليك، تبتّهم في المعرفة، لكي يعرفوك أنت  
الإله الحقيقي الوحيد، ويسوع المسيح الذي أرسلته<sup>(١٥)</sup>. وليحفظوا في  
التعاليم (التي تعلموها) في عقل ظاهر، ولينموا حتى يصيروا مستحقين  
لغسل الميلاد الثاني<sup>(١٦)</sup>، والأسرار المقدّسة بابتك الوحيد يسوع المسيح في  
الروح القدس الذي به لك المجد والقدرة، الآن وكل آباء الدهور. آمين.

(٤)

## وضع اليد على الموعوظين

Χειροθεσία Κατηχουμένων

١- نيسط أيدينا يارب ونتوسّل أن تمد يدك الإلهية والمحيية،  
لتبارك هذا الشعب، لأنهم قد أحنوا رؤوسهم لك أيها الآب غير  
المولود بابتك الوحيد.

٢- بارك هذا الشعب ببركة معرفة وتقوى، ببركة أسرارك، بابتك  
الوحيد يسوع المسيح، الذي به لك المجد والقدرة في الروح القدس، الآن  
وإلى كل آباء الدهور. آمين.

١٣- ١ يوحنا ٣: ٨

١٤- لوقا ١٣: ١٦

١٥- يوحنا ١٧: ٣

١٦- كولويسي ٢: ٧

(٥)

## صلاة لأجل الشعب

Εὐχὴ ὑπὲρ λαοῦ

١- نعترف بك يا الله محب البشر، ونطرح أمامك ضعفاتنا،  
وتتوسّل إليك أن تكون أنت قوّتنا.

٢- اغفر لنا خطايانا الماضية، واصفح عن كل زلاتنا السّابقة،  
وصيّرنا خليقة جديدة<sup>(١٧)</sup>.

٣- واجعلنا أيضاً عبيداً أوفياءً وأنقياء، مكرّسين أنفسنا لك. اقبلنا  
إليك يا إله الحق<sup>(١٨)</sup>، واقبل إليك هذا الشعب، وأعطه أن يصير كله  
مخلصاً، وامنحه كله أن يسلك بطهارة وبلا لوم، ليصيروا في رفقة  
السّمائيين، وليحسبوا مع الملائكة، ويكونون جميعهم مختارين وقدّسين.

٤- تتوسّل إليك من أجل الذين قد آمنوا، وقد عرفوا الرّب يسوع  
المسيح، ليثبتوا في الإيمان<sup>(١٩)</sup> والمعرفة والتّعليم.

٥- تتوسّل إليك من أجل كل هذا الشعب، كن متصالحاً مع  
الجميع، وأعلن ذاتك لهم، وأظهر نورك ليعرفك الكل أنك أنت الآب غير  
المولود، وابنك الوحيد يسوع المسيح<sup>(٢٠)</sup>.

٦- تتوسّل من أجل جميع الرؤساء (الحكّام) لتكون لهم حياة سلاميّة  
من أجل راحة الكنيسة الجامعة.

١٧- أفسس ٤: ٢٤

١٨- مزمو ٣٠: ٦

١٩- كولوسي ٢: ٧

٢٠- يوحنا ١٧: ٣

٧- تنوسّل إليك يا إله الرأفات من أجل الأحرار والعميد، رجالاً ونساء، شبوحاً وأطفالاً، فقراء وأغنياء. أظهر صلاحك للجميع، واشمل الكلّ بتحننك. تراءف على الجميع، وأنعم على الكلّ بتحوّلهم نحوك.

٨- نسألك من أجل المسافرين، أنعم لهم بأن يرافقهم ملاك سلام كي لا يصيبهم أي ضرر بسبب أي أمر، حتى يتمّموا سفرهم بالبحر والبر بفرح كثير.

٩- نسألك من أجل المتضايقين والمقيدين والمساكين. أرح كل أحد، واعتقهم من القيود، وأنقذهم من فقرهم. عزّمهم جميعاً أيها المعزي والمشجّع.

١٠- نسألك من أجل المرضى، أنعم لهم بالصحة، وأقمهم من المرض، واجعلهم أن يكونوا في صحّة تامة جسداً ونفساً.

١١- لأنك أنت هو المخلّص وصانع الخير ورب وملك الجميع. ونسألك من أجل الجميع بابنك الوحيد يسوع المسيح، الذي به لك المجد والقدرة في الرّوح القدس، الآن وإلى كل آباد الدّهور. آمين.

(٦)

## وضع اليد على العلمانيين (أي الشعب)

Χειροθεσία λαϊκῶν

١- لتمتد يد الابن الوحيد، اليد المحيية الطاهرة على رؤوس هذا الشعب. (اليد) المنقيّة من كل الشّرور، والموطّدة والحامية لكل القدسات.

٢- فليبارك هذا الشعب ببركة الرّوح، ببركة السّماء، ببركة الأنبياء والرّسل. لتبارك أجساد هذا الشعب بالعفة والطّهارة. لتبارك نفوسهم لتتعليم والمعرفة والأسرار. لتبارك الجميع معاً بابنك الوحيد يسوع

المسيح، الذي به لك المجد والقدرة في الرُّوح القُدُس، الآن وإلى كل  
آباد الدُّهور. آمين.

(٧)

### صلاة لأجل المرضى

Εὐχὴ περὶ νοσοῦντων

١ - نسألك أنت المدبِّر والرَّب، جابل الجسد وخالق النَّفس، ومتعهِّد  
الإنسان. مدبِّر ومرشد ومخلِّص كل جنس البشر. مصالِح ومهدئ (الكُل)  
بسبب محبَّتكَ للبشر.

٢ - تحنُّن أيها السيِّد، أعن واشف جميع المرضى. انتهر الأمراض.  
أنهض المطروحين. أعط مجداً لاسمك القُدُّوس، بابنك الوحيد يسوع  
المسيح، الذي به لك المجد والقدرة في الرُّوح القُدُس، الآن وإلى كل آباد  
الدُّهور. آمين.

(٨)

### وضع اليد على المرضى

Χειροθεσία νοσοῦντων

١ - أيها الرَّبِّ إله الرِّفَات، أبسط يدك، وأنعم بشفاء كل المرضى.  
وأنعم أن توَهِّلهم للصِّحة. أعتقهم من المرض المُشْتد عليهم، وليُشفوا  
باسم ابنك الوحيد. وليكن اسمه القُدُّوس دواءً لهم للصِّحة والسَّلَامة  
الكاملة، لأنه به لك المجد والقدرة في الرُّوح القُدُس، الآن وإلى كل آباد  
الدُّهور. آمين.



(٩)

## صلاة لأجل الثمار

Eὐχὴ ὑπὲρ καρποφορίας

١- يا خالق السَّماء والأرض، يا من زَيَّن السَّماء بجوقة من الكواكب، وأضاءها بالنجوم، وكَرَّمت الأرض بالثمار لفائدة البشر، وأنعمت لجنس البشر الذي جبلته ليتمتع ببريق وضوء النجوم من فوق، ويتغذى بثمار الأرض من تحت.

٢- نتوسَّل إليك أن تعطي أمطاراً غزيرة مخصبة، واجعل الأرض أيضاً مثمرة ذات خصوبة وفيرة من أجل محبَّتكَ للبشر وصلاحك<sup>(٢١)</sup>.

٣- اذكر الذين يدعونك. أكرم كنيستك المقدَّسة الوحيدة الجامعة. واستجب سؤالاتنا وصلواتنا، وبارك كل الأرض بابنك الوحيد يسوع المسيح، الذي به لك المجد والقدرة في الرُّوح القُدُّس وإلى كل آباد الدُّهور. آمين.

(١٠)

## صلاة من أجل الكنيسة

Eὐχὴ περὶ τῆς ἐκκλησίας

١- أيها الرَّبُّ إله الدُّهور<sup>(٢٢)</sup>، إله الأرواح العاقلة<sup>(٢٣)</sup>، إله النُّفوس الطاهرة، وكل الذين يدعونك بإخلاص ونقاوة. يا من تظهر ذاتك في السَّماء، وتعرِّفها للأرواح الطاهرة. أنت المنسَّب على الأرض، والسَّاكن

٢١- تيطس ٤:٣

٢٢- حكمة سيراخ ١٧:٣٦

٢٣- عدد ٢٢:١٦

في الكنيسة الجامعة. الذي تخدّمه الملائكة المقدّسون، والثّفوس الطّاهرة. جعلت أيضاً من السّموات جوقة حيّة لتمجيد وتسييح الحق.

٢- أعط هذه الكنيسة أن تكون كنيسة حيّة طاهرة، امنحها قوّة إلهيّة، وليخدمها ملائكة أطهار، كي تقدر أن تسبّحك بطهارة.

٣- نطلب من أجل كل شعب هذه الكنيسة، لتتصلح مع الجميع، وتصفح عن الكل، وتمح الكل غفران الخطايا. وأنعم لهم ألا يخطئوا بعد. كن حصناً لهم، وبدد (عنهم) كل تجربة.

٤- ارحم الرّجال والنّساء والأطفال، وأظهر ذاتك في الجميع. ولتنقش معرفتك في قلوبهم<sup>(٢٤)</sup>، بابنك الوحيد يسوع المسيح، الذي به لك انجد والقدرة في الرّوح القدس، الآن وإلى كل آباد الدّهور. آمين.

(١١)

## صلاة من أجل الأسقف والكنيسة

Eὐχή ὑπὲρ ἐπισκόπου καὶ τῆς ἐκκλησίας

١- ندعوك أنت المخلص والرّب، إله كل جسّد ورب كل روح<sup>(٢٥)</sup>. أيها المبارك<sup>(٢٦)</sup>، ومانح كل بركة، قدّس هذا الأسقف، واحفظه من كل تجربة، وأعطه حكمة ومعرفة. ساعده في معرفة سبلك.

٢- ونسألك أيضاً من أجل الكهنة رفقاءه<sup>(٢٧)</sup>، قدّسهم وأعطهم حكمة ومعرفة، وتعليماً مستقيماً. اجعلهم أن يخدموا<sup>(٢٨)</sup> تعاليمك

٢٤- مزمو ٨٥: ١٥

٢٥- عدد ١٦: ٢٢

26- τὸν εὐλογητὸν.

27- συμπρεσβυτέρων

28- πρεσβεύειν.

المقدّسة باستقامة وبلا لوم.

٣- وقدّس أيضاً الشّماسمة، ليكونوا أنقياء القلب والجسد، ولكي يقدرُوا أن يخدموا بضمير طاهر<sup>(٣٩)</sup>، ويقفوا بجانب الجسد المقدّس والدمّ الكريم.

٤- ونسأل من أجل الإيودياكونين والأغنسطسين والمفسّرين. نبيح كل خدام الكنيسة، وأعط الجميع رحمة ورافة، ونمواً روحياً.

٥- نتوسّل من أجل المتوحّدين، ومن أجل البتوليين، ليتّمموا سعيهم<sup>(٣٠)</sup> بلا لوم، وحياتهم بمثابة، لكي يستطيعوا أن يقضوا كل أيامهم في نقاوة وقداسة<sup>(٣١)</sup>.

٦- وارحم أيضاً كل الذين قد تزوّجوا، الرّجال والنساء<sup>(٣٢)</sup> والأطفال. وأعط الجميع بركة النّمو والتّقدّم كي يصير الجميع أناساً أحياء ومختارين، بابتك الوحيد يسوع المسيح، الذي به لك المجد والقدرة في الرّوح القدّس، الآن وإلى آباد الدهور. آمين.

(١٢)

## صلاة إحناء الرّكب

Eὐχὴ γονυκλισίας

١- يا أبا الابن الوحيد، الصّالح الرّعوف الرّحيم محب البشر، ومحب النّفس<sup>(٣٣)</sup>. أيها المحسن لكل الذين يتطلّعون إليك، اقبل طلبتنا هذه،

٢٩- ١ تيموثاوس ٩:٣ ؛ ٢ تيموثاوس ٣:١

٣٠- ٢ تيموثاوس ٧:٤

٣١- مزمو ١٥:٨٥

٣٢- τὰ γυναῖα أي النّساء صغيرات السنّ.

٣٣- حكمة سليمان ٢٦:١١

وامنحنا معرفة وإيماناً وتقوى وقداسة.

٢- أبطل كل ألم الشهوة، وكل عاطفة شريرة، وكل خطيئة في هذا الشعب. واجعل الجميع أن يصيروا أطهاراً، واصفح للجميع عن زلاتهم.

٣- لأننا نحني ركبتنا لك يا ربنا لك يا ربنا لك يا ربنا، أنت الآب غير المولود. امنحنا فكراً<sup>(٣٤)</sup> مقدساً وسنداً حتى النهاية. هب لنا أن نبحث عنك، وأن نحبك، وأعطنا أن نفتش ونبحث باجتهاد في أقوالك الإلهية. مد إلينا يدك أيها السيد وأقمنا.

٤- أهضنا يا إله الرافات، واجعلنا أن نرفع أنظارنا إلى فوق. اكشف عن أعيننا. أنعم لنا بالثقة. لا تسمح أن نخزي أو نرتبك<sup>(٣٥)</sup>، ولا نلوم أنفسنا.

٥- فرّق الصك (كتاب يد) الذي ضدنا<sup>(٣٦)</sup>. اكتب أسماءنا في سفر الحياة<sup>(٣٧)</sup>. أحسبنا مع أنبيائك ورسلك القديسين<sup>(٣٨)</sup>، يا ربنا الوحيد يسوع المسيح، الذي به لك المجد والقدرة في الروح القدس، الآن وإلى كل آباد الدهور. آمين.

٣٤- فكراً أي νοῦν من الاسم νοῦς وهو التعبير الذي يعني عند آباء الكنيسة: القلب أو الفكر الروحي الداخلي، وليس مجرد الفكر العقلي.

٣٥- من الفعل δυσοπείω أي "يرتبك - يضطرب - يخجل".

٣٦- كولوسي ١٤:٢

٣٧- فيلي ٣:٤ ؛ رؤيا ١٣:٨

٣٨- أفسس ٥:٣

(١٣)

## صلاة التَّقدمة للأسقف سراييون

Εὐχή προσφορᾶς Σεραπίωνος ἐπισκόπου

- ١ - مستحقٌ ومستوجبٌ أن نَسبِّحَكَ ونرتِّل لك ونعجِّدَكَ، أنتَ غير المولود، أبا الابن الوحيد يسوع المسيح.
- ٢ - نَسبِّحَكَ أيها الإله غير المولود، غير المفحوص، غير الموصوف، غير المدرك من كل طبيعة مخلوقة.
- ٣ - نَسبِّحَكَ أنتَ الذي يعرفك ابنك الوحيد<sup>(٣٩)</sup>، والذي أحبر الخليقة<sup>(٤٠)</sup> عنك، وأظهرك لها، وعرفها بك.
- ٤ - نَسبِّحَكَ أنتَ الذي تعرف الابن وتكشف<sup>(٤١)</sup> أمجاده للقديسين. أنتَ الذي يعرفك ويراك الكلمة المولود منك، ويظهرك للقديسين.
- ٥ - نَسبِّحَكَ أيها الآب غير المنظور، مانح الخلود. أنتَ مصدر الحياة<sup>(٤٢)</sup>، وينبوع الثور، وينبوع كل نعمة وكل حق<sup>(٤٣)</sup>. يا محب البشر ومحب الفقير والمصالح للكُل، ومجتذب الجميع إليه بمحبي ابنك الحبيب<sup>(٤٤)</sup>.
- ٦ - نتوسَّل إليك، اجعلنا أناساً أحياء. امنحنا روح استنارة، لكي نعرفك أنتَ (الإله) الحقيقي، ويسوع المسيح الذي أرسلته. امنحنا الرُّوح

٣٩- لوقا ١: ٢٢

٤٠- حرفياً: τῆ γενετῆ φύσει "الطبيعة المولودة".

٤١- متى ١٦: ١٧

٤٢- إرميا ٢: ١٣

٤٣- ايوحنا ١: ١٤

٤٤- يوحنا ١٢: ٣٢

- القُدُس لكي نقدر أن نعلن عن أسرارك التي لا توصف، ونخبر بها.
- ٧- ليتكلم فينا الرب يسوع والروح القدس، ويسبحناك بواسطتنا.
- ٨- لأنك أنت فوق كل رئاسة وسلطان وقوة وسيادة، وكل اسم يُسمى ليس فقط في هذا الدهر بل أيضاً في الآتي<sup>(٤٥)</sup>.
- ٩- أنت الذي يقف حولك ألوف ألوف، وربوات ربوات<sup>(٤٦)</sup> الملائكة ورؤساء الملائكة، والعروش، والرَّبوبيات، والرئاسات، والسلاطين. أنت هو الذي يقف حولك السِّرافان المكرَّمان جداً ذوو السِّتة أجنحة. يمنحان يغطيان الوجه، وباتنين يغطيان الرِّجلين، ويطيَّران باتنين<sup>(٤٧)</sup>. ويقدسانك. اقبل أيضاً تقديسنا قائلين معهم:
- ١٠- قدوسٌ قدوسٌ قدوسٌ رب الصِّباؤوت، السَّماء والأرض مملوءتان من مجدك.
- ١١- السَّماء والأرض مملوءتان من مجدك المهبوب جداً<sup>(٤٨)</sup>. يارب القوَّات<sup>(٤٩)</sup>، املاً أيضاً هذه الذبيحة بقوَّتكَ وبمشاركتك، لأننا قدَّمنا<sup>(٥٠)</sup> هذه الذبيحة الحيَّة<sup>(٥١)</sup>، والتَّقدمة غير الدَّمويَّة.
- ١٢- إليك قدَّمنا هذا الخبز مثال جسد الابن الوحيد. هذا الخبز هو مثال الجسد المقدَّس، لأن الرَّب يسوع المسيح في اللَّيلة التي أُسلم فيها، أخذ خبزاً وكسر، أعطى تلاميذه قائلاً: خذوا كلوا، هذا هو جسدي

٤٥- أفسس ٢١:١

٤٦- دانيال ٧:١٠

٤٧- إشعياء ٦:٢

٤٨- بطرس ١:١٧

٤٩- مزمور ٨٣:٢

٥٠- "قدَّمنا" προσηνέγκαμεν في الزَّمن الماضي. وأصل الفعل هو

προσφέρω أي "يقدم".

٥١- رومية ١:١٢

المكسور لأجلكم مغفرة الخطايا.

١٣- لهذا نحن أيضاً قدّمنا الخبز صانعين مثال الموت<sup>(٥٢)</sup>. وتوسّل  
بهذه الذبيحة، صالحنا جميعاً، وارحمنا يا إله الحق<sup>(٥٣)</sup>.

وكما كان هذا الخبز مبعثراً فوق الجبال، وجمّع إلى واحد<sup>(٥٤)</sup>،  
هكذا أيضاً اجمع كنيسة المقدّسة من كل أمة، ومن كل كورة، ومن  
كل مدينة وقرية وبيت، واجعل منها كنيسة جامعة حيّة واحدة.

١٤- وأيضاً قدّمنا الكأس على مثال الدّم، لأن الرّب يسوع المسيح  
أخذ كأساً بعدما تعشّوا وقال لتلاميذه: خذوا اشربوا، هذا هو العهد  
الجديد، الذي هو دمي المسفوك عنكم لمغفرة الخطايا<sup>(٥٥)</sup>. ولذلك قدّمنا  
نحن أيضاً الكأس مقرّبين (إياها) على مثال الدّم.

١٥- يا إله الحق<sup>(٥٦)</sup>، فليأت كلمتك القدّوس على هذا الخبز، لكي  
يصير الخبز جسد الكلمة. وعلى هذه الكأس، لكي يصير الكأس دم  
الحق. واجعله دواء الحياة، لكي يتناول منه كل المشتركين شفاءً لكل  
مرض، ونوالاً للقوّة لكل غمو وفضيلة، وليس للذنب<sup>(٥٧)</sup>، ولا للزدرء،  
ولا للخزي يا إله الحق<sup>(٥٨)</sup>.

١٦- إننا ندعوك أنت غير المولود بابنك الوحيد في الرّوح القدّس.  
ليُرحم هذا الشّعب، وليستحق الثّموم. ولترسل ملائكة ليكونوا  
حاضرين مع الشّعب لإبادة الشّرير، ولتثبيت الكنيسة.

٥٢- رومية ٥:٦

٥٣- مزمور ٦:٣٠

٥٤- ديداخي ٤:٩

٥٥- ١ كورنثوس ١١:٢٣-٢٥؛ متى ٢٦:٢٧-٢٨؛ لوقا ٢٢:٢٠

٥٦- مزمور ٦:٣٠

٥٧- كولوسي ١:١١-٣٤

٥٨- مزمور ٦:٣٠

١٧- تتوسَّل أيضاً من أجل كل الذين رقدوا، الذين تذكّارهم هو<sup>(٥٩)</sup>: قدّس هذه النفوس، لأنك تعرف الكل. قدّس كل النفوس التي رقدت في الربّ<sup>(٦٠)</sup>، احسبهم مع كل قوّاتك المقدّسة، وأعطهم موضعاً ومسكناً<sup>(٦١)</sup> في ملكوتك.

١٨- اقبل أيضاً شكر شعبك، وبارك الذين قدّموا التّقدمات والتشكّرات، وأنعم لهم بالصّحة والسّلامة الكاملة والفرح، وكل نموّ النفس والجسد لكل هذا الشعب، بابنك الوحيد يسوع المسيح في الرّوح القدس.

كما كان ويكون، وأيضاً سيكون إلى أجيال الأجيال، وإلى كل آياد الدّهور<sup>(٦٢)</sup>.

(١٤)

بعد الصّلاة (السّابقة) يكون كسر الخبز  
وفي أثناء كسر الخبز تقال الصّلاة (الآتية)

Μετὰ τὴν εὐχὴν ἢ κλάσις καὶ ἐν τῇ κλάσει εὐχὴ

- ١- اجعلنا مستحقين هذه الشّركة (التناول) يا إله الحق<sup>(٦٣)</sup>، وامنح أجسادنا نمواً في العفة، وامنح أنفسنا فهماً ومعرفه.
- ٢- وأعطنا حكمة يا إله الرأفات بواسطة تناول الجسد والدّم، لأن

٥٩- هنا تُذكر الأسماء.

٦٠- رؤيا ١٤: ١٣

٦١- يوحنا ١٤: ٢٠

٦٢- ربما كانت هذه العبارة الأخيرة مردداً يقوله الشعب. ولكن لم يُذكر ذلك في

النّص الأصلي.

٦٣- مزموّر ٣٠: ٦



لك المجد والقدرة، بابنك الوحيد في الرّوح القدس، الآن وإلى كل أبّاد  
الدّهور. آمين.

(١٥)

### بعد توزيع (أو تناول) الخبز المكسور للإكليروس (تقال صلاة) وضع اليد على الشّعب

Μετὰ τὸ διαδοῦναι τὴν κλάσιν τοῖς κληρικοῖς χειροθεσία λαοῦ

- ١- أبسط اليد على هذا الشّعب، وأتوسّل أن تمد يد الحق. وأن تعطي بركة لهذا الشّعب بمحبّتك للبشر يا إله الرّأفات، وبالأسرار الحاضرة.
- ٢- لتبارك هذا الشّعب يد التّقوى والقدرة والحكمة والتّطهير وكل قداسة، ولتحتفظهم للنّمو والارتقاء، بابنك الوحيد يسوع المسيح في الرّوح القدس، الآن وإلى كل أبّاد الدّهور. آمين.

(١٦)

### صلاة بعد تناول الشّعب

Μετὰ τὴν διάδοσιν τοῦ λαοῦ εὐχὴ

- ١- نشكرك يا سيّد لأنك دعوت السّاقطين، وقبلت الخاطئين، وتغاضيت عن وعيدك تجاهنا، إذ بمحبّتك للبشر نزعته، وبالتّوبة أبطلتته، وبمعرفتك محوته.
- ٢- نشكرك لأنك قد أعطيتنا شركة الجسد والدّم<sup>(٦٤)</sup>.
- ٣- باركنا وبارك هذا الشّعب، واجعل أن يكون لنا نصيب في

الجسد والدم، بابنك الوحيد الذي به لك المجد والقدرة في الروح القدس،  
الآن وكل أوان وإلى كل آباد الدهور. آمين.

(١٧)

### صلاة لأجل الزيت والمياه المقدمة

Εὐχὴ περὶ τῶν προσφερομένων ἐλαίων καὶ ὕδατων

١- نبارك هذه العناصر<sup>(٦٥)</sup> باسم ابنك الوحيد يسوع المسيح،  
وندعو على هذا الماء، وهذا الزيت الذي تألم وصلب وقام وجلس  
عن يمين غير المولود<sup>(٦٦)</sup>.

٢- أنعم بقوة شافية على هذه العناصر، لكي تزول كل حمى وكل  
شيطان، وكل مرض، سواء بالشرب منها أو بالدهن بها. ولكي يصير  
تناول هذه العناصر دواءً شافياً، ودواءً للصحة باسم ابنك الوحيد يسوع  
المسيح، الذي به لك المجد والقدرة في الروح القدس، إلى كل آباد  
الدهور. آمين.

(١٨)

### وضع اليد بعد بركة الماء والزيت

Χειροθεσία μετὰ τὴν εὐλογίαὶν τοῦ ὕδατος καὶ τοῦ ἐλαίου

١- يا إله الحق<sup>(٦٧)</sup>، محب البشر. لتبق شركة الجسد والدم<sup>(٦٨)</sup> مع  
هذا الشعب. لتكن أجسادهم أجساداً حية، ونفوسهم نفوساً نقيّة.

٦٥- τὰ κτίσματα أي "الأشياء المخلوقة".

٦٦- أي الأب.

٦٧- مزمو ٣٠:٦

٦٨- ١ كورنتوس ١٠:٦

٢- امنح هذه البركة لحفظ الشَّرْكة، وليقين الشُّكر، وفرح الكُّل  
(بشركتهم) معاً. واجعلهم مختارين بابنك الوحيد يسوع المسيح في الرُّوح  
القدّس، الآن وإلى كل آباد الدُّهور. آمين.

(١٩)

### تقدّيس المياه

Ἁγίασμος ὑδάτων

١- يا ملك ورب الجميع، وخالق الكل، الذي ينعم بالخلاص لكل  
طبيعة مخلوقة. بمجيئ ابنك الوحيد يسوع المسيح. يا من أعتقت خليقتك  
بمجيئ كلمتك الذي لا يُنطق به. فالآن تطلّع من السَّماء<sup>(٦٩)</sup> أيضاً على  
هذه المياه، واملأها بالرُّوح القدّس.

٢- ليعمل فيها كلمتك الذي لا يُنطق به، ويحوّل قوّتها. وليهيئها  
أيضاً لتمتلئ بنعمتك، لكي لا يكون السرّ الذي يتم الآن باطلاً في الذين  
سيولدون من جديد، بل ليملاً بنعمتك الإلهية كل الذين يتولون ويعتمدون.

٣- يا محب البشر، صانع الخيرات. أشفق على خليقتك، خلّص  
الخليقة التي صنعتها بمينك. صوّر صورتك الإلهية الفائقة الوصف في كل  
الذين سيولدون من جديد، لكي بعد أخذهم صورتك وولادتهم من  
جديد يقدرّون أن يُخلصوا، ويستحقوا ملكوتك<sup>(٧٠)</sup>.

٤- وكما نزل كلمتك الوحيد إلى مياه الأردن، فأظهرها مقدّسة،  
هكذا أيضاً الآن فليترل في هذه المياه، ويجعلها مقدّسة وروحانية، كي لا  
يصبح المعتمدون فيما بعد لحمًا ودمًا، بل أناساً روحانيين، قادرين أن

يسجدوا لك أنت أيها الآب غير المولود، بيسوع المسيح في الرُّوح  
القُدُس، الذي به لك المجد والقدرة، الآن وإلى كل آباد الدُّهور. آمين.

(٢٠)

### صلاة من أجل المعتمدين

Εὐχὴ ὑπὲρ βαπτιζομένων

١- تتوسَّل إليك يا إله الحق<sup>(٧١)</sup> من أجل عبدك هذا، ونسأل لكي  
تَجعله مستحقاً للسَّر الإلهي، وميلادك الجديد غير الموصوف، لأنه يقرب  
لك الآن، ونقدِّمه إليك يا محب البشر.

٢- أنعم له أن يشترك في هذا الميلاد الجديد الإلهي، لكي لا يُقَاد  
فيما بعد بواسطة روح مريبك وشرير، بل أن يخدمك دائماً، ويحفظ  
وصاياك، إذ يرشده كلمتك الوحيد، لأن به لك المجد والقدرة في الرُّوح  
القُدُس، الآن وإلى كل آباد الدُّهور. آمين.

(٢١)

### صلاة بعد الجحد

Μετὰ τὴν ἀποταγὴν εὐχὴ

١- أيها الرَّبُّ ضابط الكلِّ، احتتم على موافقة عبدك هذا، تلك  
الموافقة التي قَدِّمت لك الآن. احفظ سلوكه وسيرته باستقامة لكي لا  
يخدم فيما بعد الأشرار، بل يخدم إله الحق، ويعبدك أنت خالق الجميع،  
ولكي يظهر لك كاملاً مخلصاً لك بابنك الوحيد يسوع المسيح، الذي به  
لك المجد والقدرة في الرُّوح القُدُس، الآن وإلى كل آباد الدُّهور. آمين.

(٢٢)

## صلاة لدهن المعمّدين

Εὐχή εἰς τὸ ἄλειμμα τῶν βαπτιζομένων

١- أيها السيّد محب البشر، ومحب النّفس، الرّعوف الرّحيم (٧٢)، يا إله الحقّ (٧٣)، نتضرّع إليك تابعين وواثقين بمواعيد ابنك الوحيد الذي قال: «من غفرتم خطاياهم، تغفر لهم» (٧٤)، فندهن بهذا الزيت المتقدّمين والمتقدّمات لهذا الميلاد الإلهي الجديد.

٢- نطلب لكي يمنحهم ربّنا يسوع المسيح به قوّة شافية ومثبّنة، لكي يُستعلن الزيت ويشفي من نفوسهم وأجسادهم وأرواحهم كل أثر للخطيئة والإثم، أو لسبب شيطاني. وأن يمنحهم المغفرة بنعمته الخاصة، حتى بعد أن يتعدوا عن الخطيئة يحيوا في البر. ولكيما يتجدّدوا بواسطة هذه المسحة، ويتطهّروا بالحميم، ليستطيعوا أن يقهروا سائر القوّات المهاجمة والمعاندة لهم، وخداعات هذه الحياة، ولكي يرتبطوا متّحدين بقطيع ربّنا ومخلّصنا يسوع المسيح، ويرثوا المواعيد مع القدّيسين، لأنّ به لك الجمد والقدرة في الرّوح القدس إلى كل آباد الدّهور. آمين.

(٢٣)

## صلاة بعد الدهن

Μετὰ τὴν ἄλειψιν εὐχή

١- يا محب البشر، مانح الخير، ومخلّص جميع الذين يلتجئون إليك.

٧٢- مزمور ١٥:٨٥

٧٣- مزمور ٦:٣٠

٧٤- يوحنا ٢٣:٢٠

ارحم عبدك هذا.

٢- قدہ بيمينك إلى الميلاد الجديد، وليقدہ كلمتك الوحيد في المعمودية، وليكن ميلاده الجديد مكرماً، ولا يكن باطلاً من نعمتك. ليساعده كلمتك القدوس، ويعضده روح القدس الذي يطرد ويبعد عنه كل تجربة. لأن لك المجد والقدرة بابنك الوحيد يسوع المسيح، الآن وإلى كل أباد الدهور. آمين.

(٢٤)

### صلاة بعد العماد والصعود من الماء

Μετὰ τὸ βαπτισθῆναι καὶ ἀνελθεῖν εὐχῆ

١- يا الله، إله الحق<sup>(٧٥)</sup>، خالق الجميع، ورب كل خليفة، بارك عبدك هذا ببركتك. احفظه طاهراً في ميلاده الجديد. اجعله شريكاً لقواتك الملائكية، لكي لا يكون فيما بعد جسداً بل يُدعى روحانياً، شريكاً في موهبتك الإلهية النافعة.

٢- احفظه لك إلى النهاية، أنت خالق الكل، بابنك الوحيد يسوع المسيح، الذي به لك المجد والقدرة في الروح القدس، الآن وإلى كل أباد الدهور. آمين.

(٢٥)

## صلاة للمسحة التي يُمسح بها المعمّدون

Εὐχὴ εἰς τὸ χρίσμα ἐν ᾧ χρίονται οἱ βαπτισθέντες

١- يا إله القوَّات<sup>(٧٦)</sup>، معين كل نفس تلتفت نحوك، وتكون تحت يدك<sup>(٧٧)</sup> القديرة. تتوسَّل إليك لكي يُعمل بهذه المسحة عملاً إلهياً، وسمائياً، بواسطة القوَّة الإلهية غير المنظورة لوحيدك ربَّنَا ومخلِّصنا يسوع المسيح<sup>(٧٨)</sup>.

٢- لكي يصير المعمّدون والمسحون بها مثلاً لعلامة الصَّليب الخلاصي للابن الوحيد الذي به طُرد وقهر الشَّيطان، وكل قوَّة معاندة، كمولودين ثانية ومجدِّدين بحميم الميلاد الثَّاني<sup>(٧٩)</sup>. صائرين شركاء موهبة الرُّوح القدّس<sup>(٨٠)</sup>، ثابتين بهذا الختم. ويدومون راسخين غير مزعزعين<sup>(٨١)</sup> بلا ضرر، ومصونين، أصحَّاء ومعافين، مملوئين بالإيمان ومعرفة الحق حتى النهاية<sup>(٨٢)</sup>، منتظرين رجاء الحياة السَّماوية<sup>(٨٣)</sup>، والمواعيد الأبدية لربَّنَا ومخلِّصنا يسوع المسيح<sup>(٨٤)</sup>، الذي به لك المجد والقدرة في الرُّوح القدّس، الآن وإلى كل آباد الدُّهور. آمين.

٧٦- مزمور ٨٣: ٩

٧٧- ١ بطرس ٥: ٦

٧٨- ١ بطرس ٥: ٦

٧٩- ١ تيموثاوس ٣: ٥

٨٠- أعمال ٢: ٣١، ١٠: ٤٥

٨١- ١ بطرس ٥: ٦

٨٢- ٢ تسالونيكي ٢: ١٣، ٤: ٤، ١ تيموثاوس ٤: ٤، عبرانيين ٦: ٣

٨٣- تيطس ٢: ١، ٣: ٧

٨٤- ٢ بطرس ٣: ١٨

(٢٦)

## وضع اليد لإقامة الشمامسة

Χειροθεσία καταστάσεως διακόνων

١- يا أبا الابن الوحيد، يا من أرسلت<sup>(٨٥)</sup> ابنك، ورثت الأمور على الأرض، وقد أعطيت للكنيسة قوانين وطقوساً<sup>(٨٦)</sup> لمنفعة وخلص القطعان، واخترت أساقفة وقسوساً وشمامسة<sup>(٨٧)</sup> لخدمة كنيستك الجامعة، واخترت بابنك الوحيد سبعة شمامسة، وأنعمت لهم بالروح القدس.

٢- أقم أيضاً هذا الشماس لكنيستك الجامعة، وأعطه روح المعرفة والتمييز<sup>(٨٨)</sup>، حتى يقدر أن يخدم في هذه الخدمة بين الشعب المقدس بطهارة وبلا لوم، بابنك الوحيد يسوع المسيح، الذي به لك المجد والقدرة في الروح القدس، الآن وإلى كل آباد الدهور. آمين.

(٢٧)

## وضع اليد لإقامة القسوس

Χειροθεσία καταστάσεως πρεσβυτέρων

١- نمد اليد أيها السيد إله السموات، وأبا ابنك الوحيد على هذا الرجل، ونطلب لكي يسكن فيه روح الحق<sup>(٨٩)</sup>. امنحه حكمة ومعرفة

٨٥- ١ يوحنا ٤: ١٠

٨٦- τάξεις (تاكسيس) أي "ترتيبات".

٨٧- أعمال ٦: ٥، ٦

٨٨- إشعياء ٤١: ٢؛ ١ كورنثوس ١٢: ١٠

٨٩- ١ يوحنا ١٥: ٢٦



وقلباً صالحاً، ليكن فيه الرُّوح الإلهي لكي يستطيع أن يدير شعبك ويخدم أقوالك الإلهية، ويصالح شعبك بك، أنت الإله غير المولود.

٢- يا من أنعمت بروح مقدّس من روح موسى على الذين قد اختيروا<sup>(٩٠)</sup>، امنح أيضاً الرُّوح القُدَّس لهذا (الرَّجُل) من روح ابنك الوحيد، لينعم له بالحكمة والمعرفة والإيمان المستقيم، لكي يستطيع أن يخدمك بضمير طاهر بابنك الوحيد يسوع المسيح، الذي به لك المجد والقدرة في الرُّوح القُدَّس، الآن وإلى كل أباد الدُّهور. آمين.

(٢٨)

## وضع اليد لإقامة الأسقف

Χειροθεσία καταστάσεως ἐπισκόπου

١- يا من أرسلت<sup>(٩١)</sup> الرّب يسوع لربح كل المسكونة، وبه اخترت<sup>(٩٢)</sup> الرُّسُل. ومن جيل إلى جيل رسمت أساقفة قديسين. يا إله الحق، اجعل أيضاً هذا الأسقف مملوءاً حيويةً، أسقفاً قديساً من سلالة الرُّسُل القديسين، وأعطه نعمة، (وأعطه) الرُّوح الإلهي الذي أنعمت به على كل عبيدك المخلصين والأنبياء ورؤساء الآباء.

٢- اجعله أن يكون مستحقاً أن يرعى قطيعك<sup>(٩٣)</sup>، وليظل بلا لوم ولا عثرة في أسقفيته، بابنك الوحيد يسوع المسيح، الذي به لك المجد والقدرة في الرُّوح القُدَّس، الآن وإلى كل أباد الدُّهور. آمين.

٩٠- عدد ١٧: ١١، ٢٥

٩١- يوحنا ١٧: ٣

٩٢- لوقا ٦: ١٣

٩٣- أعمال ٢٠: ٢٨

(٢٩)

## صلاة لزيت المرضى أو للخبز أو للماء

Εὐχὴ εἰς ἔλαιον νοσοῦντων ἢ εἰς ἄρτον ἢ εἰς ὕδωρ

١- ندعوك أنت صاحب كل سلطان وقوة، ومخلص جميع البشر،  
أبا ربنا ومخلصنا يسوع المسيح. تتوسّل إليك لكي ترسل من سماوات  
ابنك الوحيد قوة شافية على هذا الزيت، لكي يصير، للمدهونين به أو  
المشركين في هذه العناصر التي لك، طارداً لكل مرض وكل ضعف،  
وعلاجاً ضد كل شيطان، وإبعاداً لكل روح نجس، وطارداً لكل روح  
شرير، وماحياً لكل حمى وورعدة وكل ضعف. (حواياً) نعمة صالحة،  
ومغفرة الخطايا، ودواء للحياة والخلص، لصحة وسلامة النفس والجسد  
والروح، وتمام القوة.

٢- اجعل أيها السيد كل قوة شيطانية، وكل شيطان، وكل مشورة  
المضاد، وكل ضربة، وكل داء، وكل ألم، وكل معاناة، أو لظمة، أو  
رعشة، أو خيال شرير، تخاف من اسمك القدوس الذي دعونااه الآن،  
واسم ابنك الوحيد.

٣- ولتبتعد من داخل وخارج عبيدك هؤلاء، لكي يمجّد اسم  
الذي من أجلنا صُلب وقام، وحمل أمراضنا وضعفاتنا، يسوع المسيح،  
والذي يأتي ليدين الأحياء والأموات، لأن به لك المجد والقدرة في  
الروح القدس، الآن وإلى كل آباد الدهور. آمين.

(٣٠)

## صلاة من أجل الميت والمنقول للدّفن

Εὐχὴ περὶ τεθνεώτος καὶ ἐκκομιζομένου

١ - يا الله الذي له سلطان الحياة والموت<sup>(٩٤)</sup>، يا إله الأرواح، وسيّد كل جسد<sup>(٩٥)</sup>. يا الله الذي يميّت ويحيي، الذي يُهبّط إلى أبواب الجحيم ويُصعد<sup>(٩٦)</sup>، الذي يخلق روح الإنسان فيه<sup>(٩٧)</sup>، الذي يتسلّم نفوس القديسين وينيِّحها، الذي يبدّل ويحوّل ويغيّر (شكل) خلّاقته بحسب ما هو عادل ومفيد. أنت وحدك غير قابل للفساد، وغير متغيّر والأبدي.

٢ - نتوسّل إليك من أجل رقاد ونياح عبدك هذا (أو عبدتك هذه) نبيح نفسه وروحه في مراعيك<sup>(٩٨)</sup>، في مواضع الرّاحة مع إبراهيم واسحق ويعقوب، وجميع قديسيك. أما الجسد فأقمه في اليوم الذي رسمته كمواعيدك غير الكاذبة، لكي تعطيه أيضاً ميراثاً كاستحقاقه في مراعيك المقدّسة.

٣ - لا تذكر زلاته وخطايا<sup>(٩٩)</sup>ه، واجعل أن يكون خروجه<sup>(١٠٠)</sup> سلامياً ومباركاً. اشف أحزان المخزونين بروحك المعزي، وامنحنا جميعاً نهايةً صالحةً، بابنك الوحيد يسوع المسيح، الذي به لك المجد والقدرة في الرّوح القدّس إلى آباد الدّهور. آمين.

٩٤ - حكمة سليمان ١٦: ١٣

٩٥ - عدد ١٦: ٢٢

٩٦ - ١ ملوك ٢: ٢٤ حكمة سليمان ١٦: ١٣

٩٧ - زكريا ١٢: ٧

٩٨ - مزمور ٢٢: ٢

٩٩ - زكريا ١٢: ٧

١٠٠ - ١ بطرس ١: ١٥

## الملحق الثاني

طقس تعمير الكأس

إذا حدث له حادث

## أقدم مصادر طقسية قبطية أوردت هذا الطقس

تقول الأستاذة إيريس حبيب المصري في بحث لها عن "طقس تعمير الكأس" إن أقدم مصدر معروف لدينا عن طقس تعمير الكأس، هو ما أوردته القس أبو البركات ابن كير (+ ١٣٢٤م) كاهن كنيسة السيِّدة العذراء المعلقة بمصر القديمة، في الفصل الرابع والعشرين من كتابه "مصباح الظلِّمة وإيضاح الخدمة"<sup>(١)</sup>.

وبالبحث وجدتُ أن القس أبو البركات ابن كير (+ ١٣٢٤م) لم يدوّن هذا الطقس بنفسه في كتابه المذكور، ذلك لأن أقدم مخطوط معروف في مكتبات العالم لهذا الكتاب هو المحفوظ في مكتبة أوبسالا Upsala (السويد) تحت رقم (Vet. 12)، وهو لا يحوي شيئاً عن هذا الطقس. أما المخطوط الذي يليه في الأهمية لنفس هذا الكتاب فمحفوظ

---

1- Iris Habib almasri, *The rite of the filling of the chalice*, BSAC., t. 6 (1940), p. 77-90.

وحدير بالذكر هنا أن كتاب "مصباح الظلِّمة وإيضاح الخدمة" لشمس الرئاسة أبو البركات ابن كير (+ ١٣٢٤م) محفوظ أساساً في مخطوطين أساسيين. المخطوط الأوّل محفوظ في المكتبة الأهلية بباريس تحت رقم (Arabe 203)، ولدى صورة طبق الأصل من الجزء الثاني منه، أي الاثني عشر باباً الأخيرة منه. وأما المخطوط الثاني فمحفوظ في مكتبة أوبسالا Upsala (السويد) تحت رقم (Vet. 12). وأما المخطوط الثالث - وهو ذو قيمة أيضاً - فهو موجود في مكتبة برلين تحت رقم (Diez Aqu. 111) ولكنه لا يحوي سوى الثمانية أبواب الأولى فقط من هذا الكتاب.

في المكتبة الأهلية بباريس تحت رقم (Arabe 203)، ولدى صورة طبق الأصل من الجزء الثاني منه، أي الاثني عشر باباً الأخيرة منه<sup>(٢)</sup>، وهو لا يحوي أيضاً شيئاً عن طقس تعمير الكأس<sup>(٣)</sup>.

أمّا مكتبة الفاتيكان فهي تحوي خمس مخطوطات لهذا الكتاب، تتكلم في الباب الأخير منها - الباب الرابع والعشرين - عن طقس تعمير الكأس<sup>(٤)</sup>. واحد منها يعود إلى القرن السادس عشر، وآخر يعود إلى القرن الثامن عشر وبالتحديد سنة ١٧١٩م. وعن أحد هذه المخطوطات المحفوظة في مكتبة الفاتيكان ربما كان كلام الأستاذة إيريس حبيب المصري. فهي إذاً إضافات من نُسَخ متأخرين عن زمن القس أبو البركات ابن كبر (+ ١٣٢٤م) أضافوها على مخطوطات "مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة".

وبالإضافة إلى ما ورد عن هذا الطقس في مخطوطات "مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة" بمكتبة الفاتيكان، فلدينا مخطوطان آخران يحويان هذا الطقس، الأول منهما موجود في كنيسة العذراء قصرية الرّيحان تحت

- 
- ٢- وهي الأبواب الاثني عشر التي لم تُطبع طبعة علمية حتى الآن، مثل نظيرها الاثني عشر باباً الأولى والتي حققها ونشرها الأب سمير خليل اليسوعي في القاهرة سنة ١٩٧١م.  
 ٣- وهناك مخطوط آخر لنفس هذا الكتاب - وهو ذو قيمة أيضاً - محفوظ في مكتبة برلين تحت رقم (Diez. Aqu. 111)، ولكنه لا يحوي سوى الثمانية أبواب الأولى فقط.  
 ٤- وهذه المخطوطات هي:

Vat. ar. 623, f. 234 v.

Vat. Copt. 24, ff. 268 r. - 271 r.

Vat. Copt. 25, ff. 208 r. - 210 v.

Vat. Copt. 46 (J. 1719) ff. 207 v. - 209 v.

Vat. Copt. 49 (16. Jh) ff. 89 v. - 95 r.

Cf. Graf, G., *Geschichte der christlichen arabischen Literatur* I, Città del Vaticano, 1944, p. 646.

رقم (طقس ٧٩)<sup>(٥)</sup>، ويعود تاريخه إلى سنة ١٢٩١ ش/ ١٤١٣ م، وهو باللغتين القبطية والعربية. والمخطوط الآخر محفوظ في المتحف القبطي بالقاهرة تحت رقم (طقس ٣٣٠)<sup>(٦)</sup>. ويعود تاريخه حسب تحقيق العالم جورج جراف G. Graf إلى القرن السادس عشر.

ولقد ورد هذا الطقس أيضاً في مخطوط "الترتيب الطقسي" للبابا غبريال الخامس (١٤٠٩ - ١٤٢٧ م)، والذي طُبِعَ ونُشِرَ نشرة علمية للمرة الثانية سنة ١٩٦٤ م بواسطة الأب ألفونس عبد الله الفرنسي سكاني<sup>(٧)</sup>.

أي أنه لدينا أربعة مخطوطات أساسية أوردت هذا الطقس، وهي:

(١) مخطوطات "مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة" المحفوظة في الغاتيكان.

(٢) مخطوط كنيسة السيّدة العذراء قصرية الرّيحان.

(٣) مخطوط المتحف القبطي.

(٤) مخطوط "الترتيب الطقسي" للبابا غبريال الخامس (١٤٠٩ - ١٤٢٧ م).

ولقد طُبِعَ هذا الطقس لأول مرة بواسطة روفائيل الطّوحي (١٧٠٣ - ١٧٨٧ م) في روما سنة ١٧٣٦ م<sup>(٨)</sup>. نقلاً عن نسخة مخطوط بدير القديس أنبا مقار بربوة شيهيت، وهي نسخة تتفق مع نص مخطوط المتحف القبطي رقم (طقس ٣٣٠) والسابق ذكره مع بعض الاختلافات الطفيفة.

5- Ms. No. 79 lit. of the Kasriyat ar-Rihân Church of the virgin in old Cairo.

6- Ms. No. 330 lit. of the Coptic Museum, Old Cairo.

٧- البابا غبريال الخامس، الترتيب الطقسي، مرجع سابق، طبعة ثانية ص ١٥٠-١٥٧.

8- R. At-Tūkhī, *Book of the three Anaphora*, Rome, 1736.

وعنوان الكتاب بالقبطية والعربية، وهو في العربية هكذا: "كتاب الثلاثة قدّاسات أي الذي للقديس باسيلوس، والذي للقديس اغريغوريوس الثاؤلؤلغوس، والذي للقديس كيرلس، مع صلوات أخرى مقدّسة". ولديّ نسخة طبق الأصل من هذا الكتاب.

وظهر هذا الطقس مرّة أخرى مطبوعاً في خولاجي للثلاثة قَدَّاسَات طُبِعَ في القاهرة سنة ١٨٩٨م، ثمَّ في خولاجي آخر طُبِعَ سنة ١٩٣٢م، ثمَّ في خولاجي ثالث طُبِعَ سنة ١٩٣٦م.

ومما سبق نخلص إلى نتيجة مفادها أنه لا توجد مصادر طقسِيَّة لهذا الطُّقس أقدم أو أواخر القرن الرَّابِع عشر الميلادي أو بواكير القرن الخامس عشر الميلادي. وأن العالم الطُّقسي ابن كبر (+ ١٣٢٤م) لم يشر بنفسه إلى هذا الطُّقس.

أمَّا الملاحظة الجديرة بالاهتمام هنا فهي أن البابا غبريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٧م) حين أورد شرحاً لهذا الطُّقس في كتابه "التَّرتيب الطُّقسي"، فقد عنوانه بالعنوان التَّالي: "ترتيب تعمير الكأس إذا حدث له حادث من المتهاونين. وهذا ما وجدناه نسخة ذلك في خزانة كنيسة الأب القديس اللابس الرُّوح مقاريوس".

بالإضافة إلى أن روفائيل الطُّوحِي قد نقل هذا الطُّقس إلى الخولاجي الذي طبعه في روما سنة ١٧٣٦م نقلاً عن نسخة موجودة في دير القديس أنبا مقار بربيَّة شيهيت، فيقول في مقدِّمة شرحه لهذا الطُّقس ما يلي: "هذا ترتيب تعمير الكأس، وهو تقدم وتقديس الدَّم الكريم الذي لربَّنَا يسوع المسيح، كما وُجد في نسخة بدير القديس مقاريوس بربيَّة شيهات، أي ميزان القلوب".

فهل كان دير القديس أنبا مقار هو المصدر الذي خرج منه هذا الطُّقس وانتشر بعد ذلك في الكنائس المختلفة؟



## أسباب ممارسة طقس تعمير الكأس

أما أسباب عمل هذا الطُّقس، فهو إذا عرض للكأس عارضٌ ماء، فيفرغ ما فيه من الدَّم المقدَّس الكريم. أي إذا وُجد وقت التَّقريب فارغاً من الخمر لسبب كسر أو شق أو يكون المرفوع ماءً، أو خللاً أو زيتاً، أو شيئاً من الأدهان<sup>(٩)</sup>. أو أن يكون الخمر الذي فيه مغيّراً<sup>(١٠)</sup>.

شرح طقس تعمير الكأس بحسب "التَّرتيب الطُّقسي" للبابا غبريال الخامس، وخولاجي روفائيل الطُّوخي

خولاجي الطُّوخي	التَّرتيب الطُّقسي
<p>هذا ترتيب تعمير الكأس، وهو تقدم وتقديس الدَّم الكريم الذي لربنا يسوع المسيح، كما وُجد في نسخة بيدير القُدَّيس مقاريوس بيريّة شيهات، أي ميزان القلوب.</p>	<p>ترتيب تعمير الكأس إذا حدث له حادث من المتهاونين. وهذا ما وجدناه نسخة ذلك في خزانة كنيسة الأب القُدَّيس اللابس الرُّوح مقاريوس.</p>
<p>إذا عرض للكأس عارض ما يُذهب ما فيه، أي إذا وجد الكأس فارغ من الخمر لسبب كسر أو شق أو يكون المرفوع ماءً أو خللاً أو زيتاً أو شيئاً من الأدهان.</p>	<p>وهو إذا وُجد الكأس وقت القُربان فارغ أو يكون مرفوع ماءً أو خللاً أو زيتاً أو شيئاً من الأدهان.</p>

9- Ms. No. 79 lit.

10- Ms. No. 330 lit.

خولاجي الطُوخي	التَّرتيب الطَّقسي
الأدهان.	
فيُفرغ ما فيه بعد تغطية الجسد ووضعه على يمين المذبح.	فيُفرغ ذلك في مكان نظيف. ويجعل الصَّيْنِيَّةَ بالجسد المقدَّس الذي فيها على جانب الهيكل الأيمن، وهي مغطاة.
ويدع كاهن أو شماس فطين يتولى حراسته وييده شمعة (موقدة) <sup>(١١)</sup> .	وشماس ذو عقل يحرسها، وفي يده شمعة موقدة. أو كاهن يتولى حراستها.
ويلف الكاهن الخلدِم يديه بلفافة <sup>(١٢)</sup> مكرزة. ويقدمون قارورة الخمر بعد اختيارها ويعسكها الكاهن بيده باللفافة	ويوضع كأس مكرز فارغ إن وُجد، ويقدمون للكاهن الخلدِم وعاءً فيه الخمر. ويلف يديه بلفافة مكرزة. ويمسك الوعاء

١١- لم تذكر المخطوطات الثلاثة الأولى التي أوردت هذا الطقس وقوف الشماس  
ويده شمعة موقدة لحراسة الجسد المقدَّس الموضوع عن يمين المذبح. ولكن هذا ما  
يذكره البابا غبريال الخامس، ومعه أيضاً روفائيل الطُوخي، ومن ثم فإنهما يذكران  
ذلك بناءً عن مخطوط دير القديس أنبا مقار الذي يتقلان عنه. ولقد ذكر مخطوط  
كنيسة العذراء بقصرية الرِّيحان فقط وضع الجسد عن يمين المذبح ( BSAC., t. 6, 1940, p. 83).

١٢- يذكر روفائيل الطُوخي أن الكاهن يمسك قارورة الخمر بلفافة، وهو نفس ما  
يذكره أيضاً البابا غبريال الخامس. وحيث أنه لم يذكر غيرهما ذلك، فهما يتقلان من  
مخطوط دير القديس أنبا مقار الذي ينفرد بهذه الممارسة.

انظر: البابا غبريال الخامس، الترتيب الطَّقسي، مرجع سابق، ص ١٥٠

## خولاجي الطّوخي

ويرشمها كالعادة خمسة  
 رشوم<sup>(١٣)</sup>، ويصبّها في الكأس  
 ويمزجه بالماء ويقول الشّمّاس  
 πατηρ ἁγιος (أي: واحد هو  
 الآب القدّوس ...).

## التّرتيب الطّقسي

بيده ويرشمه قائلاً أوّل ذلك:  
 Ἦεν φραν ἡφρωτ nem  
 كاملة.

الرّشم الأوّل:  
 ἔσαρωοττ ἡχε φ†  
 φρωτ ππαπτοκρατωρ  
 αμην.

الرّشم الثّاني يقول:  
 ἔσαρωοττ ἡχε  
 πεψμομογενης ἡψηρι Ἰης  
 Πχς Πενος αμην.

ثالث رشّم:  
 ἔσαρωοττ ἡχε πιΠνα  
 εσοταβ ἡπαρακλντον .  
 ويكمل كالعادة

Οτωοτ nem οτταιο  
 ثمّ يصب الشّمّاس الخمر في  
 الكأس، ويمزجه بالماء كالعادة،  
 ويقول  
 αμην εις πατηρ  
 ἁγιος وبعدها  
 τηροτ يرثون عليه ذكصابتري.

حولاجي الطُوخي	التَّرتيب الطَّقسي
<p>ويقول الكاهن صلاة الشُّكر  <b>Σωεις</b> إلى آخره. ولا يُقال  (سوتيس)، ولكن يرثل الشَّعب  <b>Ἦοο τε</b> أو <b>Ται ψοτηρῆ</b>  (إثو تي تيشوري) إلى  آخرها.</p>	<p>ثم يقول الشبهموت كالعادة.  إلى آخرها يرثلون <b>Ται ψοτηρῆ</b>  (تاي شورى)، وبعدها  <b>τενοτωψυτ</b> (تين أوأوشت)  بلحن البولس.</p>
<p>ويغطي الكاهن الكأس  بالإبروسفارين</p>	
<p>ويرفع البُخور كالعادة خمسة  أيادي بالملعقة ويديه ملفوفة.  ويعمسك المجرمة أيضاً بلفافة<sup>(١٤)</sup>  ويقول بخور أوشية البولس وهو  واقف مكانه من غير دورة ولا  يتزل من المذبح<sup>(١٥)</sup>.</p>	<p>ويرفع الكاهن البُخور بالملعقة  خمس أيادي كالعادة. ويقول  أوشية بخور البولس، ولا يخرج  من المذبح.</p>
<p>وفي ضمن ذلك يقرأ أحد  الشَّماسمة هذا الفصل من بولس  إلى أهل كورنتوس الأولى.</p>	<p>ويقرأ أحد الشَّماسمة هذا  الفصل من رسالة بولس إلى أهل  كورنتوس<sup>(١٦)</sup>.</p>

١٤- يذكر الطُوخي وحده أن الكاهن يعمسك الشُّورية باللفافة (op. cit., 80).

١٥- يذكر مخطوط كنيسة العذراء بقصرية الرِّيحان أن الكاهن لا يخرج من الهيكل.  
op. cit., 84.

١٦- حرفياً: قورنتيه.

وهي الرِّسالة الأولى للقديس بولس الرِّسول إلى أهل كورنتوس (١١: ٢٣-٢٧).



## خولاجي الطوخي

## الترتيب الطقسي

ذلك يقول الكاهن الثلاثة أوأشي الكبار؛ أي السّلامة والبابا والاجتماعات، ثم تقال الأمانة.

ثم أوشيّة الصّلح.

يا الله سيّد الكل اجعلنا مستحقين لهذا الخلاص نحن غير المستحقين يا محب البشر، لكي نتطهّر من كل غش ومن كل مراعاة، وأن نقبل بعضنا بعضاً بقبلة مقدّسة. ونصير جسداً واحداً برباط السّلامة ومحبة ربنا يسوع المسيح.

يقول الكاهن ὁ τρεῖς ἀσπίτες الثلاثة أوأشي الكبار، السّلامة والبابا والجماعة. ويقولون الأمانة.

وبعدها يقول الكاهن هذه الصّلاة للصّلح<sup>(٢٢)</sup>.

اللّهم سيّد كل أحد، اجعلنا مستحقين لهذا الخلاص نحن غير المستحقين يا محب البشر. وظهّرنا من كل دنس ومن كل غش ومن كل فعل الخبيث<sup>(٢٣)</sup>، ومن تذكّار الظلم<sup>(٢٤)</sup> الملبس الموت. واجعلنا أهلاً كلنا يا سيّدنا أن نقبل بعضنا بعضاً بقبلة مقدّسة، لكي نصير جسداً واحداً وروحاً واحداً برباط المحبة الكامل والسّلامة التي لابنك الوحيد يسوع المسيح ربّنا.

يقول الشمّاس: صلّوا من أجل السّلام الكامل والمحبة والقبلة

٢٢- بدءاً من هنا يذكر البابا غيريال الخامس نصوص الصّلوات بالقبطيّة والعربيّة.

٢٣- وصحتها: ومن كل فعل خبيث.

٢٤- τῆς ἁγίας أي الشّر.

خولاجي الطّوخي

التّرتيب الطّقسي

الطّاهرة الرّسوليّة.

يقول الكاهن:

هذا الذي تباركت معه  
والرّوح القدّس في كل شيء صالح  
ومحيي، الآن ...

هذا الذي تباركت معه  
والرّوح القدّس المحيي المساوي  
معك الآن ...

يقول الشّمّاس:  $\Delta\sigma\pi\alpha\zeta\epsilon\sigma\theta\epsilon$  (٢٥)

يقول الشّعْب الأسيّمس:  
”ولدتَه بغير دنس، وأعطانا  
جسده ودمه الكرميّ فحيّينا إلى  
الأبد“.

ثمّ يرثّلون بالنّاقوس دمج  
 $\Delta\rho\epsilon\mu\alpha\sigma\psi\ \alpha\beta\eta\epsilon\ \theta\omega\lambda\epsilon\pi$  (٢٦).  
إلى آخر  $\Gamma\epsilon\pi\omicron\tau\omega\chi\upsilon\tau$   
 $\mu\mu\mu\kappa$  (٢٧) يقول الشّمّاس  
إبروسفارين كالعادة.

$\Delta\zeta\iota\omicron\eta\omicron\eta$  ولا يقول (الكاهن)  
 $\kappa\alpha\iota\ \delta\iota\kappa\alpha\iota\omicron\eta\omicron\eta$  بل يرفع

لا يقول الكاهن  $\Delta\zeta\iota\omicron\eta\omicron\eta\ \kappa\alpha\iota$   
 $\delta\iota\kappa\alpha\iota\omicron\eta\omicron\eta$  (٢٨) لكن يقول

٢٥- أي: قبلوا بعضكم بعضاً بقبلة مقدّسة ...

٢٦- أي: ولدتَه بغير دنس ...

هذا الأسيّمس الذي ذكره كلٌّ من البابا غبريال الخامس وروفاثيل الطّوخي،  
منقول عن مخطوط كان موجوداً بدير القدّيس أنبا مقار. أمّا مخطوط المتحف  
القبطي فقد ذكر أسيّمس آخر غيره، بدايته هي: ”أيها الإله ربّنا، اجعلنا مستحقّين  
لهذا الخلاص ...“ وهو المخطوط الوحيد - غير مخطوط أنبا مقار - الذي ذكر  
أسيّمس يقال في هذا الطّقس. (op. cit., 80).

٢٧- أي: نسجد لك أيها المسيح ...

٢٨- أي: مستحق ومستوجب.

خولاجي الطُوخي	الترتيب الطَّقسي
الإبروسفارين <sup>(٢٩)</sup> .	<b>ἩΡΗΝΗ ΠΑΣΙΝ</b> (إيريني باسي) <b>Καὶ τῷ Πνεύματι</b> يجاوبونه <b>σοῦ</b> (كي تو اينفماتي سو).
<b>Πατριῆ</b> ثم يقول (الكاهن): <b>ΟΝ ΠΙΚΕΑΦΟΤ</b> <sup>(٣٠)</sup>	ثم يقول الكاهن هذه الأوشية على الكأس بطريقة القسمة كالعادة:
ثم يقول هذه الصلوة على الكأس بطريقة القسمة:	ثم يقول الكاهن هذه الأوشية على الكأس بطريقة القسمة كالعادة:
السيد الرب يسوع المسيح الابن الوحيد، كلمة الله الأب، الذي تجسد من أجلنا بغير تغيير، وتأم بإرادته بالجسد وهو غير متألم كالإله، الذي أعطانا من جنبه الطاهر ينبوع الحياة.	السيد الرب يسوع المسيح الابن الوحيد، كلمة الله الأب، الذي تجسد من أجلنا بغير تغيير، وتأم بإرادته بالجسد وهو غير متألم كالإله، الذي أعطانا من جنبه الطاهر ينبوع الحياة.
نسأل ونرغب من صلاحك يا محب البشر، أرسل روحك القدوس على المزيج الذي في هذه الكأس.	نسأل ونرغب إلى صلاحك يا محب البشر عن هذا المزيج الذي في هذه الكأس.
ها هنا يرشم ثلاثة رشومات	

٢٩- الطُوخي وحده هو الذي ذكر أن الكاهن يضع الإبروسفارين على الكأس، ثم ذكر هنا أنه يرفعه عنه، أما البابا غريغال الخامس فلم يشر إلى ذلك.  
 ٣٠- أي: "وهكذا الكأس أيضا من بعد العشاء ... خذوا اشربوا منها كلكم فهذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يهرق عنكم وعن كثيرين، يُعطى لمغفرة الخطايا، هذا اصنعوه لذكري".



## خولاجي الطُوخي

## التّرتيب الطّقسي

على الكأس:

باركه، قدّسه، أظهره دماً  
ظاهراً لك من قبل جسّدك  
المقدّس المحيي.

يقول الشعب: آمين.

يقول الكاهن: هذا الذي  
تقدّس أولاً وكمل<sup>(٣١)</sup>. هذا أيضاً  
يارب اجعله واحداً معه، لكي  
كل من ينال منه يتطهّروا جميعاً  
في نفوسهم وأجسادهم  
وأرواحهم، ويستحقوا مغفرة  
خطاياهم. ويمجدوا اسمك  
القدّوس مع أبيك غير المولود  
والرّوح القدّس المحيي.

اجعلنا كلنا أهلاً يا سيّدنا أن  
نستجريّ بدالة بغير خوف أن  
ندعو الله الآب ضابط الكل،  
ونقول: أبانا الذي في  
السّموات ...  
ثمّ يقول الشعب أبانا.

باركه. قدّسه. أظهره دماً  
مقدّساً لك من جهة جسّدك  
المقدّس المحيي.

هذا الذي صار ظاهراً كاملاً،  
لكي يصير واحداً معه كل من  
ينال منه، تكون لهم طهارة  
لأنفسهم وأجسادهم وأرواحهم،  
ويستحقوا مغفرة خطاياهم. مجدداً  
لاسمك القدّوس، ولأبيك الصّالح،  
والرّوح القدّس المحيي.

اجعلنا كلنا أهلاً يا سيّدنا أن  
نستجريّ بدالة بغير خوف أن  
ندعو الله الآب ضابط الكل،  
ونقول: أبانا الذي في  
السّموات ...

٣١- أي الجسد المقدّس المحيي، والمرد "أمين" هنا قد اعترض سياق الصلّاة.

## خولاجي الطُوخي

## التَّرتيب الطَّقسي

ثمَّ يأخذ الكاهن الصَّينيَّة بالجسد الطَّاهر الزَّكي، ويضعها مكانها الأوَّل.

ويرفع اللِّفافة عنها، وينظفها  
حيداً لئلا يكون التصق بها شيء.

ثمَّ يقول  $\Delta\lambda\upsilon\mu\omicron\varsigma \epsilon\beta\omicron\lambda$  وبعده  $\Sigma\epsilon \tau\epsilon\lambda\epsilon\theta\omicron \epsilon\rho\omicron\kappa$

وبعدها تحليل الابن كالعادة إلى

آخره. أو مثلما في غير نسخة  
يقول:  $\Sigma\epsilon \Pi\omicron\varsigma \Pi\omicron\varsigma$  ثمَّ التَّحليل.

وبعده تحليل الآب كالعادة.

ثمَّ يصرخ الشَّمَّاس  $\Sigma\omicron\theta\epsilon\iota\varsigma \alpha\mu\eta\eta$  (سوتيس آمين).

ثمَّ يرفع الكاهن الإسباديقون

أيضاً ويرشم به في الدَّم ويضعه

في الكأس كالعادة، وهو يقول

$\Pi\alpha \delta\alpha\iota\alpha \tau\omicron\iota\varsigma \delta\alpha\gamma\iota\omicron\iota\varsigma$

يجابوه  $\Delta\mu\eta\eta \epsilon\iota\varsigma \pi\alpha\tau\eta\rho$  إلى

آخره.

ويرفع الكاهن الإسباديقون

كالعادة ويقول  $\Pi\alpha \delta\alpha\iota\alpha$

وبعدها  $\epsilon\tau\lambda\omicron\sigma\iota\tau\omicron\varsigma$  ويرشم

كالعادة في الدَّم وعلى الجسد.

ثمَّ يرشم به أيضاً الدَّم، ويضعه

في الكأس، وهم يجابونه  $\epsilon\iota\varsigma$

$\pi\alpha\tau\eta\rho \delta\alpha\gamma\iota\omicron\varsigma$  إلى آخرها.

ويرفع الكأس (٣٢)

ثمَّ يقول الاعتراف بكماله.

يقول الاعتراف كالعادة. إلى

٣٢- هذه الممارسة الطَّقسيَّة الهامة لم يذكرها غير روفائيل الطُوخي، حيث يرفع الكاهن الكأس ويقول الاعتراف الأخير. حيث سبق له أن قال الاعتراف الأخير من قبل وهو رافع الجسد المقدَّس.

## خولاجي الطُّوخي

## التَّرتيبُ الطَّقْسي

Ερεῶντι νιβεν وبعده  
 We ἡροπι والشَّعب يقول  
 وبعدها يقولوا مزموراً مائة  
 Διηλια. Σιοτ ε وخمسين  
 ثم يوزع الكاهن السَّرائر  
 المقدَّسة كالعادة، ويقول صلاة  
 الشُّكر والبركة.

أن ينتهي  
 يقولون We ἡροπι ويتدئ  
 يتناول ويوزع الجسد الطَّاهر  
 على الخدَّام وعلى الشَّعب، وهم  
 يرثِّلون Διηλια. Σιοτ ε  
 كالعادة وما يلائم بعدها  
 إلى أن ينتهي التَّوزيع وغسل  
 الأواني. يقول البركة ويعطي  
 التَّسريح للشَّعب ويصرفهم إلى  
 منازلهم بسلام.

والأمر في ذلك راجع لرئيس  
 الكهنة في الفحص على ما اتفق  
 وباجازة للمتهاون على ما تقتضيه  
 القوانين المقدَّسة.

والأمر في ذلك راجع لرئيس  
 الكهنة في الفحص عمَّا اتفق. وله  
 النَّظر والفحص عن ذلك  
 والتَّأديب والقانون للمتهاونين في  
 ذلك. الرِّب الإله يعطينا سلامته  
 ويكفيننا مناص العدو وتجاربه  
 بطلبات من قبلت طلباتهم آمين.  
 ولربنا المجد دائماً.

الملحق الثالث

فهرس مخطوطات

خولاجيات القدّاسات القبطية

في نصها اليوناني أو القبطي

والمحفوظة في مكتبات العالم

الاختصارات المستخدمة في الجداول التالية هي:

ب = باسيلي	ك. = كنيسة
ش = شرقيات	ك = كيرلسي
ض = إضافي	مل = ملاحق
ط = طقس	هت = هنتحتون
غ = غريغوري	ي = يونانيات
ق = قبطيات	

أولاً: يورد الجدول التالي قائمة بمخطوطات خولاجيات القديسات القبطية في نصها اليوناني، والمنتشرة في مكتبات العالم، مرتبة ترتيباً زمنياً.

### مخطوطات القديسات القبطية في نصها اليوناني<sup>(١)</sup>

سلسل	اسم المكتبة	رقم المخطوط	القرن	القديس
١	دير سانت كاترين	٢١٤٥	١١	ك
٢	جامعة ميسينيس	١٧٧ ي	١٢	ك
٣	الفاتيكان بروما	١٩٧٠ ي	١٢	ك
٤	الفاتيكان بروما	٢٢٨١ ي	١٣ (١٢٠٧م)	ك
٥	دير سانت كاترين	٢١٤٧	١٣/١٢	ك
٦	ولاية ميسوسوتا بأمريكا <sup>(٢)</sup>	كسمارسك	١٤ (١٣٤٥م)	ب/غ/ك

١- انظر: الشماس الدكتور رشدي واصف بهمان دوس، "مصادر وتاريخ ليتورجيات كنيسة الإسكندرية القبطية الأرثوذكسية"، القاهرة ٢٠٠٥م، ص ٥٧، ٥٨ وأيضاً: نفس المؤلف، الليتورجيا الإلهية للقديس غريغوريوس اللاهوتي حسب التقليد الإسكندري القبطي، مجلة الكرمة الحديدية، ٢٠٠٥م، ص ٩٨، ٩٩

٢- نشره العالم ماكومر W.F. Macomber في روما سنة ١٩٧٥م، في كتيبه التالية:

القدس	القرن	رقم المخطوط	اسم المكتبة	سلسل
ب/غ	١٤	ي ٣٢٥	الأهلية بباريس <sup>(٣)</sup>	٧
غ	١٤	٢٠	المتحف القبطي <sup>(٤)</sup>	٨
ك	١٦	٣٦/١٧٣	بطريركية السروم الأرثوذكس بالإسكندرية	٩
ب/غ	١٦ (١٥٩٩م)	ط ١٧٢	البطريركية بالقاهرة	١٠
ب	(١٧٤٠م)	ط ١٨٤	البطريركية بالقاهرة	١١
ب	١٨	ط ١٧٥	البطريركية بالقاهرة	١٢
ب/غ	١٨	ط ١	الدير المعلق بأبنوب	١٣
ب	١٨	ط ٢٠١	دير الأنبا بولا	١٤
ب	١٨	ط ٥٥	دير الأنبا أنطونيوس	١٥
ب	١٩	ط ١٣	الدير المحرق بأسيوط	١٦
ب/غ	١٩	ط ١٥٥	دير الأنبا مقار	١٧
ب	١٩ (١٨٥٢م)	ط ١٥٦	دير الأنبا مقار	١٨

ثانياً: يورد الجدول التالي قائمة بمخطوطات خولاجيات القديسات القبطية في نصّها القبطي، والمنشرة في مكاتب العالم، مرتبة ترتيباً زمنياً.

- Macomber, W.F., *The Anaphora of Saint Mark according to the Kacmarcik codex*, OCP 45 (1979).

- Macomber, W.F., *The Greek Text of the Coptic Mass*, Cited by OCP 43 (1977).

- Macomber, W.F., *The Kacmarcik Codex. A 14 Century Greek-Arabic Manuscript Of The Coptic Mass*, Le Muséon 88 (1975).

٣- نشره العالم رنودوت E. Renaudot في باريس سنة ١٧١٦م.

٤- وحده إيفلين وايت Evelyn-White في أرضية حصن دير القديس أنبا مقار، ونشره سنة ١٩٢٦م في كتابه:

Evelyn White, *The Monasteries of the Wadi 'Nnatrun, part I, New Coptic Texts from the Monastery of Saint Macarius*, New York, 1926, p. 200-206.

مخطوطات القُدَّاسات القبطية في نصها القبطي<sup>(٥)</sup>

الرقم	اسم المكتبة	رقم المخطوط	القرن	القُدَّاس
١	البريطانية بلندن	ش ١٢٣٩ق/٧٨٨مل/١٨	١٢	ب/غ/ك
٢	بودليان بأكسفورد	هنت ٣٦٠، ش ٣٤	١٣	ب/غ/ك
٣	الفاتيكان بروما	ق ١٧	١٣ (١٢٨٨)	ب/غ/ك
٤	منشستر بإنجلترا	ق ٤٢٦	١٣ (١٢٨٨)	ب/غ/ك
٥	المركز الفرنسيكاني بالقاهرة	٤٦١م <sup>٢</sup>	١٣/١٤	ب/غ/ك
٦	بودليان بأكسفورد	هنت ٥٧٢	١٣/١٤	ب/ك
٧	بودليان بأكسفورد	هنت ٤٠٣/ ش ٣٨	١٣/١٤	ك
٨	الأهلية بباريس	ق ٨٢/ ديلا ب ٦٧	١٤ (١٣٠٧)	ب/غ/ك
٩	الفاتيكان بروما	ق ٢٠	١٤ (١٣١٥)	غ/ك
١٠	الفاتيكان بروما	ق ٢١	١٤ (١٣٤٣)	ك
١١	الفاتيكان بروما	بورجيا ق ٧	١٤ (١٣٧٥)	ب/غ/ك
١٢	بودليان بأكسفورد	مرش ٥/ ش ٣٨	١٤	ب/غ/ك
١٣	الفاتيكان بروما	بورجيا ق ٣٢	١٤	ب
١٤	الفاتيكان بروما	ق ٢٤	١٤/١٥	ب/غ/ك
١٥	الأهلية بباريس	ق ٢٤/ ديلا ب ٦٤	١٤/١٥	ب/غ/ك
١٦	الأهلية بباريس	ق ٢٨/ ديلا ب ٦٣	١٤/١٥	ب/غ/ك
١٧	الفاتيكان بروما	ق ٢٤	١٤/١٧	ب شذرات
١٨	الفاتيكان بروما	ق ٢٢	١٤/١٧	ك
١٩	الفاتيكان بروما	ق ٢٥	١٥ (١٤٩١م)	ب/غ/ك
٢٠	البريطانية بلندن	ق ٨٢٤/ مل ١٩	١٥	ب/غ

٥- أشكر الرَّاهب الفاضل الأخ وديع أبو الليف الفرنسيكاني الذي وافاني بهذه القائمة.

ملاحظة: أرقام مسلسل ٦١، ١٢٦، ١٣١ هي مخطوطات خولاحيات قبطية فقط بلون ترجمة عربية.

الرقم	اسم المكتبة	رقم المخطوط	القرن	القُدَّاس
٢١	ك. قصرية الريحان	ط ٧٩	١٥ (١٤١٣)	ب/غ/ك
٢٢	الفاتيكان بروما	بورجيا ق ١٢٤	١٥ (١٤٩٥)	ب/غ/ك
٢٣	الأهلية بباريس	ق ٤٠ / ديلا ب ٧٧	١٦ (١٥٠٠)	غ
٢٤	البريطانية بلندن	ض ١١٥١٩ / ق ٨١٠	١٦ (١٥١٠)	غ/ك شذرات
٢٥	الفاتيكان بروما	ق ١٨	١٦ (١٥٣١)	ب
٢٦	البطيريركية بالقاهرة	ط ١٧٣	١٦ (١٥٧٣)	ب/غ/ك
٢٧	الأهلية بباريس	ق ٧٣ / ديلا ب ٧٤	١٦ (١٥٢٨)	ب/غ
٢٨	الأهلية بباريس	ق ٣١ / ديلا ب ٣١	بين ١٣، ١٧	ب/غ/ك
٢٩	الأهلية بباريس	ق ٨٣ / ديلا ب ٧٦	١٧ (١٦٠٢)	ب/غ/ك
٣٠	الأهلية بباريس	ق ٣٠ / ديلا ب ٧٦	١٧ (١٦٢٤)	ب
٣١	الأهلية بباريس	ق ٢٧ / ديلا ب ٧٩	١٧ (١٦٣٣)	ك (مجانبة ناقص)
٣٢	البطيريركية بالقاهرة	ط ٣٣١	١٧ (١٦٧٥)	ب/غ/ك
٣٣	الفاتيكان بروما	ق ٢٦	١٧ (١٦١٦)	ب/غ/ك
٣٤	البطيريركية بالقاهرة	ط ١٥٧	١٧ (١٦٢٦)	غ/ك
٣٥	الأهلية بباريس	ق ٢٩ / ديلا ب ٧٢	١٧ (١٦٣٩)	ب/غ
٣٦	الفاتيكان بروما	بورجيا ق ٧٠	١٧ (١٦٩٩)	ب/ك
٣٧	الأهلية بباريس	ق ٢٥ / ديلا ب ٧٥	بين ١٤، ١٧	ب
٣٨	الفاتيكان بروما	بورجيا ق ٤٥	١٨	ب (مجانبة ناقص)
٣٩	الفاتيكان بروما	بورجيا ق ٤٨	١٨	ب (مجانبة ناقص)
٤٠	الفاتيكان بروما	بورجيا ق ٢٩	١٨	ب (شذرات)
٤١	الفاتيكان بروما	بورجيا ق ٧٩	١٨	ب/غ/ك
٤٢	الفاتيكان بروما	ق ٨٥	١٨	ب
٤٣	المتحف القبطي بالقاهرة	ط ٢٦٥	١٨	ب
٤٤	المتحف القبطي بالقاهرة	ط ١٦	١٨	ب
٤٥	ك. مار مينا بالقاهرة	ط ٧٥	١٨	ب/غ
٤٦	ك. مار مينا بالقاهرة	ط ٣٩	١٨	ب



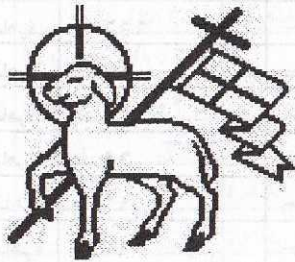
الرقم	اسم المكتبة	رقم المخطوط	القرن	القدّاس
٤٧	الفاتيكان بروما	ق ٨٦	١٨ (١٧٢٧)	ب
٤٨	أنيا مقار بوادي النطرون	ط ١٥١	١٨ (١٧٧١)	ب
٤٩	الفاتيكان بروما	ق ٨١	١٨ (١٧٢٢)	ب
٥٠	الفاتيكان بروما	ق ٧٨	١٨ (١٧٢٢)	ب
٥١	المتحف القبطي بالقاهرة	ط ٢٤٠	١٨ (١٧٨٣)	غ
٥٢	الفاتيكان بروما	بورجيا ق ٨٧	١٨ (١٧٣٤)	ب/غ/ك
٥٣	البطيريكية بالقاهرة	ط ١٧٨	١٨ (١٧٨٤)	غ
٥٤	البطيريكية بالقاهرة	ط ١٨٢	١٨ (١٧٩٤)	غ
٥٥	الفاتيكان بروما	ق ١٩	١٨ (١٧١٥)	ب
٥٦	المتحف القبطي بالقاهرة	ط ٨٠	١٨ (١٧٩٦)	ب
٥٧	ك. مار مينا بالقاهرة	ط ٢	١٨ (١٧١٧)	ب
٥٨	أنيا مقار بوادي النطرون	ط ١٦٠	١٨ (١٧٩٧)	ب (الصلوات السريّة)
٥٩	البريطانية بلندن	ش ٤٣١ / ق ٧٩٣	١٨ (١٧١٨)	ب
٦٠	الفاتيكان بروما	ق ٩٩	١٨ (١٧١٨)	ب
٦١	البطيريكية بالقاهرة	ط ١٦٣	١٨ (١٧٦٨)	ب/غ/ك
٦٢	البطيريكية بالقاهرة	ق ١٦٦	١٨ (١٧٣٩)	ب/غ/ك
٦٣	منشستر بإنجلترا	ق ٤٢٧	١٨ (١٧٤٩)	ب/غ/ك
٦٤	بودليان بأكسفورد	مرش ٩٣	١٨	ب/غ/ك
٦٥	أنيا مقار بوادي النطرون	ط ١٤٧	١٨	ب
٦٦	أنيا مقار بوادي النطرون	ط ١٥٧	١٨	ب
٦٧	الأهلية بباريس	ق ٢٦ / ديلا ب ٦٥	بين ١٨، ١٤	ب/غ/ك
٦٨	أنيا مقار بوادي النطرون	ط ١٣٤	١٩/١٨	ب/غ
٦٩	المركز الفرنسيكاني بالقاهرة	٢٥٠	١٩	ب/غ/ك
٧٠	المركز الفرنسيكاني بالقاهرة	٣٥١	١٩	ب
٧١	المركز الفرنسيكاني بالقاهرة	٨٣	١٩	ب
٧٢	المركز الفرنسيكاني بالقاهرة	٢٣٩	١٩	ب

الرقم	اسم المكتبة	رقم المخطوط	القرن	القُدَّاس
٧٣	المركز الفرنسيسكاني بالقاهرة	ف ١٠	١٩	ك (شفرات)
٧٤	المركز الفرنسيسكاني بالقاهرة	م ١٦	١٩	ب
٧٥	المركز الفرنسيسكاني بالقاهرة	م ٧	١٩	ب/غ/ك
٧٦	كنيسة قصرية الريحان	ط ٨٠	١٩	ب
٧٧	أنبا مقار بوادي النطرون	ط ١٤٠	١٩	ب/غ
٧٨	أنبا مقار بوادي النطرون	ط ١٥٠	١٩	ب
٧٩	أنبا مقار بوادي النطرون	ط ١٣٣	١٩	ب/غ/ك
٨٠	أنبا مقار بوادي النطرون	ط ١٥٤	١٩	ب
٨١	أنبا مقار بوادي النطرون	ط ١٣٥	١٩	ب/غ
٨٢	أنبا مقار بوادي النطرون	ط ١٣٦	١٩	ب/غ/ك
٨٣	أنبا مقار بوادي النطرون	ط ١٤٦	١٩	ب/غ
٨٤	أنبا مقار بوادي النطرون	ط ١٣٨	١٩	ب/غ
٨٥	أنبا مقار بوادي النطرون	ط ١٤٩	١٩	ب
٨٦	البريطانية بلندن	ض ١٧٧٢٥، ق ٧٩١	١٩ (١٨١١)	ب/غ/ك
٨٧	البطيريكية بالقاهرة	ط ١٧٠	١٩ (١٨٤١)	ب/غ (شفرات)
٨٨	البطيريكية بالقاهرة	ط ١٧٦	١٩ (١٨٣٦)	غ
٨٩	البطيريكية بالقاهرة	ط ١٦٠	١٩ (١٨٥١)	ب/غ/ك
٩٠	أنبا مقار بوادي النطرون	ط ١٣٧	١٩ (١٨٥١)	ب/غ
٩١	أنبا مقار بوادي النطرون	ط ١٤١	١٩ (١٨٩١)	ب/غ
٩٢	البريطانية بلندن	ش ٤٣٠/ق ٧٩٠	١٩ (١٨٣٢)	ب/غ/ك
٩٣	البطيريكية بالقاهرة	ط ٣١٥	١٩ (١٨٤٢)	ب/غ
٩٤	البريطانية بلندن	ش ٥٢٨٢/ق ٨١٧	١٩ (١٨٧٢)	ب/غ
٩٥	أنبا مقار بوادي النطرون	ط ١٥٢	١٩ (١٨٧٢)	ب
٩٦	المركز الفرنسيسكاني بالقاهرة	٣٣٦	١٩ (١٨٨٢)	ب
٩٧	البطيريكية بالقاهرة	ط ٣٤٢	١٩ (١٨٤٣)	ب/غ/ك
٩٨	أنبا مقار بوادي النطرون	ط ١٤٨	١٩ (١٨٨٣)	ب

الرقم	اسم المكتبة	رقم المخطوط	القرن	القدّاس
٩٩	البطيريكية بالقاهرة	ط ١٥٩	١٩ (١٨٤٤)	ب/غ/ك
١٠٠	أنا مقار بوادي النطرون	ط ١٤٥	١٩ (١٨٦٤)	ب
١٠١	برمنجهام	عربي مسيحي ٩	١٩ (١٨٧٤)	ب
١٠٢	ك. أبي سرحة بالقاهرة	ط ٩٩	١٩ (١٨٧٤)	ب/غ
١٠٣	ك. أبي سرحة بالقاهرة	ط ٦٨	١٩ (١٨١٥)	ب
١٠٤	أنا مقار بوادي النطرون	ط ١٣٩	١٩ (١٨٨٥)	ب/غ
١٠٥	البطيريكية بالقاهرة	ط ١٧٦	١٩ (١٨٢٦)	غ/ك
١٠٦	أنا مقار بوادي النطرون	ط ١٤٤	١٩ (١٨٤٦)	ب
١٠٧	البطيريكية بالقاهرة	ط ١٧١	١٩ (١٨٣٨)	غ
١٠٨	أنا مقار بوادي النطرون	ط ١٤٢	١٩ (١٨٥٨)	ب/غ
١٠٩	المركز الفرنسيكان بالقاهرة	٢٤٨	١٩ (١٨٧٨)	ب/غ
١١٠	البطيريكية بالقاهرة	ط ١٧٧	١٩ (١٨٩٨)	ب
١١١	البطيريكية بالقاهرة	ط ١٨٣	١٩ (١٨٩٩)	ب/غ
١١٢	الأهلية بباريس	ق ١٠٨ / ديلا ب ٧١	قبل ١٨٨٢	ب (شذرات)
١١٣	الأهلية بباريس	ق ١٠٩ / ديلا ب ٧٠	قبل ١٨٨٢	ب (شذرات)
١١٤	المركز الفرنسيكان بالقاهرة	٢٧٩	٢٠ / ١٩	ب
١١٥	المركز الفرنسيكان بالقاهرة	٢٩	٢٠ / ١٩	ب (شذرات)
١١٦	المركز الفرنسيكان بالقاهرة	٢٠٩	٢٠	ب
١١٧	البطيريكية بالقاهرة	ط ١٥٨	٢٠ (١٩٠٣)	ب/غ/ك
١١٨	المركز الفرنسيكان بالقاهرة	م ٤	٢٠ (١٩٠٦)	ب
١١٩	أنا مقار بوادي النطرون	ط ١٥٣	٢٠ (١٩٠٨)	ب/غ
١٢٠	المعهد الفرنسي بالحيزة		٢٠ (١٩١٥)	ب/غ/ك
١٢١	دير المحرق بأسسوط	ط ١٤ / ١٥٧	-	ب/غ/ك
١٢٢	المعهد الكاثوليكي بباريس	٢	-	غ/ك
١٢٣	الأهلية بباريس	ق ٤١ / ديلا ب ٧٨	-	ك
١٢٤	الأهلية بباريس	ق ٣٩ / ديلا ب ٧٣	-	ب/غ

الرقم	اسم المكتبة	رقم المخطوط	القرن	القُدَّاس
١٢٥	الفاتيكان بروما	٥١	-	ع/ك
١٢٦	البطيريكية بالقاهرة	ط ١٨٠	-	ب/ع/ك
١٢٧	البطيريكية بالقاهرة	ط ١٨١	-	ع
١٢٨	البطيريكية بالقاهرة	ط ١٦٢	-	ب/ع
١٢٩	البطيريكية بالقاهرة	ط ٣٤٣	-	ب/ع
١٣٠	البطيريكية بالقاهرة	ط ٣١٤	-	ب
١٣١	البطيريكية بالقاهرة	ط ١٦٤	-	ب
١٣٢	البطيريكية بالقاهرة	ط ١٧٥	-	ب/ع/ك
١٣٣	البطيريكية بالقاهرة	ط ١٨٥	-	ب (شذرات)
١٣٤	البطيريكية بالقاهرة	ط ١٦٧	-	ب/ع/ك
١٣٥	البطيريكية بالقاهرة	ط ١٦٨	-	ب/ع
١٣٦	البطيريكية بالقاهرة	ط ١٧٩	-	ب/ع
١٣٧	ك. أبي سرحة بالقاهرة	ط ٦٦٦	-	ب
١٣٨	ك. أبي سرحة بالقاهرة	ط ٦٧	-	ب
١٣٩	ك. أبي سرحة بالقاهرة	ط ٩٨	-	ب
١٤٠	ك. أبي سرحة بالقاهرة	ط ٦٩	-	ب
١٤١	ك. مار مينا بالقاهرة	ط ٩٦	-	ب (شذرات)
١٤٢	ك. مار مينا بالقاهرة	ط ٩٧	-	ب (شذرات)
١٤٣	ك. مار مينا بالقاهرة	ط ٩٨	-	ب (شذرات)
١٤٤	البريطانية بلندن	ض ١٩٩٠٢ / ق ٨٠٨	-	ع (شذرات)
١٤٥	البريطانية بلندن	برن ٢٩٦ / ق ٨٠٦	-	ب
١٤٦	البريطانية بلندن	ش ٥٥٠٠ / ق ٨٠٣	-	ب (شذرات)
١٤٧	البريطانية بلندن	ش ١٢٤١ / ق ٨١٨	-	ب/ع/ك (شذرات)
١٤٨	البريطانية بلندن	ش ٥٦١٢ / ق ٨١٢	-	ك (شذرات)
١٤٩	البريطانية بلندن	ش ١٢٤٢ / ق ٨٢٣	-	ب/ع/ك (شذرات)
١٥٠	البريطانية بلندن	ش ٤٤٢ / ق ٨٠٤	-	ب (شذرات)

الرقم	اسم المكتبة	رقم المخطوط	القرن	القُدَّاس
١٥١	البريطانيَّة بلندن	ش ٥٦٤٢ / ق ٨١٤	-	ب/ك (شذرات)
١٥٢	البريطانيَّة بلندن	ش ٥٤٥٤ / ق ٨٠٠	-	ب (شذرات)
١٥٣	البريطانيَّة بلندن	ش ٤٢٩ / ق ٧٨٩	-	ب/ع/ك
١٥٤	لايدن هولندا	ش ٢٣٩٨	-	ب/ع/ك
١٥٥	منشستر بإنجلترا	ق ٤٢٨ (٥١)	-	ك
١٥٦	الأهليَّة بباريس	ق ٨٤ / ديلا ب ٦٨	بعد ١٤	ب/ع/ك
١٥٧	المعهد الفرنسي بالحيزة		بعد ١٤	ب



الملحق الرَّابِع

حول كتاب

سرّ الثَّالوث في خدمة الكهنوت

من قول معلِّمي البيعة

نشر الأرشيدياكون جرجس فيلوتاؤس عوض في سنة ١٩٤٢م كتاباً بعنوان: "كتاب سرّ الثالوث في خدمة الكهنوت" تأليف أحد علماء الكنيسة القبطية في القرون الوسطى، وهو الكتاب الأوّل ضمن سلسلة كتب له عن القدّاس<sup>(١)</sup>. وهو كتاب يشرح طقوس القدّاس الإلهي.

وقد وجد جرجس فيلوتاؤس عوض هذا الكتاب في مخطوط في الإسكندرية، عند الرهبان الذين اتخذهم مطران الإسكندرية وكلاء شريعة ودرّهم على العمل ليكونوا مطارنة بعد ذلك. ولم يُعرف مؤلّفه<sup>(٢)</sup>. وهو

١- وقد نشره بمناسبة بلوغه الخامسة والسبعين من عمره، فقد وُلد في طنطا في ١٣ أكتوبر سنة ١٨٦٧م.

٢- يقول جرجس فيلوتاؤس عوض عن هذا الكتاب أنه "لم يعرف مؤلّفه، ولربما كان لساويرس بن المقفع أسقف الأشمونين من عشرة قرون، لأن ضمن كتبه التي كتبها "ترتيب الكهنوت وهو الإنباء عن طقوس الكنيسة" كما ذكر ذلك ابن كبر وغيره كتاريخ البطاركة، ولكنني لم أجد فيه ما أستدل منه على أنه له ولا اسمه أيضاً" (ص د).

تعقيب على ما سبق ذكره: إن كتاب "ترتيب الكهنوت وهو الإنباء عن طقوس الكنيسة" الذي يذكره ابن كبر على أنه من مؤلفات الأنبا ساويرس ابن المقفع، موجود بنصه في مخطوط رقم (لاهور ٢٦) بمكتبة دير القدّيس أنبا مقار. وبعد أن فحصته لا أعتقد أنه يخص الأنبا ساويرس ابن المقفع، وربما كان هذا اللبس بسبب أن المخطوط المذكور يضم عدّة كتب تبدأ بكتاب "الحمام" للأنبا ساويرس ابن المقفع. فاعتقد البعض أن كل ما ورد في هذا المخطوط هو من تأليف الأنبا ساويرس أسقف الأشمونين.

وهذا الكتاب قد طبعه المستشرق الألماني يوليوس أسفلج مع ترجمة ألمانية في القاهرة سنة ١٩٥٥م. ويشك الأب سمير خليل اليسوعي أن يكون النّص المطبوع هو نص ساويرس ابن المقفع.

وحدير بالذّكر أنه لا علاقة الثّمة بين كتاب "سرّ الثالوث في خدمة الكهنوت" الذي نشره جرجس فيلوتاؤس عوض سنة ١٩٤٢م، وبين كتاب "ترتيب الكهنوت

مخطوط يعود إلى القرن الخامس عشر، ومؤرَّخ بتاريخ ١٧ برمهات سنة ١٢٠٩ش/ ١٣ مارس سنة ١٤٩٣م.. وهو يتدئ بالنص التالي:

”بسم الآب والابن والروح القدس إله واحد، له المجد، آمين. نبتدئ بعون الله تعالى وحسن توفيقه بنسخ كتاب سرِّ الثالوث في خدمة الكهنوت من قول معلِّمي البيعة، بركة صلواتهم تكون معنا. آمين.“

ولم تكن هذه هي النسخة الوحيدة من المخطوط المذكور التي وجدها جرجس فيلوثاؤس عوض في الإسكندرية، بل وجد نسختين آخرين من هذا الكتاب كانتا حوزة المعلم مرقس نعوم المتوفى سنة ١٨٩٦م، وكان متضلعا في اللغة القبطية<sup>(٣)</sup>. ثم كلف جرجس فيلوثاؤس عوض القمص أرمانيوس حبشي شتا البرماوي<sup>(٤)</sup> (١٨٩٤-١٩٣٩م)

---

وهو الإناء عن طقوس الكنيسة“ الذي نشره يوليوس أسفنج سنة ١٩٥٥م. كما أنه لا علاقة للأبنا ساويرس ابن المقفع (تبيح بعد سنة ٩٨٧م) بهذين الكتابين.

- ٣- كتبت مجلة التوفيق في عددها الثالث من سنتها الأولى بتاريخ ٢٥ سبتمبر سنة ١٨٩٦م (١٦ توت سنة ١٦١٣ش) ”توفي إلى رحمة ربه المرحوم المعلم مرقس نعوم. وكان رجلاً فاضلاً عالماً سيماً في اللغة القبطية، وهو يعد أستاذاً لكل من نطق بهذه اللغة. قضى أيامه وزهرة شبابه في الانصباب على العلوم والمعارف، ومطالعة كتب المتأخرين والمتقدمين. وقد بلغ اثنتين وخمسين سنة وهو في عفاف وورع. نسأل الله أن يحطر عليه سبحانه رحمته، ونطلب لذويه العزاء الجميل.“
- ويقول جرجس فيلوثاؤس عوض عنه: ”لم أجد له تاليفاً واحداً في اللغة، وإنما كان جامعاً لكتب كثيرة، اشترت منها عدداً لم يكن بالقليل.“
- انظر: كتاب سرِّ الثالوث في خدمة الكهنوت، لأحد علماء الكنيسة القبطية في العصور الوسطى، لناشره جرجس فيلوثاؤس عوض، القاهرة، ١٩٤٢م، ص هـ.
- ٤- يقول عنه جرجس فيلوثاؤس عوض: ”ترهب في دير السيدة العذراء السريان سنة ١٩١٥م. واستصدرنا أمراً من مطران الإسكندرية ليعلم اللغة القبطية في جمعية الإرشاد بطنطا. ثم سافر إلى الإسكندرية ثم بني سويف وكيبلاً للمطرانبة. وظل طيلة حياته يبحث وينقب في كتب الكنيسة حتى صار ضليعا. وأراد طباعة السنكسار مع



بالبحث عن هذا الكتاب، فوجد نسختين أخريين يختلفان في المبنى لا المعنى. وفي هاتين النسختين الأخيرتين ورد ذكر البابا غبريال ابن تريك (١١٣١-١١٤٥م) الذي صرّح أن شماساً يمكن أن يقرأ إنجيل القدّاس بدلاً من القسيس.

وعن هذه المخطوطات الخمس السّابق ذكرها، مع مخطوطات أخرى أيضاً، نشر جرجس فيلوثاؤس عوض الكتاب المذكور، محققاً من هذه المخطوط جميعها.

وبعد نشر الكتاب المذكور سنة ١٩٤٢م يذكر جرجس فيلوثاؤس عوض أنه وُجد هذا الكتاب عينه في مخطوطين آخرين محفوظين في مكتبة البطريركيّة بالقاهرة، المخطوط الأوّل برقم (١٩/٢٦٤ لاهوت)، وهو يعود إلى القرن السّادس عشر، ومؤرّخ (في ص ٧٤ وجه) بتاريخ ١٥٦٢م. وهو بخط يوحنا بن غبريال بدير أنطونيوس برسم (البابا) غبريال السّابع (١٥٢٥ - ١٥٦٨م) الخامس والتسعين من بطاركة الكنيسة القبطيّة. والمخطوط الثّاني برقم (٦/٧٤٧ لاهوت)، من القرن الخامس عشر، ومؤرّخ بتاريخ ١٤٩٣م<sup>(٥)</sup>.

كما أشار جراف G. Graf إلى هذا الكتاب أي "كتاب سرّ الثّالوث

جرجس فيلوثاؤس عوض على النسخ الأصليّة، فلم يرق العمل للدار البطريركيّة. وأصيب في آخر أيامه بمرض أودى بحياته، بعد أن مكث في المستشفى القبطي مدّة، ثمّ نقل إلى برما بلده فمات فيها في ٢٢ أيب سنة ٦٥٥ ش/ ٢٩ يوليو سنة ١٩٣٩م.

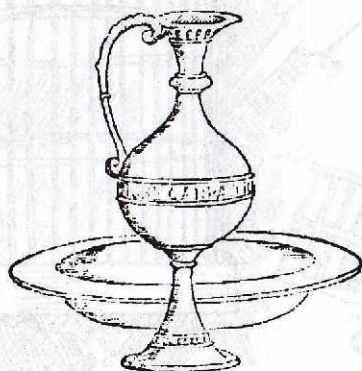
انظر: كتاب سرّ الثّالوث في خدمة الكهنوت، لناشره جرجس فيلوثاؤس عوض، مرجع سابق، ص هـ - ز

٥- انظر: مؤتمن الدّولة أبي اسحق إبراهيم، الأعمال الرّئيسيّة في الآداب الكنسيّة، نشره بعد تصحيحه ووضع حواشي عليه، جرجس فيلوثاؤس عوض، القاهرة، ١٩٤٢م.

Cf. also, G. Graf, GDCAL, III, p. 525.

في خدمة الكهنوت“، وأضاف - إلى ما سبق أن ذكره جرجس فيلوثاؤس عنه - أنه موجود أيضاً في مخطوط رقم (٦١٤٧ عربي) بالمكتبة الأهلية بباريس (من ص ٨٧ ظهر إلى ص ١٠٠ ظهر)، وهو مخطوط يعود إلى القرن السابع عشر أو الثامن عشر<sup>(٦)</sup>.

هذا هو الكتاب الذي ينقل لنا تعليم معلّمي البيعة، وهو التّعليم الذي تجد معظمه مسطوراً على مدى صفحات الكتاب الذي بين يديك.







- ابن العبري (العلامة)، الهدايات، دير ما أفرآم، هولندا، ١٩٨٦م.
- أبو البركات (القس) ابن كبر، الجزء الثاني من مخطوط رقم (٢٠٣ عربي) بالمكتبة الأهلية بباريس، وهو "كتاب مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة".
- أزولد بورمستر (الدكتور)، مخطوط يد بعنوان: القُدَّاسُ قبل نيقيّة والسَّغِيرَاتِ المتأخِّرة التي طرأت عليه، مكتبة دير السيِّدة العذراء السَّرياني بيرية شيهيت.
- إغناطيوس أفرآم الثاني، البطريرك السرياني الأنطاكي، المباحث الجليّة في الليتورجيات الشَّرقيّة والغربيّة، دير الشُّرفة، ١٩٣٤م.
- ألفريد بتلر، الكنائس القبطيّة القديمة في مصر، الجزء الثاني، ترجمة الأستاذ إبراهيم سلامة، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، ١٩٩٣م.
- القُدَّاسُ الإلهي لأبينا الجليل في القديسين يوحنا ذهبي الفم، منشورات الثُّور، ١٩٦١م.
- ألكسندر شيمان (الأب)، الإفخارستيا سر الملكوت، ترجمة سامر عبّود، منشورات الثُّور، ١٩٩٣م.
- المحلّة البطريركيّة، السَّنَة ٣٢، كانون أوّل ١٩٩٤م.
- إلياس إسطفان معدني (الأرشمندريت)، هجّة النفوس في الصلوات إلى الرّب القُدَّوس، الإسكندرية ١٩٤٠م.
- إيسيدوروس (الأبنا)، الخريدة النقيسة في تاريخ الكنيسة، الجزء الثاني، القاهرة، ١٩٦٤م.
- إيلياس (الأرشمندريت)، العبادة المسيحيّة، طرابلس، ١٩٦٥م.
- تادرس يعقوب (القُمص)، المسيح في سرّ الإفخارستيا، جزء ٥
- جراسيموس مسرّة (المطران)، الأنوار في الأسرار، بدون تاريخ.
- جورج نصور (الأب)، أقدم النصوص المسيحيّة، سلسلة النصوص اللاهوتيّة، الكسليك، لبنان، ١٩٧٥م.
- جورج نصور ويوحنا تاب (الأبوان)، أقدم النصوص المسيحيّة، سلسلة النصوص الليتورجيّة، الكسليك، لبنان، ١٩٧٥م.

- حنانيا كساب (الأرشيمندريت)، مجموعة الشَّرْع الكنسي، منشورات الثَّور، ١٩٧٥ م.
- ساويرس (الأبنا) أسقف الأشمونين، الدُّر الثَّمين في إيضاح الدِّين، إصدار مدارس التَّربية الكنسيَّة بكنيسة رئيس الملائكة ميخائيل بطوسون - شبرا، ١٩٨٧ م.
- سلسلة يناييع الأرثوذكسيَّة، معاني رشم الصَّليب، بدون مؤلَّف وتاريخ.
- صموئيل (الأبنا) أسقف شبين القناطر وتوابعاها، ترتيب البيعة عن مخطوطات البطريركيَّة بمصر والإسكندرية ومخطوطات الأديرة والكنائس، الجزء الأول، توت، بابه، هاتور، القاهرة، ٢٠٠٠ م.
- غبريال الخامس (الأبنا)، التَّرتيب الطَّقسي، حقِّقه ونشره الأب أنفونس عبد الله الفرنسيكاني، ضمن مطبوعات المركز الفرنسيكاني للدراسات المسيحيَّة الشَّرقيَّة، سلسلة دراسات شرقيَّة مسيحيَّة، القاهرة ١٩٦٤ م.
- كتاب الخولاجي المقدَّس أي كتاب الثلاثة القدَّاسات التي للقدِّيس باسيليوس والقدِّيس غريغوريوس والقدِّيس كيرلس مع صلوات أخرى مقدَّسة. وهو مصحَّح ومستوفي التَّرتيب على يد القمُّص عبد المسيح صليب. طُبِع في مصر بمطبعة عين شمس سنة ١٦١٨ للشَّهداء (١٩٠٢ أفرنكيَّة).
- كتاب خدمة الشَّماس والألحان، جمعيَّة نهضة الكنائس القبطيَّة الأرثوذكسيَّة المركزيَّة بالقاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٨١ م.
- كتاب دلالٌ وترتيب جمعة الآلام وعيد الفصح انجيد حسب تقليد وترتيب الكنيسة القبطيَّة الأرثوذكسيَّة. طُبِع بأمر غبطة السيِّد البابا المعظم الأنبا كيرلس الخامس ١١٢ من عدد باباوات الكرسي المرقسي الإسكندري. عني بتصحيحه وتنقيحه وضبطه وطبعه القمُّص فيلوتاؤس المقاري، والقمُّص برنابا اليرموسي، والمعلم ميخائيل جرجس مرتل الكنيسة المرقسيَّة الكري. مطبعة الشمس بشارع كلوت بك بأول الدَّرب الواسع، ١٩٢٠ م.
- للمؤلَّف، بعض الكُتب التي صدرت ضمن كتب "الدِّرة الطَّقسيَّة"، كما ورد في الحواشي على مدى الكتاب.

- ابن العبري (العلامة)، الهدايات، دير ما أفرام، هولندا، ١٩٨٦م.
- أبو البركات (القس) ابن كبر، الجزء الثاني من مخطوط رقم (٢٠٣ عربي) بالمكتبة الأهلية بباريس، وهو "كتاب مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة".
- أرولد بورمستر (الدكتور)، مخطوط يد بعنوان: القدّاس قبل نيقيّة والسّغيرات المتأخّرة التي طرأت عليه، مكتبة دير السيّدة العذراء السّريان بيرية شيهيت.
- إغناطيوس أفرام الثاني، البطريرك السرياني الأنطاكي، المباحث الجليّة في الليتورجيات الشّرقية والغربيّة، دير الشّرفة، ١٩٣٤م.
- ألفريد بتلر، الكنائس القبطيّة القديمة في مصر، الجزء الثاني، ترجمة الأستاذ إبراهيم سلامة، الهيئة المصريّة العامة للكتاب، ١٩٩٣م.
- القدّاس الإلهي لأبينا الجليل في القدّيسين يوحنا ذهبي الفم، منشورات الثّور، ١٩٦١م.
- ألكسندر شميمان (الأب)، الإفخارستيا سر الملكوت، ترجمة سامر عبّود، منشورات الثّور، ١٩٩٣م.
- المحلّة البطريركيّة، السنّة ٣٢، كانون أوّل ١٩٩٤م.
- إلياس إسطفان معدّي (الأرشيمندريت)، بحجة النفوس في الصلوات إلى الرّب القدّوس، الإسكندرية ١٩٤٠م.
- إيسيدوروس (الأبنا)، الخريدة النّفيسة في تاريخ الكنيسة، الجزء الثاني، القاهرة، ١٩٦٤م.
- إيلياس (الأرشيمندريت)، العبادة المسيحيّة، طرابلس، ١٩٦٥م.
- تادرس يعقوب (القّمص)، المسيح في سرّ الإفخارستيا، جزء ٥
- جراسيموس مسرّة (المطران)، الأنوار في الأسرار، بدون تاريخ.
- جورج نصور (الأب)، أقدم النّصوص المسيحيّة، سلسلة النّصوص اللاهوتيّة، الكسليك، لبنان، ١٩٧٥م.
- جورج نصور ويوحنا تابت (الأبوان)، أقدم النّصوص المسيحيّة، سلسلة النّصوص الليتورجيّة، الكسليك، لبنان، ١٩٧٥م.

- حنايا كَسَّاب (الأرشمندريت)، مجموعة الشَّرْع الكنسي، منشورات التُّور، ١٩٧٥ م.
- ساويرس (الأنبا) أسقف الأشمونين، الدُّر الثَّمين في إيضاح الدِّين، إصدار مدارس التَّربية الكنسيَّة بكنيسة رئيس الملائكة ميخائيل بطوسون - شبرا، ١٩٨٧ م.
- سلسلة يناييع الأرثوذكسيَّة، معاني رشم الصَّليب، بدون مؤلِّف وتاريخ.
- صموئيل (الأنبا) أسقف شين القناطر وتواعها، ترتيب البيعة عن مخطوطات البطريركيَّة بمصر والإسكندرية ومخطوطات الأديرة والكنائس، الجزء الأوَّل، توت، باه، هاتور، القاهرة، ٢٠٠٠ م.
- غبريال الخامس (الأنبا)، التَّرتيب الطَّقسي، حَقِّقه ونشره الأب ألفونس عبد الله الفرنسيسكاني، ضمن مطبوعات المركز الفرنسيسكاني للدراسات المسيحيَّة الشَّرقيَّة، سلسلة دراسات شرقيَّة مسيحيَّة، القاهرة ١٩٦٤ م.
- كتاب الخولاجي المقدَّس أي كتاب الثلاثة القدَّاسات التي للقدِّيس باسيليوس والقدِّيس غريغوريوس والقدِّيس كيرلس مع صلوات أخرى مقدَّسة. وهو مصحَّح ومستوفي التَّرتيب على يد القمُّص عبد المسيح صليب. طُبِع في مصر بمطبعة عين شمس سنة ١٦١٨ للشُّهداء (١٩٠٢ أفرنكيَّة).
- كتاب خدمة الشَّماس والأحان، جمعية فضضة الكنائس القبطيَّة الأرثوذكسيَّة المركزيَّة بالقاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٨١ م.
- كتاب دلال و ترتيب جمعة الألام وعيد الفصح الجيِّد حسب تقليد و ترتيب الكنيسة القبطيَّة الأرثوذكسيَّة. طُبِع بأمر غبطة السيِّد البابا المعظم الأنبا كيرلس الخامس ١١٢ من عدد باباوات الكرسي المرقسي الإسكندري. عني بتصحيحه وتنقيحه وضبطه وطبعه القمُّص فيلوتاؤس المقاري، والقمُّص برنابا البرموسي، والمعلم ميخائيل جرجس مرتل الكنيسة المرقسيَّة الكبرى. مطبعة الشمس بشارع كلوت بك بأول الدَّرب الواسع، ١٩٢٠ م.
- للمؤلِّف، بعض الكُتب التي صدرت ضمن كتب "الدُّرَّة الطَّقسيَّة"، كما ورد في الحواشي على مدى الكتاب.



- مائة مقولة عن التَّوْبَة وعمل الرُّوح القُدَّس في القلب، رسالة الأب صفرونيوس إلى تلميذه نيودوروس (تادرس)، القاهرة، ٢٠٠٤م، بدون اسم النَّاشِر.
- مارسيل هدايا (تعريب الأخت)، سلسلة أقدم النُّصوص المسيحيَّة، السَّبْت والأحد في تقليد الكنيسة، الكسليك، ١٩٨٢م.
- متى المسكين (الأب)، الإفخارستيا والقُدَّاس، القاهرة ١٩٧٧م.
- متى المسكين (الأب)، الرَّهْبَة القبطيَّة، الطُّبْعَة الثَّانِيَة، ١٩٨٤م.
- مخطوط بعنوان "قُدَّاس ما قبل نيقية والتغيُّرات المتأخِّرة التي طرأت عليه"، للدكتور بورمستر محفوظ في مكتبة دير السيِّدة العذراء السَّريَّان بوادي النَّظرون.
- مخطوط رقم (١٠٠ عربي) بالمكتبة الأهلبيَّة بباريس (صورة طبق الأصل منه).
- مخطوط رقم (١١٧ طقوس) بمكتبة الدَّار البطريركيَّة بالقاهرة (صورة طبق الأصل منه).
- مخطوط رقم (١٣٤ طقس) بمكتبة دير القُدَّيس أنبا مقار.
- مخطوط رقم (١٧ قبطيَّات) بمكتبة الفاتيكان (صورة طبق الأصل منه).
- مخطوط رقم (٢٠٢ طقس)، بمكتبة دير القُدَّيس أنبا مقار.
- مخطوط رقم (٣٦٠ هنت) بمكتبة بودليان بأكسفورد (صورة طبق الأصل منه).
- مرقس داود (القس)، قُدَّاسات الكنيسة الإثيوبيَّة، القاهرة ١٩٥٩م.
- معوض داود عبد النور، قاموس اللغة القبطيَّة للهجتين القبطيَّة البحيريَّة والصعيدية قبطي عربي، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- منقريوس عوض الله (القس)، منارة الأقداس.
- نشأة الطَّوائف المسيحيَّة، دار التَّأليف والنَّشر للكنيسة الأسقفية، القاهرة ١٩٧٧م.
- هنري دالميس الدُّومينيكي (الأب)، الطُّقوس الشَّرقيَّة، تعريب الشَّمَّاس كامل وليم، المعهد الكاثوليكي، المعادي، ١٩٧٨م.
- وليم سليمان قلادة (دكتور)، كتاب الدَّسقولية، تعاليم الرُّسُل، مصر، ١٩٧٩م.

- يسى عبد المسيح، رسالة مار مينا الحادية عشر.
- يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، كتاب الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة، حققه ونقله إلى اللاتينية الأب فيكتور منصور مستريح الفرنسي، مؤلفات المركز الفرنسي سكاني للدراسات الشرقية المسيحية، القاهرة، ١٩٦٦م.
- يوحنا تابت (الأب) وآخرون، الفرض الإلهي، دراسات قسم الليتورجيا في جامعة الروح القدس، الكسليك، لبنان، ١٩٨٧م.
- André Tarb, *La prière eucharistique de l'Eglise de Jérusalem*, 1972.
- Baciocchi, J., *L'Eucharistie*, Belgium, Desclée, 1964.
- Baumstark, A., *Comparative Liturgy*, English Edition By F.L. Cross, London, 1958.
- Bibliothèque du Muséon, Vol. 47, 1960.
- Bishop Alexis, *Continuity of worship between synagogue and church*, The Graduate school of ecumenical studies, Bossey, 1964-1965(unpublished).
- Brightman, F.E.. M.A., *Liturgies, Eastern and Western*, Vol. 1, *Eastern Liturgies*, Oxford, 1967.
- Budge, E.A.T.W., *Miscellaneous Coptic Text in the Dialect of Upper Egypt*, London, 1915.
- Burmester, O.H.E. Khs, *The Canons of Christodulos, Patriarch of Alexandria*, Le Muséon t. XLV (1932), p. 80, n. e.
- Burmester, O.H.E. Khs, *The Baptismal Rite of the Coptic Church*, dans Bulletin de La Société d'Archéologie Copte (BSAC), t. 11, 1945.
- Burmester, O.H.E. Khs, *The Egyptian or Coptic Church, A Detailed Description of her Liturgical Services and the Rites and Ceremonies Observed in the Administration of her sacraments*, Publications de la Société d'Archéologie Copte. Textes et Documents, X, Le Caire, 1967.
- Burmester, O.H.E., Khs., *The Canonical Hours of the Coptic*

*Church*, in *Orientalia christiana periodeca* (OCP), t. 2, 1936.

- Burmester, O.H.E., Khs., *Vesting Prayers and Ceremonies of the Coptic Church*, OCP, Vol. 1, 1935.

- Burmester, O.H.E., *The Greek Kirugmata, Versicles and Responses, and Hymns in the Coptic Liturgy*, OCP, Vol. II, N. 3-4, Roma 1936.

- Butler, A.J., *The Ancient Coptic Churches of Egypt*, Oxford, vol. II, 1884.

- Capelle, B., Dom, *L'Anaphore de Sérapion*, dans *Le Muséon*, t. 49 (1936).

- Coquin, R.G., *Les Canons D'Hippolyte*, *Patrologia orientalis* (P.O.), tome 31, fascicule 2, Paris 1966.

- Cross, F.L., & Livingstone, E. A., *The Oxford Dictionary of The Christian Church* (ODCC), (2<sup>nd</sup> edition), 1988.

- Cuming, *Egyptian Elements in the Jerusalem Liturgy*, in *JTS* 25, (1974).

- Davis, J.G., *A Dictionary of Liturgy and Worship*, SCM Press LTD, 1972.

- F.E. Brightman, *The Sacramentary of Serapion of Themuis*, *The Journal of Theological Studies*, Vol. I, London, 1900.

- Fernand Cabrol (Le premiér dom) & R. P. dom Henri Leclercq, *Dictionnaire d'Archéologie chrétienne et de Liturgie* (DACL), Tome 2, Paris, 1925.

- Gregory Dix, Dom, *The Shape of Liturgy*, London, 1982.

- Gregory Dix, Dom, *The Treatise on The Apostolic Tradition of St. Hippolytus of Rome*, London, 1968.

- Horner, Rev. G., *The Service for The Consecration of a Church and Altar According to the Coptic Rite*, Edited with Translation from A Coptic and Arabic Manuscript of A.D. 1307 for the Bishop of Salisbury, London, 1902, introduction, p. xiv.

- Iris Habib Almasri, *The rite of the filling of the chalice*, *BSAC.*, t. 6 (1940).

- Korolevsky, C., *Dictionnaire d'histoire et de géographie ecclésiastiques*, t. 9, Paris, 1937.
- Louis Villecourt, *La lettre de Macaire, évêque de Memphis, sur la liturgie antique du Chrême et du Baptême, à Alexandrie*, t. XXXVI, Louvain, 1923.
- Macomber, W.F., *The Anaphora of Saint Mark according to the Kacmarcik codex*, OCP 45 (1979).
- Macomber, W.F., *The Greek Text of the Coptic Mass, Cited by OCP 43* (1977).
- Macomber, W.F., *The Kacmarcik Codex. A 14 Century Greek-Arabic Manuscript Of The Coptic Mass*, Le Muséon 88 (1975).
- Martimort, A.G., *L'Eglise en Prière, Introduction à la Liturgie*, Belgium, 1961.
- *New Catholic Encyclopedia*, vol. 8.
- Otto Menardus, *A Comparative Study on the Sources of the Synaxarium of the Coptic Church*, dans *Bulletin de La Société d'Archéologie Copte (BSAC)*, t. 17, Le Caire, 1964.
- Riedel, W. and Crum, W., *The Canons of Athanasius Patriarch of Alexandria*, London, 1904.
- Robert, C.H., & Capelle, Dom B., *An Early Euchologium*, Lovain 1949.
- Samir Kh. *Le codex Kacmarcik et sa version arabe de la Liturgie alexandrine*, Cited by OCP 44 (1978).
- Ugo Zanetti, *Les lectionnaires coptes annuels, basse Egypte*, Louvain, 1985.
- *Vie copte de Saint Pachôme, cite dans l'esprit du monachisme Pachômien*, Bellefontaine, 1973.
- William F. Arndt & Wilber Gingrich, *A Greek - English Lexion of the New Testament and other Early Christian Literature*, London, 1957.

## الدُّرَّة الطَّقْسِيَّة لِلْكَنِيسَةِ الْقِبْطِيَّةِ

### بين الكنائس الشَّرْقِيَّةِ

للزَّاهِبِ القس أنطاسوس المقاري

www. Athanase. net

#### ♦ السِّلْسَلَةُ الْأُولَى: مصادر طقوس الكنيسة

الرَّقْم	اسم الكتاب	تاريخ التَّشْرِ
١/١	الدِّيْدَاخِي أي تعليم الرُّسُل (طبعة ثانية)	يناير ٢٠٠٦ م
١/٢	التَّقْلِيد الرُّسُولِي (طبعة ثانية)	ديسمبر ٢٠٠٦ م
١/٣	المراسيم الرُّسُولِيَّة - دراسة موجزة - نص الكتاب الثامن	أكتوبر ٢٠٠٤ م
١/٦	فهرس كتابات آباء كنيسة الإسكندريَّة - الكتابات اليونانيَّة	يناير ٢٠٠٣ م
١/٧	فهرس كتابات آباء كنيسة الإسكندريَّة - الكتابات القبطيَّة	يوليو ٢٠٠٦ م
١/١٠	قوانين البابا أنطاسيوس بطريرك الإسكندريَّة (طبعة ثانية)	ديسمبر ٢٠٠٦ م
١/١١	قوانين هيبوليتس القبطيَّة	أكتوبر ٢٠٠٤ م

#### ♦ السِّلْسَلَةُ الثَّانِيَّة: مقدِّمات في طقوس الكنيسة

الرَّقْم	اسم الكتاب	تاريخ التَّشْرِ
٢/١	الكنائس الشَّرْقِيَّة وأوطاها - الجزء الأوَّل: رؤية عامة - كنيسة المشرق الآشوريَّة (طبعة ثانية)	أكتوبر ٢٠٠٦ م
٢/٢	الكنائس الشَّرْقِيَّة وأوطاها - الجزء الثَّانِي: كنيسة مصر	يناير ٢٠٠٧ م
٢/٣	الكنائس الشَّرْقِيَّة وأوطاها - الجزء الثَّالِث: الكنائس الشَّرْقِيَّة القديمة (طبعة ثانية)	أكتوبر ٢٠٠٦ م
٢/٤	الكنائس الشَّرْقِيَّة وأوطاها - الجزء الرَّابِع: الكنائس البيزنطيَّة	يناير ٢٠٠٥ م
٢/٥	الكنيسة، معناها ومعناها (طبعة ثانية)	مايو ٢٠٠٨ م
٢/٦	مُعْجَم المصطلحات الكنسيَّة، الجزء الأوَّل (طبعة ثانية)	سبتمبر ٢٠٠٤ م
٢/٧	مُعْجَم المصطلحات الكنسيَّة، الجزء الثَّانِي (طبعة ثانية)	سبتمبر ٢٠٠٥ م
٢/٨	مُعْجَم المصطلحات الكنسيَّة، الجزء الثَّالِث (طبعة ثانية)	سبتمبر ٢٠٠٨ م

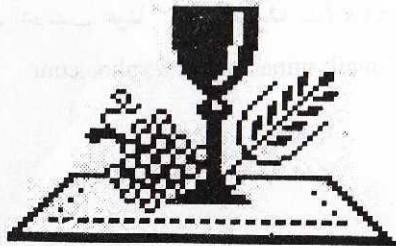
#### ♦ السِّلْسَلَةُ الثَّالِثَة: طقوس أسرار وصلوات الكنيسة

الرَّقْم	اسم الكتاب	تاريخ التَّشْرِ
٣/١	معموديَّة الماء والرُّوح	يناير ٢٠٠٣ م
٣/٢	سِرُّ الرُّوح القُدْس والميرون المقدَّس	مارس ٢٠٠٧ م
٣/٣	تسبيحة نصف اللَّيْلِ والسَّحَر	نوفمبر ٢٠٠٥ م
٣/٤	صلوات رفع البُخُور في عشية وباكر	يناير ٢٠٠٦ م
٣/٥	القُدْس الإلهي سِرُّ ملكوت الله، الجزء الأوَّل	يناير ٢٠٠٨ م

رقم	اسم الكتاب	تاريخ النشر
٣/٦	القدّاس الإلهي سرّ منكوت الله، الجزء الثّان	يناير ٢٠٠٨م
٣/٧	الدّبلة والإكليل	مارس ٢٠٠٥م
٣/٨	الأحبية أي صلوات السّواعي	إبريل ٢٠٠٦م
٣/٩	التّاريخ الطّقسي لسرّ الثّوبة والاعتراف	أكتوبر ٢٠٠٧م

♦ السّلسّلة الرّابعة: طقوس أصوام وأعياد الكنيسة

رقم	اسم الكتاب	تاريخ النشر
٤/١	الرّزمن الطّقسي من عيد الثّوروز إلى عيد الصّليب	لم يصدر بعد



رقم	اسم المؤلف	اسم الناشر
٢٥	الكنيسة المسيحية في مصر	مكتبة مرقس
٢٦	تاريخ الكنيسة في مصر	مكتبة مرقس
٢٧	الكنيسة في مصر	مكتبة مرقس
٢٨	الكنيسة في مصر	مكتبة مرقس

يُطلب من  
مكتبة مجلة مرقس

القاهرة: ٢٨ شارع شبرا - القاهرة ت/ ٢٥٧٧٠٦١٤

والمكتبات المسيحية والكنسية

كما يُطلب من

الأستاذ المحاسب مينا سمير أنطون ت/ ٠١٠١١٦٦١٨

E-mail: minasas2001@yahoo.com







## القَدَّاسُ الإِلَهِيُّ

هو خروج من هذا العالم، وارتقاء إلى السَّمَاء. والمذبح المقدَّس هو رمز هذا الارتقاء وسيلة تحقيقه. فالمسيح صعد إلى سماء الأسرار، وسماء الأسرار

هي الكنيسة. وبالقَدَّاس الإلهي في الكنيسة نبلغ المسيح حياة الكنيسة وخيرتها وإيمانها.

وسرُّ الإفخارستيا هو سرُّ نخوته الهيبة والجلال، وتباین طقوسه البديعة بين كنيسة وأخرى، إلا أنه يمارس في كل منها وسط أجواء من القدسية، بأيقونات وشموع ونخور وألحان، وسجود وقيام، وركوع وبسط يدين، وإحناء رأس ورفع عينين إلى السَّمَاء، مصحوبة كلُّها بنصوص ليتورجية تتفق في خطوطها الأساسية الأولى بغاية الإلتقان.

والكتاب الذي بين يديك قارئ العزيز إن كان يشير أحياناً إلى الجانب اللاهوتي أو الرُّوحي للقَدَّاس الإلهي، إلا أنه يركّز أساساً على الجانب الطَّقسي العملي، أي الترتيب الطَّقسي للقَدَّاس الإلهي، كيف كان شكله الأوّلي البسيط؟، وكيف تطوّرت ممارساته الطَّقسية حتى صارت إلى ما هي عليه الآن؟. وهذا الجزء الثاني يحدّثك عن طقس قَدَّاس المؤمنين، مع ملاحق هامة في نهاية الكتاب، ولاسيّما نص صلوات حولاجي القسديس سراييون صديق البابا أناسيوس الرُّسولي مترحماً عن اليونانية.



Panarion

06001326 20.00



القَدَّاسُ الإِلَهِيُّ سر ملكوت الله - ج 2

الباسيلي، لأن هذا التعبير، أي ”واهدنا إلى ملكوتك“، لا يوجد في غير هذا القُدَّاس، أمّا قول الكاهن: ”لكي وبهذا كما أيضاً في كل شيء...“، فهي صلاة معروفة في الثلاثة قَدَّاسات القبطية.

ولكن ما نمارسه فعلياً اليوم هو أننا قد نقلنا تعبير ”واهدنا إلى ملكوتك“، لما بعد مرد ”كما كان هكذا يكون...“<sup>(٧٣)</sup>، فصار للمرد مفهوم ليتورجي غير المفهوم المقصود به، كأنه مرد يختص بالمنتقلين والأحياء، وهو في الحقيقة مرد يختص بالله نفسه. فالنص اليوناني للمرد يقول: ”كما كان...“ أي ”كما كان (هو πῦρ) هكذا يكون...“ . فهو مرد تسييح وتقديس وتمجيد للآب والابن والروح القدس.

وإن ما يدعّم ما يذكره النص اليوناني السابق ذكره، هو أن النص القبطي الصّعدي للقُدَّاس الباسيلي لمخطوط الدّير الأبيض بسوهاج يذكر نفس الأمر، حيث يقول: ”أولئك نيّحهم عندك. أمّا نحن الغرباء هنا فاحفظنا في إيمانك، واهدنا إلى ملكوتك“.

كما أن هذا المرد يرد في القُدَّاس الكيرلسي في نصّه القبطي بدون أي إشارة تسبقه إلى نياح المنتقلين، أو حفظ الباقين في الإيمان، وهو ما نجده في مخطوط الفاتيكان رقم (١٧)، وأيضاً في الخولاجي المطبوع سنة ١٩٠٢م. أمّا النص اليوناني للقُدَّاس المرقسي بحسب مخطوط كسمارسك F. Kacmarcik Codex فلم يورد هذا المرد أصلاً، حيث يواصل الكاهن

٧٣- جدير بالذكر أن ابن سباع يذكر ذلك الأمر، أي أن تعبير ”واهدنا إلى ملكوتك“، يأتي بعد المرد، كما نردد اليوم في كنائسنا. ومن هنا يتّضح أن هذه الممارسة التي يذكرها ابن سباع هي التي سادت، في حين أن معظم مخطوطات الخولاجيات وحتى الخولاجي المطبوع تشير إلى غير ذلك.

انظر: يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، مرجع سابق، ص ٢٥٥

٧٤- أي الآب. ويأتي هنا في صيغة ضمير العاقل الغائب.

صلاته بدون أن يعترضها هذا المرد، فيقول: "لكي يكون لنا جميعاً نحن الآخذين منهما إيماناً بغير فحص ... وغفراناً للخطايا، لكي وبهذا كما أيضاً في كل شيء، يتمجد ويتبارك ..."<sup>(٧٥)</sup>، وهو نفس ما نَحْجِه القُدَّاسين الباسيلي والغريغوري في نصَّيهما اليونانيَّين.

وهكذا يصير هذا المرد مرداً ختامياً للأنافوراً كلها، حيث بالاستدعاء الأخير تكون قد انتهت كل أفعال وأقوال التَّقدِّيس. وهو ما نجد أصوله السَّحيقة في القدم في ليتورجية التَّقليد الرِّسولي ليهيوليتس حيث يقول الكاهن بعد الاستدعاء الأخير مباشرة: "لنَسبِّحَكَ ونمَجِّدَكَ بفتاك يسوع المسيح، الذي به لك المجد والكرامة مع الرُّوح القُدُّس في الكنيسة المقدَّسة، الآن وإلى آباد الدُّهور. آمين"<sup>(٧٦)</sup>.

### تصحیح يلزم تداركه

يلزم الإشارة إلى خطأ شائع تسبَّب فيه خولاجي سنة ١٩٠٢م ليس في النَّص القبطي للقُدَّاس، بل في التَّرجمة العربيَّة له، وذلك في النَّص الذي يقول (بخطئه): "... لكي وبهذا كما أيضاً في كل شيء يتمجد ويتبارك ويرتفع اسمك العظيم القُدُّوس: في كل شيء كريم ومبارك: مع يسوع المسيح ...".

.. ἡνε πεκνιϋτ ἡραν ἕθουαβ: δειν εὐωβ ηἰβεν ετταῖνουτ  
ουοε ετσμαρωουτ: νεμ Ἰησοϋε..

وهنا ترد الصِّفتان "كريم ومبارك" كصفتين تختصان بعبارة "كل شيء". ولقد عزَّز النَّص القبطي هذا الخطأ بوضع فواصل (: بين

75- W.F. Macomber, *op. cit.*, OCP 45 (1979), p. 97.

٧٦- انظر للأهمية: الأب متى المسكين، الإفخارستيا والقُدَّاس، مرجع سابق، ص ٦٩٨-٧٠٠.